



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارحم الراحمين  
عليهم يا صابغ

www.ghaemiyeh.com  
www.ghaemiyeh.org  
www.ghaemiyeh.net  
www.ghaemiyeh.ir

# مَجْمَعُ الْبَيْتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَسَلِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّبْرِيِّ

مُسْتَوْجِبٌ وَتَوْجِيهٌ وَتَرْغِيْبٌ

مَكْتَبَةُ مَطْبَعَةِ الْبَيْتِ فِي الْقَاهِرَةِ وَطَبْعَتْ فِي مَكْتَبَةِ  
مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ

الجزء السابع

دار المعرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مجمع البيان فى تفسير القرآن

كاتب:

طبرسى ( معروف ) ، امين الاسلام ابو على فضل بن حسن  
( صاحب مجمع البيان و اعلام الورى و... )

نشرت فى الطباعة:

دار المعرفة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
٣٦	مجمع البيان فى تفسير القرآن المجلد ٧
٣٦	اشاره
٣٦	اشاره
٣٩	(٢٠) سورة طه مكيه و آياتها خمس و ثلاثون و مائه (١٣٥)
٣٩	اشاره
٣٩	عدد آيها
٣٩	اختلافها
٣٩	فضلها
٤٠	تفسيرها
٤٠	[سوره طه (٢٠): الآيات ١ الى ٨]
٤٠	اشاره
٤٠	القراءه
٤٠	الحجه
٤٠	اللغه
٤٠	الإعراب
٤٢	المعنى
٤٤	[سوره طه (٢٠): الآيات ٩ الى ١٦]
٤٤	اشاره
٤٤	القراءه
٤٤	الحجه
٤٥	اللغه
٤٦	الإعراب
٤٦	المعنى

٤٨ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ١٧ الى ٣٦]

٤٨ ..... اشاره

٥٠ ..... القراءه

٥٠ ..... الحجه

٥٠ ..... اللغه

٥٢ ..... المعنى

٥٤ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٣٧ الى ٤٤]

٥٤ ..... اشاره

٥٥ ..... القراءه

٥٥ ..... الحجه

٥٥ ..... اللغه

٥٥ ..... المعنى

٥٨ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٤٥ الى ٥٦]

٥٨ ..... اشاره

٥٩ ..... القراءه

٥٩ ..... الحجه

٥٩ ..... اللغه

٥٩ ..... الإعراب

٦٠ ..... المعنى

٦٢ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٥٧ الى ٦٦]

٦٢ ..... اشاره

٦٢ ..... القراءه

٦٣ ..... الحجه و الإعراب

٦٧ ..... المعنى

٦٩ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٦٧ الى ٧٦]

٦٩ ..... اشاره

٧٠ ..... القراءه

٧٠ ..... الحججه

٧٠ ..... اللغه

٧١ ..... الإعراب

٧١ ..... المعنى

٧٤ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٧٧ الى ٨٦]

٧٤ ..... اشاره

٧٤ ..... القراءه

٧٤ ..... الحججه

٧٥ ..... اللغه

٧٥ ..... الإعراب

٧٦ ..... المعنى

٧٨ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٨٧ الى ٩٦]

٧٨ ..... اشاره

٧٨ ..... القراءه

٧٩ ..... الحججه

٧٩ ..... اللغه

٧٩ ..... الإعراب

٨٠ ..... المعنى

٨٣ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ٩٧ الى ١٠٧]

٨٣ ..... اشاره

٨٣ ..... القراءه

٨٣ ..... الحججه

٨٤ ..... اللغه

٨٥ ..... المعنى

٨٧ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ١٠٨ الى ١١٥]

٨٧ ..... اشارة

٨٧ ..... القراءة

٨٧ ..... الحججه

٨٧ ..... اللغه

٨٨ ..... الإعراب

٨٨ ..... المعنى

٩١ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ١١٦ الى ١٢٥]

٩١ ..... اشارة

٩١ ..... القراءة

٩١ ..... الحججه

٩١ ..... اللغه

٩٢ ..... المعنى

٩٤ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ١٢٦ الى ١٣٠]

٩٤ ..... اشارة

٩٤ ..... القراءة

٩٤ ..... الحججه

٩٤ ..... اللغه

٩٥ ..... المعنى

٩٦ ..... [سوره طه (٢٠): الآيات ١٣١ الى ١٣٥]

٩٦ ..... اشارة

٩٦ ..... القراءة

٩٦ ..... اللغه

٩٧ ..... الإعراب

٩٧ ..... المعنى

١٠٠ ..... (٢١) سوره الأنبياء مكيه و آياتها اثنتا عشره و مائه (١١٢)

١٠٠ ..... اشارة



١٠٠ ..... [توضيح]

١٠٠ ..... اختلافها

١٠٠ ..... فضلها

١٠٠ ..... تفسيرها

١٠١ ..... [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ١ إلى ٥]

١٠١ ..... اشاره

١٠١ ..... القراءة

١٠١ ..... الحججه

١٠١ ..... الإعراب

١٠١ ..... المعنى

١٠٤ ..... [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٦ إلى ١٠]

١٠٤ ..... اشاره

١٠٤ ..... القراءة

١٠٤ ..... الإعراب

١٠٤ ..... المعنى

١٠٧ ..... [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ١١ إلى ٢٠]

١٠٧ ..... اشاره

١٠٧ ..... اللغة

١٠٧ ..... المعنى

١١١ ..... [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٢١ إلى ٣٠]

١١١ ..... اشاره

١١١ ..... القراءة

١١١ ..... الحججه

١١٢ ..... الإعراب

١١٢ ..... المعنى

١١٥ ..... [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٣١ إلى ٣٥]

١١٥ ..... اشارة

١١٥ ..... اللغة

١١٥ ..... الإعراب

١١٥ ..... المعنى

١١٧ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

١١٧ ..... اشارة

١١٧ ..... اللغة

١١٧ ..... الإعراب

١١٨ ..... المعنى

١٢١ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٤١ الى ٤٥]

١٢١ ..... اشارة

١٢١ ..... القراءة

١٢١ ..... الحججه

١٢١ ..... اللغة

١٢١ ..... الإعراب

١٢١ ..... المعنى

١٢٤ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

١٢٤ ..... اشارة

١٢٤ ..... القراءة

١٢٤ ..... الحججه

١٢٤ ..... اللغة

١٢٤ ..... الإعراب

١٢٤ ..... المعنى

١٢٧ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٥١ الى ٦٠]

١٢٧ ..... اشارة

١٢٧ ..... القراءة

١٢٧ ..... الحجه

١٣٠ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٦١ الى ٧٠]

١٣٠ ..... اشاره

١٣٠ ..... اللغه

١٣٠ ..... الإعراب

١٣٠ ..... المعنى

١٣٤ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٧١ الى ٧٥]

١٣٤ ..... اشاره

١٣٤ ..... اللغه

١٣٤ ..... الإعراب

١٣٤ ..... المعنى

١٣٦ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٧٦ الى ٨٠]

١٣٦ ..... اشاره

١٣٦ ..... القراءة

١٣٦ ..... الحجه

١٣٦ ..... اللغه

١٣٦ ..... الإعراب

١٣٧ ..... المعنى

١٣٩ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٨١ الى ٨٦]

١٣٩ ..... اشاره

١٣٩ ..... اللغه

١٣٩ ..... الإعراب

١٣٩ ..... المعنى

١٤١ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٨٧ الى ٩٠]

١٤١ ..... اشاره

١٤١ ..... القراءة

١٤١ ..... الحجه

١٤٢ ..... المعنى

١٤٣ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٩١ الى ٩٥]

١٤٣ ..... اشاره

١٤٤ ..... القراءة

١٤٤ ..... الحجه

١٤٤ ..... المعنى

١٤٤ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٩٦ الى ١٠٣]

١٤٤ ..... اشاره

١٤٤ ..... القراءة

١٤٤ ..... الحجه

١٤٧ ..... اللغة

١٤٧ ..... الإعراب

١٤٧ ..... المعنى

١٥٠ ..... [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ١٠٤ الى ١١٢]

١٥٠ ..... اشاره

١٥٠ ..... القراءة

١٥٠ ..... الحجه

١٥١ ..... الإعراب

١٥١ ..... المعنى

١٥٥ ..... (٢٢) سوره الحج مدنيه و آياتها ثمان و سبعون (٧٨)

١٥٥ ..... اشاره

١٥٥ ..... [توضيح]

١٥٥ ..... عدد آيها

١٥٥ ..... اختلافها

١٥٥ ..... فضلها

١٥٥ ..... تفسيرها

١٥٦ ..... [سوره الحج (٢٢): الآيات ١ الى ٥]

١٥٦ ..... اشاره

١٥٦ ..... القراءة

١٥٦ ..... الحججه

١٥٧ ..... اللغه

١٥٧ ..... الإعراب

١٥٨ ..... المعنى

١٦١ ..... [سوره الحج (٢٢): الآيات ٦ الى ١٠]

١٦١ ..... اشاره

١٦١ ..... الإعراب

١٦١ ..... المعنى

١٦٢ ..... [سوره الحج (٢٢): الآيات ١١ الى ١٥]

١٦٢ ..... اشاره

١٦٢ ..... القراءة

١٦٣ ..... الحججه

١٦٣ ..... اللغه

١٦٣ ..... الإعراب

١٦٦ ..... المعنى

١٦٨ ..... [سوره الحج (٢٢): الآيات ١٦ الى ١٨]

١٦٨ ..... اشاره

١٦٨ ..... الإعراب

١٦٨ ..... المعنى

١٧٠ ..... [سوره الحج (٢٢): الآيات ١٩ الى ٢٤]

١٧٠ ..... اشاره

١٧٠ ..... القراءة

١٧٠ ..... الحجه

١٧٠ ..... اللغه

١٧٢ ..... المعنى

١٧٤ ..... [سوره الحج (٢٢): الآيات ٢٥ الى ٣٠]

١٧٤ ..... اشاره

١٧٤ ..... القراءه

١٧٤ ..... الحجه

١٧٤ ..... اللغه

١٧٥ ..... الإعراب

١٧٦ ..... المعنى

١٨٠ ..... [سوره الحج (٢٢): الآيات ٣١ الى ٣٥]

١٨٠ ..... اشاره

١٨٠ ..... القراءه

١٨١ ..... الحجه

١٨١ ..... اللغه

١٨١ ..... المعنى

١٨٥ ..... [سوره الحج (٢٢): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

١٨٥ ..... اشاره

١٨٥ ..... القراءه

١٨٥ ..... الحجه

١٨٧ ..... اللغه

١٨٨ ..... الإعراب

١٨٨ ..... المعنى

١٩١ ..... [سوره الحج (٢٢): الآيات ٤١ الى ٤٥]

١٩١ ..... اشاره

١٩١ ..... القراءه

اللغه - ١٩١

المعنى - ١٩٢

[سوره الحج (٢٢): الآيات ٤٦ الى ٥١] - ١٩٤

اشاره - ١٩٤

القراءه - ١٩٤

الحجه - ١٩٤

المعنى - ١٩٤

[سوره الحج (٢٢): الآيات ٥٢ الى ٥٥] - ١٩٧

اشاره - ١٩٧

المعنى - ١٩٧

[سوره الحج (٢٢): الآيات ٥٦ الى ٦٠] - ٢٠٠

اشاره - ٢٠٠

القراءه - ٢٠٠

المعنى - ٢٠٠

[سوره الحج (٢٢): الآيات ٦١ الى ٦٥] - ٢٠١

اشاره - ٢٠١

القراءه - ٢٠١

الحجه - ٢٠١

الإعراب - ٢٠١

المعنى - ٢٠٢

[سوره الحج (٢٢): الآيات ٦٦ الى ٧٠] - ٢٠٣

اشاره - ٢٠٣

المعنى - ٢٠٣

[سوره الحج (٢٢): الآيات ٧١ الى ٧٥] - ٢٠٣

اشاره - ٢٠٣

القراءه - ٢٠٥

٢٠٥ ..... اللغة

٢٠٥ ..... المعنى

٢٠٧ ..... [سوره الحج (٢٢): الآيات ٧٦ الى ٧٨]

٢٠٧ ..... اشاره

٢٠٧ ..... الإعراب

٢٠٧ ..... المعنى

٢١٠ ..... (٢٣) سوره المؤمنون مكيه و آياتها ثمانى عشره و مائه (١١٨)

٢١٠ ..... اشاره

٢١٠ ..... عدد آيها

٢١٠ ..... اختلافها

٢١٠ ..... فضلها

٢١٠ ..... تفسيرها

٢١١ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١ الى ١١]

٢١١ ..... اشاره

٢١١ ..... القراءه

٢١١ ..... الحجه

٢١١ ..... المعنى

٢١٤ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٢ الى ١٩]

٢١٤ ..... اشاره

٢١٥ ..... القراءه

٢١٥ ..... الحجه

٢١٥ ..... اللغة

٢١٥ ..... الإعراب

٢١٦ ..... المعنى

٢١٩ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٢٠ الى ٢٥]

٢١٩ ..... اشاره



٢١٩ ..... القراءه

٢١٩ ..... الحججه

٢٢٠ ..... المعنى

٢٢٢ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

٢٢٢ ..... اشاره

٢٢٢ ..... القراءه

٢٢٢ ..... الحججه

٢٢٢ ..... المعنى

٢٢٣ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٣١ الى ٤٠]

٢٢٣ ..... اشاره

٢٢٣ ..... القراءه

٢٢٤ ..... الحججه

٢٢٤ ..... الإعراب

٢٢٥ ..... المعنى

٢٢٧ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٤١ الى ٥٠]

٢٢٧ ..... اشاره

٢٢٧ ..... القراءه

٢٢٧ ..... الحججه

٢٢٧ ..... المعنى

٢٢٩ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥١ الى ٥٦]

٢٢٩ ..... اشاره

٢٢٩ ..... القراءه

٢٢٩ ..... الحججه

٢٣٠ ..... المعنى

٢٣١ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥٧ الى ٦١]

٢٣١ ..... اشاره

٢٣١ ..... القراءه

٢٣١ ..... الحججه

٢٣١ ..... المعنى

٢٣٣ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٦٢ الى ٧١]

٢٣٣ ..... اشاره

٢٣٣ ..... القراءه

٢٣٣ ..... الحججه

٢٣٣ ..... اللغه

٢٣٥ ..... الإعراب

٢٣٥ ..... المعنى

٢٣٧ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٧٢ الى ٨٠]

٢٣٧ ..... اشاره

٢٣٧ ..... اللغه

٢٣٨ ..... المعنى

٢٣٩ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٨١ الى ٩٠]

٢٣٩ ..... اشاره

٢٣٩ ..... القراءه

٢٣٩ ..... الحججه

٢٣٩ ..... المعنى

٢٤١ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩١ الى ١٠٠]

٢٤١ ..... اشاره

٢٤١ ..... القراءه

٢٤١ ..... الحججه

٢٤٢ ..... اللغه

٢٤٢ ..... المعنى

٢٤٥ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٠١ الى ١١٠]

٢٤٥ ..... اشارة

٢٤٥ ..... القراءه

٢٤٥ ..... الحججه

٢٤٦ ..... اللغه

٢٤٦ ..... الإعراب

٢٤٦ ..... المعنى

٢٤٨ ..... [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١١١ الى ١١٨]

٢٤٨ ..... اشارة

٢٤٨ ..... القراءه

٢٤٨ ..... الحججه

٢٤٩ ..... الإعراب

٢٤٩ ..... المعنى

٢٥١ ..... (٢٤) سوره النور مدنيه و آياتها أربع و ستون (٦٤)

٢٥١ ..... اشارة

٢٥١ ..... [توضيح]

٢٥١ ..... عدد آيها

٢٥١ ..... اختلافها

٢٥١ ..... فضلها

٢٥١ ..... تفسيرها

٢٥٢ ..... [سوره النور (٢٤): الآيات ١ الى ٣]

٢٥٢ ..... اشارة

٢٥٢ ..... القراءه

٢٥٢ ..... الحججه

٢٥٢ ..... اللغه

٢٥٢ ..... المعنى

٢٥٥ ..... [سوره النور (٢٤): الآيات ٤ الى ٥]

٢٥٥ ..... اشارة

٢٥٥ ..... القراءه

٢٥٥ ..... الحججه

٢٥٥ ..... الإعراب

٢٥٦ ..... المعنى

٢٥٧ ..... [سوره النور (٢٤): الآيات ٦ الى ١٠]

٢٥٧ ..... اشارة

٢٥٧ ..... القراءه

٢٥٧ ..... الحججه

٢٥٩ ..... المعنى

٢٦٠ ..... [سوره النور (٢٤): الآيات ١١ الى ١٥]

٢٦٠ ..... اشارة

٢٦١ ..... القراءه

٢٦١ ..... الحججه

٢٦٣ ..... المعنى

٢٦٥ ..... [سوره النور (٢٤): الآيات ١٦ الى ٢٠]

٢٦٥ ..... اشارة

٢٦٥ ..... المعنى

٢٦٦ ..... [سوره النور (٢٤): الآيات ٢١ الى ٢٥]

٢٦٦ ..... اشارة

٢٦٦ ..... القراءه

٢٦٦ ..... الحججه

٢٦٧ ..... المعنى

٢٦٩ ..... [سوره النور (٢٤): الآيات ٢٦ الى ٢٩]

٢٦٩ ..... اشارة

٢٦٩ ..... اللغه

المعنى ..... ٢٦٩

[سوره النور (٢٤): الآيات ٣٠ الى ٣١] ..... ٢٧٢

اشاره ..... ٢٧٢

القراءه ..... ٢٧٢

الحجه ..... ٢٧٢

اللغه ..... ٢٧٣

الإعراب ..... ٢٧٣

المعنى ..... ٢٧٣

[سوره النور (٢٤): الآيات ٣٢ الى ٣٤] ..... ٢٧٦

اشاره ..... ٢٧٦

القراءه ..... ٢٧٦

الحجه ..... ٢٧٦

اللغه ..... ٢٧٦

الإعراب ..... ٢٧٦

المعنى ..... ٢٧٧

[سوره النور (٢٤): الآيات ٣٥ الى ٣٨] ..... ٢٨٠

اشاره ..... ٢٨٠

القراءه ..... ٢٨١

الحجه ..... ٢٨١

اللغه ..... ٢٨٢

الإعراب ..... ٢٨٢

المعنى ..... ٢٨٣

[سوره النور (٢٤): الآيات ٣٩ الى ٤٠] ..... ٢٨٩

اشاره ..... ٢٨٩

القراءه ..... ٢٨٩

الحجه ..... ٢٨٩

اللغه - ٢٨٩

المعنى - ٢٨٩

[سوره النور (٢٤): الآيات ٤١ الى ٤٦] ٢٩٢

اشاره - ٢٩٢

القراءه - ٢٩٢

الحجه - ٢٩٢

اللغه - ٢٩٣

الإعراب - ٢٩٣

المعنى - ٢٩٣

[سوره النور (٢٤): الآيات ٤٧ الى ٥٢] ٢٩٥

اشاره - ٢٩٥

القراءه - ٢٩٦

الحجه - ٢٩٦

اللغه - ٢٩٦

المعنى - ٢٩٧

[سوره النور (٢٤): الآيات ٥٣ الى ٥٥] ٢٩٨

اشاره - ٢٩٨

القراءه - ٢٩٩

الحجه - ٢٩٩

المعنى - ٢٩٩

[سوره النور (٢٤): الآيات ٥٦ الى ٥٧] ٣٠٢

اشاره - ٣٠٢

القراءه - ٣٠٢

الحجه - ٣٠٢

المعنى - ٣٠٢

[سوره النور (٢٤): الآيات ٥٨ الى ٦٠] ٣٠٤

٣٠٤ ..... اشارة

٣٠٤ ..... القراءه

٣٠٤ ..... الحجه

٣٠٥ ..... اللغه

٣٠٥ ..... المعنى

٣٠٧ ..... [سوره النور (٢٤): آيه ٤١] .....

٣٠٧ ..... اشارة

٣٠٧ ..... اللغه

٣٠٧ ..... الإعراب

٣٠٧ ..... المعنى

٣١٠ ..... [سوره النور (٢٤): الآيات ٤٢ الى ٤٤] .....

٣١٠ ..... اشارة

٣١٠ ..... اللغه

٣١١ ..... الإعراب

٣١١ ..... المعنى

٣١٣ ..... (٢٥) سوره الفرقان مكيه و آياتها سبع و سبعون (٧٧) .....

٣١٣ ..... اشارة

٣١٣ ..... [توضيح]

٣١٣ ..... عدد آيها

٣١٣ ..... فضلها

٣١٣ ..... تفسيرها

٣١٤ ..... [سوره الفرقان (٢٥): الآيات ١ الى ١٠] .....

٣١٤ ..... اشارة

٣١٤ ..... القراءه

٣١٤ ..... الحجه

٣١٥ ..... الإعراب

المعنى ..... ٣١٥

[سوره الفرقان (٢٥): الآيات ١١ الى ٢٠] ..... ٣١٨

اشاره ..... ٣١٨

القراءه ..... ٣١٨

الحجه ..... ٣١٨

اللغه ..... ٣٢٠

الإعراب ..... ٣٢٠

المعنى ..... ٣٢٠

[سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٢١ الى ٣٠] ..... ٣٢٣

اشاره ..... ٣٢٣

القراءه ..... ٣٢٣

الحجه ..... ٣٢٣

اللغه ..... ٣٢٣

الإعراب ..... ٣٢٤

المعنى ..... ٣٢٥

[سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٣١ الى ٤٠] ..... ٣٢٨

اشاره ..... ٣٢٨

القراءه ..... ٣٢٨

اللغه ..... ٣٢٨

الإعراب ..... ٣٢٩

المعنى ..... ٣٢٩

[سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٤١ الى ٥٠] ..... ٣٣١

اشاره ..... ٣٣١

القراءه ..... ٣٣٢

الحجه ..... ٣٣٢

اللغه ..... ٣٣٢



الإعراب ..... ٣٣٢

المعنى ..... ٣٣٣

[سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٥١ الى ٦٠] ..... ٣٣٥

اشاره ..... ٣٣٥

القراءة ..... ٣٣٦

الحجه ..... ٣٣٦

اللغه ..... ٣٣٦

الإعراب ..... ٣٣٦

المعنى ..... ٣٣٨

[سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٦١ الى ٧٠] ..... ٣٤١

اشاره ..... ٣٤١

القراءة ..... ٣٤١

الحجه ..... ٣٤١

اللغه ..... ٣٤٣

المعنى ..... ٣٤٣

[سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٧١ الى ٧٧] ..... ٣٤٨

اشاره ..... ٣٤٨

القراءة ..... ٣٤٨

الحجه ..... ٣٤٨

اللغه ..... ٣٤٨

المعنى ..... ٣٥٠

(٢٦) سوره الشعراء مكيه و آياتها سبع و عشرون و مائتان (٢٢٧) ..... ٣٥٢

اشاره ..... ٣٥٢

[توضيح] ..... ٣٥٢

عدد آياتها ..... ٣٥٢

اختلافها ..... ٣٥٢

٣٥٣ ----- فضلهـا

٣٥٣ ----- تفسيرها

٣٥٤ ----- [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١ الى ٩]

٣٥٤ ----- اشاره

٣٥٤ ----- القراءه

٣٥٤ ----- الحججه

٣٥٤ ----- الإعراب

٣٥٥ ----- المعنى

٣٥٧ ----- [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٠ الى ٣٠]

٣٥٧ ----- اشاره

٣٥٧ ----- القراءه

٣٥٧ ----- الحججه

٣٥٧ ----- الإعراب

٣٥٨ ----- المعنى

٣٦٢ ----- [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٣١ الى ٥٠]

٣٦٢ ----- اشاره

٣٦٢ ----- المعنى

٣٦٣ ----- [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٥١ الى ٦٨]

٣٦٣ ----- اشاره

٣٦٤ ----- القراءه

٣٦٤ ----- الحججه

٣٦٥ ----- اللغه

٣٦٦ ----- المعنى

٣٦٩ ----- [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٦٩ الى ١٠٤]

٣٦٩ ----- اشاره

٣٦٩ ----- اللغه

الإعراب ..... ٣٦٩

المعنى ..... ٣٧١

[سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٠٥ الى ١٢٢] ..... ٣٧٥

اشاره ..... ٣٧٥

القرءاه ..... ٣٧٦

الحجه ..... ٣٧٦

اللغه ..... ٣٧٦

الإعراب ..... ٣٧٦

المعنى ..... ٣٧٦

[سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٢٣ الى ١٤٠] ..... ٣٧٩

اشاره ..... ٣٧٩

القرءاه ..... ٣٧٩

الحجه ..... ٣٧٩

اللغه ..... ٣٧٩

المعنى ..... ٣٨٠

[سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٤١ الى ١٥٩] ..... ٣٨٢

اشاره ..... ٣٨٢

القرءاه ..... ٣٨٢

الحجه ..... ٣٨٢

اللغه ..... ٣٨٢

المعنى ..... ٣٨٤

[سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٦٠ الى ١٧٥] ..... ٣٨٥

اشاره ..... ٣٨٥

اللغه ..... ٣٨٥

المعنى ..... ٣٨٥

[سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٧٦ الى ١٩١] ..... ٣٨٧

٣٨٧ ..... اشارة

٣٨٧ ..... القراءه

٣٨٧ ..... الحججه

٣٨٧ ..... اللغه

٣٩٠ ..... [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٩٢ الى ٢١٢]

٣٩٠ ..... اشارة

٣٩٠ ..... القراءه

٣٩٠ ..... الحججه

٣٩١ ..... اللغه

٣٩١ ..... الإعراب

٣٩١ ..... المعنى

٣٩٤ ..... [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢١٣ الى ٢٢٠]

٣٩٤ ..... اشارة

٣٩٤ ..... القراءه

٣٩٤ ..... الحججه

٣٩٤ ..... اللغه

٣٩٤ ..... المعنى

٣٩٤ ..... [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٢١ الى ٢٢٧]

٣٩٤ ..... اشارة

٣٩٤ ..... القراءه

٣٩٤ ..... الحججه

٣٩٤ ..... اللغه

٣٩٤ ..... الإعراب

٣٩٨ ..... المعنى

٤٠٠ ..... (٢٧) سوره النمل مكيه و آياتها ثلاث و تسعون (٩٣)

٤٠٠ ..... اشارة

٤٠٠ ..... عدد آيها

٤٠٠ ..... اختلافها

٤٠٠ ..... فضلها

٤٠٠ ..... تفسيرها

٤٠١ ..... [سوره النمل (٢٧): الآيات ١ الى ١٠]

٤٠١ ..... اشاره

٤٠١ ..... القراءه

٤٠١ ..... الحججه و اللغه

٤٠١ ..... الإعراب

٤٠٣ ..... المعنى

٤٠٥ ..... [سوره النمل (٢٧): الآيات ١١ الى ١٤]

٤٠٥ ..... اشاره

٤٠٥ ..... القراءه

٤٠٥ ..... الحججه

٤٠٦ ..... الإعراب

٤٠٦ ..... المعنى

٤٠٧ ..... [سوره النمل (٢٧): الآيات ١٥ الى ١٩]

٤٠٧ ..... اشاره

٤٠٧ ..... اللغه

٤٠٨ ..... الإعراب

٤٠٨ ..... المعنى

٤١١ ..... [سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٠ الى ٢٦]

٤١١ ..... اشاره

٤١١ ..... القراءه

٤١٢ ..... الحججه

٤١٣ ..... الإعراب

المعنى ..... ٤١٣

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٧ الى ٣١] ..... ٤١٤

اشاره ..... ٤١٤

القراءة ..... ٤١٤

المعنى ..... ٤١٤

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٣٢ الى ٣٧] ..... ٤١٨

اشاره ..... ٤١٨

القراءة ..... ٤١٨

الإعراب ..... ٤١٨

المعنى ..... ٤١٨

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٣٨ الى ٤٤] ..... ٤٢١

اشاره ..... ٤٢١

القراءة ..... ٤٢١

الحجه ..... ٤٢١

المعنى ..... ٤٢٢

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٤٥ الى ٥٣] ..... ٤٢٤

اشاره ..... ٤٢٤

القراءة ..... ٤٢٤

الحجه ..... ٤٢٧

المعنى ..... ٤٢٨

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٥٤ الى ٥٩] ..... ٤٢٩

اشاره ..... ٤٢٩

القراءة ..... ٤٢٩

الحجه ..... ٤٢٩

المعنى ..... ٤٣٠

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٦٠ الى ٦٥] ..... ٤٣١

٤٣١ ..... اشارة

٤٣١ ..... القراءه

٤٣١ ..... اللغه

٤٣١ ..... الإعراب

٤٣٢ ..... المعنى

٤٣٤ ..... [سوره النمل (٢٧): الآيات ٤٦ الى ٧٥]

٤٣٤ ..... اشارة

٤٣٤ ..... القراءه

٤٣٤ ..... الحجه

٤٣٥ ..... اللغه

٤٣٥ ..... الإعراب

٤٣٦ ..... المعنى

٤٣٨ ..... [سوره النمل (٢٧): الآيات ٧٦ الى ٨٥]

٤٣٨ ..... اشارة

٤٣٨ ..... القراءه

٤٣٨ ..... الحجه

٤٣٨ ..... المعنى

٤٤٢ ..... [سوره النمل (٢٧): الآيات ٨٦ الى ٩٣]

٤٤٢ ..... اشارة

٤٤٢ ..... القراءه

٤٤٢ ..... الحجه

٤٤٤ ..... الإعراب

٤٤٤ ..... المعنى

٤٤٨ ..... (٢٨) سوره القصص مكيه و آياتها ثمان و ثمانون (٨٨)

٤٤٨ ..... اشارة

٤٤٨ ..... عدد آياتها

٤٤٨ ..... اختلافها

٤٤٨ ..... فضلها

٤٤٨ ..... تفسيرها

٤٤٩ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ١ الى ٦]

٤٤٩ ..... اشاره

٤٤٩ ..... القراءه

٤٤٩ ..... الحججه

٤٤٩ ..... اللغه

٤٤٩ ..... الإعراب

٤٤٩ ..... المعنى

٤٥١ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٧ الى ١٠]

٤٥١ ..... اشاره

٤٥٢ ..... القراءه

٤٥٢ ..... الحججه

٤٥٢ ..... الإعراب

٤٥٤ ..... المعنى

٤٥٦ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ١١ الى ١٥]

٤٥٦ ..... اشاره

٤٥٦ ..... اللغه

٤٥٧ ..... الإعراب

٤٥٧ ..... المعنى

٤٥٩ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ١٦ الى ٢٠]

٤٥٩ ..... اشاره

٤٦٠ ..... اللغه

٤٦٠ ..... المعنى

٤٦٣ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٢١ الى ٢٥]



٤٤٣ ..... اشارة

٤٤٣ ..... القراءه

٤٤٣ ..... الحججه

٤٤٣ ..... اللغه

٤٤٤ ..... الإعراب

٤٤٤ ..... المعنى

٤٤٧ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٢٤ الى ٣٠]

٤٤٧ ..... اشارة

٤٤٧ ..... القراءه

٤٤٧ ..... الحججه

٤٤٧ ..... اللغه

٤٤٧ ..... الإعراب

٤٤٨ ..... المعنى

٤٧٢ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٣١ الى ٣٥]

٤٧٢ ..... اشارة

٤٧٢ ..... القراءه

٤٧٢ ..... الحججه

٤٧٢ ..... الإعراب

٤٧٢ ..... المعنى

٤٧٤ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٣٦ الى ٤٢]

٤٧٤ ..... اشارة

٤٧٤ ..... القراءه

٤٧٤ ..... الحججه

٤٧٤ ..... اللغه

٤٧٧ ..... الإعراب

٤٧٧ ..... المعنى

٤٧٩ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٤٣ الى ٥٠]

٤٧٩ ..... اشاره

٤٧٩ ..... القراءه

٤٧٩ ..... الحججه

٤٨٠ ..... الإعراب

٤٨٠ ..... المعنى

٤٨٣ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٥١ الى ٥٥]

٤٨٣ ..... اشاره

٤٨٣ ..... اللغه

٤٨٣ ..... المعنى

٤٨٤ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

٤٨٤ ..... اشاره

٤٨٥ ..... القراءه

٤٨٥ ..... الحججه

٤٨٥ ..... اللغه

٤٨٥ ..... الإعراب

٤٨٧ ..... المعنى

٤٨٩ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٦١ الى ٦٦]

٤٨٩ ..... اشاره

٤٨٩ ..... اللغه

٤٨٩ ..... المعنى

٤٩١ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٦٧ الى ٧٠]

٤٩١ ..... اشاره

٤٩١ ..... المعنى

٤٩٢ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٧١ الى ٧٥]

٤٩٢ ..... اشاره

٤٩٢ ..... المعنى

٤٩٤ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٧٦ الى ٨٢]

٤٩٤ ..... اشاره

٤٩٤ ..... القراءه

٤٩٤ ..... الحججه

٤٩٥ ..... اللغه

٤٩٦ ..... المعنى

٥٠٠ ..... [سوره القصص (٢٨): الآيات ٨٣ الى ٨٨]

٥٠٠ ..... اشاره

٥٠١ ..... النزول

٥٠١ ..... المعنى

٥٠٣ ..... النظم

٥٠٤ ..... تعريف مركز

## مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد ٧

### اشاره

سرشناسه: طبرسي، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پديدآور: مجمع البيان في تفسير القرآن

تاليف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسی

مصصح: هاشم رسولي

مصصح: فضل الله يزدي طباطبائي

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بيروت - لبنان

مشخصات ظاهري: ١٠ ج.

يادداشت: عربي

موضوع: تفاسير شيعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

### اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصصح: هاشم رسولى

مصصح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

## اشاره

## عدد آياتها

مائه و أربعون آيه شامى و خمس و ثلاثون كوفى و أربع حجازى و آيتان بصرى

## اختلافها

إحدى و عشرون آيه «طه» «مَا غَشَّيَهُمْ» «رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا» ثلاثهن كوفى «نَسِيْبِحَكَ كَثِيْرًا» «وَنَذُرُكَ كَثِيْرًا» كلاهما غير البصرى «مَحَبَّةٌ مِنِّي» حجازى شامى «فُتُوْنَا» بصرى شامى «لِنَفْسِي» كوفى شامى «وَلَا تَحْزَنَ» و «أَهْلُ مَدِيْنٍ» و «مَعَنَا بَيْنَ إِسْرَائِيْلَ وَاَوْحِيْنَا إِلَى مُوسَى» أربعهن شامى «غَضَبَانَ أَسِفًا» «وَالِهَ مُوسَى» كلتاها مكى و المدنى الأول «وَعَدَا حَسَنًا» «أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا» كلتاها المدنى الأخير «أَلْقَى السَّامِرِيُّ» غير المدنى الأخير «فَنَسِيْتِي» عراقى شامى و الأخير «صَفْصَفًا» عراقى شامى «مِنِّي هُدًى» و «زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» غير الكوفى

## فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين و الأنصار

، أبو هريره عن النبى ص أنه قال الله تعالى قرأ طه و يس قبل أن يخلق آدم (عليه السلام) بألفى عام فلما سمعت الملائكه القرآن قالوا طوبى لأمه نزل هذا عليها و طوبى لأجواف تحمل هذا و طوبى لألسن تتكلم بهذا

و عن الحسن قال قال النبى ص لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا يس و طه

و روى إسحاق بن عمار عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال لا تدعوا

قراءه طه فإن الله سبحانه يحبها و يحب من قرأها و أدمن قراءتها و أعطاه يوم القيامة كتابه بيمينه و لم يحاسبه لما عمل فى الإسلام و أعطى من الأجر حتى يرضى

## تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة مريم بذكر إنزال القرآن و أنه بشاره للمتقين و إنذار للكافرين و افتتح هذه السوره بالقرآن و أنه أنزله لسعادته لا لشقاوته فقال:

[سوره طه (٢٠): الآيات ١ الى ٨]

## اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه (١) ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى (٣) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (٤)

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨)

## القراءة

قرأ أبو عمرو طه بفتح الطاء و كسر الهاء كسرا لطيفا من غير إفراط و قرأ أهل الكوفه غير عاصم إلا يحيى عن أبي بكر بكسر الطاء و الهاء و كذلك عياش عن أبي عمرو و الباقون بفتح الطاء و الهاء و روى عن أبي جعفر و نافع كهيعص و طه و طس و حم و الر كله بين الفتح و الكسر و هو إلى الفتح أقرب.

## الحجه

قد مر القول فى الإمالة و التفخيم فى الحروف فيما تقدم و التفخيم لغه أهل الحجاز و لغه النبى ص.

## اللغه

الشقاء استمرار ما يشق على النفس و نقيضه السعاده و العلى جمع العليا و منه الدنيا و الدنا و القصوى و الثرى التراب الندى و الجهر رفع الصوت يقال جهر يجهر جهرا فهو جاهر و الصوت مجهور و ضده المهموس.

## الإعراب

روى عن الحسن أنه قرأ طه بفتح الطاء و سكون الهاء فإن صح ذلك عنه فأصله طيا فأبدل من الهمزه هاء و معناه طاء الأرض بقدميك جميعا



وقد روى أن النبي ص كان يرفع إحدى رجله في الصلاة ليزيد تبعه فأنزل الله «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» فوضعها

ص: ٥

و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

قال الزجاج و يجوز أن يكون طه أمر من وطأ يطأ على قول من لم يهمز ثم حذفت الألف فصار ط ثم زيدت الهاء فى الوقف و يجوز أن يكون «طه» جاريا مجرى القسم فيكون «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» جواب القسم و قوله «تذكرة» مفعول له. «لمن يخشى» الجار و المجرور فى موضع الصفه ل «تذكرة» و الأولى أن يكون مصدر فعل محذوف و يكون الاستثناء منقطعا و التقدير لكن «تذكرة» و كذلك قوله «تنزيلا» مصدر لفعل محذوف تقديره نزلناه تنزيلا أو نزل تنزيلا و يدل عليه قوله «أنزلنا».

## المعنى

«طه» قد بينا فى أول البقره تفسير حروف المعجم فى أوائل السور و الاختلاف فيه و قد قيل إن معنى طه يا رجل عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن و مجاهد و الكلبي غير أن بعضهم يقول هو بلسان الحبشيه أو النبطيه و قال الكلبي هى بلغه عك و أنشد لتميم بن نويرة:

هتفت بظه فى القتال فلم يجب فخفت لعمرى أن يكون موائلا

قال الآخر:

إن السفاهه طه من خلائقكم لا بارك الله فى القوم الملاعين.

و قال الحسن هو جواب للمشركين حين قالوا إنه شقى فقال سبحانه يا رجل «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» لكن لتستعد به و تنال الكرامه به فى الدنيا و الآخره قال قتاده و كان يصلى الليل كله و يعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم فأمره الله سبحانه بأن يخفف على نفسه و ذكر أنه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل هذا التعب «إلا تذكرة لمن يخشى» قال المبرد معناه لكن أنزلناه تذكرة أى لتذكرة من يخشى الله و التذكرة مصدر كالتذكير «تنزيلا» أى أنزلناه تنزيلا «ممن خلق الأرض» بدأ بالأرض ليستقيم رءوس الآى «و السماوات العلى» أى الرفيعه العاليه نبه بذلك على عظم حال خالقهما ثم أكد ذلك بقوله «الرحمن على العرش استوى» أى هو الرحمن لأنه لما قال ممن خلق بينه بعد ذلك فقال هو الرحمن قال أحمد بن يحيى الاستواء الإقبال على الشىء فكأنه أقبل على خلق العرش و قصد إلى ذلك و قد سبق القول فى معنى الاستواء فى سوره البقره و الأعراف «لله ما فى السماوات و ما فى الأرض» أى له ملك ما فى السماوات و ما فى الأرض و تدبيرهما و علمهما يعنى أنه مالك كل شىء و مدبره «و ما بينهما» يعنى الهواء «و ما تحت الثرى» و الثرى التراب الندى يعنى و ما وارى

الثرى من كل شىء عن الضحاك وقيل يعنى ما فى ضمن الأرض من الكنوز والأسموات «وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ» أى إن ترفع صوتك به «فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى» أى فلا تجهد نفسك برفع الصوت فإنك وإن لم تجهر علم الله السر وأخفى من السر ولم يقل وأخفى منه لدلاله الكلام عليه كما يقول القائل فلان كالفيل أو أعظم وقيل تقديره وإن تجهر بالقول أو لا تجهر فإنه يعلم السر وأخفى منه ثم اختلفوا فيما هو أخفى من السر ف قيل ما حدث به العبد غيره فى خفيه وأخفى منه ما أضمره فى نفسه ما لم يحدث به غيره عن ابن عباس وقيل السر ما أضمره العبد فى نفسه وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد عن قتاده وسعيد بن جبير وابن زيد وقيل السر ما تحدث به نفسك وأخفى منه ما تريد أن تحدث به نفسك فى ثانى الحال وقيل العمل الذى تستره عن الناس وأخفى منه الوسوسة عن مجاهد وقيل معناه يعلم السر أى أسرار الخلق وأخفى أى سر نفسه عن زيد بن أسلم جعله فعلا ماضيا و

روى عن السيدين الباقر والصادق (عليه السلام) السر ما أخفيتها فى نفسك وأخفى ما خطر ببالك ثم أنسيته

«اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» لا معبود تحق له العباده غيره «لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» أى الأسماء الداله على توحيده و على إنعامه على العباد و على المعانى الحسنه فأيتها دعوت جاز و

روى عن النبى ص أنه قال إنه لله تعالى تسعه و تسعين اسما من أحصاها دخل الجنة

قال الزجاج تأويله من وحد الله تعالى و ذكر هذه الأسماء الحسنى يريد بها توحيد الله و إعظامه دخل الجنة

و قد جاء فى الحديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة

فهذا لمن ذكر اسم الله موحد له به فكيف بمن ذكر أسماء كلها يريد بها توحيده و الثناء عليه و إنما قال الحسنى بلفظ التوحيد و لم يقل الأحاسن لأن الأسماء مؤنثه تقع عليها هذه كما تقع على الجماعه هذه كأنه اسم واحد للجمع قال الأعشى:

و سوف يعقبنيه إن ظفرت به رب كريم و بيض ذات أظفار

و فى التنزيل حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ وَمَأْرَبٌ أُخْرَى:

## اشاره

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣)

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذَكَّرَنِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَ اتَّبِعْ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦)

## القراءه

قرأ أبو جعفر و ابن كثير و أبو عمرو أنى أنا ربك بفتح الألف و الباقون «إنى» بالكسر و قرأ حمزه لأهله امكثوا و فى القصص أيضا بضم الهاء و أنا مشدد مفتوح الهمزه اخترناك على الجمع و الباقون «لأهله» بكسر الهاء و «أنا اخترتُك» على التوحيد و قرأ ابن عامر و أهل الكوفه طوى بالتونين و الباقون بغير تنوين و فى الشواذ قراءه الحسن و مجاهد و سعيد بن جبیر أخفيها بفتح الألف.

## الحجه

قال أبو على من كسر إنى فلائن الكلام حكاية كأنه نودى فقيل يا موسى إنى أنا ربك و من فتح فكان المعنى نودى بكذا و نادى قد يوصل بحرف الجر قال:

ناديت باسم ربيعه بن مكرم إن المنوه باسمه الموثوق

و من الناس من يعمل هذه الأشياء التى هى فى المعنى قول كما يعمل القول و لا يضمم القول معها و ينبغى أن يكون فى نودى ضمير يقوم مقام الفاعل لأنه لا يجوز أن يقوم واحد من قوله «يا موسى» و لا «إنى أنا ربك» مقام الفاعل لأنها جمل و الجمل لا تقوم مقام الفاعل فإن جعلت الاسم الذى يقوم مقام الفاعل موسى لأن ذكره قد جرى كان مستقيما و قوله «طوى» يصرف و لا يصرف فمن صرفه فعلى وجهين (أحدهما) أن يجعله اسم الوادى فيصرفه لأنه سمي مذكرا بمذكر (و الآخر) أن يجعله صفة و ذلك فى قول من قال إنه قدس مرتين فيكون طوى كقولك ثنى و يكون صفة كقوله مكانا سوى و قوم عدى و جاء فى طوى الضم و الكسر كما جاء فى مكان سوى الضم و الكسر قال الشاعر:

أ فى جنب بكر قطعتنى ملامه لعمرى لقد كانت ملامتها ثنى

أى لىس هذا بأول ملامتها و من لم يصرف احتمال أمرين (أحدهما) أن يكون اسما لبقعه أو أرض فهو مذكر فىكون بمنزله امرأه سميتها بحجر و يجوز أن يكون معدولا كعمر و لا يمتنع أن تقدر العدل فىما لم يخرج إلى الاستعمال ألا ترى أن جمع و كتع معدولتان عما لم يستعملا فكذلك يكون طوى و أما ضم الهاء فى قوله «لَأَهْلِهِ أَمْكُتُوا» فقد مضى القول فى مثله و أما قوله «وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ» فالإفراد أكثر فى القراءه و هو أشبه بما قبله من قوله «إِنِّي أَنَا رَبُّكَ» و وجه الجمع أن يكون ذلك قد جاء فى نحو قوله تعالى سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى ثُمَّ قَالَ وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ و يمكن أن يكون الوجه فى قراءه حمزه و إنا اخترناك مع أنه قرأ إنى أنا ربك بالكسر أن يكون التقدير و لأنا اخترناك فاستمع فىكون الجار و المجرور فى موضع نصب بقوله «فَأَسْتَمِعْ» و لم يذكر الشيخ أبو على و قوله «أُخْفِيهَا» فإنهم قالوا معناه أظهرها قال أبو على الغرض فى أزيل عنها خفاءها و هو ما يلف فيه القربه و نحوها من كساء و ما يجرى مجراه و عليه قول الشاعر:

لقد علم الأيقاظ أخفيه الكرى تزججها من حالك فاحتالها

قال أراد بالأيقاظ عيوننا فجعل العين كالخفاء للنوم كأنها تستره و هو من ألفاظ السلب فأخفيته سلبت عنه خفاء كما تقول أشكيت الرجل أزلت عنه ما يشكوه و أما أخفيها بفتح الألف فإنه أظهرها قال امرؤ القيس.

خفاهن من إنفاقهن كأنما خفاهن ودق من سحاب مركب

و قوله:

فإن تدفنوا الداء لا نخفه و إن تبعثوا الحرب لا نقعد

روايه أبى عبيده بضم النون من نخفه و روايه الفراء بفتح النون.

## اللغة

الإيناس وجدان الشىء الذى يؤنس به و القبس الشعلة من النار فى طرف عود أو قصبه و الخلع نزع الملبوس يقال خلع ثوبه و خلع نعله و الوادى سفح الجبل و يقال للمجرى العظيم من مجارى الماء واد و أصله عظم الأمر و منها الديه لأنها العطيه فى الأمر العظيم و هو

(كما شبرق الولدان ثوب المقدس)

يريد العابد من النصارى كالقسيس و نحوه و سمي الوادى طوى لأنه طوى بالبركة مرتين عن الحسن فعلى هذا يكون مصدر قولك طويت طوى قال عدى بن زيد:

أ عاذل إن اللوم فى غير كنهه على طوى من غيئك المتردد

و يقال أخفيت الشىء كتمته و أظهرته جميعا و خفيته بلا ألف أظهرته لا غير و الردى الهلاك و ردى يردى ردى إذا هلك و تردى بمعناه.

## الإعراب

قوله «إِذْ رَأَى» الظرف يتعلق بمحذوف فهو فى موضع نصب على الحال من حديث موسى و «أَكَادُ أَخْفِيهَا» جملة فى موضع رفع بأنها خبر إن فهى خبر بعد خبر. اللام فى «لِتَجْزَى» يتعلق بآتيه و يجوز أن يتعلق بقوله «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ» فتردى منصوب بإضمار أن فى جواب النهى.

## المعنى

ثم خاطب الله سبحانه نبيه تسلييه له مما ناله من أذى قومه و تثبينا له بالصبر على أمر ربه كما صبر موسى (عليه السلام) حتى نال الفوز فى الدنيا و الآخرة فقال «وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى» هذا ابتداء إخبار من الله تعالى على وجه التحقيق إذ لم يبلغه حديث موسى فهو كما يخبر الإنسان غيره بخبر على وجه التحقيق فيقول هل سمعت بخبر فلان و قيل إنه استفهام تقرير بمعنى الخبر أى وقد أتاك حديث موسى «إِذْ رَأَى نَارًا» عن ابن عباس قال و كان موسى رجلا غيورا لا يصحب الرفقه لئلا ترى امرأته فلما قضى الأجل و فارق مدين خرج و معه غنم له و كان أهله على أتان و على ظهرها جوالق فيها أثاث البيت فأضل الطريق فى ليله مظلمه و تفرقت ماشيته و لم ينقدح زنده و امرأته فى الطلق فرأى نارا من بعيد كانت عند الله نورا و عند موسى نارا «فَقَالَ» عند ذلك «لِأَهْلِي» و هى بنت شعيب كان تزوجها بمدين «امْكُثُوا» أى الزموا مكانكم قال مقاتل و كانت ليله الجمعة فى الشتاء و الفرق بين المكث و الإقامة أن الإقامة تدوم و المكث لا يدوم «إِنِّي آنَسْتُ نَارًا» أى أبصرت نارا «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ» أى بشعله أقتبسها من معظم النار تصطلون بها «أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى» أى أجد على النار هاديا يدلنى على الطريق و قيل علامه استدل بها على الطريق و الهدى ما يهتدى به فهو اسم

و مصدر قال السدى لأن النار لا تخلو من أهل لها و ناس عندها «فَلَمَّا أَتَاهَا» قال ابن عباس لما توجه نحو النار فإذا النار في شجره عناب فوقف متعجبا من حسن ضوء تلك النار و شده خضره تلك الشجره فسمع النداء من الشجره و هو قوله «نُودَى يا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ» و النداء الدعاء على طريقه يا فلان فمن فتح الألف من إني فالمعنى نودى بأنى و من كسر فالمعنى نودى فقبل إني أنا ربك الذى خلقك و دبرك قال وهب نودى من الشجره فقبل يا موسى فأجاب سريعا ما يدرى من دعاه فقال إني أسمع صوتك و لا- أرى مكانك فأين أنت أنا فوقك و معك و أمامك و خلفك و أقرب إليك من نفسك فعلم أن ذلك لا ينبغى إلا لربه عز و جل و أيقن به و إنما علم موسى (عليه السلام) أن ذلك النداء من قبل الله تعالى لمعجز أظهره الله سبحانه كما قال فى موضع آخر إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَ أَنْ أَلْتَقِ عَصَاكَ إِلَى آخِرِهِ وَقِيلَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى شَجْرَهُ خَضِرًا مِنْ أَسْفَلِهَا إِلَى أَعْلَاهَا تَتَوَقَّدُ فِيهَا نَارٌ بِيضَاءٍ وَ سَمِعَ تَسْبِيحَ الْمَلَائِكَةِ وَ رَأَى نُورًا عَظِيمًا لَمْ تَكُنْ الْخَضِرَةُ تَطْفِئُ النَّارَ وَ لَا النَّارُ تَحْرِقُ الْخَضِرَةَ تَحْيِيرًا وَ عِلْمٌ أَنَّهُ مَعْجَزٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ وَ أَنَّهُ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ ثُمَّ نُودَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ وَ إِنَّمَا كَرَّرَ الْكِنَايَةَ لِتَأْكِيدِ الدَّلَالَةِ وَ إِزَالَةِ الشَّبَهَةِ وَ تَحْقِيقِ الْمَعْرِفَةِ «فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ» أى انزعهما و قيل فى السبب الذى أمر بخلع النعلين أقوال (أحدها)

أنهما كانتا من جلد حمار ميت عن كعب و عكرمه و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

(و ثانيها) كانتا من جلد بقره ذكیه و لكنه أمر بخلعهما لياشرف بقدميه الأرض فتصيبه بركه الواد المقدس عن الحسن و مجاهد و سعيد بن جبیر و ابن جريج (و ثالثها) أن الحفاء من علامه التواضع و لذلك كانت السلف تطوف حفاه عن الأصم (و رابعها) أن موسى (عليه السلام) إنما لبس النعل اتقاء من الأنجاس و خوفا من الحشرات فأمنه الله مما يخاف و أعلمه بطهاره الموضع عن أبى مسلم «إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ» أى المبارك عن ابن عباس بورك فيه بسعه الرزق و الخصب و قيل المطهر «طُوى» هو اسم الوادى عن ابن عباس و مجاهد و الجبائى و قيل سمي به لأن الوادى قدس مرتين فكأنه طوى بالبركه مرتين عن الحسن «وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ» أى اصطفتيك بالرساله «فَأَسْمِعْ لِمَا يُوحَى» إليك من كلامى و أصغ إليه و تثبت، لما بشره الله سبحانه بالنبوه أمره باستماع الوحي ثم ابتداء بالتوحيد فقال «إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا» أى لا إله يستحق العباده غيرى «فَاعْبُدْنِي» خالصا و لا تشرك فى عبادتى أحدا، أمره سبحانه بأن يبلغ ذلك قومه «وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» أى لأن تذكرنى فيها بالتسبيح و التعظيم لأن الصلاه لا تكون إلا بذكر الله عن الحسن و مجاهد و قيل معناه لأن أذكرك بالمدح و الثناء، و قيل إن معناه صل لى و لا تصل لغيرى كما يفعل المشركون عن أبى مسلم و قيل معناه

أقم الصلاه متى ذكرت أن عليك صلاه كنت فى وقتها أم لم تكن عن أكثر المفسرين

و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام)

و يعضده

ما رواه أنس عن النبي ص قال من نسي صلاه فليصلها إذا ذكرها لا كفاره لها غير ذلك و قرأ «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي»

رواه مسلم فى الصحيح ثم أخبره سبحانه بمجىء الساعة فقال «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ» يعنى أن القيامه جائيه قائمه لا- محاله «أَكَادُ أَخْفِيهَا» أى أريد أن أخفيها عن عبادى لثلاث- تأتيمهم إلا- بغته قال تغلب هذا أجود الأقوال و هو قول الأخفش و فائده الإخفاء التهويل و التخويف فإن الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت و روى ابن عباس

أكاد أخفيها من نفسى و هى كذلك فى قراءه أبى و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

و المعنى أكاد لا أظهر عليها أحدا و هو قول الحسن و قتاده و المقصود من ذلك تباعد الوصول إلى علمها و تقديره إذا كدت أخفيها من نفسى فكيف أظهرها لك قال المبرد هذا على عادة العرب إذا بالغوا فى كتمان الشىء قال كتمته حتى من نفسى أى لم أطلع عليه أحدا فبالغ سبحانه فى إخفاء الساعة و ذكره بأبلغ ما تعرفه العرب و قال أبو عبيده معنى أخفيها أظهرها و دخلت أكاد تأكيدا و المعنى يوشك أن أقيمها «لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى» أى بما تعمل من خير و شر و لينتصف من الظالم للمظلوم «فَلَا يَصُدُّدَنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا» أى لا يصرفنك عن الصلاه من لا يؤمن بالساعة و قيل معناه لا يمنعك عن الإيمان بالساعة من لا- يؤمن بها و قيل عن العباده و دعاء الناس إليها و قيل عن هذه الخصال «وَأَتَّبِعْ هَوَاهُ» و الهوى ميل النفس إلى الشىء و معناه و من بنى الأمر على هوى النفس دون الحق و ذلك أن الدلاله قد قامت على قيام الساعة «فَتَرْدَى» أى فتهلك كما هلك أى إن صددت عن الساعة بترك التأهب لها هلكت و الخطاب و إن كان لموسى (عليه السلام) فهو فى الحقيقة لسائر المكلفين و فى هذه الآيات دلالة على أن الله تعالى كلم موسى و أن كلامه محدث لأنه حل الشجره و هى حروف منظومه.

[سوره طه (٢٠): الآيات ١٧ الى ٣٦]

اشاره

وَ مَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَ أَهْسُ بِهَا عَلَى غَمَمِي وَ لِي فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَ لَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١)

وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَهُ أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)

وَ اخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١)

وَ أَشْرِكُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَ نَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦)





قرأ ابن عامر أشدد بقطع الهمزه وفتحها وأشركه بضمها والباقون «أشدد» بهمزه الوصل و«أشركه» بالفتح و في الشواذ قراءه عكرمه و أهس بالسین و قراءه أبی البرهسم و أهش بكسر الهاء.

## الحجه

الوجه في قراءه أبی عامر أنه جعله خبرا و سائر القراء جعلوه دعاء و ضم الهمزه في أشركه ضعيف جدا لأنه ليس إلى موسى إشراك هارون في النبوه بل ذلك إلى الله تعالى فالوجه فتح الهمزه على الدعاء و من قرأ أهش بكسر الهاء فيمكن أن يكون أراد أهش بضم الهاء أي أكسر الكلاء بها للغنم فجاء بها على يغسل إن كان متعديا كما جاء هر الشىء يهر و يهره إذا كرهه و شد الحبل يشده و يشده و نم الحديث ينمه و أما أهس بالسین فمعناه أسوق و كان ينبغي أن يقول أهس بها غنمى و لكن لما دخل السوق معنى الانتحاء لها و الميل بها عليها استعمل على معها حملا على المعنى.

## اللغه

التوكؤ و الاتكاء بمعنى مثل التوقى و الاتقاء و الهش ضرب ورق الشجر لیتساقط و المآرب الحوائج و احدثها مأربه بضم الراء و فتحها و كسرهما عن على بن عيسى و السيره و الطريقه من النظائر و معناه مرور الشىء في جهه و أصل الجناح من الجنوح و هو الميل لأن الطائر يميل به في طيرانه و عضد الإنسان جناحه لأن من جهته يميل اليد حيث شاء صاحبها

وقيل يريد بالجنح الجلب لأن فيه جنوح الأضلاع و قال الراجز:

" أضمها للصدر و الجنح "

قال أبو عبيده الجناحان الناحيتان و الطغيان تجاوز الحد فى العصيان و شرح الصدر توسعه و منه شرح المعنى و هو بسط القول فيه و العقده جمله مجتمعه يصعب تفكيكها و الحل ضد العقد و نظيره الفصل و القطع و الوزير حامل الثقل عن الرئيس مشتق من الوزر الذى هو الثقل و الأزر الظهر يقال أزرنى فلان على أمرى أى كان لى ظهرا و منه المئزر لأنه يشد على الظهر و الإزار لأنه يسيل على الظهر و التأزير التقويه و يمكن أن يكون أزرو و وزر مثل أرخ و ورخ و أكد و وكد قال امرؤ القيس:

بمحميه قد آزر الضال نبتها مضم جوش غانمين و خيب

. الإعراب

«وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ» قال الزجاج تلك اسم مبهم يجرى مجرى التى و يوصل كما توصل التى و المعنى و ما التى بيمينك و أنشد الفراء:

عدس ما لعباد عليك إماره أمنت و هذا تحملين طليق

أى و الذى تحملين قال بعض المتأخرين إن الصحيح الذى لا غبار عليه أن يكون تلك مبتدأ و ما خبره قدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام و بيمينك الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال من معنى الفعل فى تلك و هو الإشاره قال و إنما قلنا ذلك لأن أسماء الإشاره إنما تبين بصفاتهما كما أن الأسماء الموصوله تبين بصلاتها و لا يجوز وصف المبهم بالجمله لأن الجمل نكرات و قوله «فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى» إذا هذه ظرف المفاجاه و هى ظرف مكان تقديره فبالحضره هى حيه و العامل فى الظرف تسعى و هذا يدل على إن إذا هاهنا غير مضاف إلى الجمله لأنه لو كان كذلك لم يعمل فيه مما فى الجمله شىء لأن المضاف إليه لا يعمل فى المضاف و سيرتها انتصب على تقدير سنعدها إلى سيرتها فحذف الجار. من غير سوء فى موضع نصب على الحال و التقدير تبيض غير برصاء فيه فيكون حالا عن حال. «آيَةٌ أُخْرَى» اسم فى موضع الحال أيضا و المعنى تخرج ببيضه مبينه قال الزجاج و يجوز أن يكون منصوبه على آتيناك آيه أخرى و تؤتيك آيه أخرى لأين فى قوله «تَخْرُجُ بَيِّضَاءً» دليلا على أنه يعطى آيه أخرى. «لِئْرِيكَ» اللام يتعلق بقوله «وَأَضْمُمُ» و المفعول الثانى من نرى يجوز أن يكون محذوفا و تقديره لئريك من آياتنا الكبرى آيات و يجوز أن يكون الكبرى صفه محذوف

و هو المفعول الثاني و التقدير لنريك الآيه الكبرى من آياتنا. «هَارُونَ» بدل من قوله «وَزَيْرًا» و يجوز أن يكون منصوبا بإضمار فعل كأنه قال أعنى هارون أخى أو استوزر لى هارون لأن وزيرا يدل عليه و أخى صفه لهارون و يجوز أن يكون بدلا منه قال الزجاج يجوز أن يكون هارون مفعولا أول لأجعل و وزيرا مفعولا ثانيا له و على هذا فيكون مثل قوله تعالى «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ» فى أن المفعول الثانى من هذا الباب قد تقدم على المفعول الأول و لو قرأ بالرفع هارون لكان خير مبتدأ محذوف كأنه قيل من هذا الوزير فقيل هو هارون و كثيرا نعت مصدر محذوف فى الموضوعين أى تسيحا كثيرا و ذكرا كثيرا و يجوز أن يكون نعتا لظرف محذوف تقديره نسبحك وقتا كثيرا و نذكرك وقتا كثيرا.

## المعنى

ثم بين سبحانه ما أعطى موسى من المعجزات فقال «وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى» سأله عما فى يده من العصا تنبيها له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها و التأمل لها «قال» موسى «هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا» أى أعتمد عليها إذا مشيت و التوكؤ التحامل على العصا فى المشى «وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي» أى و أخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمى «وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى» و لم يقل آخر ليوافق رءوس الآى أى حاجات أخرى فنص على اللازم و كنى عن العارض قال ابن عباس كان يحمل عليها زاده و يركزها فيخرج منه الماء و يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل و كان يطرد بها السباع و إذا ظهر عدو حاربت و إذا أراد الاستسقاء من بئر طالت و صارت شعبتها كالهدلو و كان يظهر عليها كالشمعه فتضىء له الليل و كانت تحدثه و تؤنسه و إذا طالت شجره حناها بمحجنها «قال» الله سبحانه «أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى» أى تمشى بسرعه و قيل صارت حيه صفراء لها عرف كعرف الفرس و جعلت تتورم حتى صارت ثعبانا و هى أكبر من الحيات عن ابن عباس و قيل أنه ألقاها و حانت منه نظره فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون و يمر بالصخره مثل الخلفه من الإبل فيلقمها و تطعن أنيابه فى أصل الشجره العظيمه فتجتثها و عيناه تتوقدان نارا و قد عاد المحجن عنقا فيه شعر مثل النيازك فلما عين ذلك ولى مدبرا و لم يعقب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودى يا موسى ارجع إلى حيث كنت فرجع و هو شديد الخوف ف «قال خُذْهَا» بيمينك «وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى» أى سنعيدها إلى الحاله الأولى عصا و على موسى يومئذ مدرعه من صوف قد خلها بخلال فلما أمره سبحانه بأخذها أدلى طرف المدرعه على يده فقال ما لك يا موسى أ رأيت لو أذن الله بما تحاذر أ كانت المدرعه تغنى

عنك شيئاً قال لا ولكنى ضعيف و من ضعف خلقت و كشف عن يده ثم وضعها في فم الحيه فإذا يده في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ عليها بين الشعبتين عن وهب و قيل كانت العصا من آس الجنه أخرجها آدم (عليه السلام) و توارثها الأنبياء إلى أن بلغ شعيباً فدفعها إلى موسى قال وهب كانت من عوسج و كان طولها عشره أذرع على مقدار قامه موسى «وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ» معناه و أجمع يدك إلى ما تحت عضدك عن مجاهد و الكلبي و قيل إلى جنبك و قيل أدخلها في جيبك و كنى عن الجنب بالجنح «تَخْرُجُ بَيْضَاءَ» لها نور ساطع يضيء بالليل و النهار كضوء الشمس و القمر و أشد ضوءاً عن ابن عباس «مَنْ غَيْرِ سَوْءٍ» من غير برص في قول الجميع قالوا و كان موسى آدم اللون ففعل فخرجت يده كما قال الله ثم ردها فعادت إلى لونها الذي كانت عليه «آيَةٌ أُخْرَى» أى فتزيدك بها آيه أخرى أو تخرج مبينه آيه أخرى «لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا» و حججنا «الْكُبْرَى» منها و لو قال الكبير على الجمع و صفا لجميع الآيات لكان جائزاً و قيل معناه لنريك من دلالاتنا الكبرى سوى هاتين الدالتين و قيل إنها هلاك فرعون و قومه فلما حمله سبحانه الرساله و أراه المعجزات أمره بالتبليغ فقال «أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ» فادعه إلى «إِنَّهُ طَغَى» أى تجبر و تكبر فى كفره «قَالَ» موسى عند ذلك «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي» أى وسع لى صدرى حتى لا أضجر و لا أخاف و لا أغتم «وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي» أى سهل على أداء ما كلفتنى من الرساله و الدخول على الطاغى و دعائه إلى الحق «وَ اخلُلْ عُقْمَدَهُ مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي» أى و أطلق عن لسانى العقده التى فيه حتى يفقهوا كلامى و كان فى لسان موسى (عليه السلام) رته لا يفصح معها بالحروف شبه المتممه و قيل إن سبب تلك العقده فى لسانه جمره طرحها فى فيه و ذلك لما أراد فرعون قتله لأنه أخذ بلحيه فرعون و نتفها و هو طفل فقالت آسيه بنت مزاحم لا تفعل فإنه صبي لا يعقل و علامه جهله أنه لا يميز بين الدره و الجمره فأمر فرعون حتى أحضر الدره و الجمره بين يديه فأراد موسى أن يأخذ الدره فصرف جبرائيل يده إلى الجمره فأخذها و وضعها فى فيه فاحترق لسانه عن سعيد بن جبير و مجاهد و السدى و قيل إنه انحل ما كان بلسانه إلا بقيه منه بدلاله قوله «وَ لَا يَكَادُ يُبِينُ» عن الجبائى و قيل استجاب الله تعالى دعاءه فأحل العقده عن لسانه عن الحسن و هو الصحيح لقوله سبحانه «أُوتِيَتْ سُلُوكَكَ يَا مُوسَى» و معنى قوله «وَ لَا يَكَادُ يُبِينُ» أى لا يأتى ببيان و حجه و إنما قالوا ذلك تمويها ليصرفوا الوجوه عنه «وَ اجْعَلْ لِي وَزِيْرًا» يؤازرنى على المضى إلى فرعون و يعاضدنى عليه و قيل اجعل لى معاوناً أتقوى به

و برأيه و مشاورته و قال «مَنْ أَهْلِي» لأنه إذا كان الوزير من أهله كان أولى ببذل النصح له ثم بين الوزير و فسرته فقال «هَارُونَ أَخِي» و كان أخاه لأبيه و أمه و كان بمصر «أَشْدُّ بِهِ أَرْزِي» أى قو به ظهري و أعنى به «وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي» أى أجمع بيني و بينه فى النبوه ليكون أحرص على مؤازرتي لم يقتصر على سؤال الوزاره حتى سأل أن يكون شريكه فى النبوه و لو لا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسأله و إنما سمي الوزير وزيراً لأنه يعين الأمير على ما هو بصدده من الأمور أخذ من المؤازره التى هى المعاونه و قيل إنما سمي وزيراً لأنه يتحمل الثقل عن الأمير من الوزر الذى هو الثقل و قيل لأنه يلتجئ الأمير إليه فيما يعرض له من الأمور من الوزر الذى هو الملجأ قالوا إن هارون كان أكبر من موسى بثلاث سنين و أتم طولاً و أبيض جسماً و أكثر لحماً و أفصح لساناً و مات قبل موسى بثلاث سنين «كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا» أى ننزهك عما لا يليق بك بين (عليه السلام) أنه إنما سأل هذه الحاجات ليتوصل بها إلى طاعه ربه و عبادته و تأديه رسالته لا للرياسه «وَ نَذْكُرَكَ كَثِيرًا» أى نحمدك و نشنى عليك بما أوليتنا من نعمك و مننت به علينا من تحميل رسالتك «إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا» أى بأحوالنا و أمورنا عالماً و قيل بصيراً باحتياجنا فى النبوه إلى هذه الأشياء «قَالَ» الله سبحانه إجابته له «قَدْ أُوتِيَتْ سُؤْلُكَ» أى قد أعطيت مناك و طلبتك «يَا مُوسَى» فيما سألته و السؤال المنى و المراد فيما يسأله الإنسان و

قال الصادق حدثنى أبى عن جدى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإن موسى بن عمران خرج يقتبس لأهله ناراً فكلمه الله عز و جل فرجع نبياً و خرجت ملكه سياً كافره فأسلمت مع سليمان و خرج سحره فرعون يطلبون العزه لفرعون فرجعوا مؤمنين.

[سوره طه (٢٠): الآيات ٣٧ الى ٤٤]

اشاره

وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَ لِتُضَيِّعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ قَتَلْتَ نَفْسًا فَجَعَلْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِتِّينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤٠) وَ اضْطَجَعْتَكَ لِنَفْسِي (٤١)

اذهب أنت و أخوك بآياتى و لا- تنيا فى ذكري (٤٢) اذهباً إلى فرعون إنه طغى (٤٣) فقولا له قولاً لنا لعله يتردد أو يخشى (٤٤)

ص: ١٧

قرأ أبو جعفر و لتصنع بالجزم و الباكون بكسر اللام و النصب و فى الشواذ قراءه أبى نهيك و لتصنع بكسر اللام و فتح التاء.

## الحجه

قوله «وَلِتُصْنَعَ» بالجزم مثل قولهم و لتعن بحاجتى فالمأمور غائب غير مخاطب لأن العانى بالحاجه غير المخاطب و ليس ذلك مثل قوله «فَلْيَفْرَحُوا» فإن المأمور هناك مخاطب به «وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» قال أحمد بن يحيى معناه لتكون حركتك و تصرفك على عين منى و قراءه الفراء «وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» بضم التاء و فتح العين معناه لتربى و تغذى بمرأى منى.

## اللغه

أصل المن القطع و منه أجر غير ممنون و جبل منين أى منقطع فالمن نعمه تقطع لصاحبها من غيره و المره الكره الواحده من المر و القذف الطرح و اليم البحر و الاصطناع افتعال من الصنع و الصنع اتخاذ الخير لصاحبه و ونى فى الأمرينى و نيا و ونى ذا افتراه فهو وان و متوان فيه قال العجاج:

فما ونى محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى و ما غير

. الإعراب

مره و يحتمل أن يكون مصدرًا و يحتمل أن يكون ظرفًا و يكون التقدير مره أخرى أو وقتًا آخر. «ما يُوحى» ما مصدرية و تقديره و أوحينا إلى أمك إحياء و «أَنْ أَقْلِدِيهِ» فى موضع نصب بأنه مفعول أوحينا و لتصنع اللام يتعلق بالقيت أى لتربى «وَلِتُصْنَعَ» و قوله «عَلَى قَدَرٍ» فى موضع نصب على الحال و تقديره جئت مقدرًا ما قدر لك.

## المعنى

لما أخبر سبحانه موسى بأنه آتاه طلبته و أعطاه سؤاله عدد عقبيه ما تقدم ذلك من نعمه عليه و منه لديه فقال «وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى» أى أنعمنا عليك من صغرك إلى كبرك جاريه نعمتنا عليك متواليه فإجابتنا الآن دعاك تلوها ثم فسر سبحانه تلك النعمه فقال «إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحى» أى حين أوحينا إلى أمك أى ألهمناها ما يلهم و هو ما

كان فيه سبب نجاتك من القتل حتى عنيت بأمرك و قيل كانت رأّت في المنام عن الجبائي ثم فسر ذلك الإيحاء فقال «أن أقذفيه في التابوت» أي اجعليه فيه بأن ترميه فيه «فأقذفيه في اليم» يريد النيل «فليلقيه اليم بالساحل» وهو شط البحر لفظه أمر فكأنه أمر البحر كما أمر أم موسى والمراد به الخبر والمعنى حتى يلقيه البحر بالشط «يأخذه عدو لي و عدو له» يعني فرعون كان عدوا لله ولأنبيائه و عدوا لموسى خاصة لتصوره إن ملكه ينقرض على يده و كانت هذه المنه من الله سبحانه على موسى أن فرعون كان يقتل غلمان بني إسرائيل ثم خشى أن يفنى نسلهم فكان يقتل بعد ذلك في سنه و لا يقتل في سنه فولد موسى في السنه التي كان يقتل الغلمان فيها فنجاه الله تعالى منه «وألقيت عليك محبة مني» أي جعلتك بحيث يحبك من يراك حتى أحبك فرعون فسلمت من شره و أحبتك امرأته آسيه بنت مزاحم فتبنتك و ربّتك في حجرها عن عكرمه و قيل معناه حببتك إلى عبادي فلا يلقاك أحد مؤمن و لا كافر إلا أحبك عن ابن عباس و هذا كما يقال ألبسه الله جمالا و ألقى عليه جمالا و قال قتاده ملاحه كانت في عين موسى فما رآه أحد إلا عشقه «والتصنع على عيني» أي لتربي و تغذى بمرأى مني أي يجرى أمرك على ما أريد بك من الرفاهه في غذائك عن قتاده و ذلك أن من صنع لإنسان شيئا و هو ينظر إليه صنعه كما يحب و لا يتهيأ له خلافه و قيل لتربي و يطلب لك الرضاع على علم مني و معرفه لتصل إلى أمك عن الجبائي و قيل لتربي و تغذى بحياطتي و كلاءتي و حفظي كما يقال في الدعاء بالحفظ و الحياطه عين الله عليك عن أبي مسلم «إذ تمشيتي أختك فتقول» الظرف يتعلق بتصنع و المعنى و لتصنع على عيني قدرنا مشى أختك و قولها «هل أدلكم على من يكفله» لأن هذا كان من أسباب تربيته موسى على ما أراد الله و هو قوله «إذ تمشيتي أختك» يعني حين قالت لها أم موسى قصيه فاتبعت موسى على إثر الماء و ذلك أن أم موسى اتخذت تابوتا و جعلت فيه قطنا و وضعته فيه و ألقته في النيل و كان يشرع من النيل نهر كبير في باغ فرعون فبينما هو جالس على رأس البركه مع امرأته آسيه إذ التابوت يجيء على رأس الماء فأمر بإخراجه فلما فتحوا رأسه إذا صبي به من أحسن الناس وجهها فأحبه فرعون بحيث لا يتمالك و جعل موسى يبكي و يطلب اللبن فأمر فرعون حتى أتته النساء اللاتي كن حول داره فلم يأخذ موسى من لبن واحده منهن و كانت أخت موسى واقفه هناك إذا أمرتها أمها أن تتبع التابوت فقالت إنني آتية بامرأه ترضعه و ذلك قوله «فتقول هل أدلكم على من يكفله» أي أدلكم على امرأه تربيته و ترضعه و هي ناصحه له فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله «فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها» برؤيتك و بقائك «ولا تحزن» من خوف قتله أو غرقه و ذلك أنها حملته إلى بيتها آمنه مطمئنه قد جعل لها



فرعون أجره على الرضاع «وَقَتَلْتَ نَفْسًا» كان قتل قبطيا كافرا عن ابن عباس

و روى عن النبي ص أنه قال رحم الله أخى موسى قتل رجلا خطأ و كان ابن اثنتى عشره سنه

«فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ» أى من غم القتل و كربه لأنه خاف أن يقتصوا منه بالقبطى فالمعنى خلصناك من غم القصاص و آمناك من الخوف «وَفَتَّنَاكَ فُتُونًا» أى اخترناك اختبارا و معناه أنا عاملناك معامله المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرساله و كان هذا من أكبر نعمه سبحانه عليه و قيل معناه و خلصناك من محنه بعد محنه منها أنه حملته فى السنه التى كان فرعون يذبح الأطفال فيها ثم إلقاءه فى اليم ثم منعه من الرضاع إلا من ثدى أمه ثم جره لحيه فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمره بدل الدرره فدرأ ذلك عنه قتل فرعون ثم مجىء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله عن ابن عباس فعلى هذا يكون المعنى و خلصناك من المحن تخليصا و قيل معناه و شددنا عليك التعمد فى أمر المعاش حتى رعيت لشعيب عشر سنين ثم بين ذلك فقال «فَلَبِثْتَ سِتِينَ نَبِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» أى لبثت فيهم حين كنت راعيا لشعيب «ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى» أى فى الوقت الذى قدر لإرسالك نبيا قال الشاعر:

نال الخلافه أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر

و قيل معناه جئت على الوقت الذى يوحى فيه إلى الأنبياء و هو على رأس أربعين سنه و قيل على المقدار الذى قدره الله لمجيتك و كتبه فى اللوح المحفوظ و المعنى جئت فى الوقت الذى قدره الله لكلامك و نبوتك و الوحي إليك «وَأَضِطَّنْعُتُّكَ لِنَفْسِي» أى لوحى و رسالتى عن ابن عباس و المعنى اخترتك و اتخذتك صنيعتى و أخلصتك لتصرف على إرادتى و محبتى و إنما قال لنفسى لأن المحبه أخص شىء بالنفس و تبليغه الرساله و قيامه بأدائها تصرف على إرادته الله و محبته و قيل معناه اخترتك لإقامه حجتي و جعلتك بينى و بين خلقى حتى صرت فى التبليغ عنى بالمنزله التى أنا أكون بها لو خاطبتهم و احتججت عليهم عن الزجاج «أَذْهَبَ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بَايَاتِي» أى بحججى و دلالاتى و قيل بالآيات التسع عن ابن عباس «وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي» أى و لا تضعفا فى رسالتى عن ابن عباس و قيل و لا تفترا فى أمرى عن السدى و قيل و لا تقصرا عن محمد بن كعب أى لا يحملنكما خوف فرعون على أن تقصرا فى أمرى «أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ» كرر الأمر بالذهاب للتأكيد و قيل إن فى الأول خص موسى بالأمر و فى الثانى أمرهما ليصيرا نبيين و شريكين فى الأمر ثم بين من يذهبان إليه «إِنَّهُ

طغى» أى جاوز الحد فى الطغيان «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا» أى ارفقا به فى الدعاء و القول و لا تغلظا له فى ذلك عن ابن عباس و قيل معناه كنياه عن السدى و عكرمه و كنيته أبو الوليد و قيل أبو العباس و قيل أبو مره و قيل إن القول اللين هو هل لك إلى أن تزكى و أهديك إلى ربك فتخشى عن مقاتل و قيل هو أن موسى أتاه فقال له تسلم و تؤمن برب العالمين على أن لك شبابك فلا- تهرم و تكون ملكا لا- ينزع الملك منك حتى تموت و لا تنزع منك لهذه الطعام و الشراب و الجماع حتى تموت فإذا مت دخلت الجنة فأعجبه ذلك و كان لا يقطع أمرا دون همام و كان غائبا فلما قدم همام أخبره بالذى دعاه إليه و أنه يريد أن يقبل منه فقال همام قد كنت أرى أن لك عقلا و إن لك رأيا بينا أنت رب و تريد أن تكون مربوبا و بينا أنت تعبد و تريد أن تعبد فقلبه عن رأيه و كان يحيى بن معاذ يقول هذا رفقتك بمن يدعى الربوبية فكيف رفقتك بمن يدعى العبودية «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» أى ادعواه على الرجاء و الطمع لا- على اليأس من فلاحه فوق التعبد لهما على هذا الوجه لأنه أبلغ لهما فى دعائه إلى الحق قال الزجاج و المعنى فى هذا عند سيبويه اذها على رجائكما و طمعكما و العلم من الله قد أتى من وراء ما يكون و إنما يبعث الرسل و هم يرجون و يطمعون أن يقبل منهم و المراد بيان الغرض بالبعث أى ليتذكر ما أغفل عنه من ربوبية الله تعالى و عبودية نفسه و يخشى العقاب و الوعيد فى قوله سبحانه «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا» على دلالة و جواب يرفق فى الدعاء إلى الله و فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ليكون أسرع إلى القبول و أبعد من النفور و قيل إن هارون كان بمصر فلما أوحى الله تعالى إلى موسى أن يأتى مصر أوحى إلى هارون أن يتلقى موسى فتلقاه على مرحله ثم ائتمرا و ذهبوا إلى فرعون.

## [سوره طه (٢٠): الآيات ٤٥ الى ٥٦]

### اشاره

قالا- رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمِعُ وَ أَرَى (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَ السَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَى (٤٩)

قال رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَ لَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْمَرْصَدَ مَهْدًا وَ سَبِيلَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَ ارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلأُولَى النَّهَى (٥٤)

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَ أْبَى (٥٦)

قرأ نصر عن الكسائي خلقه بفتح اللام و الباقون «خَلَقَهُ» بسكون اللام و قرأ أهل الكوفه و روح و زيد عن يعقوب «مَهْدًا» و الباقون مهادا بالألف.

## الحجه

من قرأ «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» فالمعنى أعطى كل شىء صورته أى خلق كل حيوان على صورته أخرى ثم هداه و من قرأ خلقه بفتح اللام فإنه جمله من الفعل و الفاعل فى موضع جر بأنه صفة شىء و المفعول الثانى لأعطى محذوف فكأنه أعطى كل شىء مخلوق ما أوجبه تدبيره ثم هداه السبيل و المهد مصدر كالفرش و المهاد كالفرش و البساط فى قوله جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا و فى موضع آخر بِسَاطًا و يجوز أن يكون المهد استعمل استعمال الأسماء فجمع كما يجمع فعل على فعال و الأول أبين.

## اللغه

الفرط التقدم و منه الفارط المتقدم إلى الماء قال " قد فرط العجل علينا و عجل " و منه الإفراط الإسراف لأنه تقدم بين يدي الحق و التفريط التقصير لأنه تأخر عما يجب فيه التقدم قال الزجاج القرن أهل كل عصر فيهم نبي أو إمام أو عالم يقتدى به فإن لم يكن واحد منهم لم يسم قرنا و النهى جمع نهيه و إنما قيل لأولى العقول أولو النهى لأنهم ينهون الناس عن القبائح و قيل لأنه ينتهى إلى آرائهم.

## الإعراب

«أَسْمِعُ» جمله فى موضع الرفع بكونها خبرا بعد خبر و يجوز أن يكون فى موضع النصيب على الحال. «عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ». علمها مبتدأ و فى كتاب خبره و عند

ربى معمول الخبر و تقديره علمها ثابت فى كتاب عند ربي و يجوز أن يكون قوله «عِنْدَ رَبِّي» صفة لكتاب فلما تقدم انتصب على الحال تقديره فى كتاب ثابت عند ربي و يجوز أن يكون عند ربي الخبر و فى كتاب بدل منه و يجوز أن يكون خبرا بعد خبر و قوله «لَا يَضِلُّ رَبِّي» تقدير لا يضل ربي عنه فحذف الجار و المجرور كما حذف من قوله «وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» أى فيه. «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ». يجوز أن يكون فى موضع جر بأنه صفة ربي و يجوز أن يكون فى موضع رفع بأن يكون خبر مبتدأ محذوف. «مِنْ نَبَاتٍ» فى موضع نصب صفة لقوله «أَزْوَاجًا» و «شَتَّى» صفة له أيضا فهى صفة بعد صفة و تاره منصوبه على المصدر.

## المعنى

لما أمر الله سبحانه موسى و هارون أن يمضيا إلى فرعون و يدعواه إليه «قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا» أى نخشى أن يتقدم فينا بعذاب و يعجل علينا «أَوْ أَنْ يَطْغَى» أى يجاوز الحد فى الإساءة بنا و قيل معناه أنا نخاف أن يبادر إلى قتلنا قبل أن يتأمل حاجتنا أو أن يزداد كفرا إلى كفره بردنا «قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا» بالنصره و الحفظ معناه إني ناصركما و حافظكما «أَسْمِعْ» ما يسأله عنكما فألهمكما جوابه «وَ أَرَى» ما يقصد كما به فأدفعه عنكما فهو مثل قوله «فَلَا يَصِفُ لِمَنْ إِيَّاكُمْ» ثم فسر سبحانه ما أجمله فقال «فَأْتِيَاهُ» أى فأتيا فرعون «فَقُولَا- إِنَّا رَسُولَا- رَبِّكَ» أى أرسلنا إليك خالقك بما ندعوا إليه «فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى أطلقهم و أعتقهم عن الاستعباد «وَ لَا تُعَذِّبُهُمْ» بالاستعمال فى الأعمال الشاقة «قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ» أى بدلاله واضحه و معجزه لائحه من ربك تشهد لنا بالنبوه «وَ السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى» قال الزجاج لم يرد بالسلام هنا التحية و إنما معناه إن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله و يدل عليه قوله بعده «إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» أى إنما يعذب الله سبحانه من كذب بما جئنا به و أعرض عنه فأما من اتبعه فإنه يسلم من العذاب و هاهنا حذف و هو فأتياه فقالا له ما أمرهما الله تعالى به ثم «قَالَ» لهما فرعون «فَمَنْ رَبُّكُمَا» أى فمن ربك و ربه «يا موسى» و إنما قال ربكما على تغليب الخطاب و قيل تقديره فمن ربكما يا موسى و هارون فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر اختصارا و لتسوى رءوس الآي و أراد به فمن أى جنس من الأجناس ربكما حتى أفهمه فبين موسى أنه تعالى ليس له جنس و إنما يعرف سبحانه بأفعاله «قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» معناه أعطى كل شىء خلقته أى صورته التى قدرها له «ثُمَّ هَدَى» أى هداه إلى مطعمه و مشربه و منكحه و غير ذلك من ضروب هدايته عن مجاهد و عطيه و مقاتل و قيل معناه أعطى كل شىء مثل خلقه أى زوجه من جنسه ثم هداه لنكاحه عن ابن عباس

و السدى و قيل معناه أعطى خلقه كل شىء من النعم فى الدنيا مما يأكلون و يشربون و ينتفعون به ثم هداهم إلى طرق معاشهم و إلى أمور دينهم ليتوصلوا بها إلى نعم الآخرة عن الجبائى «قال» فرعون «فَمَا بِالِ الْقُرُونِ الْأُولَى» أى فما حال الأمم الماضيه فإنها لم تقر بالله و ما تدعو إليه بل عبت الأوثان و يعنى بالقرون الأولى مثل قوم نوح و عاد و ثمود ف «قال» موسى «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى» أى أعمالهم محفوظة عند الله يجازيهم بها و التقدير علم أعمالهم لها عند ربى «فِي كِتَابٍ» يعنى اللوح المحفوظ و المعنى أن أعمالهم مكتوبه مثبتة عليهم و قيل المراد بالكتاب ما يكتبه الملائكه و قيل أيضا أن فرعون إنما قال فما بال القرون الأولى حين دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث أى فما بالهم لم يبعثوا «لَا يَصِلُ رَبِّى» أى لا يذهب عليه شىء و قيل معناه لا يخطئ ربى «وَلَا يَنْسَى» من النسيان عن أبى مسلم أى لا ينسى ما كان من أمرهم بل يجازيهم بأعمالهم و قيل معناه لا يغفل و لا يترك شيئا عن السدى ثم زاد فى الأخبار عن الله تعالى فقال «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا» أى فرشا و مهادا أى فراشا «وَسَيَلِّمُ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا» و السلك إدخال الشىء فى الشىء و المعنى أدخل لكم أى لأجلكم فى الأرض طرقا تسلكونها و قال ابن عباس سهل لكم فيها طرقا «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» يعنى المطر و تم الإخبار عن موسى ثم أخبر الله سبحانه عن نفسه فقال موصولا بما قبله من الكلام «فَأَخْرَجْنَا بِهِ» أى بذلك الماء «أَزْوَاجًا» أى أصنافا «مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى» أى مختلفه الألوان أحمر و أبيض و أخضر و أصفر و كل لون منها زوج و قيل مختلفه الألوان و الطعوم و المنافع فمنها ما يصلح لطعام الإنسان و منها ما يصلح للتفكه و منها ما يصلح لغير الإنسان من أصناف الحيوان «كُلُوا» أى مما أخرجنا لكم بالمطر من النبات و الثمار «وَأَرْعَوْا أَنْعَامَكُمْ» أى و أسيموا مواشيكم فيما أنبتاه بالمطر و اللفظ للأمر و المراد الإباحه و التذكير بالنعمه «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فيما ذكر «لآيَاتٍ» أى دلالات «لِأُولَى النَّهْيِ» أى لذوى العقول الذين ينتهون عما حرم الله عليهم عن الضحاك و قيل لذوى الورع عن قتاده و قيل لذوى التقى عن ابن عباس «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ» أى من الأرض خلقنا أباكم آدم (عليه السلام) «وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ» أى و فى الأرض نعيدكم إذا أمتناكم «وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» أى دفعه أخرى إذا حشرناكم «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا» يعنى فرعون «آيَاتِنَا كُلَّهَا» يعنى الآيات التسع أى معجزاتنا الداله على نبوه موسى «فَكَذَّبَ» بجميع ذلك «وَأَبَى» أن يؤمن به و قيل معناه فجدد الدليل و أبى القبول و لم يرد سبحانه بذلك جميع آياته التى يقدر عليها و لا كل آيه خلقها و إنما أراد كل الآيات التى أعطاه موسى.

النظم

و وجه اتصال قوله فَمَا بِالِ الْقُرُونِ الْأُولَى بما قبله من الدعاء إلى

التوحيد أن فرعون لما ظهرت المعجزات و دلائل التوحيد على يد موسى تحير و خاف الفضيحة فأقبل على نوع آخر من السؤال تليسا و كثيرا ما يفعل ذلك أهل البدع عند ظهور الحجة و قيل لما دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث قال فما بال أولئك القرون لم يبعثوا.

## [سوره طه (٢٠): الآيات ٥٧ الى ٦٦]

### اشاره

قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى (٦١)

فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسِيرُوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوَا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْفَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْفَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْفُوا بِإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦)

### القراءه

قرأ أبو جعفر لا نخلفه بالجزم و الباقون بالرفع و قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و الكسائي سوى بكسر السين و الباقون بضمها و قرأ يوم الزينه بالنصب هبيره عن حفص و هى قراءه الحسن و الأعمش و الثقفى و الباقون «يَوْمُ الزَّيْنَةِ» بالرفع و قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و رويس «فَيُسْحِتُكُمْ» بضم الياء و كسر الحاء و الباقون فيسحتكم بفتح الياء و الحاء و قرأ أبو عمرو

أن هذين وقرأ ابن كثير و حفص «إن هذان» خفيف وقرأ الباقون أن هذان و ابن كثير وحده يشدد النون من هذان وقرأ أبو عمرو فاجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم و الباقون «فَأَجْمَعُوا» بقطع الهمزة و كسر الميم وقرأ ابن عامر و روح و زيد تخيل إليه بالتاء و هو قراءه الحسن و الثقفى و الباقون «يُخَيَّلُ» بالياء.

## الحجّه و الإعراب

فأما قوله لا- نخلفه بالجزم فإنه يكون على جواب الأمر و القراءه المشهوره بالرفع على أن يكون «لا نُخَلِّفُهُ» فى موضع النصب بكونه صفة لقوله «مَوْعِدًا» و هو الظاهر و أما قوله «سُوَّى» فإنه المكان النصف فيما بين الفريقين قال موسى بن جابر:

وجدنا أبانا كان حل ببلده سوى بين قيس قيس عيلان و الفززر

قال أبو على قوله «سُوَّى» فعل من التسويه فكان المعنى مكانا مستويا مسافته على الفريقين فيكون مسافه كل فريق إليه كمسافه الفريق الآخر و هذا بناء يقل فى الصفات و مثله قوم عدى فأما فعل فهو فى الصفات أكثر قالوا دليل ختع و مال لبد و رجل حطم و أما انتصاب قوله «مَكَانًا» فلا يخلو من أن يكون مفعولا للموعد أما على أنه مفعول به أو على أنه ظرف له أو يكون منتصبا بأنه المفعول الثانى و لا يجوز الأول و لا الثانى لأن الموعد قد وصف بالجمله التى هى لا نخلفه نحن و إذا وصف لم يجر أن يعمل عمل الفعل لاخصاصه بالصفه و لأنه إذا عطف عليه لم يجر أن يتعلق به بعد العطف عليه شىء منه و كذلك إذا أخبر عنه لم يجر أن يقع بعد الخبر عنه شىء يتعلق بالمخبر عنه لم يجر سيبويه هذا ضارب ظريف زيدا و لا هذا ضويرب زيدا إذا حقر اسم الفاعل لأن التحقير فى تخصيصه الاسم بمنزله إجراء الوصف عليه و قد جاء من ذلك شىء فى الشعر قال بشر بن أبى حازم:

إذا فاقد خطباء فرخين رجعت ذكرت سليمان فى الخليط المباين

و يحتمل ذلك على إضمار فعل آخر كما ذهبوا إليه فى نحو قول الشاعر:

فإذا لم يجر ذلك كان مفعولا ثانيا لقوله «فَجَعَلَ» فيكون بمنزله قوله «جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» و نحوه و أما يوم الزينه فمن نصبه فعلى الظرف كما تقول قيامك يوم الجمعة فالموعد إذا هنا مصدر و الظرف بعده خبر عنه قال ابن جنى و هو عندى على حذف المضاف أى إن إنجاز موعدنا إياكم فى ذلك اليوم ألا ترى أنه لا يراد أنه فى ذلك اليوم يعدكم لأن الموعد قد وقع الآن و إنما يتوقع إنجازه فى ذلك اليوم لكن فى قوله «وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى» نظر و ظاهر حاله أن يكون مجرور الموضع حتى كأنه قال انتظروا موعدكم يوم الزينه و حشر الناس ضحى أى يوم هذا و لهذا فيكون أن يحشر معطوفا على الزينه و قد يجوز أن يكون مرفوع الموضع عطفا على الموعد فكأنه قال إنجاز موعدكم و حشر الناس ضحى فى يوم الزينه أى هذان الفعلان فى يوم الزينه و أما من رفع «يَوْمُ الزَّيْنَةِ» فإن الموعد عنده ينبغى أن يكون زمانا فكأنه قال وقت وعدكم يوم الزينه كقولنا مبعث الجيوش شهر كذا أى وقت بعثها حينئذ و العطف عليه بقوله «وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى» يؤكد الرفع لأن أن لا يكون ظرفا بل هو حرف موصول فى معنى المصدر و ينبغى أن يكون على حذف المضاف أى وقت وعدكم يوم الزينه و وقت حشر الناس ضحى كما أن قولك ورودك مقدم الحاج إنما هو على حذف المضاف أى وقت قدوم الحاج و أما قوله «فَيَسْجِتُكُمْ» فإن سحت و أسحت بمعنى قال الفرزدق:

و عض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف

و فسر لم يدع على أنه بمعنى لم يبق و أما قوله إن هذان لساحران فمن قرأ بتشديد النون من إن و الألف من هذان فقد قيل فيه أقوال (أحدها) أن إن بمعنى نعم و أنشدوا شعرا:

بكر العواذل فى الضحى يلحينى و ألومهنه

و يقلن شيب قد علاك و قد كبرت فقلت إنه

فعلى هذا يكون تقديره نعم هذان لساحران و هذا لا يصح لأن إن إذا كانت بمعنى نعم



ارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر واللام لا يدخل على خبر مبتدأ جاء على أصله و أما ما أنشد في ذلك من قوله:

خالى لأنت و من جرير خاله ينل العلاء و يكرم الأخوالا

و قوله:

أم الحليس لعجوز شهره ترضى من اللحم بعظم الرقبه

فمحمول على الشذوذ و الضروره و أيضا فإن أبا على قال ما قيل إن في الآيه لا يقتضى أن يكون جوابه نعم لأنك إن جعلته جوابا لقول موسى (عليه السلام) ويلكم لا- تفتروا على الله كذبا قالوا نعم هذان ساحران كان محالا- و إن جعلته على تقدير فتنازعا أمرهم بينهم و أسروا النجوى قالوا نعم هذان لساحران كان محالا أيضا (و ثانيها) ما قاله الزجاج أن تقديره نعم هذان لهما ساحران فاللام دخل على مبتدأ محذوف و هذا أيضا مثل الأول لما قلناه و لأن سيبويه قال نعم عدو و تصديق و أن يصرف إلى الناصبه للاسم أولى و هو قراءه أبي عمرو و عيسى بن عمرو قال أبو على هذا الذى قاله الزجاج لا يتجه لأمرين (أحدهما) أن الذى حملة النحويون على الضروره لا يمتنع أن يستمر هذا التأويل فيه و لم يحمله مع ذلك عليه (و الآخر) أن التأكيد باللام لا يتعلق به الحذف أ لا- ترى أن الأوجه فى الزينه أن تم الكلام و لا- يحذف ثم يؤكد فليس باللائق فى التدبر (و ثالثها) ما قاله المتقدمون من النحويين إن التقدير أنه هذان لساحران فحذف ضمير القصة و هذا أيضا فيه نظر من أجل دخول اللام فى الخبر و لأن إضمار الهاء بعد إن إنما يأتى فى ضروره الشعر نحو قوله:

إن من لام فى بنى بنت حسان ألمه و أعصه فى الخطوب

و قوله:

إن من يدخل الكنيسه يوما يلقي فيها جاذرا و ظباء

(و رابعها) ما قاله على بن عيسى و هو أن إن لما كانت مشبهه بالفعل و ليست بأصل فى العمل ألغيت هاهنا كما تلغى إذا خفت و هذا غير مستقيم أيضا لأن الإلغاء فى إن ما رأيناه فى غير هذا الموضع و أيضا فإنها قد أعملت مخففة فى قوله تعالى «وَ إِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُؤْفِقُنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ» فكيف يجوز إلغاؤها فى غير التخفيف و أيضا فقد أعمل اسم الفاعل و المصدر

ص: ٢٨

لشبههما بالفعل و لا يجوز إلغاؤهما و أيضا فإن اللام يمنع من هذا التأويل لأن أن إذا ألغيت ارتفع ما بعدها بالابتداء و اللام لا يدخل على خبر المبتدأ على ما بيناه (و خامسها) إن هذه الألف ليست بألف التثنيه و إنما هي ألف هذا زيدت عليها النون و هذا قول الفراء و هو غير صحيح فإنه لا يجوز أن يكون تثنيه إلا و يكون لها علم و لو كان على ما زعم لم تنقلب هذه الألف ياء في حال الجر و النصب و يدل على أن هذه الألف للتثنيه أن الألف التي كانت في الواحد قد حذفت كما حذفت الياء من الذى و التي إذا قلت اللذان و اللتان (و سادسها) و هو أجود ما قيل فيه أن يكون هذان اسم أن بلغه كنانة يقولون أتاني الزيدان و رأيت الزيدان و مررت بالزيدان قال بعض شعرائهم:

واها لريا ثم واها واها يا ليت عيناها لنا و فاها

و موضع الخللخال من رجلاها بثمان نعطي به أباها

إن أباها و أبا أباها قد بلغا في المجد غايتها

و قال آخر:

تزود منا بين أذناه طعنه دعته إلى هابي التراب عقيم

و قال آخر:

فأطرق إطراق الشجاع و لو يرى مساعا لناباه الشجاع لصما

و يقولون ضربته بين أذناه و من يشتري الخفان و قيل أنها لغه لبنى الحرث بن كعب و هذا القول اختيار أبي الحسن و أبي على الفارسي و من قرأ أن هذين لساحران فهو صحيح مستقيم و زيف الزجاج هذه القراءة مخالفتها المصحف و قيل أنه احتج في مخالفتها المصحف بما روى أنه من غلط الكاتب و يروون عن عثمان و عائشه أن في هذا القرآن غلطا تستقيمه العرب بألسنتها و هذا غير صحيح عند أهل النظر فإن أبا عمرو و من ذهب من القراء مذهبه لا يقرأ إلا بما أخذه من الثقات من السلف و لا يظن به مع علو رتبته أن يتصرف في كتاب الله من قبل نفسه فيغيره و من قرأ إن هذان بسكون النون من أن و الألف فقد قال الزجاج يقوى هذه القراءة قراءة أبي ما هذان إلا ساحران و روى عنه أيضا أن هذان إلا ساحران و هذا يدل على أنه جعل اللام بمنزله إلا و العجب أنه بصرى المذهب و البصريون ينكرون مجيء اللام بمعنى إلا قالوا

لو كان كذلك لجاز أن تقول جاءني القوم لزيدا بمعنى إلا زيدا فالوجه الصحيح فيه أنه جعل أن هذه مخففة من الثقيله و أضمـر فيها اسمها و رفع ما بعدها على الابتداء و الخبر و جعل الجملة خبر إن و إذا كانت إن مخففة من الثقيله لزمها اللام ليكون فرقا بينها و بين أن النافية و أما تشديد النون في قول ابن كثير ففيه وجهان (أحدهما) أن يكون عوضا من ألف هذا التي سقطت من أجل حرف التشبيه (و الآخر) أن يكون للفرق بين النون التي تدخل على المبهم و النون التي تدخل على المتمكن و ذلك أن هذه إنما وجدت مشددة مع المبهم و أما قوله «فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ» قال أبو الحسن إنما يقولون بالقطع إذا قالوا أجمعوا على كذا فأما إذا قالوا أجمعوا أمركم و أجمعوا كيدكم فلا- يقولون إلا- بالوصل قال و بالقطع أكثر القراءة قال فأما أن يكون لغه في هذا المعنى لأن باب فعلت و أفعلت كثير و أن يكون أجمعوا على كذا ثم قال كيدكم على أمر مستأنف قال أبو علي فإن قيل فقد تقدم ذكر قوله «فَجَمَعَ كَيْدَهُ» فإذا قيل فاجمعوا كيدكم كان تكريرا قيل لا يكون كذلك لأن ذلك في قصه و هذا في أخرى ذاك إخبار عن فرعون في جمعه كيده و سحره و هذا فيما يتواصى به السحره في جمع كيدهم و يشبه أن يكون ذلك على لغتين كما ظنه أبو الحسن قال الشاعر:

و أنتم معشر زيدوا على مائه فاجمعوا أمركم طرا فكيدوني

فقوله «فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ» بمنزله فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ لأن كيدهم من أمرهم و أما قوله «يُخَيِّلُ إِلَيْهِ» فمن قرأ بالياء فإنه فعل فارغ و فاعله قوله «أَنَّهَا تَسْجِي» و من قرأ بالتاء فعلى هذا يكون فاعله الضمير المستكن فيه العائد إلى الجبال و العصى و أنها تسعى في محل الرفع لأنه بدل من ذلك الضمير و هو بدل الاشتمال و يجوز أن يكون موضعه على هذه القراءة نصبا أيضا على معنى يخيل إليه كونها ذات سعي.

## المعنى

ثم حكى سبحانه عن فرعون أنه نسب موسى إلى السحر تليسا على قومه بأن قال «أَجِئْنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى» أى من أرض مصر «فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ» أى مثل ما أتيت به «فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى» أى اضرب بيننا و بينك موعدا مكانا يعد لحضورنا ذلك المكان لا يقع منا في حضوره خلاف ثم وصف المكان بأنه تستوى مسافته على الفريقين و مكانا بدل عن موعد و قيل مكانا سوى أى عدلا بيننا و بينك عن قتاده و قيل منصفا بكون النصف بيننا و بينك عن مجاهد «قَالَ» موسى «مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ» و كان يوم لهم فسمى يوم الزينة لأن الناس يتزينون فيه و يزينون به الأسواق عن مجاهد و قتاده و السدى «وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى» يعنى ضحى ذلك اليوم و يريد بالناس أهل مصر بقول يحشرون إلى العيد ضحى فينظرون إلى أمرى و أمرى فيكون

ذلك أبلغ في الحجة و أبعده من الشبهه قال الفراء يقول إذ رأيت الناس يحشرون من كل ناحيه ضحى فذلك الموعد قال و جرت عادتهم بحشر الناس في ذلك اليوم «فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ» أى انصرف و فارق موسى على هذا الوعد «فَجَمَعَ كَيْدَهُ» أى حيلته و مكره و ذلك جمع السحره «ثُمَّ أَتَى» أى حضر الموعد «قَالَ لَهُمْ مُوسَى» أى قال للسحره لأنهم أحضروا ما عملوا من السحر ليقابلوا بمعجزه موسى فوعظهم فقال «وَيُلْكُمُ» و هى كلمه و عيد و تهديد معناه ألزمكم الله الويل و العذاب و يجوز أن يكون على النداء نحو يا ويلتا فيكون الدعاء بالويل عليهم و قيل إن ويلكم كلمتان تقديهما وى لكم فيكون مبتدأ و خبرا أو يكون ويلكم بمنزله أتعجب لكم «لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى لا- تشركوا مع الله أحدا عن ابن عباس و قيل لا تكذبوا على الله بأن تنسبوا معجزاتى إلى السحر و سحركم إلى أنه حق و بأن تنسبوا فرعون إلى أنه إله معبود «فَيَسْحَتُكُمْ» أى يستأصلكم «بِعَذَابٍ» عن قتاده و السدى و قيل يهلككم عن ابن عباس و الكلبى و مقاتل و الجبائى و أصل السحت استقصاء الخلق يقال سحت شعره إذا استأصله و سحته الله و أسحته إذا استأصله و أهلكه «وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى» أى خسر من كذب على الله و نسب إليه باطلا عن قتاده انقطع رجاء من كذب على الله عن ثوابه و جنته «فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ» أى تشاور القوم و تفاوضوا فى حديث موسى و هارون و فرعون و جعل كل واحد منهم ينازع لكلام صاحبه و قيل تشاورت السحره فيما هيئوه من الحبال و العصى و فيمن يبتدئ باللقاء «وَأَسِيرُوا النَّجْوَى» يعنى أن السحره أخفوا كلامهم و تناجوا فيما بينهم سرا من فرعون فقالوا إن غلبنا موسى اتبعناه عن الفراء و الزجاج و قيل إن موسى لما قال لهم «وَيُلْكُمُ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر و أسر بعضهم إلى بعض يتناجون عن محمد بن إسحاق و قيل أسروا النجوى بأن «قَالُوا» إن كان هذا ساحرا فسنغلبه و إن كان من السماء فله أمره عن قتاده و قيل تناجوا مع فرعون و أسروا عن موسى و هارون قولهم «إِنْ هَذَا» لساحران عن الجبائى و أبى مسلم إن هذان يعنى موسى و هارون «لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا» قاله فرعون و جنوده للسحره و يريدون بالأرض أرض مصر «وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى» هى تأنيث الأمثل و هو الأفضل و هو الأشبه بالحق يقال فلان أمثل قومه أى أشرفهم و أفضلهم و المعنى

يريدان أن يصرفا وجوه الناس إليهما عن أمير المؤمنين على (عليه السلام)

و قيل إن طريقتهن المثلى بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عددا و أموالا- أى يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهم عن قتاده و أكثر المفسرين و قيل يذهبا بطريقتهن المثلى التى أنتم عليها فى السيره و الدين عن الجبائى و أبى مسلم و ابن زيد «فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ» أى لا تدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به «ثُمَّ اثْتُوا صَفًّا»

أى مصطفين مجتمعين ليكون أنظماً لأموركم و أشد لهيبتكم عن ابن عباس و أكثر المفسرين و قيل ثم ائتوا موضع الجمع و يسمى المصلى الصف عن أبى عبيده و المعنى ثم ائتوا الموضع الذى تجتمعون فيه لعيدكم و صلاتكم «وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اشْتَعَلَى» أى و قد سعد اليوم من غلب و علا عن ابن عباس قال بعضهم إن هذا من قول فرعون للسحره و قال آخرون بل هو قول بعض السحره لبعض «قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى» هذا قول السحره خيره بين أن يلقوا أولاً ما معهم أو يلقى موسى عصاه ثم يلقون ما معهم «قَالَ» موسى «بَلْ أَلْقُوا» أنتم ما معكم أمرهم باللقاء أولاً ليكون معجزه أظهر إذا ألقوا ما معهم ثم يلقى هو عصاه فتبتلع ذلك و هاهنا حذف أى فألقوا ما معهم «فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَ عَصِيَّتُهُمْ يَخْتَلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُا تَسْعَى» الضمير فى إليه راجع إلى موسى و قيل إلى فرعون أى يرى الحبال من سحرهم أنها تسير و تعدو مثل سير الحيات و إنما قال يخيل إليه لأنها لم تكن تسعى حقيقه و إنما تحركت لأنهم جعلوا داخلها الزئبق فلما حميت الشمس طلب الزئبق الصعود فحركت الشمس ذلك فظن أنها تسعى.

### [سوره طه (٢٠): الآيات ٦٧ الى ٧٦]

#### إشارة

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَ أَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَبَّ نَعُوا إِنْما صَبَّ نَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأَلْقَى السَّحْرَهُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَ مُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَ لَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمَنَّ آئِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَ أَبْقَى (٧١)

قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنْما تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنْما آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَ مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى (٧٣) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يَحْيَى (٧٤) وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦)

قرأ ابن ذكوان تلقف بالرفع و الباقون بالجزم إلا أن حفصا يقرؤها خفيفه و الآخرون مشدده و ابن كثير بروايه البزى و ابن فليح يشدد التاء أيضا و قرأ كيد سحر بغير ألف أهل الكوفه غير عاصم و الباقون ساحر بالألف.

### الحجه

من قرأ تلقف بالرفع فإنه يرتفع لأنه فى موضع الحال و الحال يجوز أن يكون من الفاعل الملقى أو المفعول الملقى فإن جعلته من الفاعل جعلته من المتلقف و إن كان التلقف فى الحقيقه للعصا لأن التلقف كان بإلقائه فجاز أن ينسب إليه و إن جعلته من المفعول فإنه أنث على المعنى لأن الذى فى يمينه عصا و مثل ذلك فى أن يكون مره للخطاب و مره للمؤنث قوله «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» فهذا يكون على تحدث أنت أيها الإنسان و على أن الأرض تحدث و أما تلقف بالجزم فعلى أن يكون جوابا كأنه قال إن تلقه تلقف و تلقف و من شدد التاء فإنما أراد تتلقف و هذا يكون على تتلقف أنت أيها المخاطب و على تتلقف هى إلا أنه أدغم التاء الأولى فى التاء الثانيه و الإدغام فى هذا ينبغى أن لا يكون جائزا لأن المدغم يسكن و إذا سكن لزم أن يجلب له همزه الوصل كما جلبت فى أمثله الماضى نحو ادرا تم و ازينت و اطيروا و همزه الوصل لا تدخل على المضارع قال و سألت أحمد بن موسى كيف يبتدئ من أدغم فقال كلاما معناه أنه يصير بالابتداء إلى قول من خفف و يدع الإدغام و من قرأ كيد ساحر فلأن الكيد للساحر فى الحقيقه و ليس للسحر إلا أن يريد كيد ذى سحر فيكون فى المعنى مثل كيد ساحر و الاختلاف بين القراء فى آمنتهم و الوجه فى ذلك ذكرناه فى سوره الأعراف.

### اللغه

يقال لفت الشىء و تلقفته و التقفته إذا أخذته بسرعه قال الكسائى الصبى فى

الحجاز إذا جاء من عند معلمه قال جئت من عند كبيرى و الكبير فى اللغة الرئيس و لهذا يقال للمعلم الكبير و الإيثار الاختيار و التزكى طلب الزكاء و الزكاء النماء فى الخير و منه الزكاه لأن المال ينمو بها.

## الإعراب

إن مفصول من «ما صَيَّرْتُمُو» لأن ما هاهنا موصول و صنعوا صلته و يجوز أن يكون الموصول اسما بمعنى الذى و يكون العائد من الصلة إلى الموصول محذوفا و يجوز أن يكون حرفا فيكون تقديره أن صنعهم و الفرق بين آمنتهم به و آمنتهم له أن آمنتهم به بالباء هو من الإيمان الذى هو ضد الكفر و آمنتهم له بمعنى التصديق «مِنْ خِلَافٍ» يحتتمل أن يكون من بمعنى عن أى عن خلاف و يحتتمل أن يكون بمعنى على خلاف فيكون الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال «فِي يُدْوِعِ النَّخْلِ» فى بمعنى على و إنما جاز ذلك لأن الجذع قد اشتمل عليهم و قد صاروا فيها قال الشاعر

هم صلبوا العبدى فى جذع نخله فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

«أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَ أَبْقَى» تعليق و معنى التعليق أن عملت تعمل فى المعنى و لا تعمل فى اللفظ و «الَّذِي فَطَرْنَا» موضعه جر عطف على ما جاءنا «فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ» يجوز أن يكون ما مصدرية فى تقدير الظرف أى فاقض القضاء مده كونك قاضيا و يجوز أن يكون ما مفعوله أى فاقض ما أنت قاضيه فحذف الهاء «إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» حذف المضاف و تقديره إنما تقضى أمور هذه الحياه الدنيا و يجوز أن يكون تقديره إنما تقضى مده هذه الحياه الدنيا و هذه على القول الأول منصوبه مفعول بها و على الثانى منصوبه على الظرف و يجوز أن يكون الواو للقسم. «جَنَاتٌ عَمِيدٌ» يجب أن يكون بدلا من الدرجات و لا يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف لأن قوله «خَالِدِينَ فِيهَا» نصب على الحال من قوله لهم ذو الحال الضمير المجرور باللام فعلى هذا لا يجوز الوقف على «الدَّرَجَاتِ الْعُلَى» و الدرجات مرتفع بالظرف بلا-خلاف بينهم لأن الظرف جرى خيرا على المبتدأ و هو أولئك و اعتمد عليه فيرتفع ما بعده.

## المعنى

«فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى» معناه فأحس موسى و وجد فى نفسه ما يجده الخائف و يقال أوجس القلب فرعا أى أضممر و السبب فى ذلك أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا أنهم فعلوا مثل فعله و يظنوا المساواه فيشكوا و لا يتبعونه عن الجبائى

وقيل إنه خوف الطباع إذا رأى الإنسان أمراً فظيماً فإنه يحذره و يخافه فى أول وهله و قيل إنه خاف أن يفرق الناس قبل إلقائه العصا و قيل أن يعلموا بطلان السحره فيبقوا فى شبهه و قيل إنه خاف لأنه لم يدر أن العصا إذا انقلبت حيه هل تظهر المزيه لأنه لا- يعلم أنها تتلقفها فكان ذلك موضع خوف لأنها لو انقلبت حيه و لم تتلقف ما يافكون ربما ادعوا المساواه لا سيما و الأهواء معهم و الدوله لهم فلما تلقفت زالت الشبهه و تحقق عند الجميع صحه أمر موسى و بطلان سحره «قُلْنَا لا- تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى» عليهم بالظفر و الغلبه «وَ أَلْقِ ما فى يَمِينِكَ» يعنى العصا «تَلَقَّفْ ما صَيَّرْنَا» أى تبتلع ما صنعوا فيه من الحبال و العصى لأن الحبال و العصى أجسام ليست من صنعهم قالوا و لما ألقى عصاه صارت حيه و طافت حول الصفوف حتى رآها الناس كلهم ثم قصدت الحبال و العصى فابتلعتهما كلها على كثرتها ثم أخذها موسى فعادت عصا كما كانت «إِنَّمَا صَيَّرْنَا كَيْدَ سَاحِرٍ» أى إن الذى صنعوه أو أن صنعهم كيد ساحر أى مكره و حيلته «وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ» أى لا يظفر الساحر ببغيته إذ لا حقيقه للسحر «حَيْثُ أَتَى» أى حيث كان من الأرض و قيل لا يفوز الساحر حيث أتى بسحره لأن الحق يبطله «فَأَلْقَى السَّحْرَهُ سُجَّداً» هاهنا محذوف و هو فألقى عصاه و تلقف ما صنعوا فألقى السحره سجداً أى سجدوا و «قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَ مُوسَى» أضافوه سبحانه إليهما لدعائهما إليه و كونهما رسولين له «قَالَ» فرعون للسحره «آمَنْتُمْ لَهُ» أى لموسى و المعنى قد صدقتم له «فَبَلَّ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» أى من غير إذنى لأنه بلغ من جهله أنه لا يعتقد دين إلا بإذنه و الفرق بين الإذن و الأمر أن فى الأمر دلالة على إرادته الأمر الفعل المأمور به و ليس فى الإذن ذلك و قوله «وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا» إذن و قوله «أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» \* أمر «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ» معناه أنه لأستاذكم و أنتم تلامذته و قد يعجز التلميذ عما يفعله الأستاذ و قيل إنه لرئيسكم و متقدمكم و أنتم أشياعه و أتباعه ما عجزتم عن معارضته و لكنكم تركتم معارضته احتشاماً له و احتراماً و إنما قال ذلك ليوهم العوام أن ما أتوا به إنما هو لتواطؤ من جهتهم ليصرفوا وجوه الناس إليهم «فَلَمَّا قَطَّعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ» أى أيديكم اليمنى و أرجلكم اليسرى «وَ لَأَصْلَبُ لِبَنَاتِكُمْ فى حُجْدُوعِ النَّخْلِ» أى على جذوع النخل «وَ لَتَعْلَمَنَّ» أيها الحسره «أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً» لكم «وَ أَبْقَى» و أدوم أنا على إيمانكم أم رب موسى على ترككم الإيمان به «قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى ما جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ» أى لن نفضلك و لن نختارك على ما أتانا من الأدله الداله على صدق موسى و صحه نبوته و المعجزات التى تعجز عنها قوى البشر «وَ الَّذِي فَطَرَنَا» أى و على الذى فطرنا أى خلقنا و قيل معناه لن نُؤْتِرَكَ و الله الذى فطرنا على ما جاءنا من البيّنات و ما ظهر لنا من الحق «فَأَقْضِ ما أَنْتَ قَاضٍ» أى فاصنع ما أنت صانعه



على إتمام وإحكام وقيل معناه فاحكم ما أنت حاكم وليس هذا بأمر منهم ولكن معناه أى شىء صنعنا لا نرجع عن الإيمان «إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» أى إنما تصنع بسلطانك أو تحكم فى هذه الحياه الدنيا دون الآخرة فلا سلطان لك فيها و لا- حكم وقيل معناه إنما تقضى و تذهب هذه الحياه الدنيا دون الحياه الآخرة «إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا» من الشرك و المعاصى «وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ» إنما قالوا ذلك لأن الملوك كانوا يجبرونهم على تعليم السحر كيلا يخرج السحر من أيديهم وقيل إن السحره قالوا لفرعون أرنا موسى إذا نام فأراهم إياه فإذا هو نائم و عصاه تحرسه فقالوا ليس هذا بسحر إن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم إلا أن يعملوا فذلك إكراههم عن عبد العزيز بن أبان «وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» أى والله خير لنا منك و ثوابه أبقى لنا من ثوابك وقيل معناه والله خير ثوابا للمؤمنين و أبقى عقابا للعاصين منك و هذا جواب لقوله «وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى» و هاهنا انتهى الإخبار عن السحره ثم قال الله سبحانه «إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا» وقيل إنه من قول السحره قال ابن عباس فى روايه الضحاك المجرم الكافر و فى روايه عطاء يعنى الذى أجرم و فعل مثل ما فعل فرعون «فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا» فيستريح من العذاب «وَلَا يَحْيَى» حياه فيها راحه بل هو معاقب بأنواع العقاب «وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا» مصدقا بالله و بأنبيائه «فَسُدَّ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ» أى أدى الفرائض عن ابن عباس «فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى» يعنى درجات الجنه و بعضها أعلى من بعض و العلى جمع العليا و هى تأنيث الأعلى «جَنَّاتٌ عَدْنٍ» أى إقامه «تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى» معناه أن الثواب الذى تقدم ذكره جزاء من تطهر بالإيمان و الطاعه عن دنس الكفر و المعصيه و قيل تزكى طلب الزكاء بإرادته الطاعه و العمل بها.

إشارة

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسِرَّ بِعِبَادِي فَاصْتِرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (٧٧) فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى (٨٠) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٨١)

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢) وَمَا أَعْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَ فَظَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦)

القرءاء

قرأ حمزه لا- تخف جزما و الباقون «لا تخاف» وقرأ أهل الكوفه غير عاصم قد أنجيتكم و واعدتكم و رزقتكم وقرأ الباقون «قد أنجيناكم» و «واعيدناكم» و «رزقناكم» بالنون وقرأ أبو جعفر و أبو عمرو و يعقوب و سهل و وعدناكم بغير الألف و الباقون بالألف وقرأ الكسائي فيحل بضم الحاء و من يحلل بضم اللام و الباقون بالكسر في الموضعين.

الحجه

قال أبو علي من رفع قوله «لا- تخاف» فإنه حال من الفاعل في أضرب أي غير خائف و لا خاش و يجوز أن يقطعه من الأول أي أنت لا تخاف و من قرأ لا تخف جعله جواب الشرط أي إن تضرب لا تخف دركا ممن خلقك و لا تخش غرقا بين يديك فأما من قال لا- تخف دركا ثم لا- تخشى فيجوز أن يعطيه من الأول أي إن تضرب لا تخف و أنت لا تخشى و لا يحمله على قول الشاعر

" كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا "

و لا على نحو

" إذا العجوز غضبت فطلق و لا ترضيها و لا تملق "

لأن ذلك إنما يجيء في ضروره الشعر كما أن قوله

ألم يأتيك و الأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

كذلك و لكنك تقدر إنك حذفت الألف المنقلبه عن اللام ثم أشبعت الفتحة لأنها فى فاصله فأثبت الألف الناشئه عن إشباع الفتحة و مثل هذا مما ثبت فى الفاصله قوله فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا و قد جاء إشباع هذه الفتحة فى كلامهم قال و

أنت عن الغوائل حين ترمى و من ذم الرجال بمنتزاح

أى بمنتزح و حجه من قرأ وعدناكم إن ذلك يكون من الله سبحانه قال أبو الحسن زعموا أن واعدناكم لغه فى وعدناكم فإذا كان كذلك فاللفظ لا يدل على أن الفعل من اثنين فيكون القراءه بوعد أحسن لأن واعد بمعنى وعد و يعلم من وعد أنه فعل واحد لا محاله و ليس واعد كذلك فالأخذ بالأبين أولى و من قرأ «أَنْجَيْنَاكُمْ» و «وَأَعَدْنَاكُمْ» فحجته قوله «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَ السَّلْوى» و حجه من قرأ «فَيَحِلُّ» بكسر الحاء أنه روى فى زمزم إنه لشارب حل أى مباح له غير محظور عليه و لا ممنوع عنه فالحل و الحلال فى المعنى مثل المباح فهو خلاف الحظر و الحجر و الحرام و الحرم فهذه الألفاظ معناها المنع و المباح من قولهم باح بالسر و الأمر ييوح به إذا لم يجعل دونه حظرا فمعنى يحل عليكم ينزل بكم و ينالكم بعد ما كان ذا حظر و حجر و منع عنكم و وجه قراءه من قرأ «فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي» أن الغضب لما كان تتبعه العقوبه و العذاب جعله بمنزله العذاب فقال يحل أى ينزل فجعله بمنزله قولهم حل بالمكان يحل و على هذا جاء تَصَبَّيْهُمْ بِمَا صَيَّعُوا قَارِعَهُ أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِنْ دَارِهِمْ فكما أن هذا عذاب قد أخبر عنه بأنه يحل كذلك أخبر عن الغضب بمثله و جعله بمنزله لأنه يتبعه و يتصل به.

## اللغه

اليبس اليبس و جمعه أيباس و جمع اليبس بسكون الباء ييوس قال الكميت

"فما زدته إلا ييوسا و ما أرى لهم رحما و الحمد لله توصل"

قال أبو زيد حل عليه أمر الله يحل حلولا و حل الدار يحلها و لا و حل العقده يحلها حلا و حل له الصوم يحل حلا و أحله الله إحلالا- و حل عليه حقى يحل محلا- و أحل الرجل من إحرامه إحلالا و حل يحل حلا و الأسف أشد الغضب و يكون أيضا بمعنى الحزن.

## الإعراب

«هُمُ أَوْلَاءِ» مبتدأ و خبر و يجوز أن يكون أولاء بدلا من هم و يكون «عَلَى أَثَرِي» فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ و على الوجه الأول يجوز أن يكون «عَلَى أَثَرِي» فى موضع نصب على الحال و العامل فيه معنى الإشاره فى أولاء و يجوز أن يكون خبرا بعد خبر.

ثم أخبر سبحانه عن حال بنى إسرائيل فقال «وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى» بعد ما رأى فرعون من الآيات فلم يؤمن هو ولا قومه «أَنْ أَشِيرَ بِعِبَادِي» أى سر بهم ليلا من أرض مصر «فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا» أى اجعل لهم طريقا فى البحر يابساً بضربك العصا لينفلق البحر فعدى الضرب إلى الطريق لما دخله هذا المعنى فكأنه قد ضرب الطريق كما يضرب الدينار «لَا تَخَافُ دَرَكًا وَ لَا تَخْشَى» أى لا تخاف أن يدركك فرعون من خلفك ولا تخشى من البحر غرقا و من قرأ لا تخف بالجزم فمعناه لا تخف أن يدركك فرعون و أنت لا تخشى شيئا من أمر البحر مثل قوله يُؤَلُّوْكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصِرُونَ و يجوز أن يكون فى موضع الجزم على نحو ما ذكرناه فى الحجة «فَمَا تَبْعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ» معناه ألحق جنوده بهم و بعث بجنوده خلفهم و فى أثرهم و فى الكلام حذف الهم فعلوا ذلك فدخل موسى و قومه البحر ثم اتبعهم فرعون بجنوده «فَعَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ» أى جاءهم من البحر ما جاءهم و لحقهم منه ما لحقهم و فيه تعظيم للأمر و معناه غشيهم الذى عرفتموه و سمعتم به و مثله قول أبى النجم

"أنا أبو النجم و شعرى شعرى"

أى شعرى الذى سمعت به و علمته أى هلك فرعون و نجى موسى هذا كان عاقبه أمرهم فليعتبر المعتبرون بهم «وَأَصْلُ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ مَا هَدَى» أى صرفهم عن الهدى و الحق و ما هداهم إلى الخير و الرشد و طريق النجاه و إنما قال «وَمَا هَدَى» بعد قوله «أَصْلٌ» ليتبين أنه استمر على ذلك و ما زال يضلهم و لا يهداهم و حسن حذف المفعول لمكان رأس الآية و إنما قال سبحانه تكذبا لقول فرعون لقومه وَ مَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ثم خاطب سبحانه بنى إسرائيل و عدد نعمه عليهم فقال «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَادٍ وَكُفْرِهِمْ» فرعون بمرأى منكم «وَإِعَادْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ» و هو أن الله تعالى وعد موسى بعد أن أغرق فرعون ليأتى جانب الطور الأيمن فيؤتاه التوراه فيها بيان الشرائع و الأحكام و ما يحتاجون إليه «وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَ السَّلْوى» يعنى فى التيه و قد مر بيان ذلك فى سورة البقره «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» صورته صورته الأمر و المراد به الإباحه «وَ لَا تَطْغَوْا فِيهِ» أى فلا تتعدوا فيه فتأكلوه على الوجه المحرم عليكم و قيل إن المعنى لا تتجاوزوا عن الحلال إلى الحرام و قيل معناه لا تتناولوا من الحلال للاستعانه به على المعصيه «فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضْبَى» أى فيجب عليكم عقوبتى و من ضم الحاء فالمعنى فينزل عليكم عقوبتى «وَ مَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضْبَى فَقَدْ هَوَى» أى هلك لأن من هوى من علو إلى سفلى فقد هلك و قيل فقد هوى إلى النار قال الزجاج فقد صار إلى الهاويه «وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ» و هو فعال من المغفره «لِمَنْ تَابَ» من الشرك «وَ آمَنَ» بالله و رسوله «وَ عَمِلَ صَالِحًا» أى

أدى الفرائض «ثُمَّ اهْتَدَى» أى ثم لزم الإيمان إلى أن يموت واستمر عليه وقيل ثم لم يشك فى إيمانه عن ابن عباس وقيل ثم أخذ بسنه النبى ص و لم يسلك سبيل البدعه عن ابن عباس أيضا والربيع بن أنس و

قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت (عليه السلام) فو الله لو أن رجلا عبد الله عمره ما بين الركن و المقام ثم مات و لم يجىء بولايتنا لأكبه الله فى النار على وجهه رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده و أورده العياشى فى تفسيره

من عده طرق «وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى» قال ابن إسحاق كانت المواعده أن يوافى الميعاد هو و قومه وقيل مع جماعته من وجوه قومه و هو متصل بقوله «وَأَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ» فتعجل موسى من بينهم شوقا إلى ربه و خلفهم ليلحقوا به فقبل له ما أعجلك عن قومك يا موسى أى بأى سبب خلفت قومك و سبقتهم و جئت وحدك «قَالَ» موسى فى الجواب «هُمْ أَوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي» أى هؤلاء من ورائى يدركوننى عن قريب و قيل معناه هم على دينى و منهاجى عن الحسن و روى عنه أيضا أنه قال هم ينتظرون من بعدى ما الذى آتيهم به و ليس يريد أنهم يتبعونه «وَأَعْجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى» أى سبقتهم إليك حرصا على تعجيل رضاك أى لازداد رضا إلى رضاك «قَالَ» الله تعالى «فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ» أى امتحناهم و شددنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل فالزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا أنه ليس بإله كما قال سبحانه «الْمَ أَحْسِبُ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» «مِنْ بَعْدِكَ» أى من بعد انطلاقك «وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ» أى دعاهم إلى الضلال فقبلوا منه و ضلوا عند دعائه فأضاف الضلال إلى السامرى و الفتنة إلى نفسه ليدل سبحانه على أن الفتنة غير الضلال و قيل إن معنى فتنا قومك عاملناهم معاملة المختبر المبتلى ليظهر لغيرنا المخلص منهم من المنافق فيوالى المخلص و يعادى المنافق «فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِيفًا» أى رجع موسى من الميقات إلى بنى إسرائيل شديد الغضب حزينا عن ابن عباس و قيل جزعا عن مجاهد و قيل متحسرا متلهفا على ما فاته لأنه خشى أن لا يمكنه تدارك أمر قومه عن الجبائى «قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدِيدًا حَسِينًا» أى صدقا لايتاء الكتاب و هو التوراه لتعلموا ما فيه و تعلموا به فتستحقوا الثواب عن الجبائى و قيل الوعد الحسن هو ما وعدهم به من النجاه من فرعون و مجيئهم إلى جانب الطور و وعده بالمغفرة لمن تاب و قيل هو ما وعدهم به فى الآخرة على التمسك بدينه فى الدنيا عن الحسن «أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ» أى مده مفارقتى إياكم «أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ» أى يجب عليكم «غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ» بعبادتكم العجل و المعنى أم أردتم أن تصنعوا صنعا يكون سببا لغضب ربكم «فَأَخَلَفْتُمْ مَوْعِدِي» أى ما وعدموه لى من حسن الخلافه بعدى و يبين ذلك قوله بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي و قيل إن إخلافهم موعده أنه

أمرهم اللحاق به فتركوا المسير على إثره للميقات وقيل هو أنه أمرهم أن يتمسكوا بطريقه هارون وطاعته و يعملوا بأمره إلى أن يرجع فخالفوه.

## [سوره طه (٢٠): الآيات ٨٧ الى ٩٦]

### إشاره

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١)

قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بَنِيَّ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦)

### القراءة

قرأ أهل المدينة والكوفه وعاصم «بِمَلِكِنَا» بالفتح وقرأ حمزه والكسائي وخلف بملكنا بضم الميم والباقون بملكنا بكسر الميم وقرأ ابن عامر وحفص ورويس «حُمِّلْنَا» بالضم والتشديد والباقون حملنا بفتح الحاء والتخفيف وقرأ أهل الكوفه غير عاصم لم تبصروا بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وأبي والحسن وقواده وأبي رجاء ونصر بن عاصم

فقبضت قبضه بالصاد و روى عن الحسن أيضا قبضه بضم القاف.

## الحج

قال أبو على فى قوله بملكنا هذه ثلاث لغات و الكسر أكثر و الفتح لغه فيه و المعنى ما أخلفنا موعدك بملكنا الصواب و لكن لخطئنا فأضيف المصدر إلى الفاعل و حذف المفعول فأما من ضم الميم فإنه لا يخلو من أن يريد به مصدرا لملك أو يكون لغه فى مصدر المالك فإن أريد الأول فالمعنى لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك لمكان ملكنا و يكون على هذا التقدير كقوله لا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِحْفَاءً مَسْأَلَهُ مِنْهُمْ إِحْفَاءً أَيْ لَيْسَ مِنْهُمْ مَسْأَلُهُ فَيَكُونُ مِنْهُمْ إِحْفَاءً لَيْسَ أَنَّهُ أَثْبَتَ مَلِكًا مَا لَمْ يَثْبِتْ فِي قَوْلِهِ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِحْفَاءً مَسْأَلَهُ مِنْهُمْ وَ مِثْلَ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ أَبِي أَحْمَرَ.

لا تفرع الأرنب أهوالها و لا ترى الضب بها ينجحر

أى ليس بها أرنب فيفرع لهولها و مثله قول ذى الرمه:

لا تشتكى سقطه منها و قد رقصت بها المفاوز حتى ظهرها حذب

أى ليس منها سقطه فشتكى و قوله «حُمَّلْنَا» من حمل الإنسان الشىء و حملته إياه فمن قرأ «حُمَّلْنَا» فالمعنى جعلونا نحمل أوزار القوم و من قرأ حملنا أراد أنهم فعلوا ذلك و من قرأ «بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا» به بالياء فالمعنى بما لم يبصر به بنو إسرائيل و من قرأ بالتاء صرف الخطاب إلى الجميع و القبض بالصاد باليد كلها و بالصاد بأطراف الأصابع و القبضه بالضم القدر المقبوض و القبضه فعلك أنت و قد ذكرنا الاختلاف فى قوله «يَا بَنُ أُمَّ» و الوجه فى ذلك فى سورة الأعراف.

## اللغة

الوزر أصله الثقل و منه الوزر الذنب لأن صاحبه قد حمل به ثقلا- و الوزر الحمل و الأوزار الأحمال و الأثقال و منه الأوزار للسلاح لأنها تثقل على لابسها و الخوار الصوت المتردد الشديد التردد كصوت البقر و نحوه و العكوف الإقامة و ملازمه الشىء و منه الاعتكاف فى المسجد و رقب يرقب رقبانا و رقبه انتظر و المرقب المكان العالى الذى يقف عليه الرقيب و أرقبت فلانا دارى و أعمرته و الاسم الرقبى و العمرى و بصر بالشىء يبصر إذا صار عليما به و أبصر يبصر إذا رأى.

## الإعراب

«فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ» الكاف صفة مصدر محذوف لألقى تقديره ألقى

السامري إلقاء مثل إلقائنا، جسدا بدل من عجل. «أَلَّا يَرْجِعُ» تقديره أ فلا يرون أن لا يرجع و يجوز أن ينصب يرجع بأن فيكون الناصبه للفعل و لا يكون أن المخففه من أن ضلوا جملة في موضع نصب على الحال و قد مضمره «أَلَّا تَتَّبِعِنِ» في موضع جر بمن المحذوف أو في موضع نصب على الخلاف فيه تقديره ما منعك من اتباعي و لا زائده كما في قوله ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ.

## المعنى

«قَالُوا» أى قال الذين لم يعبدوا العجل «ما أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا» أى و نحن نملك من أمرنا شيئا و المعنى إنا لم نطق رد عبده العجل عن عظيم ما ارتكبه للرهبة لكثرتهم و قلتنا و

جاء فى الروايه أن الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثنى عشر ألفا و الذين عبدوه كانوا ستمائة ألف رجل

و من قرأ بملكنا بضم الميم فمعناه بقدرتنا و سلطاننا أى لم نقدر على ردهم «وَ لَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ» معناه و لكننا حملنا أثقالا من حلى آل فرعون و هو ما استعادوه من حليهم حين أرادوا السير و قيل هو ما ألقاه البحر على الساحل من ذهبهم و فضتهم و حليهم بعد إغراقهم فأخذوه و قيل هو من أثقال الذنوب و الآثام أى حملنا آثاما من حلى القوم لأنهم استعاروا حليا من القبط ليتزينوا بها فى عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم عند الخروج من مصر مخافه أن يعلموا بخروجهم فحملوهم و كان ذلك ذنبا منهم إذ كانوا مستأمنين فيما بينهم و قيل إنهم كانوا فى حكم الإسراء فيما بينهم فكان يحل لهم أخذ أموالهم فعلى هذا لا يمكن حمله على الإثم «فَقَدَرْنَاها» أى ألقيناها فى النار لتذوب «فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ» أيضا ليوهم أنه منهم عن الجبائى و قيل معناه فمثل ما ألقينا نحن من هذا الحلى فى النار ألقى السامرى أيضا فاتبعناه و قيل إن هذا كلام مبتدأ من الله حكى عنهم أنهم ألقوا ثم قال و كذلك ألقى السامرى عن أبى مسلم «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً» أى أخرج لهم من ذلك عجلا جسيما «لَهُ خُوارٌ» أى صوت و قد ذكرنا صفة العجل فى سورة الأعراف «فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَ إِلَهُ مُوسَى» أى قال السامرى و من تبعه من السفله و العوام هذا العجل معبودكم و معبود موسى «فَنَسَى» فيه قولان (أحدهما) أنه من قول السامرى و من تبعه أى نسى موسى أنه إله و هو قول ابن عباس و قتاده و مجاهد و السدى و الضحاك و قيل معناه فنسى أى ضل و أخطأ الطريق و قيل معناه أنه تركه هنا و خرج يطلبه (و الثانى) أنه قول الله تعالى أى فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من الإيمان الذى بعث الله به موسى عن ابن عباس أيضا و قيل معناه فنسى السامرى الاستدلال على حدوث العجل و أنه لا يجوز أن يكون إلها و قيل فنسى السامرى أى نافق و ترك الإسلام ثم احتج سبحانه عليهم فقال «أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا» أى أ فلا يرى بنو إسرائيل أن العجل الذى عبدوه و اتخذوه إلها لا يرد عليهم جوابا «وَ لا



يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا» و من كان بهذه الصفه فإنه لا يصلح للعباده قال مقاتل لما مضى من موعد موسى خمسه و ثلاثون يوما أمر السامرى بنى إسرائيل أن يجمعوا ما استعاروه من حلى آل فرعون و صاغه عجلا فى السادس و الثلاثين و السابع و الثامن و دعاهم إلى عبادته فى التاسع فأجابوه و جاءهم موسى بعد استكمال الأربعين قال سعيد بن جبير كان السامرى من أهل كرمان و كان مطاعا فى بنى إسرائيل و قيل كان من قريه يعبدون البقر فكان حب ذلك فى قلبه و قيل كان من بنى إسرائيل فلما جاوز البحر نافق فلما قالوا اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة اغتنمها و أخرج لهم العجل و دعاهم إليه عن قتاده «وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ» أى من قبل عود موسى إليهم «يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ» يعنى أن الله تعالى شدد عليكم التعبد فاعلموا إلهكم و اعبدوه و لا تعبدوا العجل موعظه و نصحا و يحتمل أن يكون أراد فتنكم السامرى به و أضلكم «وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي» أى اتبعونى فيما أدعوكم إليه «وَ أَطِيعُوا أَمْرِي» فى عباده الله و لا- تتبعوا السامرى و لا- تطيعوا أمره فى عباده العجل «قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ» معناه لا نزال مقيمين على عبادته «حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى» فنظر أ يعبده كما عبدناه أم لا فاعتزلهم هارون فى اثنى عشر ألفا فلما رجع موسى (عليه السلام) و هو ممتلى غيظا منهم و من عبادتهم العجل و سمع الصباح و العجله إذ كانوا يرقصون حول العجل و يضربون الدفوف و المزامير و استقباله هارون فألقى الألواح و أخذ يعاتب هارون «قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ» أى هلا- تتبعنى بمن أقام على إيمانه عن ابن عباس و قيل معناه هلا قاتلتهم إذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم و قيل هلا لحقت بى حين رأيتهم ضلوا بعباده العجل قبل استحكام الأمر و الأصل أن لا مزیده و تقديره ما منعك أن تتبعنى «أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي» فيما أمرتك به يريد قوله اخلفنى فى قومي و أصليح و لا تتبع سبيل المفسدين فلما أقام معهم و لم يبالغ فى منعهم نسبه إلى عصيانه و قيل إن صورته صوره الاستفهام و المراد به التقرير لأن موسى (عليه السلام) كان يعلم أن هارون لا يعصيه فى أمره (سؤال) متى قيل إن الظاهر يقتضى أن موسى كان أمره باللحاق به فعصى هارون أمره قلنا يجوز أن يكون أمره بذلك بشرط المصلحه و رأى هارون الإقامه أصلح و الشاهد يرى ما لا يرى الغائب و يجوز أن يكون لم يأمره بذلك و إنما أمره بمجاهدتهم و زجرهم عن القبيح و إنما عاتبه مع أن اللوم توجه على القوم لأن أمره بمفارقتهم لوم عليهم و قيل إن موقع الذنب ممن عظمت رتبته أعظم فلما كان هارون أجل من خلفه موسى خصه باللائم و هذا إنما يتجه إذا ثبت لهارون ذنب فأما و هو نقى الجيب من جميع الذنوب برىء الساحة من العيوب فالقول الأول هو الوجه «قَالَ» هارون «يَا بَنُ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي» قد فسرناه فى سورة الأعراف و قيل كانت العاده جاريه فى القبض عليهما

فى ذلك الزمان كما أن العاده فى زماننا هذا القبض على اليد و المعانقه و ذلك مما تختلف العاده فيه بالأزمه و الأمكنه و قيل إنه أجراه مجرى نفسه إذا غضب فى القبض على لحيته لأنه لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه ثم بين (عليه السلام) عذره فى مقامه معهم فقال «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» يعنى إنى لو فارقتهم أو قاتلتهم لصاروا أحزابا و تفرقوا فرقا ففريق يلحقون بك معى و فريق يقيمون مع السامرى على عباده العجل و فريق يتوقفون شاكين فى أمره مع أنى لم آمن إن تركتهم أن يصيروا بالخلاف إلى تسافك الدماء و شدة التصميم و الثبات على اتباع السامرى فإنهم كانوا يمتنعون بعض الامتناع بمكانى فيهم و كنت أوجه إليهم من الإنكار مقدار ما يتحملة الحال و ذلك قوله «يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ» فاعتذر بما يقبل مثله لأنه وجه واضح من وجوه الرأى و قوله «وَلَمْ تَزُقْ قَوْلِي» معناه و لم تحفظ وصيتى و لم تعمل به حين قلت اخلفنى فى قومى و أصلح و لما ظهرت براءه ساحه هارون أقبل على السامرى «قَالَ» له «فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ» أى ما شأنك و ما دعاك إلى ما صنعت فكأنه قال ما هذا الخطب و الأمر العظيم الذى أحدثت و ما حملك عليه «قَالَ» السامرى «بَصِيرَةٌ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ» أى رأيت ما لم يروه و قيل معناه علمت ما لم يعلموا من البصيره «فَقَبِضْتُ قَبْضَهُ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ» أى قبضت قبضه تراب من أثر قدم جبرائيل «فَبَدَّتْهَا» فى العجل «وَكَذَلِكَ» أى و كما حدثتك يا موسى «سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي» أى زينت لى نفسى من أخذ القبضه و إلقائها فى صوره العجل و قيل معناه حدثتنى نفسى فأما حديث العجل و ما الذى قبضه السامرى و كيفية ذلك و اختلافهم فيه فقد سبق ذكره.

## اشاره

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١)

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)

## القراءة

قرأ ابن كثير و أهل البصره غير سهل لن تخلفه بكسر اللام و قرأ الضرير لن نخلفه بالنون و كسر اللام و هو قراءة الحسن و قرأ الباقون «لَنْ تُخْلَفَهُ» بفتح اللام و قرأ أبو جعفر لَنَحْرَقَهُ بفتح النون و سكون الحاء و تخفيف الراء و هو قراءة علي (عليه السلام) و ابن عباس و قرأ أبو عمرو يوم ننفخ في الصور بالنون و الباقون «يُنْفَخُ» بالياء و فتح الفاء و في الشواذ قراءة أبي حيوه لا مساس و قرأ مجاهد و قتاده و سع كل شيء علمًا و قرأ ابن عياض في الصور بفتح الواو.

## الحجج

قال أبو علي أخلفت يتعدى إلى مفعولين «لَنْ تُخْلَفَهُ» مثل لن تعطاه لما أسندت الفعل إلى أحد المفعولين فأقامته مقام الفاعل بقى الفعل متعديا إلى مفعول واحد و فاعله الذي يخلف هو الله تعالى أو موسى و معناه سيأتيك به و لن يتأخر عنك و لن تخلفه أي سيأتيه و لا مذهب لك عنه و قال ابن جنى معناه لن تصادفه مخلفا كقول الأعشى:

أثوى و قصر ليله ليزودا فمضى و أخلف من قتيله موعدا

و هو و عيود و المعنى في قراءة الأولى أبين و أما نخلفه بالنون فالمعنى لن نخلفك إياه أي لن ننقص منه ما عقدناه لك و قوله لَنَحْرَقَهُ من قولهم فلان يحرق على الأرم أي سحك أسنانه بعضها ببعض غيظا على قال زهير:

أبي الضيم و النعمان يحرق نابه عليه فأفصى و السيوف معاقله

فكان لنحرقته على هذا لنبردته و لنحتته حتا يقال حرقت الحديد أى بردته فتحات و تساقط و قوله مساس مثل نزال و حذار قال ابن جنى و لا يدخل على هذا الضرب من الكلام ما النافيه بالنكره فلا إذا فى قوله «لا مساس» نفى للفعل كقولك لا أمسك و لا أقرب منك فكأنه حكايه قول القائل مساس فكأنه قال لا أقول مساس قال الكميت

" لا همام لى لا همام "

أى لا- أقول همام و لا بد أن تكون الحكايه مقدره أ لا ترى أنه لا يجوز أن تقول لا أضرب فتنفى بلا لفظ الأمر لتنافى اجتماع لفظ الأمر و النهى فالحكايه إذا معتقده مقدره و أما قوله «وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا» فمعناه على ما قاله ابن جنى أنه خرق كل مصمت بعلمه لأنه بطن كل مخفى فصار لعلمه فضاء متسعا بعد ما كان متلاقيا مجتمعا و منه قوله تعالى «أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» و هذا فى العمل و ذاك فى العلم و الوجه فى قوله نفخ فى الصور فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا و قوله فيما بعده «وَ نَحْشُرُ» الوجه فى الياء قوله «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» و نُفِخَ فِي الصُّورِ و أما قوله «فِي الصُّورِ» فإنه جمع صوره و قد يقال فيها صير و أصله صور قال

أشبهن من بقر الخلاء أعينها فهن أحسن من صيرانها صيرا

و صوراً أيضا قال أبو عبيده الصور جمع صوره و يقال الصور القرن و يقال فيه ثقب بعدد نفوس البشر فإذا نفخ فيه قام الناس من الأرماس.

## اللغة

ظلت أصله ظلت و للعرب فيها مذهبان فتح الظاء و كسرهما فمن قال ظلت ترك الظاء على حالها و من قال ظلت بالكسر نقل حركه اللام إليها للإشعار بأصلها و مثله مست و مست فى مسست و هل أحست فى أحسست قال الشاعر

خلا إن العتاق من المطايا أحسن به فهن إليه شوس

لننسفنه يقال نسف فلان الطعام بالمنسف إذا ذرأه ليطير عنه قشوره و الصفصف الموضع المستوى الذى لا نبات به كأنه على صف واحد فى استوائه و القاع الأرض الملساء و قيل مستنقع الماء و جمعه أقواع و قيعان و قيعه و الأمت الأكمه و يقال مد حبله حتى ما ترك فيه أمتا و ملأ سقاهه حتى ما ترك فيه أمتا أى انشاء قال الشاعر

" ما فى انجذاب سيره من أمت "

ثم حكى سبحانه عن موسى (عليه السلام) «قال» للسامري «فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ» و اختلف فى معناه فقيل أنه أمر الناس بأمر الله أن لا يخالطوه و لا يجالسوه و لا يؤاكلوه تضييقاً عليه و المعنى لك أن تقول لا أمس و لا أمس ما دمت حيا قال ابن عباس لك و لولدك و المساس فعال من المماسه و معنى لا مساس لا يمس بعضنا بعضاً فصار السامري يهيم فى البريه مع الوحش و السباع لا يمس أحداً و لا يمسه أحد عاقبه الله تعالى بذلك و كان إذا لقي أحداً يقول «لا مِسَاسَ» أى لا تقربنى و لا تمسنى و صار ذلك عقوبه له و لولده حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك و إن مس واحد من غيرهم واحدا منهم حم كلاهما فى الوقت و قيل إن السامري خاف و هرب فجعل يهيم فى البريه لا يجد أحداً من الناس يمسه حتى صار لبعده عن الناس كالقائل لا مساس عن الجبائى «وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ» أى وعداً لعذابك يعنى يوم القيامة لن تخلف ذلك الوعد و لن يتأخر عنك قال الزجاج المعنى يكافيك الله على ما فعلت يوم القيامة «وَ أَنْظِرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا» معناه و أنظر إلى معبودك الذى ظلت على عبادته مقيماً يعنى العجل «لَنْحَرِّقَنَّهُ» بالنار «ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا» أى لنذرينه فى البحر قال ابن عباس فحرقه ثم ذراه فى البحر و هذا يدل على أنه كان حيواناً لحماً و دماً و على القراءه الأخرى لنحرقه أى لنبردنه بالمبرد يدل على أنه كان ذهباً و فضه و لم يصر حيواناً و نبه (عليه السلام) بذلك على أن ما يمكن سحقه أو إحراقه لا يصلح للعباده و

قال الصادق (عليه السلام) إن موسى (عليه السلام) هم بقتل السامري فأوحى الله سبحانه إليه لا تقتله يا موسى فإنه سخي

ثم أقبل موسى على قومه فقال «إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى هو الذى يستحق العباده «وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا» أى يعلم كل شىء علماً تاماً و هى لفظه عجيبه فى الفصاحه و فى ذلك دلالة على أن المعدوم يسمى شيئاً لكونه معلوماً ثم قال الله لنبيه ص «كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ» أى مثل ما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى و قومه و نقص عليك من أخبار ما قد مضى و تقدم من الأمم و الأمور «وَ قَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا» يعنى القرآن لأن فيه ذكر كل ما يحتاج إليه من أمور الدين ثم أوعد سبحانه على الإعراض عنه و ترك الإيمان به فقال «مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَاِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا» أى حملاً ثقيلاً من الإثم يشق عليه حملة لما فيه من العقوبه كما يشق حمل الثقل «خَالِدِينَ فِيهِ» أى فى عذاب ذلك الوزر و جزائه و هو الخلود فى النار «وَ سَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا» تقديره ساء الحمل حملاً و الحمل بمعنى المحمول أى بئس الوزر هذا الوزر لهم يوم القيامة قال الكلبي بئس ما حملوا على أنفسهم من المآثم كفرهم بالقرآن «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» هو بدل من يوم القيامة و قد سبق معناه «نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا» قال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين

اتخذوا مع الله إلهها يحشرون زرق العيون سود الوجوه ومعنى الزرقه الخضره فى سود العيون كعين السنور والمعنى فى هذا تشويه الخلق وقيل زرقا عميا ترى زرقا وهى عمى عن الفراء وقيل عطاشا فى مظهر عيونهم كالزرقه مثل قوله وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِداً عن الأزهرى «يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ» أى يتسارون بينهم فيقول المجرمون بعضهم لبعض «إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا» أى ما لبثتم إلا- عشر ليال عن ابن عباس و قتاده يعنى من النفخه الأولى إلى الثانيه و ذلك أنه يكف عنهم العذاب فيما بين النفختين و هو أربعون سنه و قيل ما لبثتم فى الدنيا ينسون من شدة هول ذلك اليوم مده لبثهم فى الدنيا و قيل فى القبر يذهب عنهم طول لبثهم فى قبورهم كأنهم كانوا نياما فانتبهوا و قيل إنهم يقللون لبثهم فى الدنيا طول ما هم لاثون فيه من النار عن الحسن ثم قال سبحانه «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ» أى بما يتسارون بينهم «إِذْ يَقُولُ أَكُنَّا بِأَعْيُنِنَا قَوْمَكُمُ لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ حَالًا» أى أصلحهم طريقه و أوفرهم عقلا و أصوبهم رأيا و قيل أكثرهم سدادا عند نفسه «إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا» أى ما لبثتم إلا يوما فى الدنيا و فى القبور إنما قال ذلك لأن اليوم الواحد و العشره إذا قوبلت بيوم القيامة و ما لهم من الأيام فى النار كان اليوم الواحد أقرب إليه و هو كقوله لم يلبثوا إلا عشيه أو ضحاها و قيل إنهم قالوا ذلك بعد انقطاع عذاب القبر عنهم لأن الله يعذبهم ثم يعيدهم عن الجبائى ثم قال سبحانه لنيه ص «وَيَسْأَلُونَكَ» أى و يسئلك منكر و البعث عند ذكر القيامة «عَنِ الْجِبَالِ» ما حالها «فَقُلْ» يا محمد «يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا» أى يجعلها ربي بمنزله الرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذريها كتذريه الطعام من القشور و التراب فلا يبقى على وجه الأرض منها شىء و قيل يصيرها كالهباء و

قيل إن رجلا- من ثقيف سأل النبي ص كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها فقال إن الله يسوقها بأن يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها

«فَيَذَرُهَا» أى فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها «قاعاً» أى أرضا ملساء و قيل منكشفه عن الجبائى «صَفْصِيفًا» أى أرضا مستويه ليس للجبل فيها أثر و قيل القاع و الصفصيف بمعنى واحد و هو المستوى من الأرض الذى لا نبات فيه عن ابن عباس و مجاهد «إلا- ترى فيها عوجاً و لا- أمتاً» أى ليس فيها منخفض و لا- مرتفع عن عكرمه عن ابن عباس قال الحسن العوج ما انخفض من الأرض و الأمت ما ارتفع من الروابى و قيل لا ترى فيها واديا و لا راييه عن مجاهد.

## اشاره

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْساً (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وَقد خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا (١١٢)

وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَ صَيَّرْنا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ وَ لا تَعْجَلْ بِالقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) وَ لَقَدْ عَهِدْنَا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسَى وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)

## القراءه

قرأ ابن كثير فلا يخف بالجزم و الباقون «فلا يخاف» بالألف وقرأ يعقوب أن نقضى بالنون وحيه بالنصب و الباقون «يقضى» بضم الياء «وحيه» بالرفع.

## الحجه

من قرأ فلا- يخف فإنه على النهى و من قرأ «فلا- يخاف» فإنه على الخبر و تقديره فهو لا يخاف و موضع الفاء مع ما بعدها فى الموضوعين مجزوم و لكونه فى موضع جواب الشرط و المبتدأ محذوف و مراد بعد الفاء و هو مؤمن فى موضع نصب على الحال و العامل فى الحال يعمل و ذو الحال الذكر الذى فى يعمل العائد إلى من و من قرأ من قبل أن نقضى إليك وحيه فإنه أضاف القضاء إلى الله و جعل الوحي مفعوله و المعنى فى القراءتين واحد.

## اللغه

الهمس إخفاء الكلام و الصوت الخفى قال الراجز

و هن يمشين بنا هميسا إن يصدق الطير نبك لميسا

يعنى صوت أخفاف الإبل فى سيرها و العنوه الخضوع و الذل و العانى الأسير و أخذت

الشيء عنوه أى غلبه تذل المأخوذ منه وقد يكون العنوه عن تسليم و طاعه لأنه على طاعه الدليل للعزير قال الشاعر

هل أنت مطيعى أيتها القلب عنوه و لم تلح نفس لم تلم فى احتيالها

و قال آخر

فما أخذوها عنوه عن موده و لكن بضرب المشرفى استفالها

و الهضم النقص يقال هضمنى حقى و يهضمنى أى ينقصنى و امرأه هضم الحشا أى ضامره الكشحن لنقصانه عن حد غيره و منه هضمت المعدة الطعام أى نقصته مع تغييرها و العزم الإراده المتقدمه لتوطين النفس على الفعل.

## الإعراب

«يَوْمَئِذٍ» ظرف «يَتَّبِعُونَ» و «لَا عِوَجَ لَهُ» جمله فى موضع الحال و التقدير يتبعون الداعى غير معوجين عن إجابته لأن معناه لا عوج لهم عن دعائه أى لا يقدرون على أن لا يتبعوه «قُرْآنًا» منصوب على الحال و «عَرَبِيًّا» صفته و فى الحقيقه الحال قوله عربيا و إنما ذكر قرآنا للبيان و كذلك الكاف فى محل النصب بأنه صفة لمصدر محذوف.

## المعنى

ثم وصف سبحانه القيامه فقال «يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ» أى يوم القيامه يتبعون صوت داعى الله الذى ينفخ فى الصور و هو إسرافيل (عليه السلام) «لَا عِوَجَ لَهُ» أى لدعاء الداعى و لا يعدل عن أحد بل يحشرهم جميعا عن أبى مسلم و قيل معناه لا عوج لهم عن دعائه لا- يميلون عنه و لا- يعدلون عن نداءه أى يتبعونه سراعا و لا- يلتفتون يمينا و لا شمالا عن الجائى «وَوَخَّشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ» أى خضعت الأصوات بالسكون لعظمه الرحمن عن ابن عباس «فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا» و هو صوت الأقدام عن ابن عباس و ابن زيد أى لا تسمع من صوت أقدامهم إلا صوتا خفيا كما يسمع من وطئ الإبل و قيل الهمس إخفاء الكلام عن مجاهد و قيل معناه إن الأصوات العاليه بالأمر و النهى فى الدنيا ينخفض و يذل أصحابها فلا تسمع منهم إلا الهمس «يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا» أى لا تنفع ذلك اليوم شفاعه أحد فى غيره إلا شفاعه من أذن الله له فى أن يشفع و رضى قوله فيها من الأنبياء و الأولياء و الصالحين و الصديقين و الشهداء ثم قال سبحانه «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ» الضمير يرجع إلى الذين يتبعون الداعى أى يعلم سبحانه جميع أقوالهم و أفعالهم قبل أن خلقهم و بعد أن خلقهم و ما كان فى حياتهم و بعد مماتهم لا يخفى عليه شىء من أمورهم تقدم أو تأخر عن أبى مسلم و قيل يعلم ما بين أيديهم من أحوال الآخرة



و ما خلفهم من أحوال الدنيا «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» أى و لا يحيطون هم بالله علما أى بمقدوراته و معلوماته و قيل بكنه عظمته فى ذاته و أفعاله و قيل لا- يحيطون علما بما بين أيديهم و ما خلفهم إلا من أطلعه الله على ذلك عن الجبائى و قيل معناه و لا يدركونه بشىء من الحواس حتى يحيط علمهم به «وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ» أى خضعت و ذلت خضوع الأسير فى يد من قهره و المراد خضع أرباب الوجوه و استسلموا للحكم للحى الذى لم يمت و لا- يموت و إنما أسند الفعل إلى الوجوه لأن أثر الذل يظهر عليها و قيل المراد بالوجوه الرؤساء و القاده و الملوك أى يذلون و ينسلخون عن ملكهم و عزهم و قد سبق معنى الحى القيوم فى مواضع «وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا» أى و قد خاب عن ثواب الله من حمل شركا إلى يوم القيامة عن ابن عباس و قيل قد خسر الثواب من جاء يوم القيامة كافرا ظالما «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ» أى و من يعمل شيئا من الطاعات «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» عارف بالله تعالى مصدق بما يجب التصديق به و إنما قال ذلك لأنه لا تنفع الطاعة من غير إيمان «فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا» أى لهو لا- يخاف أن يظلم و يزداد عليه فى سيئاته و لا أن يهضم أى ينقص من حسناته عن ابن عباس و قيل لا يخاف أن يؤخذ بذنب لم يعمله و لا أن تبطل حسنه عملها عن الضحاك و قيل لا يخاف ظلما بأن لا يجزى بعمله و لا هضمًا بالانتقاص من حقه عن ابن زيد و من قرأ فلا- يخف على النهى فمعناه فليأمن و لا يخف الظلم و الهضم و النهى عن الخوف أمر بالأمن و فى هذه الآية دلالة على بطلان التحابط «وَكَذَلِكَ» أى و كما أخبرناك بأخبار القيامة «أَنْزَلْنَاهُ» أى أنزلنا هذا الكتاب «قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ» أى كررنا فيه من الوعيد و ذكرناه على وجوه مختلفه و بيناه بألفاظ متفرقه «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» المعاصى و قيل ليتقى العرب من قبل أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك «أَوْ يُخَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا» معناه أو يجدد القرآن لهم عظه و اعتبارا أى يذكروا به عقاب الله للأمم فيعتبروا و قيل يحدث لهم شرفا بإيمانهم به و إنما أضاف إحداث الذكر إلى القرآن لأنه يقع عنده كما قال و إذا تَلَيْتْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا «فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ» أى ارتفعت صفاته عن صفات المخلوقين فلا يشبهه أحد فى صفاته لأنه أقدر من كل قادر و أعلم من كل عالم و كل قادر سواه محتاج إليه و هو غنى عنه و كل قادر و عالم قادر على شىء عاجز عن شىء عالم بشىء جاهل بشىء و ما هو عالم به يجوز أن ينساه أو يسهو عنه فهو معرض الزوال و الله سبحانه لم يزل عالما قادرا و لا يزال كذلك و الملك الذى يملك الدنيا و الآخرة و الحق الذى يحق له الملك و كل ملك سواه يملك بعض الأشياء و يبىد ملكه و يفنى «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» فيه وجوه (أحدها) أن معناه لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل (عليه السلام) من إبلاغه

فإنه ص كان يقرأ معه و يعجل بتلاوته مخافه نسيانه أى تفهم ما يوحى إليك إلى أن يفرغ الملك من قراءته و لا تقرأ معه ثم اقرأ بعد فراغه منه و هذا كقوله «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» عن ابن عباس و الحسن و الجبائى (و ثانيها) أن معناه و لا تقرأه لأصحابك و لا- تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه عن مجاهد و قتاده و عطيه و أبى مسلم (و ثالثها) إن معناه و لا تسأل إنزال القرآن قبل أن يأتيك وحيه لأنه تعالى إنما ينزله بحسب المصلحه وقت الحاجه «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا» أى استزد من الله سبحانه علما إلى علمك

روت عائشه عن النبى ص أنه قال إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى إلى الله فلا بارك الله لى فى طلوع شمسه

و قيل معناه زدنى علما بقصص أنبيائك و منازل أوليائك و قيل زدنى قرآنا لأنه كلما ازداد من نزول القرآن عليه ازداد علما عن الكلبى «وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا» معناه أمرناه و أوصينا إليه أن لا يقرب الشجره و لا يأكل منها فترك الأمر عن ابن عباس و لم نجد له عقدا ثابتا و قيل معناه فنسى من النسيان الذى هو السهو و لم نجد له عزمًا على الذنب لأنه أخطأ و لم يتعمد عن ابن زيد و جماعه و قيل و لم نجد له حفظا لما أمر به عن عطيه و قيل صبرا عن قتاده و روى عن ابن عباس أنه قال إنما أخذ الإنسان من أنه عهد إليه فنسى و من حملة على النسيان فما الذى نسيه فيه أقوال (أحدها) أنه نسى الوعيد بالخروج من الجنة أكل (و الثانى) أنه نسى قول الله سبحانه «إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِرُؤُوسِكَ» (و الثالث) أنه نسى الاستدلال على أن النهى عن الجنس و قد نهى عن الجنس فنسى و ظن أن النهى عن العين.

النظم

وجه اتصال قوله «وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا» بما قبله أنه يتصل بقوله «كَذَلِكَ - نَقُصُّ عَلَيْكَ» و قيل أنه يتصل بما قبله من قصه موسى أى كما أنزلنا التوراه على موسى أنزلنا عليك القرآن و وجه اتصال قوله «وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ» الآية بما قبله أنه لما ذكر تصريف الآيات و القرآن و إن بها يتذكر أمره سبحانه بالتذكر و أن لا يكون مثل آدم فى نسيان العهد و قيل إنه اتصل بقوله «وَ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ» أى لا تعجل خوف النسيان للفظه و لكن توكل على الله و سله التوفيق لحفظه فإن أباك آدم نسى ما عهد إليه و قيل أنه عطف على قوله «كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ» فقص عليه قصه آدم (عليه السلام) عن أبى مسلم.

ص: ٥٣

## إشارة

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لَزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعُ فِيهَا وَ لَا تَعْرِى (١١٨) وَ أَنْكَ لَا تَطْمَؤُنَا فِيهَا وَ لَا تَضْحَى (١١٩) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لَّا يَبْلَى (١٢٠)

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِمَا عَلَىٰ هُمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَ لَا يَشْقَى (١٢٣) وَ مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥)

## القراءة

قرأ نافع و أبو بكر و إنك لا تظمؤا بالكسر و الباقون «أَنَّكَ» بالفتح و فى الشواذ قراءة أبان بن تغلب و نحشره بالجزم.

## الحج

من قرأ بالفتح فتقديره أن لك أن لا- تجوع فيها و أن لك أنك لا- تظمأ و لا يجوز أن تقول أن أنك منطلق لكراهه اجتماع حرفين متقاربي المعنى فإذا فصل بينهما جاز و من كسر فقال فإنك لا تظمأ قطع الكلام الأول و استأنف و من قرأ نحشره فإنه عطفه على موضع قوله «فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا» و موضعه جزم لكونه جواب الشرط.

## اللغة

ضحى الرجل يضحى ضحى إذا برز للشمس قال عمرو بن أبى ربيعة:

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت فيضحى و أيما بالعشى فيخصر

يعنى أما و الضنك الضيق الصعب يقال منزل ضنك و عيش ضنك لا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث لأن أصله المصدر قال " و إذا هم نزلوا بضعك فانزل".

## المعنى

ثم بين سبحانه تفصيل ما أجمله من قصه آدم (عليه السلام) فقال «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» قد مر تفسيره «أبى» أى امتنع من أن يسجد «فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِرِزْقِكَ» حواء «فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ» أى لا تطيعاه و المعنى لا- يكونن سببا لخروجكما من الجنة بغروره و وساوسه «فَتَشَقَّى» أى فتقع فى تعب العمل و كد الاكتساب و النفقه على زوجتك و نفسك و لذلك قال فتشقى و لم يقل فتشقىا و قيل لأن أمرهما فى السبب واحد فاستوى حكمهما لاستوائهما فى السبب و العله و قيل لتستقيم رءوس الآى قال سعيد بن جبیر أنزل على آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه و يرشح العرق عن جبينه و ذلك هو الشقاوه «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى» أى فى الجنة لسعه طعام الجنة و ثيابها «وَ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَصْحَى» أى لا تعطش و لا يصيبك حر الشمس عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و قتاده قالوا ليس فى الجنة شمس و إنما فيها ضياء و نور و ظل ممدود و يسأل هاهنا فيقال كيف جمع بين الجوع و العرى و بين الظمأ و الضحى و الجوع من جنس الظمأ و العرى من جنس الضحى و أجيب عن ذلك بجوابين (أحدهما) أن الظمأ أكثر ما يكون من شدة الحر و الحر إنما يكون من الضحى و هو الانكشاف للشمس فجمع بينهما لاجتماعهما فى المعنى و كذلك الجوع و العرى متشابهان من حيث أن الجوع عرى فى الباطن من الغذاء و العرى للجسم فى الظاهر (و الثانى) إن العرب تلف الكلامين بعضهما ببعض اتكالا على علم المخاطب و أنه يرد كل واحد منهما إلى ما يشاكله كما قال امرؤ القيس:

كأنى لم أركب جوادا للذه و لم أتبطن كاعبا ذات خلخال

و لم أسيا الزق الروى و لم أقل لخليى كركه بعد إجفال

و كان حقه أن يقول كما قال عبد يغوث:

كأنى لم أركب جوادا و لم أقل لخليى كرى نفسى عن رجاليا

و لم أسيا الزق الروى و لم أقل لأيسار صدق أظهروا ضوء ناريا

و قد يؤول قول امرئ القيس على الجواب الأول «فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ» قد تقدم بيانه

«قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ» أى على شجره من أكل منها لم يمت «وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى» جديده و لا يفنى و هذا كقوله «ما نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» الآية «فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِمَا عَلَىٰ هَٰذَا الْجَنَّةِ» هذا مفسر فى سورة الأعراف «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» معناه خالف آدم ما أمره ربه به فخاب من ثوابه و المعصيه مخالفه الأمر سواء كان الأمر واجبا أو ندبا قال الشاعر

"أمرتك أمرا جازما فعصيتنى"

و لا يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصيا كما يسمى بذلك تارك الواجب يقولون فلان أمرته بكذا و كذا من الخير فعصانى و خالفنى و إن لم يكن ذلك واجبا و لا شبهه إن لفظه غوى يحتمل الخيبه قال الشاعر.

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغي لائما

و يجوز أن يكون معناه فخاب مما كان يطمع فيه بأكل الشجره من الخلود «ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ» أى اصطفاه الله تعالى و اختاره للرساله «فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى» أى قبل توبته و هداه إلى ذكره و قيل هداه للكلمات التى تلقاها منه «قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا» يعنى آدم و حواء «بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى» قد فسرنا جميعها فى سورة البقره «فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَ لَا يَشْقَى» أى فلا يضل فى الدنيا و لا يشقى فى الآخره قال ابن عباس ضمن الله سبحانه لمن قرأ القرآن و عمل بما فيه أن لا يضل فى الدنيا و لا يشقى فى الآخره ثم قرأ هذه الآية «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي» أى و من أعرض عن القرآن و عن الدلائل التى أنزلها الله تعالى لعباده و صدف عنها و لم ينظر فيها «فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا» أى عيشا ضيقا عن مجاهد و قتاده و الجبائى و هو أن يقتتر الله عليه الرزق عقوبه له على إعراضه فإن وسع عليه فإنه يضيق عليه المعيشه بأن يمسكه و لا ينفقه على نفسه و إن أنفقه فإن الحرص على الجمع و زياده الطلب يضيق المعيشه عليه و قيل هو عذاب القبر عن ابن مسعود و أبى سعيد الخدرى و السدى و رواه أبو هريره مرفوعا و قيل هو طعام الضريع و الزقوم فى جهنم لأن مآله إليها و إن كان فى سعه من الدنيا عن الحسن و ابن زيد و قيل معناه أن يكون عيشه منغصا بأن ينفق إنفاق من لا يوقن بالخلف عن ابن عباس و قيل هو الحرام فى الدنيا الذى يؤدى إلى النار عن عكرمه و الضحاك و قيل عيشا ضيقا فى الدنيا لقصرها و سائر ما يشوبها و يكدرها و إنما العيش الرغد فى الجنه عن أبى مسلم «وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» أى أعمى البصر عن ابن عباس و قيل

أعمى عن الحججه عن مجاهد يعنى أنه لا- حجه له يهتدى إليها و الأول هو الوجه لأنه الظاهر و لا مانع منه و يدل عليه قوله «قال رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا» قال الفراء يقال أنه يخرج من قبره بصيرا فيعمى فى حشره و

قد روى معاويه بن عمار قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل لم يحج و له مال قال هو ممن قال الله «و نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» فقلت سبحان الله أعمى قال أعماه الله عن طريق الحق

فهذا يطابق قول من قال إن المعنى فى الآية أعمى عن لا يهتدى لشىء منها.

## [سوره طه (٢٠): الآيات ١٢٦ الى ١٣٠]

### إشارة

قال كذلك أتتك آياتنا فسيتها و كذلك اليوم تنسى (١٢٦) و كذلك نجزي من أسرف و لم يؤمن بآيات ربّه و لعذاب الآخرة أشدّ و أبقى (١٢٧) أفلم يهتد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى (١٢٨) و لو لا كلمته سبقت من ربك لكان لزاما و أجل مسيئى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون و سيبيح بحميد ربك قبل طلوع الشمس و قبل غروبها و من آناء الليل فسبح و أطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠)

### القرءاء

قرأ الكسائى و أبو بكر ترضى بضم التاء و الباقون بفتحها.

### الحججه

حجه من فتح التاء قوله «و لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» و حجه من ضم التاء أنه جاء فى صفه بعض الأنبياء و كان عند ربّه مَرْضِيًّا و كان معنى ترضى لفعلك ما أمرت به من الأفعال التى يرضاها الله أو ترضى بما تعطاه من الدرجه الرفيعه و ترضى بما يعطيكه الله من الدرجه العاليه و الرتبه المرضيه.

### اللغه

آناء الليل ساعاته واحدها إنى قال السعيدى:

«أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ» فاعل يهد مضممر يفسره «كَمْ أَهْلَكْنَا» و المعنى أ فلم يهد لهم إهلاكنا من قبلهم من القرون و موضع كم نصب بأهلكنا.

## المعنى

«قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَّتَهَا» هذا جواب من الله سبحانه لمن يقول لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى و معناه كما حشرناك أعمى جاء ك محمد ص و القرآن و الدلائل فأعرضت عنها و تعرضت لنسيانها فإن النسيان ليس من فعل الإنسان فيتوعد عليه «وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى» أى تصير بمنزله من ترك كالمنسى بعذاب لا يفنى و قيل معناه كما حشرتك أعمى لتكون فضيحة كنت أعمى القلب فتركت آياتى و لم تنظر فيها و كما تركت أوامرنا فجعلتها كالشىء المنسى تترك اليوم فى العذاب كالشىء المنسى «وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ» أى و كما ذكرنا نجزي من أشرك و جاوز الحد فى العصيان و لم يؤمن بآيات ربه أى لم يصدق بحجج ربه و كتبه و رسله «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ» من عذاب الدنيا و عذاب القبر «وَأَبْقَى» أى أدوم لأنه لا يزول و عذاب الدنيا و عذاب القبر يزول «أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ» يعنى كفار مكة و المعنى أ فلم يبين لهم طريق الاعتبار كثره إهلاكنا القرون قبلهم بتكذيبهم رسلنا فيعتبروا و يؤمنوا و قوله «يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ» يريد أهل مكة كانوا يتجرون إلى الشام فيمرون بمساكن عاد و ثمود و يرون علامات الإهلاك و فى هذا تنبيه لهم و تخويف أى أ فلا يخافون أن يقع بهم مثل ما وقع بأولئك «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى إهلاكنا إياهم «لآياتٍ» أى لعبارة و دلالات «لأولى النهى» أى لذوى العقول الذين يتدبرون فى أحوالهم «وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ» فى تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة و هو قوله «لَكَانَ لِرِزْمًا وَ أَجَلٌ مُّسَمًّى» أى لكان العذاب لزاما لهم واقعا فى الحال و اللزام مصدر و وصف به قال قتاده الأجل المسمى قيام الساعة و قال غيره هو الأجل الذى كتبه الله للإنسان أنه يبقى إليه و قيل إن عذاب اللزام كان يوم بدر قتل الله فيه رءوس الكفار و لو لا ما قدر الله تعالى من آجال الباقين و وعدهم من عذاب الآخرة لكان ذلك القتل الذى نالهم يوم بدر لازما لهم أبدا فى سائر الأزمان ثم أمر سبحانه نبيه ص بالصبر على أذاهم بأن قال «فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ» من تكذيبك و أذاهم إياك «وَسَيَبِخُّ بِحَمِيدِ رَبِّكَ» أى صل لربك بالحمد له و الثناء عليه و قيل معناه سبحانه و احمده فى

هذه الأوقات «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» يعنى صلاه الفجر «وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يعنى صلاه العصر «وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ» أى ساعاته قال ابن عباس هى صلاه الليل كله وقيل يريد أول الليل المغرب والعشاء الآخرة «فَسَيِّحٌ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ» يعنى الظهر وسمى وقت صلاه الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثانى وهذا قول قتاده والجبائى ومن حمل التسييح على الظاهر قال أراد بذلك المداومه على التسييح والتحميد فى عموم الأوقات «لَعَلَّكَ تَرْضَى» بالشفاعه والدرجه الرفيعه وقيل بجميع ما وعدك الله به من النصر وإعزاز الدين فى الدنيا والشفاعه والجنه فى الآخرة.

## [سوره طه (٢٠): الآيات ١٣١ الى ١٣٥]

### إشاره

وَلَا تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١) وَ أَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزِقُكَ وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢) وَ قَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٣٣) وَ لَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزَى (١٣٤) قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مَنْ اهْتَدَى (١٣٥)

### القراءه

قرأ يعقوب و سهل زهره بفتح الهاء و الباقون بسكونها و قرأ أهل المدينه و البصره و قتيبه و حفص أ و لم تأتهم بالتاء و الباقون بالياء.

### اللغه

زهرة الحياه الدنيا حسننها و يجوز فتح العين فيها و الزهره النور الذى يروق عند الرؤيه و منه يقال لكل شىء مستنير زاهر و منه الحديث فى صفة النبى ص



كان أزهر اللون أى نير اللون و الزهراوان: البقره و آل عمران و يوم الجمعة يوم أزهر.

## الإعراب

قال الزجاج زهره منصوب بمعنى متعنا لأن معناه جعلنا لهم الحياه الدنيا زهره لفتنتهم فيه أى لنجعل ذلك فتنة لهم و يجوز أن يكون حالا من الهاء فى به و يجوز أن يكون حالا من «ما متّعنا به». «وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ» تقديره و لو ثبت إهلاكهم لأن لو يقتضى الفعل فيكون «أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ» فى موضع رفع بأنه فاعل الفعل المقدر و «مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ» تعلق بقوله «فَسَتَعْلَمُونَ» و هو مبتدأ و خبر و كذلك «مَنْ اهْتَدَى».

## النزول

قال أبو رافع نزل برسول الله ص ضيف فبعثنى إلى يهودى فقال قل إن رسول الله يقول بعنى كذا و كذا من الدقيق أو أسلفنى إلى هلال رجب فأتيته فقلت له فقال و الله لا أبعه و لا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله ص فأخبرته فقال و الله لو باعنى أو أسلفنى لقضيت و إنى لأمين فى السماء و أمين فى الأرض اذهب بدرعى الحديد إليه فنزلت هذه الآية تسليه له عن الدنيا.

## المعنى

«وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ» و قد فسرناه فى سورة الحجر و قال أبى بن كعب فى هذه الآية من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا و من يتبع بصره ما فى أيدى الناس يطل حزنه و لا يشفى غيظه و من لم ير الله عليه نعمه إلا فى مطعمه و مشربه نقص علمه و دنا عذابه

و روى أصحابنا عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال لما نزلت هذه الآية استوى رسول الله ص جالسا ثم قال هذه الكلمات التى تقدمت

«زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى بهجتها و نضارتها و ما يروق الناظر عند الرؤيه و قال ابن عباس و قتاده زينه الحياه الدنيا «لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» أى لنعاملهم معامله المختبر بشده التعبد فى العمل بالحق فى هذه الأمور و أداء الحقوق عنه و قيل لفتنتهم أى لنشدد عليهم التعبد بأن نكلفهم متابعتك و الطاعة لك مع كثره أموالهم و قله مالك و قيل معناه لنعذبهم به لأن الله قد يوسع الرزق على بعض أهل الدنيا تعذيبا له و لذلك

قال (عليه السلام) لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضه ما سقى منها كافرا شربه ماء

«وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ» أى و رزق ربك الذى وعدك به فى الآخرة خير مما متعنا به هؤلاء فى الدنيا «وَأَبْقَى» أى أدوم «وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ» معناه و أمر يا محمد أهل بيتك و أهل دينك بالصلاه

روى أبو سعيد الخدرى قال لما نزلت هذه الآية كان رسول الله ص يأتى باب فاطمه و على تسعه أشهر عند كل صلاه فيقول الصلاه رحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً و رواه ابن عقده بإسناده من طرق كثيره

عن أهل البيت (عليه السلام) و عن غيرهم مثل أبي برزه

ص: ٦٠

قال أبو جعفر (عليه السلام) أمره الله تعالى أن يخص أهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزله ليست للناس فأمرهم مع الناس عامه ثم أمرهم خاصة

«وَ اضْطَبِرْ عَلَيْهَا» أى و اصبر على فعلها و على أمرهم بها «لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا» لخلقنا و لا لنفسك بل كلفناك العبادة و أداء الرسالة و ضمنا رزق الجميع «نَحْنُ نَرْزُقُكَ» الخطاب للنبي ص و المراد به جميع الخلق أى نرزق جميعهم و لا نسترزقهم و ننفعهم و لا ننتفع بهم فيكون أبلغ فى الامتنان عليهم «وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى» أى العاقبه المحموده لأهل التقوى قال ابن عباس يريد الذين صدقوك و اتبعوك و اتقونى و فى الأثر أن عروه الزبير كان إذا رأى ما عند السلطان دخل بيته و قرأ و لا تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ الْآيَاتِ ثُمَّ ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله «وَ قَالُوا» يعنى الكفار «لَوْ لَا يَأْتِينَا» محمد ص «بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ» اقترحناها عليه كما أتى به الأنبياء، نحو الناقه «أَوْ لَعَمْرُ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى» أى أ و لم يأتهم فى القرآن بيان ما فى الكتب الأولى من أنباء الأمم التى أهلكتهم لما اقترحوا الآيات ثم كفروا بها فما ذا يؤمنهم أن يكون حالهم فى سؤال الآيه كحال أولئك «وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ» يعنى كفار قريش «بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ» أى من قبل بعث محمد ص و نزول القرآن «لَقَالُوا» يوم القيامة «رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا» أى هلا أرسلت «رَسُولًا» يدعونا إلى طاعتك و يرشدنا إلى دينك «فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ» أى نعمل بما فيها «مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ» بالعذاب «وَ نَخْزَى» فى جهنم و قيل من قبل أن نذل فى الدنيا بالقتل و الأسر و نخزى فى الآخرة بالعذاب فقطعنا عذرهم بإرسال الرسول فلم يبق لهم متعلق ثم قال سبحانه لنبيه ص «قُلْ» يا محمد «كُلُّ مُتَرَبِّصٍ» أى كل واحد منا و منكم منتظر فنحن ننتظر وعد الله لنا فيكم و أنتم تتربصون بنا الدوائر «فَتَرَبَّصُوا» أنتم أى انتظروا و هذا على وجه التهديد «فَسَيَتَعَلَّمُونَ» أى فسوف تعلمون فيما بعد «مَنْ أَصْحَابُ الصُّرَاطِ السَّوِيِّ» أى أهل الدين المستقيم «وَ مَنِ اهْتَدَى» إلى طريق الحق أى أ نحن أم أنتم و فى قوله سبحانه «وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ» الآيه دلالة على وجوب اللطف لأنه سبحانه بين أنه إنما بعث الرسول إليهم لطفًا لهم و أنه لو لم يبعثه لكان لهم الحجة عليه فكان فى البعثه قطع العذر و إزاحه العله و بالله التوفيق.

## (٢١) سورة الأنبياء مكيه و آياتها اثنتا عشره و مائه (١١٢)

### أشاره

### [توضيح]

مكيه كلها و هي مائه و اثنتا عشره آيه كوفى و إحدى عشره آيه فى الباقيين.

### اختلفها

آيه واحده ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ كوفى.

### فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الأنبياء حاسبه الله حسابا يسيرا و صافحه و سلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من قرأ سورة الأنبياء حبا لها كان ممن رافق النبيين أجمعين فى جنات النعيم و كان مهيبا فى أعين الناس حياه الدنيا.

### تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة طه بذكر الوعيد و افتتح هذه السوره بذكر القيامه فقال:

ص: ٦٢

## إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ  
وَ أَسْرَوْا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَ فَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ  
وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤)

بَلْ قَالُوا أَضْغَاتٌ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِالْبَيِّنَاتِ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ (٥)

## القراءة

قرأ حمزه و الكسائي و حفص قال رَبِّي بالألف و الباقون قل ربي.

## الحج

من قرأ «قال» فإنه على إضافه القول إلى الرسول و الخبر عنه و من قرأ قل فإنه على الخطاب.

## الإعراب

«مِنْ ذِكْرٍ» في موضع رفع و من مزیده. «مِنْ رَبِّهِمْ» صفة لذكر فيجوز أن يكون في موضع جر على لفظه و يجوز أن يكون في موضع رفع على محل الجار و المجرور.

«اسْتَمَعُوهُ» في محل نصب على الحال بإضمار قد و تقديره ما يأتيهم ذكر رباني إلا مستمعا. «وَ هُمْ يَلْعَبُونَ» حال من الواو و في استمعوه. «لاهيَةً قُلُوبُهُمْ» حال من الواو في «يَلْعَبُونَ» و إن شئت كان حالا بعد حال و قوله «وَ أَسْرَوْا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» موضع الذين ظلموا يجوز أن يكون رفعا على وجوه (أحدها) أن يكون على البدل من الواو في أسروا (و الثاني) أن يكون مرفوعا على الذم فيكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين ظلموا (و الثالث) أن يكون فاعل أسروا على لغة من يقول أكلوني البراغيث و تكون الواو في أسروا حرفا لعلامه الجمع كالتاء في قالت و لا يكون اسما و يجوز أن يكون في موضع نصب على الذم بإضمار أعنى.

## المعنى

«اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ» اقترب افتعل من القرب و المعنى اقترب للناس وقت حسابهم يعني القيامة كما قال «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» أي دنا وقت محاسبه الله إياهم و مسألتهم عن نعمه هل قابلوها بالشكر و عن أوامره هل امتثلوها و عن نواهيها هل اجتنبوها و إنما وصف ذلك بالقرب لأنه آت و كل ما هو آت قريب و لأن أحد أشرط الساعه مبعث رسول الله ص

فقد قال بعثت أنا و الساعه كهاتين

و أيضا فإن الزمان يقرب بكثره ما مضى و قله ما بقى فيكون يسيرا بالإضافه إلى ما مضى «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ» من دنوها و كونها «مُعْرَضُونَ» عن التفكير فيها و التأهب لها و قيل عن الإيمان بها و تضمنت الآية الحث على الاستعداد ليوم القيامة «ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مَنْ رَبَّهُمْ» يعنى القرآن «مُخِيَدٌ» أى محدث التنزيل مبتدأ التلاوه كنزول سوره و آيه بعد آيه «إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ» أى لم يستمعوه استماع نظر و تدبر و قبول و تفكر و إنما استمعوه استماع لعب

ص: ٦٣

و استهزاء و قال ابن عباس معناه يستمعون القرآن مستهزئين غافله قلوبهم عما يراد بهم «وَأَسِيرُوا النَّجْوَى» أى تناجوا فيما بينهم يعنى المشركين ثم بين من هم فقال «الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى أشركوا بالله ثم بين سبحانه سرهم الذى تناجوا به فقال «هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ» أى أنه آدمى مثلكم ليس مثل الملائكة «أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» أى أفتقبلون السحر و أنتم تعلمون أنه سحر نفرؤا الناس عنه بشيئين (أحدهما) أنه بشر (و الآخر) أن ما أتى به سحر و قيل إن أسروا معناه أظهروا هذا القول فإن هذا اللفظ مشترك بين الإخفاء و الإظهار و الأول أصح ثم أمر سبحانه نبيه فقال «قَالَ» يا محمد «رَبِّى» الذى خلقنى و اصطفانى «يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» أى يعلم أسرار المتناجين لا يخفى عليه شىء من ذلك «وَ هِيَ السَّمِيعُ» لأقوالهم «الْعَلِيمُ» بأفعالهم و ضمائرهم «بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ» بل للإضراب عما حكى سبحانه أنهم قالوه أولا و للإخبار عما قالوه ثانيا أى قالوا إن القرآن تخاليط أحلام رآها فى المنام عن قتاده «بَلْ افْتِرَاءٌ» أى ثم قالوا لا بل افتراه أى تخرصه و افتعله «بَلْ هُوَ شَاعِرٌ» أى ثم قالوا بل هو شاعر و هذا قول المتحير الذى بهره ما سمع فمره يقول سحر و مره يقول شعر و مره يقول حلم و لا يجوز على أمر واحد و هذه مناقضه ظاهره «فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ» معناه فليأتنا بآيه ظاهره يستدركها الخاص و العام كما أتى بها الأولون من الأنبياء قال ابن عباس بآيه مثل الناقه و العصا و قال الزجاج اقترحوا بالآيات التى لا يكون معها إمهال و فى قوله سبحانه «ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُخِدَّتٍ» دلالة ظاهره على أن القرآن محدث لأنه تعالى أراد بالذكر القرآن بدلاله قوله «وَ هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ» و قوله «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» و قد وصفه بأنه محدث و يوضحه قوله «إِلَّا اسْتَمَعُوهُ».

## إشارة

ما آمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦) وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَ مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَـدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ مَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعِيدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَ مَنْ نَشَاءُ وَ أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠)

## القراءة

قرأ «نوحى» بالنون حفص عن عاصم و الباقون يوحى و قد تقدم ذكره فى سورة يوسف (عليه السلام).

## الإعراب

«أَهْلَكْنَاهَا» فى موضع الجر لأنه صفة قريه جسدا واحدا بمعنى الجمع أى و ما جعلناهم أجسادا بمعنى ذوى أجساد و لذلك قال لا يأكلون و تقديره غير آكلين الطعام «وَ مَنْ نَشَاءُ» فى موضع نصب عطفا على هم من قوله «فَأَنْجَيْنَاهُمْ».

## المعنى

لما تقدمت الحكايه عن الكفار بأنهم اقترحوا الآيات قال سبحانه مجيبا لهم «ما آمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا» أى لم يؤمن قبل هؤلاء الكفار من أهل قريه جاءتهم الآيات التى طلبوها فأهلكناهم مصرين على الكفر «أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ» عند مجيئها هذا إخبار عن حالهم و إن سييلهم سبيل من تقدم من الأمم طلبوا الآيات فلم يؤمنوا بها و أهلكوا فهؤلاء أيضا لو أتاهم ما اقترحوه لم يؤمنوا و لاستحقوا عذاب الاستئصال و قد حكم سبحانه فى هذه الآيه أن لا يعذبهم عذاب الاستئصال فلذلك لم يجبهم فى ذلك و قيل ما حكم الله سبحانه بهلاك قريه إلا و فى المعلوم أنهم لا يؤمنون فلذلك لم يأت هؤلاء بالآيات المقترحه «وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ» يا محمد «إِلَّا رِجَالًا» هذا جواب لقولهم ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ و المعنى لم نرسل قبلك يا محمد إلا رجلا من بنى آدم «نُوْحِي إِلَيْهِمْ» لا ملائكه لأن الشكل إلى الشكل أميل و به آنس و عنه أفهم و من الأنفه منه أبعده «فَسِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» اختلف فى المعنى بأهل الذكر على أقوال

فروى عن على (عليه السلام) أنه قال نحن أهل الذكر و روى ذلك عن أبى جعفر (عليه السلام)

و يعضده أن الله تعالى سمى النبى ص ذكرا رسولا فى قوله «ذِكْرًا رَسُولًا» و قيل أهل الذكر أهل التوراه و الإنجيل عن الحسن و قتاده و قيل هم أهل العلم بإخبار من مضى من الأمم و قيل هم أهل القرآن و الذكر هو القرآن و هم العلماء بالقرآن عن ابن زيد «وَ مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَـدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ مَا كَانُوا خَالِدِينَ» أى باقين لا يموتون هذا رد لقولهم ما لهذا الرسولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَ يَمْسَى فِي الْأَسْوَاقِ و معناه و ما جعلنا الأنبياء قبلك أجسادا لا يأكلون الطعام و لا يموتون حتى يكون أكلك الطعام و شربك و موتك عله فى ترك الإيمان بك فإننا لم نخرجهم عن حد البشريه بالوحى قال الكلبى الجسد المجسد الذى فيه الروح و يأكل و يشرب فعلى هذا يكون ما يأكل و يشرب جسما و قال مجاهد الجسد ما لا يأكل و لا يشرب فعلى هذا يكون ما يأكل و يشرب



نفساً «ثُمَّ

ص: ٦٥

صِدْقَانَهُمُ الْوَعْدَ» أى صدقناهم الوعد بأن العاقبه الحميده تكون لهم و معناه أنجزنا ما وعدناهم به من النصر و النجاه و الظهور على الأعداء و ما وعدناهم به من الثواب «فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ» أى فأنجيناهم من أعدائهم و أنجينا معهم من نشاء من المؤمنين بهم «وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ» على أنفسهم بتكذيبهم الأنبياء قال قتاده المسرفين هم المشركون و هذا تخويف لكفار مكه ثم ذكر نعمته عليهم بإنزال القرآن فقال «لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ» يا معشر قريش «كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ» أى فيه شرفكم إن تمسكنم به كقوله «وَإِنَّهُ لَعِذْرٌ لَّكَ وَ لِقَوْمِكَ» و قيل هو خطاب للعرب لأنه أنزل القرآن بلغتهم و قيل هو خطاب لجميع المؤمنين لأن فيه شرفا للمؤمنين كلهم و قيل إن معناه فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم و دنياكم عن الحسن و قيل فيه ذكر مكارم الأخلاق و محاسن الأفعال لتمسكوا بها «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» ما فضلتم به على غيركم و قيل معناه أ فلا تتدبرون فتعلمون أن الأمر على ما قلناه.

## اشاره

وَ كَمْ قَصَبْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَ أَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسِينَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْمَكُ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥)

وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِأَعِينٍ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَا لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَ لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)

## اللغة

القصم الكسر يقال قصمه يقصمه و هو قاصم الجبار و الإنشاء الإيجاد و نظيره الاختراع و الإبداع و الركض العدو بشده الوطء و ركض دابته ضربها برجله حتى تعدو و ارتكاض الصبي اضطرابه فى الرحم و الترفه النعمه و المترفه المتنعم و الزاهق من الأضداد يقال للهالك زاهق و للسامين من الدواب زاهق و زهقت نفسه تزهق زهوقا أى تلفت و الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ يقال دمغه يدمغه إذا أصاب دماغه و منه فى صفة النبي ص الدماغ جيشات الأباطيل و الاستحسار الانقطاع من الإعياء يقال بعير حسير أى معى و أصله من قولهم حسر عن ذراعيه فالمعنى أنه كشف قوته بإعياء و جمال حسرى قال علقمه بن عبده:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فيبيض و أما جلدها فصليب

. الإعراب

كم فى موضع نصب بأنه مفعول «قَصَبْنَا مِنْهَا» و «مِنْ قَرْيَةٍ» فى موضع نصب على التمييز و يجوز أن يكون صفة لكم و التقدير كثيرا من القرى قصمنا. إذا ظرف مكان العامل فيه «يَرْكُضُونَ» و تلك فى موضع رفع اسم زالت و «دَعْوَاهُمْ» فى موضع نصب خبر زالت و جاز أن يكون دعواهم اسما و تلك خبرا. «إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ» أى ما كنا فاعلين و يجوز أن تكون أن للشرط أى إن كنا ممن يفعل ذلك و لسنا ممن يفعله اتخذناه من لدنا و «مَنْ عِنْدَهُ» مبتدأ و «لَا يَسْتَكْبِرُونَ» خبره و يجوز أن يكون «وَمَنْ عِنْدَهُ» معطوفا على «مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ» فيكون لا يستكبرون فى موضع الحال فالمعنى غير مستكبرين و كذا لا يستحسرون و يسبحون و لا يفترون كلها أحوال على هذا.

## المعنى

ثم بين سبحانه ما فعله بالمكذبين فقال «وَ كَمْ قَصَبْنَا مِنْهَا» أى أهلكتنا «مِنْ قَرْيَةٍ» عن مجاهد و السدى و قيل عذبنا عن الكلبي «كَانَتْ ظَالِمَةً» أى كافرته يعنى أهلها «وَ أَنْشَأْنَا» أى أوجدنا «بَعْدَهَا» أى بعد إهلاك أهلها «قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسَبُوا» أى فلما أدركوا بحواسهم «بَأَسِينَا» أى عذابنا «إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ» معناه إذا هم من القرية أو من العقوبه يهربون سراعا هرب المنهزم من عدوه

«لا- تَرْكُضُوا» أى يقال لهم تقريعا و توييخا لا- تهربوا «وَ ارْجِعُوا إِلَى مَا أَتْرَفْتُمْ فِيهِ وَ مَسَاكِينَكُمْ» أى و ارجعوا إلى ما نعمتم فيه و إلى مساكينكم التى كفرتم و ظلمتم فيها و قيل إنهم لما أخذتهم السيوف انهزموا مسرعين فقالت لهم الملائكة بحيث سمعوا النداء لا تركضوا و ارجعوا إلى ما خولتم و نعمتم فيه و ارجعوا إلى

ص: ٦٧

مساكنكم و قال ابن قتيبه معناه إلى نعمكم التي أترفتمكم و مساكنكم لعلمكم تسألون شيئا من دنياكم و المعنى أن الملائكة استهزأت بهم فقالت لهم ارجعوا إلى نعمكم و مساكنكم «لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ» شيئا من دنياكم فإنكم أهل ثروه و نعمه يقولون ذلك استهزاء بهم هذا قول قتاده و قيل لعلمكم تسألون أى يسألكم رسولكم أن تؤمنوا كما سئل قبل نزول العذاب بكم و هذا استهزاء بهم أيضا أى لا سبيل إلى هذا فتدبروا الأمر قبل حلوله و قيل لكى تسألوا عن أعمالكم و عن تنعمكم فى الدنيا بغير الحق و عما استحققتكم به العذاب عن الجبائى و أبى مسلم «قالوا» على سبيل التندم لما رأوا العذاب «يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» لأنفسنا حيث كذبنا رسل ربنا و المعنى أنهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب و الويل الوقوع فى الهلكه «فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ» أى لم يزالوا يقولون يا ويلنا و تلك دعواهم «حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا» أى محصودا مقطوعا «خَامِدِينَ» ساكنى الحركات ميتين كما تخدم النار إذا انطفأت و المعنى استأصلناهم بالعذاب و أهلكتناهم عن الحسن و قيل بالسيف و هو قتل بخت نصر لهم عن مجاهد و قيل نزلت فى قريه باليمن قتلوا نبيا لهم يقال له حنظله فسلط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم و سباهم و نكافهم حتى خرجوا من ديارهم منهزمين فبعث الله ملائكة حتى ردوهم إلى مساكنهم فقتل صغارهم و كبارهم حتى لم يبق لهم اسم و لا رسم «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ» بل خلقناهما لغرض صحيح و هو أن يكون دلاله و نعمه و تعريضا للشواب «لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخِذْنَا مِنْ لَدُنَّا» اللهو المرأة عن الحسن و مجاهد و قيل هو الولد عن ابن عباس و قيل معناه اللهو الذى هو داعى الهوى و نازع الشهوه و المعنى لو اتخذنا نساء أو ولدا لاتخذناه من أهل السماء و لم نتخذه من أهل الأرض يريد لو كان ذلك جائزا عليه لم يتخذه بحيث يظهر لهم و يسر ذلك حتى لا يطلعوا عليه و قد أحسن ابن قتيبه فى شرح اللهو هنا فقال التفسيران فى اللهو متقاربان لأن امرأه الرجل لهوه و ولده لهوه و لذلك يقال امرأه الرجل و ولده ريحانتاه و أصل اللهو الجماع كنى عنه باللهو كما كنى عنه بالسر ثم قيل للمرأة لهو لأنها تجامع قال امرؤ القيس:

ألا زعمت بسباسبه اليوم أننى كبرت و أن لا يحسن اللهو أمثالى

و تأويل الآيه أن النصرارى لما قالت فى المسيح و أمه ما قالت قال الله عز و جل «لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ» صاحبه و ولدا كما تقولون لاتخذنا ذلك من عندنا و لم نتخذ من عندكم لأنكم تعلمون أن ولد الرجل و زوجته يكونان عنده لا عند غيره «إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ» أى ما كنا فاعلين عن قتاده و مجاهد و ابن جريج و قيل معناه إن كنا فاعلين ذلك لاتخذناه من عندنا

بحيث لا- يصل علمه إليكم عن الجبائي «يَلُ نَقْدِفُ بِأَلْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ» معناه بل نورد الأدله القاهره على الباطل و قيل نرمى بالحجه على الشبهه و قيل بالإيمان على الكفر «فَيَدْمَعُهُ» أى يعلوه و يبطله و قيل يهلكه «فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ» أى هالك مضمحل عن قتاده و تأويله أن الله سبحانه يظهر الحق بأدلته و يبطل الباطل فكيف يفعل الباطل و اللعب «وَأَلَّكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ» أى الهلاك لكم يا معشر الكفار مما تصفون الله تعالى به من اتخاذ صاحبه و الولد «وَأَلَّهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» ملكا و ملكا و خلقا و هذا رد أيضا على من أثبت له الولد و الشريك أى و كيف يجوز عليه اتخاذ الشريك و الولد «وَمَنْ عِنْدَهُ» يعنى الملائكه الذين لهم عند الله تعالى المنزله كما يقال عند الأمير كذا و كذا من الجند و إن كانوا متفرقين فى الأماكن و لا يراد بذلك قرب المسافه «لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ» أى لا يأنفون و لا يترفعون عن عبادته و أراد بذلك نفس النبوءه عنهم لأن أحدا لا يستعبد ابنه «وَلَا يَسْتَحْسِبُونَ» أى لا- يعيرون عن قتاده و السدى و قيل لا- يملون عن ابن زيد و قيل لا ينقطعون مأخوذ من البعير الحسير المنقطع بالإعياء «يُسَيِّبُونَ» أى ينزهون الله تعالى عن جميع ما لا يليق بصفاته على الدوام «اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» أى فى الليل و النهار «لَا يَفْتُرُونَ» أى لا يضعفون عنه قال كعب جعل لهم التسييح كما جعل لكم النفس فى السهوله.

## النظم

اتصل قوله وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بما تقدم من ذكر هلاك الكفار فبين سبحانه أنه لم يهلكهم إلا بالاستحقاق لأنه سبحانه تعالى خلقهم للعباده فلما كفروا جازاهم بكفرهم و لو لا- ذلك لكان خلق السماوات و الأرض و ما بينهما لعبا لأن خلقهما إنما هو لأجل المكلفين و خلق المكلف إنما هو لتعريض الثواب و وجه اتصال قوله «مَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ» بما قبله أن هؤلاء الذين وصفتموهم بأنهم بنات الله هم عبيد الله على أتم وجوه العبوديه و ذلك يبطل معنى الولاده لأن الولاده لا تكون إلا مع المجانسه.

## إشارة

أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْسِقُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ (٢٣) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤) وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رِسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)

وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا- يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا- يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَ مِنْ يَقُولُ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَ فَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)

## القراءة

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «إِلَّا نُوحِي» بالنون و الباقون يوحى و قرأ ابن كثير أ لم ير بغير واو و كذلك هو فى مصاحف مكة و الباقون «أ و لم يروا» بالواو و فى الشواذ قراءه الحسن و ابن محيصن الحق بالرفع «فَهُمْ مُعْرِضُونَ» و قراءه الحسن أيضا و عيسى الثقفى رتقا بفتح التاء.

## الحج

وجه النون أنه أشبه بما تقدم من قوله «وَمَا أَرْسَلْنَا» و الياء فى المعنى كالنون و الوجه فى قراءه الحسن الحق بالرفع الاستئناف فإن الوقف فى هذه القراءة على قوله «لَا يَعْلَمُونَ» و التقدير هذا الحق أو هو الحق فيحذف المبتدأ و يوقف على الحق ثم يستأنف فيقال «فَهُمْ مُعْرِضُونَ» لأن أكثرهم لا- يعلمون و الوجه فى قوله رتقا بفتح التاء أنه قد كثر مجىء المصدر على فعل و اسم المفعول منه على فعل مفتوح العين و ذلك كالنفض و النفض و الطرد و الطرد فالرتق على هذا يكون للشئ المرتوق كما أن النفض المنفوض و الهدم المهذوم فقراءه الجماعة «رَتْقًا» بسكون التاء كأنه مما وضع من المصادر موضع اسم المفعول كالصيد بمعنى المصيد و الخلق بمعنى المخلوق.

«أَمْ اتَّخَذُوا» أم هذه هي المنقطعة و ليست المعادله لهمزه الاستفهام فى مثل قولك أزيد عندك أم عمرو و قوله «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» إلا هذه صفه لآلهه و تقديره غير الله عما يفعل ما هذه الأجود أن تكون مصدرية و يحتمل أن تكون اسما.

### المعنى

ثم عاد سبحانه إلى توبيخ المشركين فقال «أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ» هذا استفهام معناه الجحد أى لم يتخذوا آلهه من الأرض «هُمْ يُنْشِرُونَ» أى يحيون الأموات عن مجاهد يقال أنشر الله الموتى فنشروا أى أحياهم فحيوا و هو من النشر بعد الطى لأن المحيا كأنه كان مطويا بالقبض عن الإدراك فأنشر بالحياء و المعنى فى ذلك أن هؤلاء إذا كانوا لا يقدرون على الإحياء الذى من قدر عليه قدر على أن ينعم بالنعم التى يستحق بها العباده فكيف يستحقون العباده قال الزجاج و من قرأ ينشرون بفتح الياء فمعناه لا يموتون أبدا و يبقون أحياء أى لا يكون ذلك و أقول قد يجوز أن يكون ينشرون و ينشرون بمعنى يقال نشر الله الميت بمعنى أنشر ثم ذكر سبحانه الدلاله على توحيده و أنه لا يجوز أن يكون معه إله سواه فقال «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» و معناه لو كان فى السماء و الأرض آلهه سوى الله لفسدتا و ما استقامتا و فسد من فيهما و لم ينتظم أمرهم و هذا هو دليل التمانع الذى بنى عليه المتكلمون مسأله التوحيد و تقرير ذلك أنه لو كان مع الله سبحانه إله آخر لكانا قديمين و القدم من أخص الصفات فالاشتراك فيه يوجب التماثل فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين و من حق كل قادرين أن يصح كون أحدهما مريدا لصد ما يريد الآخر من إماته و إحياء أو تحريك و تسكين أو إفقار و إغناء و نحو ذلك فإذا فرضنا ذلك فلا يخلو إما أن يحصل مرادهما و ذلك محال و إما أن لا- يحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين و إما أن يقع مراد أحدهما و لا يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول قادرا فإذا لا- يجوز أن يكون الإله إلا واحدا و لو قيل إنهما لا يتمانعان لأن ما يريده أحدهما يكون حكمه فيريده الآخر بعينه و الجواب أن كلامنا فى صحه التمانع لا فى وقوع التمانع و صحه التمانع يكفى فى الدلاله لأنه يدل على أنه لا بد من أن يكون أحدهما متناهى المقدور فلا يجوز أن يكون إلها ثم نزه سبحانه نفسه عن أن يكون معه إله فقال «فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» و إنما خص العرش لأنه أعظم المخلوقات و من قدر على أعظم المخلوقات كان قادرا على ما دونه «لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْأَلُونَ» معناه أن جميع أفعاله حكمه و صواب و لا يقال للحكيم لم فعلت الصواب و هم يسألون لأنهم يفعلون الحق و الباطل و قيل معناه أنه لا يسأل عن ادعاء الربوبية و هم مسؤلون إذا ادعوا و يدل على هذا التأويل النظم و السياق و قيل معناه لا يحاسب على أفعاله و هم يحاسبون على أفعالهم و قيل معناه أنه لا يسأله الملائكه و المسيح



عن فعله و هو يسألهم و يجازيهم فلو كانوا آله لم يسألوا عن أفعالهم «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً» و هذا استفهام إنكار و تويخ أيضا «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» أى قل لهم يا محمد هاتوا حججتكم على صحة ما فعلتموه لأنهم لا يقدرّون على ذلك أبدا و فى هذا دلالة على فساد التقليد لأنه طالبهم بالحجة على صحة قولهم و البرهان هو الدليل المؤدى إلى العلم «هذا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي» أى و قل لهم يا محمد هذا القرآن ذكر من معى بما يلزمهم من الأحكام و ذكر من قبلى من الأمم ممن نجا بالإيمان أو هلك بالكفر عن قتاده و قيل هذا ذكر من معى بالحق فى إخلاص الإلهية و التوحيد فى القرآن و على هذا ذكر من قبلى فى التوراه و الإنجيل عن الجبائى. قال لأن القرآن ذكر أتاه الله و من معه و التوراه و الإنجيل ذكر تلك الأمم و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) يعنى بذكر من معى من معه و ما هو كائن و بذكر من قبلى ما قد كان

و قيل إن معناه فى القرآن خبر من معى على دينى ممن يتبعنى إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة و العقاب على المعصية و ذكر ما أنزل الله من الكتب قبلى فانظروا هل فى واحد من الكتب أن الله أمر باتخاذ إله سواه فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود سواه من حيث الأمر به و قال الزجاج قل لهم هاتوا برهانكم بأن رسولا من الرسل أتى أمته بأن لهم إله غير الله فهل فى ذكر من معى و ذكر من قبلى إلا توحيد الله و يدل على صحة هذا قوله فيما بعد «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» فلما توجهت الحجة عليهم ذمهم سبحانه على جهلهم بمواضع الحق فقال «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ» عن التأمل و التفكير و اختص الأَكْثَرُ منهم لأن فيهم من آمن «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «مِنْ رَسُولٍ» أى رسولا- و من زيده «إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ» نحن أو يوحى إليه أى يوحى الله إليه ب «أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا» أى لا- معبود على الحقيقة «إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» أى فوجهوا العبادة إلى دون غيرى «وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا» يعنى من الملائكة «سُبْحَانَهُ» نزه نفسه عن ذلك لأن اتخاذ الولد لا يخلو أما أن يكون على سبيل التوالد أو على سبيل التبنى و كلاهما لا يجوز عليه لأن الأول يقتضى أن يكون من قبيل الأجسام و الثانى و هو التبنى يكون بأن يقيم غير ولده مقام ولده و إذا كان حقيقه الولد مستحيلا منه فالمشبه به كذلك و ليس ذلك كخاله لأنه من الاختصاص و حقيقته جائزه عليه «بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ» أى ليسوا أولاد الله كما يزعمون بل هم عباد مكرمون أكرمهم الله و اصطفاهم «لَا يَسْتَبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ» أى لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم فكل أقوالهم طاعة لربهم و ناهيك بذلك جلاله قدرهم «وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» و من كان بهذه الصفة لا يوصف بأنه ولده «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ» أى ما قدموا من أعمالهم و ما أخرجوا منها يعنى ما عملوا و ما هم عاملون «وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ

ارْتَضَى» الله دينه و قال مجاهد إلا لمن رضى الله عنه و قيل إنهم أهل شهادته أن لا إله إلا الله عن ابن عباس و قيل هم المؤمنون المستحقون للثواب و حقيقته أنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله أن يشفع فيه فيكون فى معنى قوله مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ «وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ» أى من خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى المفعول «مُشْفِقُونَ» خائفون وجلون من التقصير فى عبادته «وَمَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ» أى من يقل من هؤلاء الملائكة إني إله تحق لى العباده من دون الله «فَمَذَلِكُ» أى فذلك القائل «نَعْجِزِيهِ جَهَنَّمَ» يعنى إن حالهم مثل حال سائر العبيد فى استحقاق الوعيد و قيل إنه عنى به إبليس لأنه الذى دعا الناس إلى عبادته عن ابن جريج و قتاده و قيل إن هذا لا يصح لأن الله سبحانه علق الوعيد بالشرط و لأن إبليس ليس من الملائكة عند الأكثرين «كَذَلِكَ نَعْجِزِي الظَّالِمِينَ» يعنى المشركين الذين يصفون الله بما لا يليق به و فى هذه الآية دلالة على أن الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات على ما قاله بعضهم و أنهم مكلفون «أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا» استفهام يراد به التقرير و المعنى أ و لم يعلموا أنه سبحانه الذى يفعل هذه الأشياء و لا يقدر عليها غيره فهو الإله المستحق للعباده دون غيره «أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» تقديره كانتا ذواتى رتق فجعلناهما ذواتى فتق و المعنى كانتا ملتزقتين منسدتين ففصلنا بينهما بالهواء عن ابن عباس و الحسن و الضحاك و عطاء و قتاده و قيل كانت السماوات مرتتقه مطبقة ففتقناها سبع سماوات و كانت الأرض كذلك ففتقناها سبع أرضين عن مجاهد و السدى و

قيل كانت السماء رتقا لا تمطر و كانت الأرض رتقا لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر و الأرض بالنبات عن عكرمه و عطيه و ابن زيد و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا» أى و أحينا بالماء الذى نزله من السماء كل شىء حى و قيل و خلقنا من النطفه كل مخلوق حى عن أبى العالبيه و الأول أصح

و روى العياشى بإسناده عن الحسن بن علوان قال سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن طعم الماء فقال له سل تفقها و لا تسأل تعتنا طعم الماء طعم الحياه قال الله سبحانه «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا»

و قيل معناه و جعلنا من الماء حياه كل ذى روح و نماء كل نام فيدخل فيه الحيوان و النبات و الأشجار عن أبى مسلم «أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» أى أفلا يصدقون بالقرآن و بما يشاهدون من الدليل و البرهان.

النظم

وجه اتصال الآيه الأولى بما قبلها أنه سبحانه قال فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ هل أرسلنا قبلك إلا رجالا و هل اتخذوا آلهه من الأرض أى من الحجر و المدر و الخشب فإن كله من الأرض عن أبى مسلم و قيل إنه يتصل بقوله «لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا» و المعنى أنهم أضافوا إليه الولد و أضافوا إليه الشريك و وجه اتصال قوله «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ» بما قبله أنه لما بين

التوحيد عطف عليه بيان العدل وقيل إنه يتصل بقوله اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ والحساب هو السؤال عما أنعم الله عليهم به و هل قابلوا نعمه بالشكر أم قابلوها بالكفر عن أبي مسلم و وجه اتصال قوله «هذا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي» بما قبله أن ما قدمنا ذكره من التوحيد و العدل مذكور في القرآن و في الكتب السالفه.

## [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٣١ الى ٣٥]

### اشاره

وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَ جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَافًا مَحْفُوظًا وَ هُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) وَ مَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَ إِنَّا تُرْجِعُونَ (٣٥)

### اللغه

الرواسى الجبال رست ترسو رسوا إذا ثبتت بثقلها فهي راسيه كما ترسو السفينه إذا وقفت متمكنه فى وقوفها و الميـد الاضطراب بالذهاب فى الجهات و الفج الطريق الواسع بين الجبلين و الفلك أصله كل شىء دائر و منه فلكه المغزل و يقال فلكك ثدى المرأه تفليكا إذا استدار و السباحه و العوم و السبح و الجرى بمعنى.

### الإعراب

«أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ» فى موضع نصب بأنه مفعول له و تقديره كراهه أن تميد بكم أو حذار أن تميد و من قال أن لا هنا مضمرة و التقدير لأن لا تميد فلا وجه لقوله و «سُبُلًا» بدل من فجاج لأن الفج هو السبيل «كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» جملة اسميه فى موضع الحال و فى يتعلق بيسبحون «أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ» شرط و جزاء دخلت الفاء فى الشرط و فى الجزاء و قوله «فِتْنَةٌ» مفعول له و المعنى للفتنه و يجوز أن يكون مصدرًا فى موضع الحال أى نبلوكم فاتنين و يجوز أن يكون منصوبًا على المصدر لأن البلاء بمعنى الفتنة.

### المعنى

ثم بين سبحانه كمال قدرته و شمول نعمته بأن قال «وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ» أى جبالا ثوابت تمنع الأرض من الحركة و الاضطراب «أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ» أى تتحرك

و تميل و تضطرب بهم و قيل لتستقر عن قتاده «وَجَعَلْنَا فِيهَا» أى فى الرواسى «فِجَاجًا» أى طرفا واسعه بينها لو لا ذلك لما أمكن أن يهتدوا إلى مقاصدهم فى الأسفار ثم بين الفجاج فقال «سُبُيْلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» بها إلى طريق بلادهم و مواطنهم و قيل ليهتدوا بالاعتبار بها إلى دينهم «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سِدْقًا مَّحْفُوظًا» أى رفعا السماء فوق الخلق كالسقف محفوظا من الشياطين بالشهب التى ترمى بها كما قال وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ عن الجبائى و قيل محفوظا من أن تسقط كما قال إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا الْآيَةَ وَ قِيلَ مَحْفُوظًا مِنْ أَنْ يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهَا بِنَقْضٍ أَوْ أَنْ يَحْلِقَهَا بَلَى أَوْ هَدَمَ عَلَى طَوْلِ الدَّهْرِ عَنِ الْحَسَنِ «وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا» أى عن الاستدلال بما فيها من دلائل الحدوث و الحاجة إلى المحدث «مُعْرِضُونَ» أى أعرضوا عن التفكير فيها «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» أى يجرون و قيل يدورون و أراد الشمس و القمر و النجوم لأن قوله «اللَّيْلَ» يدل على النجوم و قال ابن عباس يسبحون بالخير و الشر بالشده و الرخاء و قيل معناه أنه سبحانه جعل لكل واحد منهما فلكا يدور فيه بسرعه كالسباحه و إنما قال «يَسْبَحُونَ» لأنه أضاف إليها فعل العقلاء كما قال وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ رَأْيُهُمْ لِي سَاجِدِينَ وَ قال النابغه الجعدى:

تمزتها و الديك يدعو صياحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

ثم قال سبحانه «وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «الْخُلْدَ» أى دوام البقاء فى الدنيا «أَفَإِنْ مِتَّ» أنت على ما يتوقعونه و ينتظرونه «فَهُمُ الْخَالِدُونَ» أى أفهم يخلدون بعدك يعنى مشركى مكه حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فقال لئن مت فإنهم أيضا يموتون فأى فائده لهم فى تمنى موتك «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» أى لا بد لكل نفس حيه بحياء أن يدخل عليها الموت و تخرج عن كونها حيه «وَ نَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ» أى نعاملكم معاملة المختبر بالفقر و الغنى و بالضرء و السراء و بالشده و الرخاء عن ابن عباس و قيل بما تكرهون و ما تحبون ليظهر صبركم على ما تكرهون و شكركم فيما تحبون عن ابن زيد و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) مرض فعاده إخوانه فقالوا كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال بشر قالوا ما هذا كلام مثلك قال إن الله تعالى يقول «وَ نَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً» فالخير الصحه و الغنى و الشر المرض و الفقر

و قال بعض الزهاد الشر غلبه الهوى على النفس و الخير العصمه عن المعاصى «فِتْنَةً» أى ابتلاء و اختبار أو شده تعبد «وَ إِيْنَا تُرْجَعُونَ» أى إلى حكمتنا تردون للجزاء بالأعمال حسننها و سيئها.

يتصل قوله «وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ» بما ذكر سبحانه من خلق الأشياء فإنه بين أنه لم يخلقها للخلود وإنما خلقها ليتوصل بها إلى نعيم الآخرة فلا بد لكل إنسان من الموت والرجوع إلى الجزاء عن القاضى.

### [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

#### إشاره

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أ هَذَا الَّذِي يَذُكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦) خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا عَنْ نُصُؤَرِهِمْ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسِيءُ تَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٤٠)

#### اللغه

الهزاء إظهار خلاف الإبطان لايهام النقص عن فهم القصد يقال هزأ منه يهزأ هزواً فهو هازئ و مثله السخرية و يقول العرب ذكرت فلانا أى عبته قال عنتره

لا تذكرى مهري و ما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجر

و العجله تقديم الشىء قبل وقته و هو مذموم و السرعه تقديم الشىء فى أقرب أوقاته و هو محمود و الاستعجال طلب الشىء قبل وقته الذى حقه أن يكون فيه دون غيره.

#### الإعراب

«وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا» لَأَنَّ مَعْنَاهُ اتَّخَذُوا هُزُوًا وَقَوْلُهُ «أ هَذَا الَّذِي يَذُكُرُ آلِهَتَكُمْ» تَقْدِيرُهُ قَائِلِينَ أ هَذَا الَّذِي يَذُكُرُ آلِهَتَكُمْ فَحَذَفَ قَائِلِينَ وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ كَمَا حَذَفَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ أَى قَائِلِينَ مَا نَعْبُدُهُمْ وَ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ «بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ» يَتَّخِذُونَ بِقَوْلِهِ «كَافِرُونَ»

فقوله «حِينَ لَا يَكْفُونَ» يجوز أن يكون مفعولا- به ل «يَعْلَمُ» و يجوز أن يكون ظرفا له فيكون مفعول يعلم محذوفا تقديره لو يعلمون الأمر حين لا- يكفون و جواب لو محذوف و تقديره لا-نتهوا «بَعْتَهُ» نصب على الحال من المفعول تقديره بل تأتيهم مبعوتين مفاجئين و يجوز أن يكون حالا من الفاعل و هو الضمير المستكن في تأتي و التقدير بل تأتيهم باغته مفاجئه.

## المعنى

ثم خاطب نبيه ص و قال «وَ إِذَا رَأَىكَ» أى إذا رأى يا محمد «الَّذِينَ كَفَرُوا» و أنت تعيب آلهم و تدعوهم إلى التوحيد «إِنْ يَتَّخِذُونَكَ» أى ما يتخذونك «إِلَّا هُزُؤًا» أى سخرية يقول بعضهم لبعض «أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ آلِهَتَكُمْ» أى يعيب آلهم و ذلك قوله إنها جماد لا ينفع و لا يضر «وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ» أى بتوحيده و قيل بكتابه المنزل «هُمْ كَافِرُونَ» أى جاحدون عجب الله سبحانه نبيه ص منهم حيث جحدوا الحى المنعم القادر العالم الخالق الرازق و اتخذوا ما لا ينفع و لا يضر ثم إن من دعاهم إلى تركها اتخذوه و هم أحق بالهزء عند من يدبر حالهم «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ» قيل فيه قولان (أحدهما) أن المعنى بالإنسان آدم ثم إنه قيل فى عجل ثلاث تأويلات منها أنه خلق بعد خلق كل شىء آخر نهار يوم الجمعة و هو آخر أيام السنه على سرعه معاجلا به غروب الشمس عن مجاهد و منها أن معناه فى سرعه من خلقه لأنه لم يخلقه من نطفه ثم من علقه ثم من مضغه كما خلق غيره و إنما أنشأه إنشاء فكأنه سبحانه نبه بذلك على الآيه العجيبه فى خلقه و منها أن آدم (عليه السلام) لما خلق و جعلت الروح فى أكثر جسده و ثب عجلان مبادرا إلى ثمار الجنة و قيل

هم بالوثوب فهذا معنى قوله «مِنْ عَجَلٍ» عن ابن عباس و السدى و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و القول الثانى أن المعنى بالإنسان الناس كلهم ثم اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن معناه خلق الإنسان عجولا أى خلق على حب العجله فى أمره عن قتاده و أبى مسلم و الجبائى قال يعنى أنه يستعجل فى كل شىء يشتهي و للعرب عادته فى استعمالهم هذا اللفظ عند المبالغه يقولون لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلق إلا من نوم و بكثرة وقوع الشر منه ما خلق إلا من شر و منه قول الخنساء فى وصف البقره

"فإنما هي إقبال و إدبار"

(و ثانيها) أنه من المقلوب و المعنى خلقت العجله من الإنسان عن أبى عبيده و قطرب و هذا ضعيف لأنه مع حمل كلامه تعالى على القلب يحتاج إلى تأويل فلا فائده فى القلب (و ثالثها) أن العجل هو الطين عن أبى عبيده و جماعه و استشهدوا بقول الشاعر

و النبع ينبت بين الصخر ضاحيه و النخل تنبت بين الماء و العجل

و رواه ثعلب

"و النبع فى الصخره الصماء منبته"

فعلى هذا يكون كقوله وَ بَدَأَ خَلْقَ



الإنسان مِنْ طِينٍ (و رابعها) أن معناه خلق الإنسان من تعجيل من الأمر لأنه تعالى قال إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ عن أبي الحسن الأخفش «سَأُرِيكُمْ آيَاتِي» الداله على وحدانيتي و على صدق محمد ص فيما يوعدكم به من العذاب «فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ» في حلول العذاب بكم فإنه سيدر ككم عن قريب قال ابن عباس في روايه عطاء يريد به النضر ابن الحرث و هو الذى قال «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ» الآية و يريد بقوله «سَأُرِيكُمْ آيَاتِي» القتل يوم بدر «وَيَقُولُونَ» يعنى و يقول المشركون للمسلمين «مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» الذى تعدوننا يريدون وعد القيامة «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أى و يقولون إن كنتم صادقين فى هذا الوعد فمتى يكون ذلك ثم قال سبحانه «لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ» أى لو علموا الوقت الذى لا يدفعون فيه عذاب النار عن وجوههم «وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ» يعنى أن النار تحيط بهم من جميع جوانبهم «وَلَا هُمْ يُنصِرُونَ» و جواب لو محذوف و تقديره لعلموا صدق ما وعدوا به و لما استعجلوا و لا قالوا متى هذا الوعد ثم قال «بَلْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ «بَغْتَةً» أى فجأه «فَتَبْهَتُهُمْ» أى فتحيرهم «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا» أى فلا يقدرّون على دفعها «وَلَا هُمْ يُنظِرُونَ» أى لا يؤخرون إلى وقت آخر و لا يمهلون لتوبه أو معذره.



## إشارة

وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤١) قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤) قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥)

## القراءة

قرأ ابن عامر ولا تسمع بضم التاء الصم بالنصب و الباقون «وَلَا يَسْمَعُ» بفتح الياء «الصُّمُّ» بالرفع.

## الحج

الوجه في قراءة ابن عامر أنه وجه الخطاب إلى النبي ص فكأنه قال ولا تسمع أنت يا محمد الصم كما قال وما أنت بمُسمعٍ من في القبور لأن الله تعالى لما خاطبهم فلم يلتفتوا إلى ما دعاهم إليه صاروا بمنزلة الميت الذي لا يسمع ولا يعقل ووجه قراءة الباقين أنه جعل الفعل لهم ويقويه قوله «إِذَا مَا يُنذَرُونَ».

## اللغة

الكلاءه الحفظ قال ابن هرمة:

إن سلمي والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

و الفرق بين السخريه و الهزه إن في السخريه معنى طلب الذله لأن التسخير التذليل فأما الهزه فيقتضى طلب صغر القدر بما يظهر في القول.

## الإعراب

«أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ» أم هذه هي المنقطعه و تقديره بل لهم آلهه و «لَا يَسْتَطِيعُونَ» جملة مستأنفه لأنها لا تستقيم أن تكون صفة لآلهه و لا حالا عنها لأن الله وصفها بقوله «تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا» على زعمهم و لا يستطيعون ضد هذه الصفه.

## المعنى

لما تقدم ذكر استهزاء الكفار بالنبي و المؤمنين سلى الله سبحانه نبيه ص عند ذلك بقوله «وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ» كما استهزأ هؤلاء «فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» أى حل بهم وبال استهزائهم و سخريتهم و قوله «مِنْهُمْ» يعنى من الرسل قل يا محمد لهؤلاء الكفار «مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ» أى يحفظكم من بأس الرحمن و عذابه و قيل من

عوارض الآفات و هو استفهام معناه النفي تقديره لا- حافظ لكم من الرحمن «بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ» أى بل هم عن كتاب ربهم معرضون لا- يؤمنون به و لا يتفكرون فيه و قيل معناه إنهم لا يلتفتون إلى شىء من المواعظ و الحجج ثم قال على وجه التوبيخ لهم و التقرير «أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا» تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا و عقوباتنا و تم الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال «لَا يَسْتِطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ» فكيف ينصروهم و قيل معناه إن الكفار لا يستطيعون نصر أنفسهم و لا يقدرون على دفع ما ينزل بهم عن

نفوسهم «وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ» أى ولا الكفار يجارون من عذابنا عن ابن عباس قال ابن قتيبة أى لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب الجار يقول العرب صحبك الله أى حفظك الله وأجارك وقيل يصحبون أى ينصرون ويحفظون عن مجاهد وقيل لا يصحبون من الله بخير عن قتاده «بَيْلٌ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ» فى الدنيا بنعمها فلم نعالجهم بالعقوبه «حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ» أى طالت أعمارهم فغرم طول العمر وأسباب الدنيا حتى أتوا ما أتوا «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا» أى ألم ير هؤلاء الكفار أن الأرض نأتيها أمرنا فننقصها بتخريبها وموت أهلها و

قيل بموت العلماء و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

قال نقصانها ذهاب عالمها وقيل معناه ننقصها من أطرافها بظهور النبى على من قاتله أرضا فأرضا و قوما فقوما فيأخذهم قراهم و أرضيهم عن الحسن و قتاده و معناه أنا ننقصها من جانب المشركين و زيدها فى جانب المسلمين «أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ» أى أ فهؤلاء الغالبون أم نحن و معناه ليسوا بغالبيين و لكنهم المغلوبون و رسول الله الغالب و قد تقدم تفسير هذه الآيه فى سورة الرعد «قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» أى قل يا محمد إنما أنذركم من عذاب الله و أخوفكم بما أوحى الله إلى «وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ» شبههم بالصم الذين لا يسمعون النداء إذا نودوا لأنهم لم ينتفعوا بالسمع و المعنى أنهم يستثقلون القرآن و سماعه و ذكر الحق فهم فى ذلك بمنزلة الأصم الذى لا يسمع «إِذَا مَا يُنذَرُونَ» أى يخوفون النظم إنما اتصل قوله «أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ» بقوله «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ» و تقديره أفهم الخالدون أم لهم آلهه تمنع نفوسهم من الموت و مما ينزل الله بهم عن أبى مسلم و قيل اتصل بقوله «مَنْ يَكْلُوهُمْ» أى أم لهم آلهه تكلؤهم و تمنعهم و وجه اتصال قوله «قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» بما قبله إنه اتصل بقوله «قُلْ مَنْ يَكْلُوهُمْ» و تقديره لو تفكروا لعلموا أنه لا عاصم من الله و إن فيما أنذركم به من القرآن أعظم الآيات و الحجج و قيل إنه اتصل بما تقدم من العظه بحال من مضى من الأمم و المعنى أن ذلك و جميع ما يعظمهم به من الوحي.

## إشارة

وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦) وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ وَ ضِيَاءً وَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَ هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٠)

## القراءة

قرأ أبو جعفر و نافع مثقال حبه بالرفع و فى لقمان مثله و الباقون بالنصب و قرأ آتينا بها بالمد ابن عباس و جعفر بن محمد و مجاهد و سعيد بن جبیر و العلاء بن سيبه و الباقون «آتينا» بالقصر.

## الحج

وجه النصب و إن كان الظلامه مثقال حبه و هذا أحسن لتقدم قوله «فلا- تُظلم نفس شيئاً» فإذا ذكر تظلم فكأنه ذكر الظلامه كقولهم من كذب كان شراله و وجه الرفع أنه أسند الفعل إلى مثقال كما أسند فى قوله «وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ» أى ذا عسره و كذلك قول الشاعر

" إذا كان يوم ذو كواكب أشهباً "

و من قرأ آتينا فهو فاعلنا فهو من أتى يأتى موأته عن ابن جنى و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال معناه جازينا بها

و على هذا فيجوز أن يكون من أفعلنا و يكون مفعول آتينا محذوفاً و تقديره آتيناها بها للجزاء.

## اللغة

النفحة الوقعه اليسيره تقع بهم يقال نفح نفح نفحا و نفح الطيب ينفح فله نفحه طيبه و نفحت الدابه إذا رمت بحافرها فضربت به و نفحه بالسيف إذا تناوله من بعيد و أما حديث شريح أنه أبطل النفع من نفع الدابه فالمعنى أنه كان لا يلزم صاحبها شيئاً و القسط العدل و هو مصدر يوصف به و التقدير و نضع الموازين ذوات القسط.

## الإعراب

شيئاً انتصب على أنه مفعول ثانٍ لتظلم و يجوز أن يكون منصوباً على المصدر أى لا تظلم نفس ظلماً و من رفع مثقال حبه فإن كان تكون تامه و من نصب فإن كان ناقصه و اسمها الضمير المستكن فيها العائد إلى شىء «وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ» قال الزجاج انتصب قوله «حاسبين» على التمييز أو على الحال و دخلت الباء فى بنا لأنه خبر فى معنى الأمر و المعنى اكتفوا بالله حسيباً و قد

روى عن ابن عباس أنه قرأ ضياء بغير واو و يكون على هذا منصوبا على الحال من «الْفُرْقَان» و يجوز أن يكون مفعولا له و بالواو يكون عطفا على الفرقان و تكون الواو داخله على ضياء و إن كان صفه فى المعنى دون اللفظ كما تدخل على الصفه التى هى صفه لفظا قال سيويه إذا قلت مررت بزويد و صاحبك و زويد هو الصاحب جاز و لو قلته بالفاء لم يجز كما جاز بالواو لأن الفاء يقتضى التعقيب و تأخير الاسم عن المعطوف عليه

بخلاف الواو و «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ» في محل جر لأنه صفة للمتقين و يجوز أن يكون في محل نصب أو رفع على المدح و «بِالْغَيْبِ» في محل نصب على الحال.

## المعنى

لما تقدم الإنذار بالعذاب ذكر عقبيه «وَلِئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ» أى أصابهم طرف عن ابن عباس و قيل قليل عن ابن كيسان و قيل نصيب عن ابن جريج و قيل بعض ما يستحقونه من العقوبة عن أبى مسلم «مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» أى يدعون بالويل و الثبور عند نزوله ثم قال سبحانه «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِيطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى نضع الموازين ذوات القسط ليوم القيامة و قيل معناه نحضر الموازين التى لا جور فيها بل كلها عدل و قسط لأهل يوم القيامة أو فى يوم القيامة و قال قتاده معناه نضع العدل فى المجازاة بالحق لكل أحد على قدر استحقاقه فلا يخس المثاب بعض ما يستحقه و لا يفعل بالمعاقب فوق ما يستحقه و قد سبق الكلام فى الميزان فى سورة الأعراف «فَلَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا» أى لا ينقص من إحسان محسن و لا يزداد فى إساءه مسيء «وَأِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا» أى جئنا بها و المراد أحضرناها للمجازاة بها «وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ» أى عالمين حافظين و ذلك إن من حسب شيئا علمه و حفظه عن ابن عباس و قيل محصين و الحسب العد عن السدى «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ» أى أعطيناهما التوراه يفرق بين الحق و الباطل عن مجاهد و قتاده و قيل البرهان الذى فرق به بين حق موسى و باطل فرعون و قيل هو فلق البحر «وَ ضِيَاءٌ» أى و آتيناها ضياء و هو من صفة التوراه أيضا مثل قوله «فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ» و المعنى أنهم استضاءوا بها حتى اهتدوا فى دينهم «وَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ» يذكرونه و يعملون بما فيه و يتعظون بمواعظه ثم وصف المتقين فقال «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ» أى فى حال الخلوه و الغيبه عن الناس و قيل فى سرائرهم من غير رياء «وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ» أى من القيامة و أهوالها «مُشْفِقُونَ» أى خائفون «وَ هَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ» أراد به القرآن أنه ذكر ثابت نافع دائم نفعه إلى يوم القيامة و قيل سماه مباركاً لوفور فوائده من المواعظ و الزواجر و الأمثال الداعيه إلى مكارم الأخلاق و الأفعال لما وصف التوراه أتبعه ذكر القرآن الذى آتاه نبينا ص «أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ» استفهام على معنى التوبيخ أى فلما ذا تنكرونه و تجحدونه مع كونه معجزاً.

## النظم

وجه اتصال قصه موسى و هارون بما قبلها أنه لما تقدم ذكر الوحى بين عقبيه إن إنزال القرآن على نبيه ليس ببدع فقد أنزل على موسى و هارون التوراه و قيل اتصل بقوله «وَ لَقَدْ اسْتَبْهَرُوا بِرُسُلِهِ مِنْ قَبْلِكَ» و المعنى أن هؤلاء كما أنهم استهزءوا بك مع أنا أنزلنا

إليك الكتاب فكذلك قد أنزلنا موسى و هارون الكتاب فكذبوهما و استهزءوا بهما.

## [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٥١ الى ٦٠]

### إشاره

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥)

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جَذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَٰ هَذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠)

### القراءة

قرأ الكسائي جذاذا بكسر الجيم و الباقون بضمها و فى الشواذ قراه ابن عباس و أبى السماك بفتح الجيم.

### الحجج

قال أبو حاتم فيه لغات جذاذا و جذاذا و أجودها الضم كالحطام و الرفات من جذذت الشىء إذا قطعه قال النابغه:

تجذ السلوقى المضاعف نسجه و يوقدن بالصفاح نار الحباب

و قال جرير:

بنو المهلب جذ الله دابرهـم أمسوا رمادا فلا أصل ولا طرف

. المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من قصه موسى و هارون بقصه إبراهيم (عليه السلام) فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا أَى أَعْطَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ» يعنى الحجج التى توصله إلى الرشد من معرفه الله و توحيده و قيل معناه هداه أى هديناه صغيرا عن قتاده و مجاهد و قيل هو النبوه «مِنْ قَبْلِ» أى من قبل موسى و قيل من قبل محمد ص و القرآن و قيل من قبل بلوغه «وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ» أنه أهل لإيتاء الرشد و صالح للنبوه «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ» حين رآهم يعبدون الأصنام «ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون» و العامل فى إذ قوله «آتينا» أى آتينا رشده فى ذلك الوقت و التمثال اسم للشىء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله و أصله من مثلت الشىء بالشىء إذا شبهته به و اسم ذلك الممثل تمثال و جمعه تماثيل و قيل إنهم جعلوها أمثله لعلمائهم الذين انقضوا و قيل إنهم جعلوها أمثله للأجسام العلويه و المعنى ما هذه الصور التى أنتم مقيمون على عبادتها و

روى العياشى بإسناده عن الأصبع بن نباته أن عليا (عليه السلام) مر بقوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون لقد عصيتم الله و رسوله

«قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ» فافتدنا بهم اعترفوا بالتقليد إذ لم يجدوا حجه لعبادتهم إياها سوى اتباع الآباء «قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» أى فى ذهاب عن الحق ظاهر ذمهم على تقليد الآباء و نسبهم فى ذلك إلى الضلال «قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ» معناه أ جاد أنت فيما تقول محق عند نفسك أم لاعب مازح و إنما قالوا ذلك لاستبعادهم إنكار عباده الأصنام عليهم إذ ألفوا ذلك و اعتادوه «قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ» أى بل إلهكم إله السماوات و الأرض الذى خلقهن و ابتدأهن فدل على الله سبحانه بصنعه «وَ أَنَا عَلَى ذَلِكَُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» و معنى هذه الشهاده تحقيق الأخبار و الشاهد الدال على الشىء عن مشاهده إبراهيم (عليه السلام) شاهد بالحق لأنه دال عليه بما يرجع إلى ثقته المشاهده ثم أقسم إبراهيم (عليه السلام) فقال «وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ» أى لأدبرن فى بابهم تدييرا خفيا يسؤكم ذلك و قيل إنما قال ذلك فى سر من قومه و لم يسمع ذلك إلا رجل منهم فأفشاه عن قتاده و مجاهد «بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ» أى بعد أن تنطلقوا ذاهبين قالوا كان لهم فى كل سنه مجمع و عيد إذا رجعوا منه دخلوا على الأصنام و سجدوا لها فقالوا لإبراهيم (عليه السلام) ألا تخرج معنا فخرج فلما كان ببعض الطريق قال اشتكى رجلى و انصرف «فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا» أى فجعل أصنامهم قطعاً قطعاً عن

ص: ٨٤



قتاده و قيل حطاما عن ابن عباس «إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ» تركه على حاله و يجوز أن يكون كبيرهم فى الخلقه و يجوز أن يكون أكبرهم عندهم فى التعظيم قالوا جعل يكسرهم بفأس فى يده حتى لم يبق إلا- الصنم الكبير علق الفأس فى عنقه و خرج «لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ» أى لعلمهم يرجعون إلى إبراهيم فيسألونه عن حال الأصنام لينبهم على جهلهم و قيل لعلمهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه و هو لا- ينطق فيعلمون جهل من اتخذوه إلها و فى الكلام هاهنا حذف تقديره فلما رجع قومه من عيدهم فوجدوا أصنامهم مكسره «قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ» من هذه الموصولة تقديره الذى فعل هذا بالهيتا فإنه ظالم لنفسه لأنه يقتل إذا علم به و قيل إنهم قالوا من فعل هذا استفهموا عن صنع ذلك و أنكروا عليه فعله بقولهم «إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ» إذ فعل ما لم يكن له أن يفعله «قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» أى قال الرجل الذى سمع من إبراهيم قوله «لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ» للقوم ما سمعه منه فقالوا سمعنا فتى يذكرهم بسوء و قيل إنهم قالوا سمعنا فتى يعيب آلهتنا و يقول إنها لا تضر و لا تنفع و لا تبصر و لا تسمع فهو الذى كسرها و على القول الأول فإنما قالوا سمعنا فتى و إن لم يسمعه كما يقال سمعت الله يقول أو سمعت الرسول يقول إذا بلغك عنه رساله على لسان ثقه صدوق و قوله «يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» ارتفع إبراهيم على وجهين (أحدهما) يقال له هو إبراهيم و المعروف به إبراهيم و على النداء أى يقال له يا إبراهيم عن الزجاج.

## إشارة

قَالُوا فَآتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥)

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَف لَكُمْ وَ لِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَ انصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَ أَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)

## اللغة

النكس هو أن يجعل أسفل الشيء أعلاه و منه النكس في العله و هو أن يرجع إلى أول حاله و منه النكس و هو السهم فوقه فيجعل أعلاه أسفله و يقال للمائق أيضا نكس تشبيهاً بذلك.

## الإعراب

«عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ» في موضع الحال أي مرثياً مشهوداً «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا» من وقف على فعله ففاعله مضموم و تقديره فعله من فعله و «كَبِيرُهُمْ» مبتدأ و هذا خبره و من لم يقف على فعله فكبيرهم فاعله و هذا يكون صفه لكبيرهم أو بدلا عنه و جواب الشرط الذي هو قوله «إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ» محذوف يدل عليه قوله «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ» على الوجه الثاني و يقتضى أن يكون للشرط جزاءان على هذا و الجزء الثاني معطوف على الأول التقدير إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا فسألوهم و المعنى إن لم يقدرُوا على النطق لم يقدرُوا على الفعل.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه ما جرى بين إبراهيم و قومه في أمر الأصنام بقوله «قَالُوا» يعني قوم إبراهيم «فَأْتُوا بِهِ» أي فجيئوا به «عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ» أي بحيث يراه الناس و يكون بمشهد منهم «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه بما فعل عن الحسن و قتاده و السدي قالوا كرهوا أن يأخذوه بغير بينه و قيل معناه لعلهم يشهدون عقابه و ما يصنع به أي يحضرونه عن ابن إسحاق و الضحاك «قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ» المعنى فلما جاءوا به قالوا له هذا القول مقررين له على ذلك فأجابهم إبراهيم (عليه السلام) بأن «قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ» اختلفوا في معناه و تقديره على وجوه (أحدها) أنه مقيد بقوله «إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ» و التقدير فقد فعله كبيرهم إن نطقوا فسألوهم فقد علق الكلام بشرط لا يوجد فلا يكون كذبا و يكون كقول القائل فلان صادق فيما يقول إن لم يكن فوقنا سماء (و ثانيها) إنه خرج مخرج الخبر و ليس بخبر إنما هو إلزام يدل عليه الحال فكأنه قال ما ينكرون أن يكون فعله كبيرهم هذا و الإلزام يأتي تارة بلفظ السؤال و تارة بلفظ الأمر و تارة بلفظ الخبر و ربما يكون أحد هذه الأمور أبلغ فيه و وجه الإلزام إن هذه الأصنام إن كانت آلهة كما تزعمون فإنما فعل ذلك بهم كبيرهم لأن

غير الإله لا يقدر أن يكسر الآلهة (و ثالثها) إن تقديره فعله من فعله على ما تقدم ذكره و هو قول

ص: ٨٦

الكسائي و أما ما ذكر فيه أنه أراد به الخبر عن الكبير و قال أنه غضب من أن يعبد معه الصغار فكسرهن و ما روى في ذلك من أن إبراهيم (عليه السلام) كذب ثلاث كذبات قوله إني سقيم و قوله «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ» و قوله في ساره لما أراد الجبار أخذها و كانت زوجته أنها أختي فمما لا يعول عليه فقد دلت الأدلة العقلية التي لا تحتمل التأويل على أن الأنبياء لا يجوز عليهم الكذب و إن لم يقصدوا به غرورا و لا ضررا كما لا يجوز عليهم التعمية في الأخبار و لا التقيه لأن ذلك يؤدي إلى التشكك في أخبارهم و كلام إبراهيم (عليه السلام) يجوز أن يكون من المعاريض فقد أبيض ذلك عند الضرورة و قد صح

عن النبي ص أنه قال إن الكذب لا يصلح في جد و لا هزل

و قد قيل في تفسير قوله إني سقيم إن معناه أني سأسقم لأنه لما نظر إلى بعض علم النجوم وقت نوبه حمى كانت تأتيه فقال إني سأسقم و قيل معناه إني سقيم عندكم فيما أدعوكم إليه و سنذكر الكلام فيه في موضعه و أما قوله في ساره أنها أختي فإنما أراد في الدين قال سبحانه إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ و قد دل الدليل العقلي على أن الكذب قبيح لكونه كذبا فلا يحسن على وجه من الوجوه «فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ» معناه فرجع بعضهم إلى بعض و قال بعضهم لبعض أنتم الظالمون حيث تعبدون ما لا يقدر على الدفع عن نفسه و ما نرى الأمر إلا كما قال و قيل معناه فرجعوا إلى عقولهم و تدبروا في ذلك إذ علموا صدق إبراهيم فيما قاله و حاروا عن جوابه فأنطقهم الله بالحق فقالوا إنكم أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤاله و هذه آلهتكم حاضره فاسألوها «ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُؤُسِهِمْ» إذ تحيروا و علموا أنها لا تنطق ثم اعترفوا بما هو حجه عليهم فقالوا «لَقَدْ عَلِمْتُمْ يَا إِبْرَاهِيمَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ» فكيف نسألهم فأجابهم إبراهيم بعد اعترافهم بالحجه «قَالَ أَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَ لَا يَضُرُّكُمْ» أي أفتوجهون عبادتكم إلى الأصنام التي لا تنفعكم شيئا إن عبدتموها و لا تضركم إن تركتموها لأنها لو قدرت على نفعكم و ضرركم لدفعت عن أنفسها من دون الله سبحانه الذي يقدر على ضرركم و نفعكم على أنه ليس كل من قدر على الضرر و النفع استحق العبادة و إنما يستحقها من قدر على أصول النعم التي هي الحياه و الشهوه و القدره و كمال العقل و قدر على الثواب و العقاب ثم قال إبراهيم (عليه السلام) مهجنا لأفعالهم مستقدرا لها «أَفْ لَكُمْ وَ لِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ» قال الزجاج معنى أف لكم تبا لأعمالكم و أفعالكم و قد ذكرنا اختلاف القراء فيه و ما قيل في تفسيره في سورة بنى إسرائيل «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أي أ فلا تتفكرون بعقولكم في أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة «قَالُوا حَرِّقُوهُ» و المعنى فلما سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض حرقوه بالنار «وَ انصُرُوا آلِهَتَكُمْ» أي و ادفعوا عنها

و عظموها «إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ» أى إن كنتم ناصريها و المعنى فلا تنصرونها إلا بتحريقه بالنار قال ابن عمر و مجاهد إن الذى أشار بتحريق إبراهيم بالنار رجل من أكراد فارس فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة و قال وهب إنما قاله نمرود و فى الكلام حذف قال السدى فجمعوا الحطب حتى أن الرجل منهم ليمرض فيوصى بكذا و كذا من ماله فيشتري به حطب و حتى أن المرأه لتغزل فتشتري به حطبا حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم فى النار لم يدروا كيف يلقونه فجاء إبليس فدلهم على المنجنيق و هو أول منجنيق صنعت فوضعه فيها ثم رموه «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ» معناه فلما جمعوا الحطب و ألقوه فى النار قلنا للنار ذلك و هذا مثل فإن النار جماد لا يصح خطابها و المراد أنا جعلنا النار بردا عليه و سلامه لا يصيبه من أذاها شىء كما قال سبحانه و تعالى كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ و المعنى أنه صيرهم كذلك لا أنه خاطبهم و أمرهم بذلك و قيل يجوز أن يتكلم الله سبحانه بذلك و يكون ذلك صلاحا للملائكة و لطفًا لهم و ذكر فى كون النار بردا على إبراهيم وجوه (أحدها) إن الله سبحانه أحدث فيها بردا بدلا من شدة الحرارة التى فيها فلم تؤذها (و ثانيها) إن الله سبحانه حال بينها و بينه فلم تصل إليه (و ثالثها) إن الإحراق إنما يحصل بالاعتمادات التى فى النار صعدا فيجوز أن يذهب سبحانه تلك الاعتمادات و على الجملة فقد علمنا إن الله سبحانه منع النار من إحراقه و هو أعلم بتفاصيله قال أبو العالیه لو لم يقل سبحانه «وَ سَلَامًا» لكانت تؤذيه من شدة بردها و لكان بردها أشد عليه من حرها فصارت سلاما عليه و لو لم يقل «عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ» لكان بردها باقيا على الأبد و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) لما أجلس إبراهيم فى المنجنيق و أرادوا أن يرموا به فى النار أتاه جبرائيل (عليه السلام) فقال السلام عليك يا إبراهيم و رحمه الله و بركاته أ لك حاحه فقال أما إليك فلا فلما طرحوه دعا الله فقال يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد فحسرت النار عنه و أنه لمحتب و معه جبرائيل (عليه السلام) و هما يتحدثان فى روضه خضراء

و

روى الواحدى بالإسناد مرفوعا إلى أنس بن مالك عن النبى ص قال إن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم (عليه السلام) فى النار نزل إليه جبرائيل (عليه السلام) بقميص من الجنة و طنفسة من الجنة فألبسه القميص و أقعده على الطنفسة و قعد معه يحدثه

تمام الخبر و قال كعب ما أحرقت النار من إبراهيم (عليه السلام) غير وثاقه و قيل إن إبراهيم (عليه السلام) ألقى فى النار و هو ابن ست عشره سنه «وَ أَرَادُوا بِهِ كَيْدًا» معناه إن الكفار أرادوا بإبراهيم (عليه السلام) كيدا أى شرا و تدبيرا فى إهلاكه «فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ» قال ابن عباس هو أن سلط الله على نمرود و خيله البعوض حتى

أخذت لحومهم و شربت دماءهم و وقعت واحده فى دماغه حتى أهلكته و المعنى أنهم كادوه أرادوا أن يكيدوه بسوء فانقلب عليهم ذلك.

## [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٧١ الى ٧٥]

### إشاره

وَ نَجَّيْنَاهُ وَ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كَلَّا- جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣) وَ لُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْتَقِيمِينَ (٧٤) وَ أَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)

### اللغه

النافله العطييه الخاصه و النفل الذى يجر الحمد فيما زاد على حد الواجب و منها النافله للصلاه و هى الفضل على الفرائض و قيل النافله الغنيمه قال

" لله نافله الأعز الأفضل "

### الإعراب

«نَافِلَةً» نصب على الحال من «يَعْقُوبَ» و قيل أنه نصب على المصدر من «وَهَبْنَا» و تقديره وهبنا له هبه و «يَهْدُونَ» صفة لائمه و مفعولاه محذوفان تقديره يهدون الناس الطريق و حذف التاء من إقامه لأن الإضافه عوض عنها و لا يجوز ذلك فى غير الإضافه لا- يقال أقام إقاما كما يقال إقامه و «لُوطًا» منصوب بفعل مضمّر يفسره هذا الظاهر تقديره و آتينا لوطا آتيناه إلا أنه إذا ذكر المحذوف لم يذكر الموجود و النصب فى لوطا أحسن لتكون الجملة فعليه معطوفه على جملة فعليه و «فَاسْتَقِيمِينَ» يجوز أن يكون منصوبا بكونه صفة ل «قَوْمَ سَوْءٍ» و يجوز أن يكون خبر لكان و يكون خبرا بعد خبر.

### المعنى

ثم بين سبحانه تمام نعمته على إبراهيم (عليه السلام) فقال «وَ نَجَّيْنَاهُ» أى من

نمرود و كيدہ و المعنى و رفعناه «وَلُوطًا» من الهلكه و هو ابن أخى إبراهيم فآمن به «إِلَى الْمَارِضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ»  
 اختلف فيها فقبل هي أرض الشام أى نجينا من كوثى إلى الشام عن قتاده قال و إنما قال «بَارَكْنَا فِيهَا» لأنها بلاد خصب و قيل  
 إلى أرض بيت المقدس لأن بها مقام الأنبياء عن الجبائى و قيل نجاهما إلى مكة كما قال إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبِكَّةِ  
 مُبَارَكًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ» أى وهبنا لإبراهيم إسحاق حين سأل الولد فقال رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ «وَيَعْقُوبَ  
 نَافِلَةً» قال ابن عباس و قتاده نافله راجع إلى يعقوب فإنه زاده من غير دعاء فهو نافله و قيل إنه راجع إلى إسحاق و يعقوب جميعا  
 لأنه أعطاهما إياه من غير جزاء و لا استحقاق عن مجاهد «وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ» أى و جعلنا إبراهيم و إسحاق و يعقوب صالحين  
 للنبوه و الرساله و قيل معناه حكمنا بكونهم صالحين و هو غايه ما يوصف به من الثناء الجميل «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً» يقتدى بهم فى  
 أفعالهم و أقوالهم «يَهْتَدُونَ» الخلق إلى طريق الحق و إلى الدين المستقيم «بِأْمْرِنَا» فمن اهتدى بهم فى أقوالهم و أفعالهم فالنعمه لنا  
 عليه «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ» قال ابن عباس شرائع النبوه «وَأَقَامَ الصَّلَاةَ» أى إقامه الصلاه «وَأَيَّاتِ الزَّكَاةِ» أى إعطاء الزكاه  
 «وَأَوْحَيْنَا لَنَا عَابِدِينَ» أى مخلصين فى العباده «وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» و معناه و أعطينا لوطا حكمه و علما و قيل الحكم النبوه  
 و قيل هو الفصل بين الخصوم بالحق أى جعلناه حاكما و علمنا ما يحتاج إلى العلم به «وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ  
 الْخَبَائِثَ» و هى قريه سدوم على ما روى و الخبائث التى كانوا يعملونها هى أنهم كانوا يأتون الذكران فى أدبارهم و يتضارطون  
 فى أنديتهم و قيل هى ما حكى الله تعالى إنكم لتأتون الرجال و تقطعون السبيل و تأتون فى نادىكم المنكر و غير ذلك من  
 القبائح و أراد بالقريه أهلها ثم ذمهم فقال «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسْتَمِينَا» أى خارجين عن طاعه الله تعالى «وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا»  
 أى فى نعمتنا و سنتنا «إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى بسبب أنه من الصالحين الذين أصلحوا أفعالهم فعملوا بما هو الحسن منها دون  
 القبيح و قيل أراد بكونه من الصالحين أنه من الأنبياء.

## إشارة

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَ نَصَرْنَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧) وَ دَاوُدَ وَ سُليْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَ كَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ سَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَ عَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠)

## القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و حفص عن عاصم و روح و زيد عن يعقوب «لِتُحْصِنَكُمْ» بالتاء و قرأ أبو بكر عن عاصم و رويس عن يعقوب لنحصنكم بالنون و الباقون ليحصنكم بالياء.

## الحج

من قرأ بالياء فيجوز أن يكون الفاعل اسم الله لتقدم قوله «عَلَّمْنَاهُ» و يجوز أن يكون اللباس لأن اللبوس بمعنى اللباس و يجوز أن يكون داود و من قرأ بالتاء حمله على المعنى لأنه الدرع مؤنث و من قرأ بالنون فلتقدم قوله علمناه.

## اللغة

النفش بفتح الفاء و سكونها أن تنتشر الإبل و الغنم بالليل فترعى بلا راع و إبل نفاش و اللبوس اسم للسلاح كله عند العرب درعا أو جوشنا أو سيفا أو رمحا قال الهذلي يصف رمحا:

و معى لبوس للبيس كأنه روق بجبهه ذى نعاج مجفل

و قيل هو كل ما يلبس من ثياب و درع و قيل هو الدرع و أصل اللباس من الاختلاط و منه سميت المرأة لباسا و سمي الليل لباسا لأنه يباشر الناس بظلمته و الإحصان الإحراز و أصله من المنع.

## الإعراب

و نوحا معطوف على قوله «إِذْ نَفَسَتْ» ظرف لقوله «يَحْكُمَانِ» و قوله «وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» يجوز أن يكون فى موضع الجر بالعطف على «يَحْكُمَانِ» أى وقت حكمهما فى الحرث و كوننا شاهدين له و يجوز أن يكون فى موضع النصب على الحال و كلا



منصوب لأنه مفعول أول لا تينا و «حُكْمًا» مفعول ثان له «يُسَيَّبُحْنَ» فى موضع نصب على الحال من الجبال «وَ الطَّيْرُ» عطف على الجبال و يجوز أن يكون مفعولا معه و تقديره يسبحن مع الطير فيكون الواو بمعنى مع.

## المعنى

ثم عطف سبحانه قصه نوح و داود على قصه إبراهيم (عليه السلام) و لوط فقال «و نُوحًا إِذْ نَادَى» أى دعا ربه فقال رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْمَأْرُضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا و قَالَ أَنَّى مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ و غير ذلك «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل إبراهيم و لوط «فَأَسَدَّ بَيْنَنَا لَهُ» أى أجبناه إلى ما التمسه «فَنَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ» أى من الغم الذى يصل حره إلى القلب و هو ما كان يلقاه من الأذى طول تلك المدة و تحمل الاستخفاف من السقاط من أعظم الكرب «وَ نَصَّيْرُنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى منعناه منهم بالنصره حتى لم يصلوا إليه بسوء و قيل معناه نصرناه على القوم و من بمعنى على عن أبى عبيده «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوْءٌ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ» صغارهم و كبارهم و ذكورهم و إناثهم «وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ» أى و آتينا داود و سليمان حكما و علما إذ يحكمان و قيل تقديره و اذكر داود و سليمان حين يحكمان فى الحرث فى الوقت الذى نفشت فيه غنم القوم أى تفرقت ليلا «وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» أى بحكمهم عالمين لم يغب عنا منه شىء و إنما جمع فى موضع التشبيه لإضافه الحكم إلى الحاكم و إلى المحكوم لهم و قيل لأن الاثنين جمع فهو مثل قوله «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ» و هو يريد أخوين و اختلف فى الحكم الذى حكما به فقيل أنه زرع وقعت فيه الغنم ليلا فأكلته عن قتاده

و قيل كان كرما و قد بدت عناقيده فحكم داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبى الله قال و ما ذاك قال يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان و يدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان ثم دفع كل واحد منهما إلى صاحبه ماله عن ابن مسعود و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله ع

و قال الجبائى أوحى الله تعالى إلى سليمان بما نسخ به حكم داود الذى كان يحكم به قبل و لم يكن ذلك عن اجتهاد لأنه لا يجوز للأنبياء أن يحكموا بالاجتهاد و هذا هو الصحيح المعول عليه عندنا و قال على بن عيسى و البلخى يجوز أن يكون ذلك عن اجتهاد لأن رأى النبى ص أفضل من رأى غيره فإذا جاز التعبد بالتزام حكم غير النبى ص من طرق الاجتهاد فكيف يمنع من حكم النبى ص على هذا الوجه و الذى يدل على صحه القول الأول أن النبى ص إذا كان يوحى إليه و له طريق إلى العلم بالحكم فلا يجوز أن يحكم بالظن على أن الحكم بالظن و الاجتهاد و القياس قد بين أصحابنا فى كتبهم أنه لم

يتعبد بها في الشرع إلا في مواضع مخصوصه ورد النص بجواز ذلك فيها نحو قيم المتلفات و أروش الجنائيات و جزاء الصيد و القبله و ما جرى هذا المجرى و أيضا فلو جاز للنبي ص أن يجتهد لجاز لغيره أن يخالفه كما يجوز للمجتهدين أن يختلفوا و مخالفه الأنبياء تكون كفرا هذا و قد قال الله سبحانه «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» فأخبر سبحانه أنه إنما ينطق عن جهه الوحي و يقوى ما ذكرناه قوله تعالى «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» أى علمناه الحكومه فى ذلك و قيل إن سليمان قضى بذلك و هو ابن إحدى عشر سنه و

روى عن النبي ص أنه قضى بحفظ المواشى على أربابها ليلا و قضى بحفظ الحرث على أربابه نهارا

«وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» أى و كل واحد من داود و سليمان أعطيناها حكمه و قيل معناه النبوه و علم الدين و الشرع «وَسَيَّخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ» قيل معناه سيرنا الجبال مع داود حيث سار فعبر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآيه العظيمة التى تدعو إلى تسبيح الله و تعظيمه و تنزيهه عن كل ما لا يليق به و كذلك تسخير الطير له تسبيح يدل على إن مسخرها قادر لا يجوز عليه مما يجوز على العباد عن الجبائى و على بن عيسى و قيل إن الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح و كذلك الطير يسبح معه بالغداه و العشى معجزه له عن وهب «وَكُنَّا فَاعِلِينَ» أى قادرين على فعل هذه الأشياء ففعلناها دلالة على نبوته «وَعَلَّمْنَاهُ صَبْرًا لِّبُوسِ لَكُمْ» أى علمناه كيف يصنع الدرع قال قتاده أول من صنع الدرع داود (عليه السلام) و إنما كانت صفائح جعل الله سبحانه الحديد فى يده كالعجين فهو أول من سردها و حلقها فجمعت الخفه و التحصين و هو قوله «لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ» أى ليحرزكم و يمنعكم من وقع السلاح فيكم عن السدى و قيل معناه من حربكم أى فى حاله الحرب و القتال فإن البأس فى اللغه هو شده القتال «فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ» نعم الله تعالى عليكم و على أنبيائه قبلكم و هذا تقرير للخلق على شكره فإن إنعامه على الأنبياء إنعام على الخلق و قيل إن سبب إلامه الحديد لداود (عليه السلام) أنه كان نيبا ملكا و كان يطوف فى ولايته متنكرا يتعرف أحوال عماله و متصرفيه فاستقبله جبرائيل ذات يوم على صوره آدمى فسلم عليه فرد عليه السلام و قال ما سيره داود فقال نعمت السيره لو لا خصله فيه قال و ما هى قال أنه يأكل من بيت مال المسلمين فتكره و أثنى عليه و قال لقد أقسم داود أنه لا يأكل من بيت مال المسلمين فعلم الله سبحانه صدقه فالأن له الحديد كما قال وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ وَ

روى أن لقمان الحكيم حضره فرآه يفعل ذلك فصبر و لم يسأله حتى فرغ من ذلك فقام و لبس و قال نعمت الجنه للحرب فقال لقمان الصمت حكمه و قليل فاعله.

## اشاره

وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَ كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢) وَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ ذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤) وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكُفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥)

وَ أَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)

## اللغة

الرياح هو الجو يشتد تاره و يضعف تاره و هى جسم لطيف منفس يمتنع بلطفه من القبض عليه و يظهر للحس بحركته و العصفوف شده حركه الرياح عصفت تعصف عصفاً و عصفوا إذا اشتدت و العصف التبن لأن الرياح تعصفه بتطيرها له.

## الإعراب

«وَ لِسُلَيْمَانَ» اللام يتعلق بسخرنا و التقدير و سخرنا لداود الجبال و سخرنا لسليمان الرياح «عاصِفَةً» نصب على الحال «تَجْرِي بِأَمْرِهِ» فى موضع الحال أيضا فهو حال بعد حال و يحتمل أن يكون حالا عن الحال التى هى عاصفه و «مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ» له عطف على الرياح «وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ» فى موضع نصب على الحال من سخرنا و ذو الحال «مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ» و يجوز أن يكون حالا من يغوصون له و ذو الحال الواو و معهم فى موضع نصب على أنه صفة بعد صفة تقديره و أهلا- مثلهم كائين معهم و انتصب رحمه بأنه مفعول له.

## المعنى

ثم عطف سبحانه بقصه سليمان على ما تقدم فقال «وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ» أى و سخرنا لسليمان الرياح «عاصِفَةً» أى شديده الهبوب قال ابن عباس إذا أراد أن تعصف الرياح عصفت و إذا أراد أن ترخي أرخيت و ذلك قوله رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ «تَجْرِي بِأَمْرِهِ» أى بأمر سليمان «إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا» و هى أرض الشام لأنها كانت مأواه و قد سبق

ذكرها في هذه السورة وقيل كانت الريح تجرى في الغداه مسيره شهر و في الرواح كذلك و كان يسكن بعلبك و بينى له بيت المقدس و يحتاج إلى الخروج إليها و إلى غيرها و قال وهب و كان سليمان يخرج إلى مجلسه فتعكف عليه الطير و يقوم له الجن و الإنس حتى يجلس على سريره و يجتمع معه جنوده ثم تحمله الريح إلى حيث أراد «وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ» فإنما أعطينا ما أعطينا لما علمناه من المصلحه «وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ» أى و سخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له فى البحر فيخرجون له الجواهر و اللآلى و الغوص النزول إلى تحت الماء «وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ» أى سوى ذلك من الأبنية كالمحاريب و التماثيل و غيرهما «وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ» لثلا يهربوا منه و يمتنعوا عليه و قيل يحفظهم الله من أن يفسدوا ما عملوه عن الفراء و الزجاج «وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ» أى و اذكر يا محمد أيوب حين دعا ربه لما امتدت المحنه به «أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ» أى نالنى الضر و أصابنى الجهد «وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» أى و لا أحد أرحم منك و هذا تعريض منه بالدعاء لإزالة ما به من البلاء و هو من لطيف الكنايات فى طلب الحاجات و مثله قول موسى رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ» أى أجبنا دعاءه و نداءه «فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ» أى أزلنا ما به من الأوجاع و الأمراض «وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَ مَثَلَهُمْ مَعَهُمْ» قال ابن عباس و ابن مسعود

رد الله سبحانه عليه أهله الذين هلكوا بأعيانهم و أعطاه مثلهم معهم و كذلك رد الله عليه أمواله و مواشيه بأعيانها و أعطاه مثلها معها و به قال الحسن و قتاده و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل أنه خير أيوب فاختار إحياء أهله فى الآخرة و مثلهم فى الدنيا فأوتى على ما اختار عن عكرمه و مجاهد قال وهب و كان له سبع بنات و ثلاثه بنين و قال ابن يسار سبعة بنين و سبع بنات «رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا» أى نعمه منا عليه «وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ» أى موعظه لهم فى الصبر و الانقطاع إلى الله تعالى و التوكل عليه لأنه لم يكن فى عصر أيوب أحد أكرم على الله منه فابتلاه بالمحن العظيمه فأحسن الصبر عليها فينبغى لكل عاقل إذا أصابته محنه أن يصبر عليها و لا يجزع و يعلم أن عاقبه الصبر محموده «وَأِسْمَاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكُفْلِ» أى و اذكر هؤلاء الأنبياء و ما أنعمت عليهم من فنون النعمه ثم قال «كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ» صبروا على بلاء الله و العمل بطاعته فأما إسماعيل فإنه صبر ببلد لا زرع به و لا ضرع و قام ببناء الكعبه و أما إدريس فإنه صبر على الدعاء إلى الله و كان أول من بعث إلى قومه فدعاهم إلى الدين فأبوا فأهلكهم الله تعالى و رفعه إلى السماء السادسة و أما ذو الكفل فاختلف فيه فقيل أنه كان رجلا صالحا و لم يكن نبيا و لكنه تكفل لنبى بصوم النهار و قيام الليل و أن لا يغضب و يعمل بالحق فوفى بذلك فشكر الله ذلك له عن أبى موسى الأشعري و قتاده و مجاهد و قيل هو نبى اسمه

ذو الكفل عن الحسن قال و لم يقص الله خبره مفصلاً و قيل هو إلياس عن ابن عباس و قيل كان نبيا و سمي ذا الكفل بمعنى أنه ذو الضعف فله ضعف ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله عن الجبائي و قيل هو اليسع بن خطوب الذي كان مع إلياس و ليس اليسع الذي ذكره الله في القرآن تكفل لملك جبار إن هو تاب دخل الجنة و دفع إليه كتابا بذلك فتاب الملك و كان اسمه كنعان فسمى ذا الكفل و الكفل في اللغة هو الخط و

في كتاب النبوه بالإسناد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنى قال كتبت إلى أبي جعفر (عليه السلام) أسأله عن ذى الكفل و ما اسمه و هل كان من المرسلين فكتب (عليه السلام) أن الله بعث مائة ألف نبي و أربعة و عشرين ألف نبي المرسلين منهم ثلاثمائة و ثلاثه عشر رجلا و إن ذا الكفل منهم و كان بعد سليمان بن داود (عليه السلام) و كان يقضى بين الناس كما يقضى داود (عليه السلام) و لم يغضب قط إلا الله تعالى و كان اسمه عدويا بن أدارين

«وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا» أى و أدخلنا هؤلاء الذين ذكرناهم من الأنبياء فى نعمتنا و أراد غمرناهم بالرحمة و لو قال رحمتنا لما أفاد ذلك بل أفاد أنه فعل بهم الرحمة «إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى إنما أدخلناهم فى رحمتنا لأنهم كانوا ممن صلحت أعمالهم.

## [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٨٧ الى ٩٠]

### إشارة

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)  
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩)  
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَ أَوْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)

### القراءة

قرأ يعقوب فظن أن لن يقدر بضم الياء و الباقون «نَقْدِرَ» بالنون و كسر الدال و قرأ ابن عامر و أبو بكر نجى بنون واحده و تشديد الجيم و الباقون «نُنْجِي» بالنونين.

### الحج

قوله «أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» أن هذه مخففه من الثقيله و تقديره ظن أنه لن نقدر

عليه أى لن نضيق عليه و من قرأ لن يقدر عليه فهو مثل الأول فى المعنى بنى الفعل للمفعول به و أقيم الجار و المجرور مقام الفاعل و من قرأ نجى المؤمنين بنون واحده قال أبو بكر السراج هو وهم لأن النون لا تدغم فى الجيم و إنما خفيت لأنها ساكنه تخرج من الخياشيم فحذفت فى الكتابه و هى فى اللفظ ثابتة قال أبو على و القول فى ذلك إن عاصما ينبغى أن يكون قرأ بنونين و أخفى الثانيه فظن السامع أنه مدغم و كذلك غيره.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه يونس (عليه السلام) فقال «وَذَا النُّونِ» أى و اذكر ذا النون و النون الحوت و صاحبها يونس بن متى «إِذْ ذَهَبَ» أى حين ذهب «مُغَاضِبًا» لقومه عن ابن عباس و الضحاك أى مراغما لهم من حيث أنه دعاهم إلى الإيمان مده طويله فلم يؤمنوا حتى أوعدهم الله بالعذاب فخرج من بينهم مغاضبا لهم قبل أن يؤذن له «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» أى لن نضيق عليه عن عطا و جماعه من المفسرين و قيل ظن أن لن نقضى عليه ما قضينا و القدر بمعنى القضاء عن مجاهد و قتاده و الكلبي و الجبائي قال الجبائي ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر ثم قذف فيه فابتلعتة السمكه و من قال أنه خرج مغاضبا لربه و أنه ظن أن لن يقدر الله على أخذه بمعنى أنه يعجز عنه فقد أساء الثناء على الأنبياء فإن مغاضبه الله كفر أو كبيره عظيمه و تجوز العجز على الله سبحانه كذلك فكيف يجوز ذلك على نبي من أنبياء الله تعالى و قال ابن زيد إنه استفهام معناه التوبيخ و تقديره فظن إن لن نقدر عليه و أنكره على بن عيسى و قال لا يجوز حذف الاستفهام من غير دليل عليه و قد جاء فى كلام العرب حذفه على خلاف ما قاله أنشد النحويون قول عمر بن أبى ربيعه:

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر و الحصى و التراب

أى أ تحبها «فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ» قيل إنها ظلمه الليل و ظلمه البحر و ظلمه بطن الحوت عن ابن عباس و قتاده و قيل كان حوت فى بطن حوت عن سالم بن أبى الجعد «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ» لما أراد السؤال و الدعاء قدم ذكر التوحيد و العدل ثم قال «إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» أى من الذين يقع منهم الظلم و إنما قاله على سبيل الخشوع و الخضوع لأن جنس البشر لا يمتنع منه وقوع الظلم قال الجبائي لم يكن يونس فى بطن الحوت على جهه العقوبه من الله تعالى لأن العقوبه عداوه للمعاقب لكن كان ذلك على وجه التأديب و التأديب يجوز للمكلف و غير المكلف كتأديب الصبي و غيره و بقاؤه فى بطن الحوت حيا

معجزه له «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ» أى من بطن الحوت «وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ» أى ننجيهم إذا دعونا به كما أنجينا ذا النون ثم قال سبحانه «وَزَكَرِيَّا» أى واذكر زكريا «إِذْ نَادَى رَبَّهُ» و دعاه يا «رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا» بغير وارث و لا ولد يعيننى على أمر الدين و الدنيا فى حياتى و يرثنى بعد وفاتى «وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ» هذا ثناء على الله سبحانه بأنه الباقي بعد فناء خلقه و أنه خير من بقى حيا بعد ميت و إن الخلق كلهم يموتون و يبقى هو سبحانه «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى»

روى الحرث بن المغيرة قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) إني من أهل بيت قد انقرضوا و ليس لى ولد فقال ادع و أنت ساجد رَبِّ هَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ «رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ» قال ففعلت فولد لى على و الحسين

«وَ أَضَلَّحْنَا لَهُ زَوْجَهُ» بأن كانت عقيمه فجعلناها ولودا عن قتاده و قيل كانت هرمه فرددنا عليها شبابها عن أبى مسلم و قيل كانت سيئه الخلق فجعلناها حسنه الخلق «إِنَّهُمْ» يعنى زكريا و يحيى و قيل معناه أن الأنبياء الذين تقدم ذكرهم «كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» أى يبادرون إلى الطاعات و العبادات «وَ يَدْعُونَنا رَغَبًا وَ رَهَبًا» أى للرغبة و الرهبة رغبة فى الثواب و رهبة من العقاب و قيل راغبين و راهبين عن الضحاك و قيل رغبا ببطون الألف و رهبا بظهور الألف «وَ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» أى متواضعين عن ابن عباس و قيل الخشوع المخافة الثابتة فى القلب عن الحسن و قيل معناه أنهم قالوا حال النعمة اللهم لا تجعلها استدراجا و حال السيئه اللهم لا تجعلها عقوبه بذنوب سلف منا و فى قوله سبحانه «يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» دلالة على أن المسارعة إلى كل طاعه مرغب فيها و على أن الصلاة فى أول الوقت أفضل.

## [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٩١ الى ٩٥]

### إشارة

وَ الَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَ جَعَلْنَاهَا وَ ابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١) إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَ إِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٤) وَ حَرَامٌ عَلَى قَرْبِهِ أَهْلُكِنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥)

قرأ حمزه والكسائي وأبو بكر وحرم بكسر الحاء بغير ألف والباقون «وَحَرَامٌ» وهو قراءة الصادق (عليه السلام) وفي الشواذ قراءة الحسن وابن أبي إسحاق أمه واحده بالرفع وقرأ ابن عباس وقتاده وحرم وفي روايه أخرى عن ابن عباس وحرم وهي قراءة عكرمه وأبي العاليه.

## الحجه

قال أبو علي حرم وحرام لغتان وكذلك حل وحلال وكل واحد من حرم وحرام إن شئت رفعته بالابتداء لاختصاصه بما جاء بعده من الكلام وخبره محذوف وتقديره وحرام على قريه أهلكتها بأنهم لا يرجعون مقضى أو ثابت أو محكوم عليه وإن شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف وجعلت لا زائده والمعنى حرام على قريه أهلكتها رجوعهم كما قال فلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَهُ وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ وإن شئت جعلته خبر مبتدأ وأضمرت مبتدأ كما ذكرت ويكون المعنى حرام على قريه أهلكتها بالاستئصال رجوعهم لأنهم لا يرجعون وتكون لا غير زائده والمعنى حرام عليهم أنهم ممنوعون من ذلك وقال الزجاج تقديره وحرام على قريه أهلكتها أن يتقبل منهم عمل لأنهم لا يرجعون أى لا يتوبون أبدا كما قال سبحانه «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمُ» الآية فعلى هذا يكون حرام خبر مبتدأ محذوف وهو قوله أن يتقبل منهم عمل و «أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» فى موضع نصب لأنه مفعول له فأما من قرأ حرم على قريه فإنه من حرم فهو حرم أى قمر ماله قال زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسغبه يقول لا غائب مالى ولا حرم

وأما حرم فمعناه ظاهر ومن قرأ أمه بالرفع جعله بدلا من «أُمَّتُكُمْ» ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأمه منصوبه على الحال و العامل فيها معنى الإشارة وذو الحال الأمه الأولى وفى الحقيقه الحال الأولى قوله «وَاحِدَةً» التى هى صفه الأمه كقوله تعالى «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» والتقدير «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى مجتمعه غير متفرقه.

## المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقصه عيسى (عليه السلام) فقال «وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا» يعنى مريم ابنه عمران أى واذكر مريم التى حفظت فرجها وحصنته وعفت وامتعت من الفساد «فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا» أى أجرينا فيها روح المسيح كما يجرى الهواء بالنفخ فأضاف الروح إلى نفسه على وجه الملك تشريفا له فى الاختصاص بالذكر وقيل إن معناه أمرنا جبرائيل فنفخ فى جيب درعها فخلقنا المسيح فى رحمها «وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً



لِلْعَالَمِينَ» إنما قال آيه و لم يقل آيتين لأنه فى موضع دلالة فلا يحتاج إلى أن تثنى الآيه فيهما أنها جاءت به من غير فعل فتكلم فى المههد بما يوجب براءه ساحتها من العيب «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى هذا دينكم دين واحد عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و أصل الأمه الجماعه التى على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمه واحده لاجتماعهم بها على مقصد واحد و قيل معناه جماعه واحده فى أنها مخلوقه مملوكه لله تعالى أى فلا تكونوا إلا على دين واحد و قيل معناه هؤلاء الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء فريقكم الذى يلزمكم الاقتداء بهم فى حال اجتماعهم على الحق كما يقال هؤلاء أمتنا أى فريقنا و موافقونا على مذهبنا «وَ أَنَا رَبُّكُمْ» الذى خلقكم «فَاعْبُدُونِ» و لا تشرکوا بى شيئاً ثم ذكر اليهود و النصارى بالاختلاف فقال «وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ» أى فرقوا دينهم فيما بينهم يلعن بعضهم بعضاً و يتبرأ بعضهم من بعض عن الكلبي و ابن زيد و التقطع هذا بمنزله التقطيع ثم قال مهددا لهم «كُلُّ لِيْنَا رَاجِعُونَ» أى كل ممن اجتمع و افترق راجع إلى حكمنا فى الوقت الذى لا- يقدر على الحكم سوانا فنجازيهم بأعمالهم «فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ» التقدير فمن يعمل من الصالحات شيئاً مثل صله الرحم و معونه الضعيف و نصر المظلوم و التنفيس عن المكروب و غير ذلك من أنواع الطاعات «وَ هُوَ مُؤْمِنٌ» شرط الإيمان لأن هذه الأشياء لو فعلها الكافر لم ينتفع بها عند الله تعالى «فَإِن كُفِرْنَا لِسِعِيهِ» أى فلا- جحود لإحسانه فى عمله بل يشكر و يثاب عليه «وَ إِنَّا لَهُ كَافِرُونَ» أى نأمر ملائكتنا أن يكتبوا ذلك و يثبتوه فلا- يضيع منه شىء و قيل كاتبون أى ضامنون جزاءه حتى نوفر على عاملها مجموعه و منه الكتيبه لأنه ضم رجال إلى رجال «وَ حَرَامٌ عَلَى قَرِيْبِهِ أَهْلُكُنْهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن لا مزيده و المعنى حرام على قريه مهلكه بالعقوبه أن يرجعوا إلى دار الدنيا عن الجبائى و قيل إن معناه واجب عليها إنها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها عن قتاده و عكرمه و الكلبي قال عطا يريد حتم منى و المراد إن الله تعالى كتب على من أهلك أن لا يرجع إلى الدنيا قضاء منه حتما و فى ذلك تخويف لكفار مكه بأنهم إن عذبوا و أهلكوا لم يرجعوا إلى الدنيا كغيرهم من الأمم المهلكه و قد جاء الحرام بمعنى الواجب فى شعر الخنساء:

و إن حراما لا أرى الدهر باكيا على شجوه إلا بكيت على صخر

(و ثانيها) إن معناه حرام على قريه وجدناها هالكه بالذنوب أن يتقبل منهم عمل لأنهم

لا يرجعون إلى التوبه (و ثالثها) إن معناه حرام أن لا يرجعوا بعد الممات بل يرجعون أحياء للمجازاه عن أبى مسلم

و روى محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال كل قريه أهلكتها الله بعذاب فإنهم لا يرجعون.

## [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٩٦ الى ١٠٣]

### اشاره

حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَيَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)

### القراءه

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب فتحت بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قد ذكرنا اختلافهم فى يَأْجُوجُ و مأجوج فى سوره الكهف و فى الشواذ قراءه ابن مسعود من كل حدث و قراءه ابن السميع حصب جهنم ساكنه الصاد و قراءه ابن عباس حصب بالصاد مفتوحه و قراءه على (عليه السلام) و عائشه و ابن الزبير و أبى بن كعب و عكرمه حطب بالطاء.

### الحجه

من خفف فتحت فلأن الفعل فى الظاهر مسند لى هذين الاسمين و أراد فتح سد يَأْجُوجُ و مأجوج و من شدد حمله على الكثره فهو مثل مُفْتَحَهُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ و الجداث القبر بلغه الحجاز و الجدف بالفاء بلغه تميم و فى الحطب لغات و حطب و حصب بالصاد و خضب

ص: ١٠١

بالضاد و لا- يقال حصب بالصاد إلا إذا ألقى فى التنور أو فى الموقد و قال أحمد بن يحيى أصل الحصب الرمى حطبا كان أو غيره قال الأعشى:

فلا تك فى حربنا محصبا لتجعل قومك شتى شعوبا

فأما الحصب ساكنا بالصاد و الضاد فالطرح فهو مصدر وقع موقع اسم المفعول كالخلق و الصيد بمعنى المخلوق و المصيد.

## اللغة

الحدب الارتفاع من الأرض بين الانخفاض و الحدبه خروج الظهر و رجل أحدب و النسول الخروج عن الشىء الملابس يقال نسل ينسل و ينسل قال امرؤ القيس:

فإن يك قد ساءتك منى خليقه فسلى ثيابى من ثيابك تنسلى

و نسل ريش الطائر إذا سقط و قيل النسول الخروج بإسراع نحو نسلان الذئب قال:

نسلان الذئب أمسى قاربا برد الليل عليه فنسل

و شخص المسافر شخصا إذا خرج من منزله و شخص من بلد إلى بلد و شخص بصره إذا نظر إليه كأنه خرج إليه و الحسيس و الحس الحركة.

## الإعراب

«وَ اقْتَرَبَ الوُعَيْدُ» قال الفراء معنى الواو الطرح و المعنى إذا فتحت يأجوج و مأجوج اقترب الوعد الحق قال الزجاج الواو لا يجوز أن يطرح عند البصريين و جواب إذا عندهم قوله «يا وَيَلْنَا» و هاهنا قول محذوف أى قالوا يا ويلنا و قوله «فَإِذَا هِيَ شاخِصَةٌ» إذا ظرف مكان و العامل فيه شاخصه و هى ضمير القصة فى محل رفع بالابتداء و «أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» مبتدأ آخر و «شاخِصَةٌ» خبر مقدم و الجملة خبر هى و قيل أن تمام الكلام عند قوله «هِيَ» و تقديره فإذا هى بارزه واقعه يعنى أنها من قريبا كأنها وقعت ثم ابتداء فقال «شاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» على تقديم الخبر على المبتدأ.

## المعنى

لما تقدم أنهم لا يرجعون إلى الدنيا و عدتهم بالرجوع إلى الآخرة و بين علامه ذلك فقال «حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَاْجُوجُ» أى فتحت جهتهم و المعنى انفرج سد يأجوج و مأجوج بسقوط أو هدم أو كسر و ذلك من أشرط الساعة «وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ

يُنْسَلُونَ» أى وهم يريد يأجوج ومأجوج من كل نشز من الأرض يسرعون عن قتاده وابن مسعود والجبائى وأبى مسلم يعنى أنهم يتفرون فى الأرض فلا ترى أكمه إلا- وقوم منهم يهبطون منها مسرعين وقيل إن قوله هم كناية عن الخلق يخرجون من قبورهم إلى الحشر عن مجاهد وكان يقرأ من كل جدث يعنى القبر ويدل عليه قوله فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ «وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ» أى الموعد الصدق ومعناه اقترب قيام الساعة «فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه فإذا القصة أن أبصار الذين كفروا تشخص فى ذلك اليوم أى لا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهو له ينظرون إلى تلك الأهوال عن الكلبى «يا وَيَلْنَا» أى يقولون يا ويلنا «قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا» اشتغلنا بأمور الدنيا وغفلنا عن هذا اليوم فلم نتفكر فيه «بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ» بأن عصينا الله تعالى وعبدنا غيره ثم قال سبحانه «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعنى الأصنام «حَصَبٌ جَهَنَّمَ» أى وقودها عن ابن عباس وقيل حطبها عن مجاهد و قتاده وعكرمه وأصل الحصب الرمى فالمراد أنهم يرمون فيها كما يرمى بالحصباء عن الضحاك وأبى مسلم ويسأل على هذا فيقال أن عيسى (عليه السلام) قد عبد والملائكة قد عبدوا والجواب أنهم لا يدخلون فى الآيه لأن ما لا يعقل ولأن الخطاب لأهل مكة وإنما كانوا يعبدون الأصنام فإن قيل فأى فائده فى إدخال الأصنام النار وقيل يعذب بها المشركون الذين عبدوها فتكون زياده فى حسرتهم وغمهم ويجوز أن يرمى بها فى النار توييخا للكفار حيث عبدوها وهى جماد لا تضر ولا تنفع وقيل إن المراد بقوله وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ الشياطين دعوهم إلى عباده غير الله فأطاعوهم كما قال يا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ «أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ» خطاب للكفار أى أنتم فى جهنم داخلون وقيل إن معنى لها إليها لقوله بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا أى إليها «لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامُ وَالشَّيَاطِينُ آلِهَةً» كما تزعمون «مَا وَرَدُوهَا» أى ما دخلوا النار ولا امتنعوا منها «وَكُلٌّ» من العابد والمعبود «فيها» أى فى النار «خَالِدُونَ» دائمون «لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ» أى صوت كصوت الحمار وهو شدة تنفسهم فى النار عند إحراقها لهم «وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ» أى لا يسمعون ما يصرهم ولا ما ينتفعون به وإنما يسمعون صوت المعذبين وصوت الملائكة الذين يعذبونهم و يسمعون ما يسوءهم عن الجبائى وقيل يجعلون فى توأبيت من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم إن فى النار أحدا يعذب غيره عن عبد الله بن مسعود قالوا و

لما نزلت هذه الآيه أتى عبد الله بن الزبعرى رسول الله ص قال يا محمد أ لست تزعم أن عزيزا رجل صالح وإن عيسى (عليه السلام) رجل صالح وإن مريم امرأه صالحه قال بلى قال فإن هؤلاء يعبدون من دون الله فهم فى النار فأنزل الله هذه الآيه «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى»

أى الموعدة بالجنة وقيل الحسنى السعاده عن ابن زيد و كأنه يذهب إلى الكلمه بأنه سيسعد أو إلى العده لهم على طاعتهم فأنث الحسنى «أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا» أى يكونون بحيث لا يسمعون صوتها الذى يحس «وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ» من نعيم الجنة و ملاذها «خَالِدُونَ» أى دائمون و الشهوه طلب النفس اللذيه يقال اشتهى شهوه و قيل إن الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى و عزيز و مريم و الملائكه الذين عبدوا من دون الله و هم كارهون استثناهم من جمله ما يعبدون من دون الله عن الحسن و مجاهد و قيل إن الآيه عامه فى كل من سبقت له الموعدة بالسعاده «لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ» أى الخوف الأعظم و هو عذاب النار إذا أطبقت على أهلها عن سعيد بن جبير و ابن جريج و قيل هو النفخه الأخيره لقوله وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ففزع من فى السماوات و من فى الأرض إلا- من شاء الله عن ابن عباس و قيل هو حين يؤمر بالعبد إلى النار عن الحسن و قيل هو حين يذبح الموت على صوره كبش أملح و ينادى يا أهل الجنة خلود و لا موت و يا أهل النار خلود و لا موت و

روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ص قال ثلاثه على كئبان من مسك لا يحزنهم الفرع الأكبر و لا يكثر ثون للحساب رجل قرأ القرآن محتسبا ثم أم به قوما محتسبا و رجل أذن محتسبا و مملوك أدى حق الله عز و جل و حق مواليه

«وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ» أى تستقبلهم الملائكه بالتهنئه يقولون لهم «هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» فى الدنيا فأبشروا بالأمن و الفوز.

## إشارة

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا يَدَانَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨)

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعِدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١) قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَ رَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢)

## القراءة

قرأ أبو جعفر تطوى بالتاء و الضم السماء بالرفع و الباقون «نَطْوِي» بالنون «السَّمَاء» بالنصب و قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «لِلْكِتَابِ» على الجمع و الباقون للكتاب و قرأ حفص «قَالَ رَبِّ» و الباقون قل ربي و قرأ أبو جعفر رب احكم بضم الباء و قرأ زيد عن يعقوب ربي احكم و هو قراءه ابن عباس و عكرمه الجحدري و ابن محيصن و الباقون «رَبِّ احْكُم» و في الشواذ قراءه الحسن كطي السجل بسكون الجيم و قراءه أبو زرعه بن عمر و السجل بضم السين و الجيم و تشديد اللام و قراءه أبي السماك السجل بفتح السين و سكون الجيم.

## الحج

من قرأ يوم تطوى السماء فبنى الفعل للمفعول به و من قرأ «يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء» فالفاعل هو الله سبحانه و المعنى واحد و في إن انتصاب يوم وجهان عند أبي علي (أحدهما) أن يكون بدلا من الهاء المحذوفه من الصله أ لا ترى إن المعنى هذا يومكم الذي توعدونه و الآخر أن يكون منتصبا بنعيده و المعنى نعيد الخلق إعادته كابتدائه أى كابتداء الخلق و مثله في المعنى كما بدأكم تَعْوِدُونَ و تقديره كما بدأ خلقكم يعود خلقكم فحذف المضاف في الموضعين و أقام المضاف إليه مقامه و المعنى يعود خلقكم عودا كبده و مثله في المعنى «كَمَا يَدَانَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» و من أفرد الكتاب و لم يجمع فإنه واحد يراد به الكثرة و من قرأ «لِلْكِتَابِ» فإن المراد به الجمع و من قرأ «قَالَ رَبِّ» أراد قال الرسول و من قرأ قل فهو على قل أنت يا محمد و قراءه أبي جعفر رب احكم معناه يا رب احكم و هي ضعيفه عند النحويين البصريين و قد جاء مثله في المثل و هو قولهم: أصبح ليل و أطرق كرا و افتد مخنوق أى يا ليل و يا كروان و يا مخنوق و قد جاء في الشعر و هو:

عجبت لطار أانا يسومنا بدسكرة المران دهن البنفسج

فقلت له عطار هلا أتيتنا بنور الخزامى أو بخوصه عرفج

أراد يا عطار و من قرأ «رَبِّ احْكُم» فالمعنى ظاهر.

## الإعراب

الكاف فى قوله «كَطَى السَّجَلِ» فى محل النصب لأنه صفة مصدر محذوف تقديره نطوى السماء طيا مثل طى السجل فإن كان السجل اسما للصحيفه فالمصدر الذى هو طى مضاف إلى المفعول فى المعنى و إن كان اسم ملك أو كاتب فهو مضاف إلى الفاعل فى المعنى فإن كان مفعولا كان اللام بمعنى من أجل و إن كان فاعلا كان اللام للاختصاص «وَعِيداً عَلَيْنَا» منصوب على المصدر قال الزجاج لأن قوله «نُعِيدُهُ» بمعنى قد وعدنا ذلك و الأجود أن يقدر عاملا محذوفا لأن القراء يقفون على قوله «نُعِيدُهُ» قال جامع العلوم الكاف فى «كما بدأنا» من صله نعيده و إن كان متقدما و مثله كما علمه الله فليكتب «رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» نصب على الحال أو على أنه مفعول له و «أَتَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» فى محل رفع بإسناد «يُوحَى» إليه و قيامه مقام الفاعل و «على سواء» فى موضع نصب على الحال من الفاعلين و المفعولين و التقدير أذنتكم و استوينا نحن و أنتم فىكون الحال من الفريقين «ما توعدون» فى موضع رفع بأنه فاعل قريب لأنه اعتمد على همزه الاستفهام فهو كقولهم أقمم أخوك و يجوز أن يكون مبتدأ و قريب خبره و على الوجهين فهما مفعولا- أدرى أى أعلم علقتهما همزه الاستفهام و التقدير أ قريب ما توعدون أم بعيد بعيد عطف على قريب و النيه فيه التأخير. «وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ» مفعول أدرى محذوف و التقدير ما أدرى كيف يكون الحال.

## المعنى

«يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ» المراد بالطى هنا هو الطى المعروف و أن الله سبحانه يطوى السماء بقدرته و قيل إن طى السماء ذهابها عن الحس «كَطَى السَّجَلِ لِلْكَتَبِ» و السجل صحيفه فيها الكتب عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الكلبي و على هذا فمعناه نطويها كما تطوى الصحيفه المجهوله للكتاب و يجوز أن يكون المراد بالكتاب المكتوب و قيل أن السجل ملك يكتب أعمال العباد عن أبى عمرو و السدى و قيل هو ملك يطوى كتب بنى آدم إذا رفعت إليه عن عطا و قيل هو اسم كاتب كان للنبي ص عن ابن عباس فى روايه «كما بدأنا أولَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم حفاه عراه غرلا كذلك نعيدهم روى ذلك مرفوعا و قيل معناه نبعث الخلق كما ابتدأناه أى قدرتنا إلى الإعادة كقدرتنا على الابتداء عن الحسن و الزجاج و قيل معناه نهلك كل شىء كما كان أول مره عن ابن عباس «وَعِيداً عَلَيْنَا» أى وعدناكم ذلك وعدا «إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ» ما وعدناكم من ذلك «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن الزبور كتب الأنبياء و معناه كتبنا

فى الكتب التى أنزلناها على الأنبياء من بعد كتابته فى الذكر أى أم الكتاب الذى فى السماء و هو اللوح المحفوظ عن سعيد بن جبير و مجاهد و ابن زيد و هو اختيار الزجاج قال لأن الزبور و الكتاب بمعنى واحد و زبرت كتبت (و ثانيها) أن الزبور الكتب المنزله بعد التوراه و الذكر هو التوراه عن ابن عباس و الضحاك (و ثالثها) أن الزبور زبور داود و الذكر توراه موسى عن الشعبى و روى عنه أيضا أن الذكر القرآن و بعد بمعنى قبل «أَنَّ الْمَأْرُضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ» قيل يعنى أرض الجنه يرثها عبادى المطيعون عن ابن عباس و سعيد بن جبير و ابن زيد فهو مثل قوله وَ أَوْرَثْنَا الْمَأْرُضَ و قوله الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ و قيل هى الأرض المعروفة يرثها أمه محمد ص بالفتوح بعد إجلاء الكفار كما

قال ص زويت لى الأرض فأريت مشارقتها و مغاربها و سيلبغ ملك أمتى ما زوى لى منها

عن ابن عباس فى روايه أخرى و

قال أبو جعفر هم أصحاب المهدي (عليه السلام) فى آخر الزمان

و يدل على ذلك ما رواه الخاص و العام

عن النبى ص أنه قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا صالحا من أهل بيتى يملأ الأرض عدلا و قسطا كما قد ملئت ظلما و جورا

و قد أورد الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى فى كتاب البعث و النشور أخبارا كثيرة فى هذا المعنى حدثنا بجمعها عنه حافده أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد فى شهر سنة ثمانى عشره و خمسمائه ثم قال فى آخر الباب فأما الحديث الذى

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن محمد بن خالد الجندى عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك أن النبى ص قال لا يزداد الأمر إلا شدة و لا الناس إلا شحا و لا الدنيا إلا إدبارا و لا تقوم الساعة إلا على أشرار الناس و لا مهدي إلا عيسى بن مريم

فهذا حديث تفرد به محمد بن خالد الجندى قال أبو عبد الله الحافظ و محمد بن خالد رجل مجهول و اختلف عليه فى إسناده فرواه مره عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس عن النبى ص و مره عن أبان بن أبى عياش و هو متروك عن الحسن عن النبى ص و هو منقطع و الأحاديث فى التنصيص على خروج المهدي (عليه السلام) أصح إسنادا و فيها بيان كونه من عتره النبى ص هذا لفظه و من جملتها

ما حدثنا أبو الحسن حافده عنه قال أخبرنا أبو على الروذبارى قال أخبرنا أبو بكر بن داسه قال حدثنا أبو داود السجستاني فى كتاب السنن عن طرق كثيرة ذكرها ثم قال كلهم عن عاصم المقرئ عن زيد عن عبد الله عن النبى ص قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا منى أو من أهل بيتى و فى بعضها يواطئ اسمه اسمى يملأ الأرض قسطا و عدلا كما



بالإسناد قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أحمد بن إبراهيم قال حدثني عبد الله بن جعفر الرقي قال حدثني أبو المليح الحسن بن عمر عن زياد بن بيان عن علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ص يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمه (عليه السلام)

«إِنَّ فِي هَذَا» يعنى إن فى الذى أخبرناكم به مما توعدنا به الكفار من النار و الخلود فيها و ما وعدنا به المؤمنين من الجنة و الكون فيها و قيل معناه إن فى هذا القرآن و دلائله «لَبْلَاغًا» أى كفايه و وصله إلى البغيه و البلاغ سبب الوصول إلى الحق «لِقَوْمٍ عَابِدِينَ» لله مخلصين له قال كعب هم أمه محمد ص الذين يصلون الصلوات الخمس و يصومون شهر رمضان سماهم عابدين «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد «إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» أى نعمه عليهم قال ابن عباس رحمه للبر و الفاجر و المؤمن و الكافر فهو رحمه للمؤمن فى الدنيا و الآخرة و رحمه للكافر بأن عوفى مما أصاب الأمم من الخسف و المسخ

و روى أن النبى ص قال لجبرائيل لما نزلت هذه الآيه هل أصابك من هذه الرحمه شىء قال نعم إني كنت أخشى عاقبه الأمر فأمنت بك لما أثنى الله على بقوله ذى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ و قد قال إنما أنا رحمه مهده

و قيل إن الوجه فى أنه نعمه على الكافر أنه عرضه للإيمان و الثواب الدائم و هداه و إن لم يهتد كمن قدم الطعام إلى جائع فلم يأكل فإنه منعم عليه و إن لم يقبل و فى الآيه دلالة على بطلان قول أهل الجبر فى أنه ليس لله على الكافر نعمه لأنه سبحانه بين أن فى إرسال محمد ص نعمه على العالمين و على كل من أرسل إليهم ثم قال له (عليه السلام) «قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أُنْتُمْ مُشْرِكُونَ» أى مستسلمون منقادون لذلك بأن تركوا عباده غير الله و قيل معناه الأمر أى أسلموا كقوله «فَهَلْ أُنْتُمْ مُتَّبِعُونَ» أى انتهوا «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أى عرضوا و لم يسلموا «فَقُلْ أَذَنْتُكُمْ» أى أعلمتكم بالحرب «عَلَىٰ سِوَاءِ» أى إيدانا على سواء إعلاما نستوى نحن و أنتم فى علمه لا- استيدانا به دونكم لتأهبوا لما يراد بكم و مثله قوله فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سِوَاءِ و قيل معناه أعلمتكم بما يجب الإعلام به على سواء فى الإيدان لم أبين الحق لقوم دون قوم و لم أكتمه لقوم دون قوم و فى هذا دلالة على بطلان قول أصحاب الرموز و إن للقرآن بواطن خصص بالعلم بها أقوام «وَ إِنْ أَدْرَىٰ» أى و ما أدرى «أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ» يعنى أجل يوم القيامة فإن الله تعالى هو العالم بذلك و قيل معناه أذنتكم بالحرب و لا أدرى متى أودن فيه «إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ» أى إن الله يعلم السر و العلانيه «وَ إِنْ أَدْرَىٰ» أى و ما أدرى «لَعَلَّهُ» كناية عن غير مذكور «فَتَنَّهُ لَكُمْ» أى لعل ما أذنتكم به اختيار لكم و شده تكليف ليظهر صنيعكم عن الزجاج و قيل لعل

هذه الدنيا فتنه لكم عن الحسن وقيل لعل تأخير العذاب محنه واختبار لكم لترجعوا عما أنتم عليه «وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ» أى تتمتعون به إلى وقت انقضاء آجالكم «قَالَ رَبُّ أَحْكُمِ بِالْحَقِّ» أى فوض أمورك يا محمد إلى الله وقيل يا رب احكم بينى وبين من كذبنى بالحق قال قتاده كان النبى ص إذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق أى افصل بينى وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع وقيل معناه أحكم بحكمك الحق وهو إظهار الحق على الباطل «وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ» الذى يرحم عباده «الْمُسْتَعَانُ» الذى يعينهم فى أمورهم فجمع بين الرحمه والمعونه اللتين تضمنتا أصول النعم «عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ» من كذبكم و باطلكم فى قولكم هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وقولكم اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا\* وقيل معناه وربنا الرحمن المستعان على دفع ما تصفون.

## (٢٢) سورة الحج مدنيه و آياتها ثمان و سبعون (٧٨)

### اشاره

### [توضيح]

مكيه عن ابن عباس و عطا إلا آيات قال الحسن هي مدنيه غير آيات نزلت في السفر و قال بعضهم غير ست آيات و قال بعضهم غير أربع.

### عدد آياتها

ثمان و سبعون آيه كوفي سبع مكي و ست مدني خمس بصرى أربع شامى.

### اختلافها

خمس آيات الْحَمِيمِ وَالْجُلُودِ كِلَاهِمَا كُوفِي وَعَادٌ وَ تَمُودٌ غَيْرِ الشَّامِي وَقَوْمُ لُوطٍ حِجَازِي كُوفِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مَكِّي.

### فضلها

أبي بن كعب قال قال النبي ص من قرأ سورة الحج أعطى من الأجر كحجه حجها و عمره اعتمرها بعدد من حج و اعتمر فيما مضى و فيما بقى

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من قرأها في كل ثلاثه أيام لم يخرج من سنته حتى يخرج إلى بيت الله الحرام و إن مات في سفره دخل الجنة.

### تفسيرها

لما ختم الله سورة الأنبياء بالدعاء إلى التوحيد و الإعلام بأن نبيه رحمه للعالمين افتتح هذه السوره بخطاب المكلفين ليتقوا الشرك و مخالفه الدين فقال:

ص: ١١٠

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَ لَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم سكرى و ما هم بسكرى و الباقون «سكاري» فى الموضوعين و فى الشواذ قراءة الأعرج و الحسن بخلاف سكرى بضم السين وقرأ أبو جعفر و ربات بالهمزة هاهنا و فى حم و الباقون «و ربت».

الحج

قالوا رجل سكران و امرأه سكرى و الجمع سكارى و سكارى بضم السين و فتحها إلا أن القراءة بالضم و أما سكرى فى الجمع فهو مثل صرعى و جرحى و ذلك لأن السكر كأنه عله لحقت عقولهم كما أن الصرع و الجرح عله لحقت أجسامهم و فعلى مختص فى الجمع بالمبتلين كالمرضى و السقمى و الهلكى و أما سكرى بالضم فيجوز أن يكون اسما مفردا على فعلى بمعنى الجمع و أما قوله «ربت» فهو من ربا يربو إذا زاد و أما الهمز فيمن ربات القوم إذا أشرفت عليهم عاليا لتحفظهم و هذا كأنه ذهب إلى علو الأرض لما فيها من إفراط الربو فإذا وصف علوها دل على أن الزيادة شاعت فيها.

الزلازل و الزلازل شدة الحركة على الحال الهائلة و قيل إن أصله زل فضوعف للمبالغة و أثبتته البصريون قالوا إن زل ثلاثي و زلزل رباعي و إن اتفق بعض الحروف في الكلمتين لأنه لا يمتنع مثل هذا أ لا ترى أنهم يقولون دمث و دمثر و سبط و سبطر و ليس أحدهما مأخوذا من الآخر و إن كان معناهما واحدا لأن الزاي ليست من حروف الزيادة و الزلازل بالفتح الاسم قال الشاعر:

يعرف الجاهل المضلل أن الدهر فيه النكراء و الزلازل

و الدهول الذهاب عن الشيء دهشا و حيره يقال ذهب عنه يذهل ذهولا و ذهلا بمعنى و الدهل السلو قال

" صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل "

و الحمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو على رأس شجره و الحمل بكسر الحاء ما كان على ظهر أو على رأس و المرید المتجرد للفساد و قيل إن أصله الملاسه فكأنه متملس من الخير و منه صخره مرداء أى ملساء و منه الأمرد و الممرد من البناء المتناول المتجاوز و المضغه مقدار ما يمضغ من اللحم و الهمود الدروس و الدثور قال الأعشى:

قالت قتيله ما لجسمك شاحبا و أرى ثيابك باليات همدا

و البهيج الحسن الصورة.

## الإعراب

العامل في «يَوْمَ تَرَوْنَهَا» قوله «تَذْهَلُ» أى تذهل كل مرضعه في هذا اليوم عما أرضعته و يجوز أن يكون ما مصدرية فيكون التقدير تذهل كل مرضعه في هذا اليوم عن إرضاعها ولدها و مفعول أرضعت محذوف على الوجهين و مرضعه جار على الفعل يقال امرأه مرضع أى ذات إرضاع أرضعت ولدها أو أرضعته غيرها و مرضعه ترضع قال امرؤ القيس:

و مثلك حبلى قد طرقت و مرضع فألهيتها عن ذى توائم محول

و «سِيكَارَى» نصب على الحال و إن جعلت «تَرَى» بمعنى الظن فهو المفعول الثانى له «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ» الهاء فى عليه يعود إلى الشيطان و الهاء فى أنه يحتمل وجهين أن يكون ضمير الأمر و الشأن و أن يكون عائدا إلى الشيطان و إنما فتحت أن فى قوله «فَأَنَّ»

يُضِلُّهُ» على أحد وجهين أن يكون عطفًا على الأولى للتأكيد والمعنى كتب عليه أنه من تولاه يضلّه و تأويله كتب على الشيطان إضلال متوليه و هدايتهم إلى عذاب السعير و هذا قول الزجاج و فيه نظر لأن الأصل في التوكيد أن لا يدخل حرف العطف بين المؤكد و المؤكد فالقول الصحيح فيه أن يكون على معنى فالشأن أنه يضلّه فيكون مبنيًا على مبتدأ مضمّر و «نُقِرُّ» مرفوع بالعطف على «خَلَقْنَاكُمْ» أو للاستئناف و يكون خبر مبتدأ محذوف أى و نحن نقر. و «ما نَشَاءُ» يجوز أن يكون مفعول نقر و يجوز أن يكون ظرف زمان و يكون مفعول نقر محذوفًا و تقديره و نقر في الأرحام الولد مده مشيئتنا و «طِفْلًا» منصوب على الحال «ثُمَّ لَتَبَلُّغُوا» أى لأن تبغوا و الجار و المجرور معطوف على محذوف تقديره لترضعوا و تشبوا ثم لتبغوا أشدكم «لِكَيْلَا يَعْلَمَ» إذا اجتمع اللام بمعنى كى مع كى فالحكم للأم و كى يكون بمعنى أن و اللام يتعلق بيرد.

## النزول

قال عمران بن الحصين و أبو سعيد الخدرى نزلت الآيتان من أول السوره ليلا- فى غزاه بنى المصطلق و هم حى من خزاعه و الناس يسيرون فنادى رسول الله ص فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله ص فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليله فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب و لم يضربوا الخيام و الناس من بين باك أو جالس حزين متفكر فقال رسول الله ص أ تدررون أى يوم ذاك قالوا الله و رسوله أعلم قال ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم أبعث بعث النار من ولدك فيقول آدم من كم و كم فيقول الله عز و جل من كل ألف تسعمائه و تسعه و تسعين إلى النار و واحد إلى الجنة فكبر ذلك على المسلمين و بكوا و قالوا فمن ينجو يا رسول الله فقال أبشروا فإن معكم خليقتين يأجوج و مأجوج ما كانتا فى شىء إلا كثرتاه ما أنتم فى الناس إلا كشره بيضاء فى الثور الأسود أو كرقم فى ذراع البكر أو كشأمه فى جنب البعير ثم قال إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ثم قال إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال إنى لأرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة و إن أهل الجنة مائه و عشرون صفا ثمانون منها أمتى ثم قال و يدخل من أمتى سبعون ألفا الجنة بغير حساب و فى بعض الروايات أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله سبعون ألفا قال نعم و مع كل واحد سبعون ألفا فقام عكاشه بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام رجل من الأنصار فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال ص سبقك بها عكاشه

قال ابن عباس كان الأنصارى منافقا فلذلك لم يدع له.

## المعنى

خاطب الله سبحانه جميع المكلفين فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ»

معناه يا أيها العقلاء المكلفون اتقوا عذاب ربكم و اخشوا معصيه ربكم كما يقال احذر الأسد و المراد احذر افتراسه لا عينه «إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ» أى زلزاله الأرض يوم القيامة عن ابن عباس و الحسن و السدى و المعنى أنها تقارن قيام الساعة و تكون معها و قيل إن هذه الزلزاله قبل قيام الساعة و إنما أضافها إلى الساعة لأنها من أشرط ظهورها و آيات مجيئها عن علقمه و الشعبي «شَيْءٌ عَظِيمٌ» أى أمر عظيم هائل لا يطاق و قيل معناه أن شدة يوم القيامة أمر صعب و فى هذا دلالة على أن المعدوم يسمى شيئاً فإن الله سبحانه سماها شيئاً و هى معدومه «يَوْمَ تَرُؤْنَهَا» معناه يوم ترون الزلزاله أو الساعة «تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ» أى تشغل كل مرضعه عن ولدها و تنساه و قيل تسلو عن ولدها «وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا» أى تضع الجبالى ما فى بطونها و فى هذا دلالة على أن الزلزاله تكون فى الدنيا فإن الرضاع و وضع الحمل إنما يتصور فى الدنيا قال الحسن تذهل المرضعه عن ولدها لغير فطام و تضع الحمل ما فى بطنها لغير تمام و من قال إن المراد به يوم القيامة قال أنه تهويل لأمر القيامة و تعظيم لما يكون فيه من الشدائد أى لو كان ثم مرضعه لذهلت أو حامل لوضعت و إن لم يكن هناك حامل و لا مرضعه «وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى» من شدة الخوف و الفزع «وَمَا هُمْ بِسُكَارَى» من الشراب و قيل معناه كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشده ما يمر بهم لأنهم يضطربون اضطراب السكران ثم علل سبحانه ذلك فقال «وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» فمن شدته يصيبهم ما يصيبهم «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» هذا إخبار عن المشركين الذين يخاصمون فى توحيد الله سبحانه و نفى الشرك عنه بغير علم منهم بل للجهل المحض و قيل إن المراد به النضر بن الحرث فإنه كان كثير الجدال و كان يقول الملائكة بنات الله و القرآن أساطير الأولين و ينكر البعث «وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ» يغويه عن الهدى و يدعوه إلى الضلال و إن كان المراد بالآيه النضر بن الحرث فالمراد بالشیطان المرید شیطان الإنس لأنه كان يأخذ من الأعجام و اليهود ما يطعن به على المسلمين «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ» معناه أنه يتبع كل شیطان كتب الله على ذلك الشيطان فى اللوح المحفوظ أنه يضل من تولاه فكيف يتبع مثله و يعدل بقوله عمن دعاه إلى الرحمه و قيل معناه كتب على الشيطان أنه من تولاه أضله الله تعالى و قيل معناه كتب على المجادل بالباطل إن من اتبعه و ولاه يضلّه عن الدين «وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ» ثم ذكر سبحانه الحجه فى البعث لأن أكثر الجدال كان فيه فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ» أى فى شك «مِنَ الْبُعْثِ» و النشور و الريب أقبح الشك «فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ» معناه فالدليل على صحته أنا خلقنا أصلكم و هو آدم (عليه السلام) من تراب فمن قدر على أن يصير التراب بشرا سويا حيا فى الابتداء

قدر على أن يحيى العظام و يعيد الأموات «ثُمَّ مِنْ نُطْفِهِ» معناه ثم خلقنا أولاده و نسله من نطفه فى أرحام الأمهات و هى الماء القليل يكون من الذكر و الأنثى و كل ماء صاف فهو نطفه قل أم كثر «ثُمَّ مِنْ عَلَقِهِ» بأن تصير النطفه علقه و هى القطعه من الدم الجامد «ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ» أى شبه قطعه من اللحم ممضوغه فإن معنى المضغه مقدار ما يمضغ من اللحم «مُخْلَقِهِ وَ غَيْرِ مُخْلَقِهِ» أى تامه الخلق و غير تامه عن ابن عباس و قتاده و قيل مصوره و غير مصوره و هى ما كان سقطا لا تخطيط فيه و لا تصوير عن مجاهد «لِنُبَيِّنَ لَكُمْ» معناه لندلكم على مقدورنا بتصريفكم فى ضروب الخلق أو لنبين لكم أن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة أو لنبين لكم ما يزيل ريبكم فحذف المفعول «وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَحْسَنِ مَسَاجِدٍ» معناه و نبقي فى أرحام الأمهات ما نشاء إلى وقت تامه عن مجاهد و قيل و نقر من قدرنا له أجلا مسمى فى رحم أمه إلى أجله «ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا» أى نخرجكم من بطون أمهاتكم و أنتم أطفال و الطفل الصغير من الناس و إنما وحد و المراد به الجمع لأنه بمعنى المصدر كقولهم رجل عدل و رجال عدل و قيل أراد ثم نخرج كل واحد منكم طفلا «ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ» و هو حال اجتماع العقل و القوه و تمام الخلق و قيل هو وقت الاحتلام و البلوغ و قد سبق تفسير الأشد و اختلاف العلماء فى معناه «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ» أى قبل بلوغ الأشد أى يقبض روحه فيموت فى حال صغره أو شبابه «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ» أى أسوأ العمر و أخبثه عند أهله و قيل أحقره و أهونه و هى حال الخوف و إنما صار أزدل العمر لأن الإنسان لا يرجو بعده صحه و قوه و إنما يرتقب الموت و الفناء بخلاف حال الطفولي و الضعف الذى يرجى له الكمال و التمام بعدها «لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا» أى لكيلا يستفيد علما و ينسى ما كان به عالما و قيل معناه لكي يصير إلى حال ينعدم عقله أو يذهب عنه علومه هرما فلا يعلم شيئا مما كان علمه و إذا ذهب أكثر علومه جاز أن يطلق عليه ذهاب الجميع قال عكرمه من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحاله و احتج بقوله «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى قرءوا القرآن ثم ذكر سبحانه دلاله أخرى على البعث فقال «وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً» يعنى هالكة عن مجاهد أى يابسه دارسه من أثر النبات «فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ» و هو المطر «اهْتَرَّتْ» أى تحركت بالنبات و الاهتزاز شده الحركه فى الجهات «وَ رَبَّتْ» أى زادت أى أضعفت نباتها و قيل انتفخت لظهور نباتها عن الحسن «وَ أَنْبَتَتْ» يعنى الأرض «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» أى من كل صنف «بِهَيْجٍ» مؤنق للعين حسن الصورة و اللون.



## إشارة

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٠)

## الإعراب

«ثَانِي عَطْفِهِ» منصوب على الحال تقديره ثانيا عطفه «لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ» له خزي مبتدأ و خبر و في يتعلق بما يتعلق به اللام و المبتدأ و خبره في محل الرفع بأنه خبر. «مَنْ يُجَادِلُ» خبر بعد خبر. «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» و «ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ» يجوز أن يكون ذلك مبتدأ و الجار و المجرور في موضع الخبر و يجوز أن يكون التقدير الأمر ذلك فيكون ذلك خبر مبتدأ محذوف.

## المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الأدلة عقبه بما يتصل به فقال «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» معناه ذلك الذي سبق ذكره من تصريف الخلق على هذه الأحوال و إخراج النبات بسبب أن الله هو الحق أى ليعلموا أنه الذى يحق له العباده دون غيره و قيل هو الذى يستحق صفات التعظيم «وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ» لأن من قدر على إنشاء الخلق فإنه يقدر على إعادته «وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أما المعدومات فيقدر على إيجادها و أما الموجودات فيقدر على إفنائها و إعادتها و يقدر على جميع الأجناس و من كل جنس على ما لا نهايه له «وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا» أى و ليعلموا أن القيامة آتية لا شك فيها «وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ» أى يحييهم للجزاء لأن ما ذكرناه يدل على البعث على الوجه الذى بيناه «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» سبق تفسيره «وَلَا هُدًى» أى لا يرجع فيما يقوله إلى علم و لا دلاله «وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ» أى مضى له نور يؤدى من تمسك به إلى الحق و المعنى أنه لا يتبع أدله العقل و لا أدله السمع و إنما يتبع الهوى و التقليد و فى هذا دلالة على أن الجدال بالعلم صواب و بغير العلم خطأ لأن الجدال بالعلم يدعو إلى اعتقاد الحق و بغير العلم يدعو إلى

اعتقاد الباطل «ثَانِي عَطْفِهِ» أى متكبرا فى نفسه عن ابن عباس يقول العرب ثنى فلان عطفه إذا تكبر و تجبر و عطف الرجل جانبه من عن يمين أو شمال و هو الموضع الذى يعطفه الإنسان أى يلويه و يميله عند الإعراض عن الشئ ء و قيل معناه لاوى عنقه إعراضا و تكبرا عن الله و رسوله عن قتاده و مجاهد «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى ليضل الناس عن الدين و من فتح الياء أراد ليضل هو عن طريق الحق المؤدى إلى توحيد الله «لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ» أى هوان و ذل و فضيحه بما يجرى له على ألسنه المؤمنين من الدم و بالقتل و غير ذلك «وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ» أى النار التى تحرقهم «ذَلِكَ» أى يقال له ذلك العذاب «بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكَ» أى بما كسبت يداك «وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» فى تعذيبه لأن الله لا يظلم و لا يعاقب ابتداء و لا يزيد على الجزاء و فى هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبره الذين ينسبون كل ظلم فى العالم إلى الله تعالى.

## [سوره الحج (٢٢): الآيات ١١ الى ١٥]

### إشاره

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ ائْتَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُ وَ مَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبَسَ الْمَوْلَى وَ لَبَسَ الْعَشِيرُ (١٣) إِنْ اللَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ (١٥)

### القراءه

قرأ روح و زيد عن يعقوب خاسر الدنيا و الآخره بالجر و هو قراءه مجاهد و حميد بن قيس و الباقون «خَسِرَ» بغير ألف و «الْآخِرَةَ» بالنصب و قرأ أهل البصره و ابن عامر و ورش

ثم ليقطع بكسر اللام و الباقون بسكونها و كذلك ثم ليقضوا و زاد ابن عامر و ليوفوا و ليطوفوا بالكسر فيهما أيضا و قرأ أبو بكر و ليوفوا بتشديد الفاء و الأعشى عنه بكسر اللام أيضا و الباقون و ليوفوا ساكنه الواو خفيفه الفاء.

## الحج

من قرأ «حَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ» فإن هذه الجملة تكون بدلا من قوله «انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ» فكأنه قال و إن أصابته فتنة خسر الدنيا و الآخرة و مثله قول الشاعر:

إن يجبنوا أو يغدروا أو يبخلوا لا يحفلوا يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

فقوله يغدوا عليك بدل من لا يحفلوا و من قرأ خاسر الدنيا و الآخرة فإنه منصوب على الحال و أما قوله «ثُمَّ لِيَقْطَعَ» فإن أصل هذه اللام الكسر فإذا دخلها الواو و الفاء أو ثم فمن أسكنها مع الفاء و الواو فإن الفاء و الواو يصيران كشيء واحد في نفس الكلمة لأن كل واحد منهما لا ينفرد بنفسه فصار بمنزلة كتف و فخذ فأما ثم فهو منفصل عن الكلمة و ليست كالواو و الفاء فمن أسكن اللام معها شبه الميم في ثم بالفاء و الواو و جعله كقولهم أراك منتفخا كقول العجاج

(أراك منتصبا و ما تكردسا)

و مثل ذلك قولهم و هي فهى.

## اللغة

الحرف و الطرف و الجانب نظائر و الاطمئنان التمكن و الفتنة هاهنا المحنة و الانقلاب الرجوع و العشير الصاحب المعاشر أى المخالط و النصره المعونه و قيل إن النصره هاهنا الرزق تقول العرب من ينصرنى نصره الله أى من أعطانى أعطاه الله قال الفقعى.

و إنك لا تعطى امرءا فوق حظه و لا تملك الشق الذى الغيث ناصره

أى معطيه و جائده و يقال نصر الله أرض فلان أى جاد عليها بالمطر و السبب كل ما يتوصل به إلى الشىء و منه قيل للجبل سبب و للطريق سبب و للباب سبب.

## الإعراب

«يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ» قال الزجاج اختلف الناس فى تفسير هذه اللام فقال البصريون و الكوفيون معنى هذه اللام التأخير و التقدير يدعو من لضره أقرب من نفعه و لم يشرحوه قال و شرحه أن اللام لليمين و التوكيد فحقها أن تكون فى أول الكلام فقدمت لتجعل فى حقها و إن كان أصلها أن يكون فى آخره كما أن لام أن حقها أن تكون فى الابتداء فلما لم يجوز أن تلى إن جعلت فى الخبر مثل قولك أن زيدا لقائم فهذا قول و قالوا أيضا أن يدعو معه هاء مضمرة و إن ذلك فى موضع رفع و يدعو فى موضع الحال المعنى ذلك



هو الضلال البعيد يدعوه أى فى حال دعائه إياه و يكون «لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ» مستأنفا مرفوعا بالابتداء و خبره «لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ» و فيه وجه آخر أغفله الناس و هو أن يكون ذلك فى تأويل الذى و هو فى موضع نصب لوقوع «يَدْعُوا» عليه و يكون «لَمَنْ ضَرُّهُ» مستأنفا و هو مثل قوله وَ مَا تَلَمَّكَ بِبَيْمِينِكَ يَا مُوسَى و معناه و ما التى بيمينك و قال أبو على إن اللامات التى هى حروف داله على معان سوى الجاره و التى للأمر على أربعة أضرب (أحدها) تدخل على خبر إن إذا خفت أو على غير خبرها ليفصل بين أن النافية و المؤكده مثل قوله وَ إِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ وَ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا (و الثانى) يختص بالدخول على الفعل المضارع و الماضى و يكون جوابا للقسم نحو قوله «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ» و قول امرئ القيس

" لنا موا فما إن من حديث و لا " صال

(و الثالث) يدخل فى الشرط إذا كان جزاؤه معتمدا على قسم نحو قوله «وَ لَيْتَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا» (و الرابع) يختص بالدخول على الأسماء المبتدأه و هى التى تدخل على خبر أن و يدخل على الفعل المضارع إذا كان للحال و كان خبرا لأن و هو أحد جهتى مضارعه الفعل المضارع للاسم و قد تدخل هذه اللام فى ضروره الشعر على خبر المبتدأ فى غير أن و ذلك كقوله

" أم الحليس لعجوز شهر به "

و كما حكى أبو الحسن فى حكاية نادره أن زيدا و وجهه لحسن فإذا كان هذه اللام حقها أن تدخل على المبتدأ أو على اسم أن أو خبرها من حيث أدخلها على المبتدأ و كان دخولها على خبر المبتدأ ضروره مع أنه المبتدأ فى المعنى فدخوله فى الموصول و المراد به الصلة ينبغى أن لا- يجوز لأن الصلة ليست بالموصول كما أن خبر المبتدأ المبتدأ فمن زعم أن اللام فى «لَمَنْ ضَرُّهُ» حكمها أن تكون فى المبتدأ الذى فى الصلة ثم قدم على الموصول كان مخطنا و أيضا فإن اللام إذا كان حكمه أنه يكون فى الصلة ثم قدم على الموصول فذلك غير سائغ كما أن سائر ما يكون فى الصلة لا يتقدم على الموصول قال و الوجه فى ذلك أن يجعل قوله «يَدْعُوا» تكرارا للفعل الأول على وجه تكثير هذا الفعل الذى هو الدعاء من فاعله و لا تجعلها متعدية إذ قد تعدت مره و يجوز أن تجعل مع يدعو هاء مضمرة و يكون فى موضع نصب على الحال من ذلك فكأنه قال ذلك هو الضلال البعيد مدعوا و يجوز أن تجعل ذلك هو الضلال البعيد مفعول يدعو على أن يكون ذلك فى معنى الذى يكون هو الضلال البعيد صلته كما قال أبو إسحاق أيضا فتكون اللام فى هذه الوجوه داخله على اسم مبتدأ موصول و لا موضع للجمله التى هى «لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ»

الآيه لأنها لا تقع موقع مفرد و يكون اللام فى قوله «لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ» فى موضع رفع لوقوعه خبر المبتدأ و تكون هذه اللام لليمين فهذا ما يجب أن تحمل الآيه عليه و أقول إن إعرابه على الوجه الأول أن يكون «ما لا يَضُرُّهُ» مفعول «يَدْعُوا» و «ما لا يَنْفَعُهُ» معطوفا عليه و «ذَلِكَ» مبتدأ و «هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» خبره و يدعو تكرر للفعل الأول و على الوجه الثانى يكون يدعو حالا من معنى الإشارة فى ذلك و على الوجه الثالث يكون ذلك اسما موصولا بمعنى الذى و الجملة صلته و الموصول و الصلة فى موضع نصب بأنه المفعول ليدعو و اللام فى «لَمَنْ ضَرُّهُ» لام الابتداء و الموصول و الصلة فى موضع رفع بالابتداء و «لَبِئْسَ الْمَوْلَى» جواب القسم و المقسم فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ و العائد إلى المبتدأ هو الضمير المحذوف من الجملة لأن التقدير لبئس المولى هو و لبئس العشير هو قال الزجاج و فيه وجه آخر و هو أن يكون يدعو فى معنى يقول و يكون من فى موضع رفع و خبره محذوف و يكون المعنى لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي و مثله قول عنترة:

يدعون عنتر و الرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم

أى يقولون يا عنتر و يجوز أن يكون يدعو فى معنى يسمى كما قال ابن أحمز:

أهوى لها مشقفا حشرا فشرقتها و كنت أدعو قذاها الإثم الفرد

و أقول إنما قال خبر المبتدأ هنا محذوف لأن من يعبد الصنم لا يقول لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى فلذلك قدر الخبر محذوفا.

## النزول

قيل نزلت هذه الآيه وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فى جماعه كانوا يقدمون على رسول الله ص المدينة فكان أحدهم إذا صح جسمه و نتجت فرسه و ولدت امرأته غلاما و كثرت ماشيته رضى به و اطمأن إليه و إن أصابه وجع فى المدينة و ولدت امرأته جاريه قال ما أصبت فى هذا الدين إلا شرا عن ابن عباس.

## المعنى

لما تقدم ذكر الكفار و ما تعاطوه من الجدل ذكر سبحانه بعده حال مقلده الضلال و الدعاه إلى الضلال فقال «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ» أى على ضعف فى العباده كضعف القائم على حرف أى طرف جبل أو نحوه عن على بن عيسى قال و ذلك

من اضطرابه في طريق العلم إذا لم يتمكن من الدلائل المؤديه إلى الحق فينقاد لأدنى شبهه لا يمكنه حلها وقيل على حرف أى على شك عن مجاهد وقيل معناه أنه يعبد الله بلسانه دون قلبه عن الحسن قال الدين حرفان أحدهما اللسان والثاني القلب فمن اعترف بلسانه ولم يساعده قلبه فهو على حرف «فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ» أى أصابه رخاء وعافيه وخصب وكثره مال اطمأن على عباده الله بذلك الخير «وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ» أى اختبار بجذب وقله مال «انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ» أى رجع عن دينه إلى الكفر والمعنى انصرف إلى وجهه الذى توجه منه وهو الكفر «خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ» أى خسر الدنيا بفراقه وخسر الآخرة بنفاقه «ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» أى الضرر الظاهر لفساد عاجله وآجله وقيل خسر فى الدنيا العز والغنيمه وفى الآخرة الثواب والجنه «يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَبْعُهُ» أى يدعو هذا المرید بعبادته سوى الله ما لا يضره إن لم يعبده وما لا ينفعه إن عبده «ذَلِكَ» الذى فعل «هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» عن الحق والرشد يدعو على الوجه الآخر معناه «يَدْعُوا» الذى هو الضلال البعيد «لَمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ» قال السدى يعنى الذى ضره فى الآخرة بعبادته إياه أقرب من النفع وإن كان لا نفع عنده ولكن العرب تقول لما لا يكون هذا بعيد ونفع الصنم بعيد لأنه لا يكون فلما كان نفعه بعيدا قيل لضره أنه أقرب من نفعه على معنى أنه كائن «لَبِئْسَ الْمَوْلَى» أى لبئس الناصر هو «وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ» أى الصاحب المعاصر المخالط هو يعنى الصنم يخالطه العابد ويصاحبه ولما ذكر الشاك فى الدين بالخسران ذكر ثواب المؤمنين على الإيمان فقال «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله وصدقوا رسله «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» بأوليائه وأهل طاعته من الكرامه وأعدائه وأهل معصيته من الإهانه لا يدفعه دافع ولا يمنعه مانع ثم قال «مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ» الهاء فى ينصره عائده إلى النبى ص عن ابن عباس و قتاده والمعنى من كان يظن أن الله لن ينصر نبيه محمدا ص ولا يعينه على عدوه «فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ» أى فليشدد جبلا- فى سقفه «ثُمَّ لِيَقْطَعْ» أى ليمدد ذلك الجبل حتى ينقطع فيموت مختنقا والمعنى فليختنق غيظا حتى يموت فإن الله ناصره ولا ينفعه غيظه وهو قوله «فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ» أى صنعه وحيلته «مَا يَغِيظُ» ما بمعنى المصدر أى هل يذهبن كيده غيظه عن قتاده وأكثر المفسرين وقيل فليمدد بسبب إلى السماء معناه فليطلب شيئا يصل به إلى السماء المعروفه ثم ليقطع نصر الله ووحى الله عن محمد ص و ليزل بكيده ما يغیظه من نصر الله له و نزول الوحى عليه أى لا- يتهيا له ذلك ولا سبيل له إليه فليتجرع ما يغیظه وإنما قال سبحانه ذلك على وجه التبعيد أى كما لا يتهيا لهم الوصول إلى السماء كذلك لا يتهيا لهم إزالة ما يغیظهم من أمر رسول الله و نصره على أعدائه دائما وإنما ذكر السماء لأن النصر يأتيه من قبل السماء و من

الملائكة عن أبي علي الجبائي وقيل إن الهاء في «يَنْصُرُهُ» عائده إلى من عن مجاهد والضحاك و أبي مسلم ثم اختلف في معناه فقيل من كان يظن من الناس أن الله لا ينصره فليجهد جهده و ليصعد السماء ثم ليقطع المسافه فلينظر هل ينفعه كيده في إزاله غيظه لما يدعى إليه من دين الله فإن الذي حكم الله به لا يبطل بكيد الكائد عن أبي مسلم وقيل المراد بالنصر الرزق و يقال أرض منصوره أى ممطوره و المعنى من ظن أن الله لا يرزقه في الدنيا و الآخره فليختنق نفسه أى لا يمكنه تكثير رزقه أى كما لا يقدر أن يزيد فيما رزقه الله بهذا النوع من الكيد كذلك لا يقدر عليه بسائر أنواع الكيد و هذا مثل ضربه الله لهذا الجاهل الذي يسخط لما أعطاه الله أى مثله مثل من فعل بنفسه هذا.

## [سوره الحج (٢٢): الآيات ١٦ الى ١٨]

### اشاره

وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ أَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ الصَّابِئِينَ وَ النَّصَارَى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبَالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَ مَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)

### الإعراب

خبر إن الأولى جمله الكلام مع أن الثانيه و زعم الفراء أن قولك إن زيدا أنه لقائم و روى أن هذه الآية إنما صلحت في الذي قال الزجاج لا فرق بين الذي و غيره في باب أن إن قلت إن زيدا أنه قائم كان جيدا قال جرير

إن الخليفة إن الله سربله سربال ملكك به ترجى الخواتيم.

### المعنى

ثم بين سبحانه أنه نزل الآيات حجه على الخلق فقال «وَ كَذَلِكَ» أى و مثل



ما تقدم من آيات القرآن «أَنْزَلْنَاهُ» يعنى القرآن «آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» أى حججا واضحات على التوحيد و العدل و الشرائع «وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ» أى و أنزلنا إليك أن الله يهدى إلى الدين من يريد و قيل إلى النبوه و قيل إلى الثواب و قيل يهدى من يهدى بهداه «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» بمحمد ص «وَالَّذِينَ هَادُوا» و هم اليهود «وَالصَّابِئِينَ وَ النَّصَارَى وَ الْمُجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» ظاهر المعنى «إِنَّ اللَّهَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى يبين المحق من المبطل بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح فيبيض وجه المحق و يسود وجه المبطل و الفصل التمييز بين الحق و الباطل «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» أى عليم مطلع على ما من شأنه أن يشاهد بعلمه قبل أن يكون لأنه علام الغيوب ثم خاطب النبى ص و المراد به جميع المكلفين فقال «أَلَمْ تَرَ» أى أ لم تعلم «أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَن فِي الْأَرْضِ» من العقلاء «وَ الشَّمْسُ» أى و يسجد الشمس «وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبَالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ» وصف سبحانه هذه الأشياء بالسجود و هو الخضوع و الذل و الانقياد لخالقها فيما يريد منها «وَ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ» يعنى المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى و انقطع ذكر الساجدين ثم ابتداء فقال «وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ» أى ممن أبى السجود لأنه لا يحق عليه العذاب إلا بتركة السجود «وَ مَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ» معناه من يهنه الله بأن يشقيه و يدخله جهنم «فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ» بالسعاده أى يادخاله الجنة لأنه لا يملك العقوبه و المثوبه سواه «إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» من الإنعام و الانتقام بالفريقين من المؤمنين و الكافرين.

## إشاره

هذَانِ خَصِيْمَانِ اخْتَصِمَا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا قَطَعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمْ الْحَمِيْمُ (١٩) يُصِرُّ بِهٖ مَا فِي بُطُوْنِهِمْ وَ الْجُلُوْدُ (٢٠) وَ لَهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيْدٍ (٢١) كُلَّمَا اَرَادُوْا اَنْ يَخْرُجُوْا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ اُعِيْدُوْا فِيْهَا وَ ذُوْقُوا عَذَابَ الْحَرِيْقِ (٢٢) اِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيْهَا مِنْ اَسْوَارٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَ لُوْلُوْا وَ لِيٰسِيْهِمْ فِيْهَا حَرِيْرٌ (٢٣)

وَ هُدُوْا اِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَ هُدُوْا اِلَى صِرَاطِ الْحَمِيْدِ (٢٤)

## القراءه

قرأ أهل المدينة و عاصم «وَلَوْلُوا» بالنصب و فى سوره فاطر مثله و الباقرن بالجر فى الموضوعين إلا يعقوب فإنه قرأ هاهنا بالنصب و فى فاطر بالجر و ترك أبو جعفر و أبو بكر و شجاع الهمزه الأولى منه فى جميع القرآن و فى الشواذ قراءه ابن عباس يحلون بفتح الياء و تخفيف اللام.

## الحجه

قال أبو على وجه الجر فى لؤلؤ أنهم يحلون فيها من أساور من ذهب و من لؤلؤ و وجه النصب أنه على و يحلون لؤلؤا و يجوز أن يكون عطفا على موضع الجار و المجرور لأن المعنى فى يحلون فيها من أساور يحلون أساور و قال ابن جنى يحلون من حلى يحلى يقال لم أحل منه بطائل أى لم أظفر و يجوز أن يكون من قولهم امرأه حاله أى ذات حلى.

## اللغه

الخصم يستوى فيه الواحد و الجمع و الذكر و الأنثى يقال رجل خصم و رجلان خصم و رجال خصم و نساء خصم و قد يجوز فى الكلام هذان خصمان اختصموا و هؤلاء خصم اختصموا قال الله تعالى «وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ» و هكذا حكم المصادر إذا وصف بها أو أخبر بها نحو عدل و رضى و صوم و فطر و زور و حرى و قمن و ما أشبه ذلك و إنما قال فى الآيه خصمان لأنهما جمعان و ليسا برجلين و مثله و إِنَّ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا وَ الْحَمِيمِ الْمَاءِ الْمَغْلَى وَ الصَّهْرِ إِذَا بَهَ قَالَ صهرته فانصهر قال

تروى لقى ألقى فى صنف تصهره الشمس فما ينصهر

يعنى ولدها و المقامع جمع مقمعه و هى مدقه الرأس من قمعه قمعا إذا ردعه و الحريق بمعنى المحرق كالأليم و الأساور جمع أسوار و فيه ثلاث لغات أسوار بالألف و سوار و سوار بالكسر و الضم و الجمع أسوره.

## النزول

قيل نزلت الآية «هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمَا» في سته نفر من المؤمنين و الكفار تبارزوا يوم بدر و هم حمزه بن عبد المطلب قتل عتبه بن ربيعه و على بن أبي طالب (عليه السلام) قتل

ص: ١٢٤

الوليد بن عتبة و عبيده بن الحرث بن عبد المطلب قتل شبيهه بن ربيعه عن ابي ذر الغفاري و عطا و كان ابو ذر يقسم بالله تعالى أنها نزلت فيهم و رواه البخاري في الصحيح و قيل نزلت في أهل القرآن و أهل الكتاب عن ابن عباس و قيل في المؤمنين و الكافرين عن الحسن و مجاهد و الكلبي و هذا قول ابي ذر إلا أن هؤلاء لم يذكروا يوم بدر.

## المعنى

لما تقدم ذكر المؤمنين و الكافرين بين سبحانه ما أعده لكل واحد من الفريقين فقال «هَذَانِ خَصْمَانِ» أى جمعان فالفرق الخمسه الكافره خصم و المؤمنون خصم و قد ذكروا فى قوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ» الآيه «اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ» أى فى دين ربهم فقالت اليهود و النصارى للمسلمين نحن أولى بالله منكم لأن نبينا قبل نبيكم و ديننا قبل دينكم و قال المسلمون بل نحن أحق بالله منكم آمننا بكتابنا و كتابكم و نبينا و نبيكم و كفرتم أنتم بنينا حسدا فكان هذا خصومتهم و قيل إن معنى اختصموا اقتتلوا يوم بدر «فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ» قال ابن عباس حين صاروا إلى جهنم لبسوا مقطعات النيران و هى الثياب القصار و قيل يجعل لهم ثياب نحاس من نار و هى أشد ما تكون حرا عن سعيد بن جبير و قيل أن النار تحيط بهم كإحاطه الثياب التى يلبسونها بهم «يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ» أى الماء المغلى فيذيب فى ما بطونهم من الشحوم و تساقط الجلود و فى خبر مرفوع أنه يصب على رؤوسهم الحميم فينفذ إلى أجوافهم فيسلى ما فيها «يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ» أى يذاب و ينضج بذلك الحميم ما فيها من الأمعاء و تذاب به الجلود «وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ» قال الليث المقمعه شبه الجزر من الحديد يضرب بها الرأس

و روى أبو سعيد الخدرى قال قال رسول الله ص فى قوله «وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ» لو وضع مقمعه من حديد فى الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض

و قال الحسن إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا فى أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفا فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعه فذلك قوله «كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا» أى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم و الكرب الذى يأخذ بأنفسهم حين ليس لها مخرج ردوا إليها بالمقامع «وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» أى يقال لهم ذوقوا و الذوق طلب إدراك الطعم و الحريق الاسم من الاحتراق قال الزجاج هذا لأحد الخصمين و قال فى الخصم الذين هم المؤمنون «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله و أقروا بوحدانيته «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أبنيتها و أشجارها «يُحَلَّوْنَ فِيهَا» أى يلبسون الحلى فيها «مِنْ أَسَاوِرَ» و هى حلى اليد «مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا» أى و من لؤلؤ «وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ» أى ديباج حرم الله سبحانه لبس

الحرير على الرجال فى الدنيا و شوقهم إليه فى الآخرة فأخبر أن لباسهم فى الجنة حرير «وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ» أى أرشدوا فى الجنة إلى التحيات الحسنه يحيى بعضهم بعضا و يحييهم الله و ملائكته بها و قيل معناه أرشدوا إلى شهاده أن لا إله إلا الله و الحمد لله عن ابن عباس و زاد ابن زيد و الله أكبر و قيل أرشدوا إلى القرآن عن السدى و قيل إلى القول الذى يتلذونه و يشتهونه و تطيب به نفوسهم و قيل إلى ذكر الله فهم به يتنعمون «وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ» و الحميد هو الله المستحق للحمد المستحمد إلى عباده بنعمه عن الحسن أى الطالب منهم أن يحمده

و روى عن النبى ص أنه قال ما أحد أحب إليه الحمد من الله عز ذكره

و صراط الحميد هو طريق الإسلام و طريق الجنة.

ص: ١٢٦

## إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُصَدِّقُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٢٥) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَادِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَيْجِ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَ لِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)

ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠)

## القراءة

قرأ حفص عن عاصم وروح وزيد عن يعقوب «سواءً» بالنصب والباقون بالرفع و في الشواذ قراءة ابن عباس و أبي مجلز و مجاهد و عكرمه و الحسن

رجالاً بالتشديد و الضم و هو المروى عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و قراءة ابن أبي إسحاق و الزهري و الحسن بخلاف رجالاً بالضم و التخفيف.

## الحج

قال أبو علي وجه الرفع في سواء أنه خبر مبتدأ مقدم و المعنى العاكف فيه و البادى سواء ليس أحدهما بأحق به من صاحبه و هذا يدل على أن أرض الحرم لا تملك و لو ملكت لم يستويا فيها و صار العاكف فيها أولى بها من البادى لحق ملكه و لكن سبيلها سبيل المساجد التي من سبق إليها كان أولى بها و من نصب سواء أعمل المصدر إعمال اسم الفاعل فرفع العاكف به كما يرفع بمستوى لو قال جعلناه مستويا العاكف فيه و البادى و وجه إعماله أن المصدر قد يقوم مقام اسم الفاعل في الصفه في نحو قولهم رجل عدل فيصير عدل كعادل و يجوز في نصب سواء وجه آخر و هو أن تنصبه على الحال فإذا نصبته عليها و جعلت قوله للناس مستقرا جاز أن يكون حالا يعمل فيها معنى الفعل و ذو الحال الذكر الذي في المستقر و يجوز أن يكون حالا من الفعل الذي هو جعلناه فإن جعلتها حالا من الضمير المتصل بالفعل كان الضمير ذا الحال و العامل فيها الفعل و جواز كون للناس مستقرا على أن يكون المعنى أنه جعل للناس و نصب لهم منسكا و متعبدا كما قال إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ و أما رجالا فهو جمع راجل مثل طالب و طلاب و كاتب و كتاب و أما رجالا بتخفيف الجيم فهو غريب في الجمع فهو نحو ظوار و عراق و رخال في جمع ظئر و عرق و رخل.

العاكف المقيم الملازم للمكان و البادى أصله من بدا يبدو إذا ظهر و البدو خلاف الحضرة سمي بذلك لظهوره و البادى فى الآيه الطارئ و المكان ما يتمكن عليه الشىء قيل هو اسم لما أحاط بالشىء و المكان و الموضع و المستقر نظائر و الرجال جمع راجل مثل صحاب و قيام و فى جمع صاحب و قائم و الضامر المهزول أضمرة السير و العميق البعيد قال الراجز

" يقطعن بعد النازح العميق "

و البائس الذى به ضر الجوع و الفقير الذى لا شىء له يقال بؤس فهو بائس أى صار ذا بؤس و هو الشده قال الأزهرى لا يعرف التفث فى لغة العرب إلا من قول ابن عباس و أهل التفسير و قال النضر بن شميل هو إذهاب الشعث.

## الإعراب

خبر «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» محذوف يدل عليه «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ

ص: ١٢٧

عَذَابٍ أَلِيمٍ» فالمعنى إن الذين كفروا نذيقهم العذاب الأليم «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ» الباء فيه زائده تقديره و من يرد فيه إلحادا و الباء فى قوله «بِظُلْمٍ» للتعديه و ما جاءت الباء فيه مزيده قول الشاعر

بواد يمان ينبت الشث صدره و أسفله بالمرخ و الشبهان

و قول الأعشى

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا ملء المراجل و الصريح الأجرى

و قول امرئ القيس

ألا هل أتاها و الحوادث جمه بأن امرء القيس بن تملك بيقرا

و قال الزجاج و الذى يذهب إليه أصحابنا أن الباء ليست بملغاه و المعنى عندهم و من إرادته فيه بأن يلحد بظلم و هو مثل قوله

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى لى بكل سبيل

و المعنى أريد و إرادتى لهذا «على كُـلِّ ضامرٍ» فى موضع نصب على الحال أى يأتوك رجالا و ركباناً و يأتين فى موضع جر لأن المعنى فى قوله «و على كُـلِّ ضامرٍ» على إبل ضامره آتية من كل فج عميق

و روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قرأ يأتون

فعلى هذا يعود الضمير فى يأتون إلى الناس.

## المعنى

ثم بين سبحانه حال الكفار فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ» عطف بالمضارع على الماضى لأن المراد بالمضارع أيضا الماضى و يقويه قوله الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ\* و يجوز أن يكون المعنى أن الذين كفروا فيما مضى و هم الآن يصدون الناس عن طاعة الله «وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ» أى مستقرا و منسكا و متعبدا و قيل معناه خلقناه للناس كلهم لم يخص به بعض دون بعض قال الزجاج جعلناه للناس وقف تام ثم قال «سِوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَ الْبَادِ» أى العاكف المقيم فيه و الباد الذى ينتابه من غير أهله مستويان فى سكناه و النزول به فليس أحدهما أحق بالمتزل يكون فيه من



الآخر غير أنه لا يخرج أحد من بيته عن ابن عباس و قتاده و سعيد بن جبير قالوا إن كراء دور مكة و بيعها حرام و المراد بالمسجد الحرام على هذا الحرم كله كقوله أشرى بعديه لئلا من المسجد الحرام و قيل المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذى يصلى فيه عن الحسن و مجاهد و الجبائى و الظاهر يدل عليه و على هذا يكون المعنى فى قوله «جَعَلْنَا لِلنَّاسِ» أى قبله لصلاتهم و منسكا لحجهم فالعاكف و الباد سواء فى حكم النسك و كان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة فى المسجد الحرام و الطواف به و يدعون أنهم أربابه و ولاته «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ» و الإلحاد العدول عن القصد و اختلف فى معناه هاهنا فقيل هو الشرك و عبادة غير الله تعالى عن قتاده فكأنه قال و من يرد فيه ميلا عن الحق بأن يعبد غير الله ظلما و عدوانا و قيل هو الاستحلال للحرام و الركوب للآثام عن ابن عباس و الضحاك و مجاهد و ابن زيد و قيل هو كل شىء نهى عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك أعظم و قيل هو دخول مكة بغير إحرام عن عطاء «نُذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» أى نعتبه عذابا و جيعا و قيل إن الآيه نزلت فى الذين صدوا رسول الله ص عن مكة عام الحديبيه «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ» معناه و اذكر يا محمد إذ وطأنا لإبراهيم مكان البيت و عرفناه ذلك بما جعلنا له من العلامة قال السدى إن الله تعالى لما أمره ببناء الكعبة لم يدر أين يبنى فبعث الله ريحا خجوجا فكنست له ما حول الكعبة عن الأساس الأول الذى كان البيت عليه قبل أن رفع أيام الطوفان و قال الكلبي بعث الله سبحانه على قدر البيت فيها رأس تتكلم فقامت بحيال الكعبة و قالت يا إبراهيم ابن على قدرى و قيل إن المعنى جعلنا البيت مثوبه و مسكنه عن ابن الأنبارى «أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا» أى و أوحينا إليه أن لا تعبد غيرى قال المبرد كأنه قال و حدنى فى هذا البيت لأن معنى لا تشرك بى شيئا و حدنى «وَ طَهَّرْ بَيْتِي» من الشرك و عبادة الأوثان عن قتاده «لِلطَّائِفِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ» مفسر بسوره البقره و المراد بالقائمين المقيمين بمكة و قيل القائمين فى الصلاة عن عطاء «وَ أذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ» أى ناد فى الناس و أعلمهم بوجوب الحج و اختلف فى المخاطب به على قولين (أحدهما) أنه إبراهيم عن على و ابن عباس و اختاره أبو مسلم قال ابن عباس قام فى المقام فنادى يا أيها الناس إن الله دعاكم إلى الحج فأجابوا بلييك اللهم لييك (و الثانى) أن المخاطب به نبينا محمد عليه أفضل الصلوات أى و أذن يا محمد فى الناس بالحج فأذن صلوات الله عليه فى حجه الوداع أى أعلمهم بوجوب الحج عن الحسن و الجبائى و جمهور المفسرين على القول الأول و قالوا أسمع الله

تعالى صوت إبراهيم كل من سبق علمه بأنه يحج إلى يوم القيامة كما أسمع سليمان مع ارتفاع منزلته و كثره جنوده حوله صوت النملة مع خفضه و سكونه و فى روايه عطا عن ابن عباس قال لما أمر الله سبحانه إبراهيم أن ينادى فى الناس بالحج صعد أبا قبيس و وضع إصبعه فى أذنيه و قال يا أيها الناس أجيئوا ربكم فأجابوه بالتلبية فى أصلاب الرجال و أول من أجابه أهل اليمن «يَأْتُوكَ رِجَالًا» أى مشاه على أرجلهم «وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ» أى ركبانا قال ابن عباس يريد الإبل و لا يدخل بعير و لا غيره الحرم إلا و قد هزل و

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال لبنيه يا بنى حجوا من مكة مشاه حتى ترجعوا إليها مشاه فإنى سمعت رسول الله ص يقول للحاج الراكب بكل خطوه تخطوها راحلته سبعون حسنه و للحاج الماشى بكل خطوه يخطوها سبعمائه حسنه من حسنات الحرم قيل و ما حسنات الحرم قال الحسنه بمائه ألف حسنه

«يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» أى طريق بعيد

و روى مرفوعا عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ص يقول إن الله تعالى يباهى بأهل عرفات الملائكه يقول يا ملائكتى انظروا إلى عبادى شعثا غبرا أقبلوا يضربون إلى من كل فج عميق فأشهدكم أنى قد أجت دعاءهم و شفعت رغبتهم و وهبت مسيئتهم لمحسنتهم و أعطيت محسنتهم جميع ما سألوني غير التبعات التى بينهم فإذا أفاض القوم إلى جمع و وقفوا و عادوا فى الرغبه و الطلب إلى الله يقول يا ملائكتى عبادى وقفوا و عادوا من الرغبه و الطلب فأشهدكم أنى قد أجت دعاءهم و شفعت رغبتهم و وهبت مسيئتهم لمحسنتهم و أعطيت محسنتهم جميع ما سألنى و كفلت عنهم بالتبعات التى بينهم

و قوله «لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ» قيل يعنى بالمنافع التجارات عن ابن عباس و سعيد بن جبير و قيل التجاره فى الدنيا و الأجر و الثواب فى الآخره عن مجاهد و

قيل هى منافع الآخره و هى العفو و المغفره عن سعيد بن المسيب و عطيه العوفى و هو المروى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) و يكون المعنى ليحضروا ما ندبهم الله إليه مما فيه النفع لهم فى الآخره «وَيَذُكُّوْا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ» اختلف فى هذه الأيام و فى الذكر فيها فقيل هى أيام العشر و قيل لها معلومات للحرص على علمها من أجل وقت الحج فى آخرها و المعدودات أيام التشريق عن الحسن و مجاهد و قيل

هى أيام التشريق يوم النحر و ثلاثه بعده و المعدودات أيام العشر عن ابن عباس و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و اختاره الزجاج قال لأن الذكر هاهنا يدل على التسميه على ما ينحر لقوله «عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» أى على ذبح و نحر ما رزقهم من الإبل و البقر و الغنم و هذه الأيام تختص بذلك و قيل إن الذكر فيها كناية عن الذبح لأن صحه الذبح لما كان بالتسميه سمي باسمه توسعا و قيل هو التكبير

قال أبو عبد الله التكبير بمنى عقب خمس عشره صلاه أولها صلاه الظهر من يوم النحر يقول الله أكبر الله أكبر لا إله

إلا الله و الله أكبر الله أكبر و الله الحمد الله أكبر على ما هدانا و الحمد لله على ما أبلانا و الله أكبر على ما رزقنا من بهيمه الأنعام

و البهيمه أصلها من الإبهام و ذلك أنها لا تفصح كما يفصح الحيوان الناطق و الأنعام الإبل و اشتقاقها من النعمه و هى اللين سميت بذلك للين أخفافها و قد يجتمع معها البقر و الغنم فيسمى الجميع أنعاما اتساعا و إن انفردا لم يسميا أنعاما «فَكُلُوا مِنْهَا» أى من بهيمه الأنعام و هذا إباحه و ندب و ليس بواجب «وَ أَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ» فالبائس الذى ظهر عليه أثر البؤس من الجوع و العرى و قيل البائس الذى يمد يده بالسؤال و يتكفف للطلب أمر سبحانه أن يعطى هؤلاء من الهدى «ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» أى ليزيلوا أشعث الإحرام من تقليم ظفر و أخذ شعر و غسل و استعمال طيب عن الحسن و قيل معناه ليقضوا مناسك الحج كلها عن ابن عباس و ابن عمر قال الزجاج قضاء التفث كناية عن الخروج من الإحرام إلى الإحلال «وَ لِيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ» أى و ليتموا ندورهم بقضائها و لم يقل بندورهم لأن المراد بالإيفاء الإتمام قال ابن عباس هو نحر ما نذروا من البدن و قيل هو ما نذروا من أعمال البر فى أيام الحج و ربما نذر الإنسان أن يتصدق أن رزقه الله الحج و إن كان على الرجل نذور مطلقه فالأفضل أن يفى بها هناك «وَ لِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» هذا أمر و ظاهره يقتضى الوجوب و قيل أراد به طواف الزيارة لأنه من أركان أفعال الحج بلا خلاف و قيل إنه طواف الصدر لأنه سبحانه أمر به عقيب المناسك كلها و روى أصحابنا أن المراد به طواف النساء الذى يستباح به وصل النساء و ذلك بعد طواف الزيارة فإنه إذا طاف طواف الزيارة حل له كل شىء إلا النساء فإذا طاف طواف النساء حلت له النساء و البيت العتيق هو الكعبه و إنما سمي عتيقا لأنه أعتق من أن يملكه العبيد عن مجاهد و سفيان بن عيينه و أبى مسلم و قيل إنما سمي عتيقا لأنه أعتق من أن تصل الجبابره إلى تخريبه و ما قصده جبار قبل نبينا ص إلا- أهلكه الله تعالى و إنما لم يهلك الحجاج حين نقضه و بناه ثانيا ببركه نبينا ص فإن الله سبحانه أمن ببركته هذه الأمه من عذاب الاستئصال عن مجاهد و قيل سمي به لأنه أعتق من الطوفان فغرقت الأرض كلها إلا موضع البيت و قيل سمي به لأنه قديم فهو أول بيت وضع للناس بناه آدم (عليه السلام) ثم جدده إبراهيم (عليه السلام) عن ابن زيد «ذَلِكَ» قيل هاهنا وقف و معناه الأمر ذلك أى هكذا أمر الحج و المناسك «وَ مَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ» أى فالتعظيم خير له عند ربه أى فى الآخرة و الحرمة ما لا- يحل انتهاكه و قال الزجاج الحرمة ما وجب القيام به و حرم التفريط فيه و هى فى هذه الآيه ما نهى عنها و منع من الوقوع فيها

و تعظيمها ترك ملامستها و اختار أكثر المفسرين فى معنى الحرمات هنا أنها المناسك لدلاله ما يتصل بها من الآيات على ذلك و قيل معناها هاهنا البيت الحرام و البلد الحرام و الشهر الحرام و المسجد الحرام عن ابن زيد قال و يدل عليه قوله وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ «وَ أُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ» أى الإبل و البقر و الغنم «إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ» يعنى فى سورة المائدة من الميتة و المنخنقه و الموقوذه و نحوها «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» من هنا للتبيين و التقدير فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان و روى أصحابنا أن اللعب بالشطرنج و النرد و سائر أنواع القمار من ذلك و قيل إنهم كانوا يلطخون الأوثان بدماء قرابينهم فسمى ذلك رجسا «وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» يعنى الكذب و قيل هو تلييه المشركين لبيك لا- شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملك و روى أصحابنا أنه يدخل فيه الغناء و سائر الأقوال الملهيه

و روى أيمن بن حريم عن رسول الله ص أنه قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ»

يريد أنه قد جمع فى النهى بين عباده الوثن و شهادة الزور.

## [سورة الحج (٢٢): الآيات ٣١ الى ٣٥]

### إشاره

حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَلِكَ وَ مَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسًّا كَمَا لِيذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ الصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)

### القرءه

قرأ أهل المدينه فتحطفه بفتح الخاء مشددا و الباقون «فَتَخْطَفُهُ» بسكون الخاء

ص: ١٣٢

و التخفيف و قرأ منسكا بالكسر أهل الكوفه غير عاصم و الباقون «مَنْسِكًا» بالفتح و فى الشواذ قراءه الحسن و ابن أبى إسحاق و المقيمى الصلاه بالنصب.

## الحج

تخطف تتخطف فحذف تاء التفعّل و هما فى كلا- القراءتين حكايه حال تكون و المعنى فى ذلك أنه فى مقابله قوله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَأَنْفِصَامَ لَهَا فالمشرك بعكس هذا الوصف فلم يستمسك لكفره بما فيه أمان من الخرور و نجاه من الهوى و اختطاف الطير فصار كمن خر من السماء فهوت به الريح فلم يكن له معتصم و الأصل فى المنسك الفتح لأنه لا يخلو من أن يكون مصدرا أو مكانا و كلاهما مفتوح العين من باب يفعل إلا أنه قد جاء اسم المكان منه فى كلمات على المفعّل نحو المطلع و المسجد شاذا عن القياس و من قرأ «وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةِ» فإنه حذف النون تخفيفا لا لتعاقبها الإضافه و شبه ذلك بالذين و اللذان فى قول الشاعر

و إن الذى حانت بفلج دماءهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

و قول الأخطل

أبنى كليب إن عمى اللذا قتلا الملوك و فككا الأغلالا

و نحوه بيت الكتاب

و الحافظو عوره العشيره لا يأتهم من ورائهم و كف

و قال آخر

قتلنا ناجيا بقتيل عمرو و خير الطالبى التره الغشوم.

## اللغة

الخطف و الإخطاف الاستلاب و السحيق البعيد و السحوق النخلة الطويله و الشعائر علامات مناسك الحج التى تشعر بما جعلت له و أشعرت البدن أعلمتها بما يشعر أنها هدى و المنسك موضع العباده و النسك العباده يقال نسك ينسك و ينسك أى تعبد و قيل هو عباده الذبح و النسيكه الذبيحه يقال نسكت الشاه ذبحتها و الإخبات الخضوع و الطمأنينه و أصله من الخبت و هو المكان المطمئن و قيل المنخفض.

## المعنى

قال سبحانه «حُنْفَاءَ لِلَّهِ» أى مستقيمى الطريقه على أمر الله مائلين عن سائر الأديان و هى نصب على الحال «غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ» أى حجاجا مخلصين و هم



مسلمون موحدون لا يشركون في تلبية الحج به أحدا ثم ضرب سبحانه مثلا لمن أشرك فقال «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ» أى سقط من السماء «فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ» أى تأخذه بسرعه قال ابن عباس يريد تخطف لحمه «أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ» أى تسقطه «فِي مَكَانٍ سَيِّئٍ» أى بعيد مفترط فى البعد قال الزجاج أعلم الله سبحانه أن بعد من أشرك به من الحق كبعد من خر من السماء فذهب به الطير أو هوت به الريح فى مكان بعيد و قال غيره شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء فى أنه لا يملك لنفسه حيله فهو هالك لا محاله «ذَلِكَ» أى الأمر ذلك الذى ذكرنا «وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ» أى معالم دين الله و الأعلام التى نصبها لطاعته ثم اختلف فى ذلك فقيل هى مناسك الحج كلها عن ابن زيد و قيل هى البدن و تعظيمها استسمانها و استحسانها عن مجاهد و عن ابن عباس فى روايه مقسم و الشعائر جمع شعيره و هى البدن إذا أشرعت أى أعلمت عليها بأن يشق سنامها من الجانب الأيمن ليعلم أنها هدى فالذى يهدى مندوب إلى طلب الأسمن و الأعظم و قيل شعائر الله دين الله كله و تعظيمها التزامها عن الحسن «فَأَنَّهُا» أى فإن تعظيمها لدلاله تعظيم عليه ثم حذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه فقال فإنها «مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» أضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقه التقوى تقوى القلوب و قيل أراد صدق النيه «لَكُمْ فِيهَا» أى فى الشعائر «مَنَافِعَ» فمن تأول أن الشعائر الهدى قال إن

منافعها ركوب ظهورها و شرب ألبانها إذا احتيج إليها و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و هو قول عطاء بن أبى رباح و مذهب الشافعى و على هذا فقوله «إِلَى أَجَلٍ مُّسَيَّبٍ» معناه إلى أن ينحر و قيل إن المنافع من رسلها و نسلها و ركوب ظهورها و أصوافها و أوبارها «إِلَى أَجَلٍ مُّسَيَّبٍ» أى إلى أن يسمى هديا و بعد ذلك تنقطع المنافع عن مجاهد و قتاده و الضحاك و القول الأول أصح لأن قبل أن تسمى هديا لا تسمى شعائر و من قال إن الشعائر مناسك الحج قال المراد بالمنافع التجاره إلى أجل مسمى إلى أن يعود من مكه و من قال إن الشعائر دين الله قال لكم فيها منافع أى الأجر و الثواب و الأجل المسمى القيامة «ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ» و من قال إن شعائر الله هى البدن قال معناه أن محل الهدى و البدن الكعبه و قيل محله الحرم كله و قال أصحابنا إن كان الهدى للحج فمحله منى و إن كان للعمرة المفردة فمحله مكه قبالة الكعبه بالجزوره و محلها حيث يحل نحرها و من قال إن الشعائر مناسك الحج قال معناه ثم محل الحج و العمره و الطواف بالبيت العتيق و إن منتهاها إلى البيت العتيق لأن التحلل يقع بالطواف و الطواف يختص بالبيت و من قال إن الشعائر هى الدين كله فيحتمل أن يكون معناه أن محل ما اختص منها بالإحرام هو البيت العتيق و ذلك الحج و العمره فى القصد له و الصلاه فى التوجه إليه و يحتمل أن يكون معناه أن

أجرها على رب البيت العتيق «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا» أى لكل جماعة مؤمنه من الذين سلفوا جعلنا عباده فى الذبح عن مجاهد وقيل قربانا أحل لهم ذبحه وقيل متعبدا و موضع نسك يقصده الناس وقيل منهاجا و شريعة عن الحسن «لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» أى تعبدناهم بذلك ليدكروا اسم الله على ما رزقناهم من بهيمه الأنعام و بهيمه غير الأنعام لا يحل ذبحها و لا-التقرب بها و فى هذا دلالة على أن الذبائح غير مختصه بهذه الأمه و أن التسميه على الذبح كانت مشروعه قبلنا «فَالِهَكُمْ إِلَهًا وَاحِدًا» أى معبودكم الذى توجهون إليه العباده واحد لا شريك له و المعنى فلا تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده «فَلَهُ أَشْتَلِمُوا» أى انقادوا و أطيعوا «وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ» أى المتواضعين المطمئنين إلى الله عن مجاهد وقيل الذين لا يظلمون و إذا ظلموا لا ينتصرون كأنهم اطمأنوا إلى يوم الجزاء ثم وصفهم فقال «الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ» أى إذا خوفوا بالله خافوا «وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ» من البلىا و المصائب فى طاعه الله «وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ» فى أوقاتها يؤدونها كما أمرهم الله «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» أى يتصدقون من الواجب و غيره عن ابن عباس.



## إشارة

وَ الَّذِينَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَ لَا دِمَاؤُهَا وَ لَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوَاتٌ وَ مَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)

## القراءة

قرأ لن تنال الله و لكن تناله بالتاء يعقوب و قرأ الأول بالتاء أبو جعفر و قرأ الباقون بالياء فيهما و قرأ ابن كثير و أهل البصرة أن الله يدفع بغير ألف و الباقون «يُدافع» بالألف و قرأ أهل المدينة و يعقوب و لو لا دفاع الله بالألف و الباقون «دفع الله» بغير ألف و قرأ أهل المدينة و حفص «أذن» بضم الألف يقاتلون بفتح التاء و قرأ أبو بكر و أبو عمرو و يعقوب «أذن» بضم الألف يقاتلون بكسر التاء و قرأ ابن عامر أذن بفتح الألف «يُقاتلون» بفتح التاء و الباقون أذن فتح الألف يقاتلون بكسر التاء و قرأ أهل الحجاز لهدمت خفيفه الدال و الباقون بالتشديد و أظهر التاء عاصم و يعقوب و أدغمه الآخرون و قرأ ابن مسعود و ابن عباس و ابن عمرو و أبو جعفر الباقر (عليه السلام) و قتاده و عطاء و الضحاك صوافن بالنون و قرأ الحسن و شقيق و أبو موسى الأشعري و سليمان التيمي صوافي و قرأ جعفر بن محمد (عليه السلام) و صلوات بضم الصاد و اللام و قرأ الجحدري و الكلبي و صلوات بضم الصاد و فتح اللام.

## الحج

التأنيث في تنال للجماعه و للفظ التقوى و التذكير لمعنى الجمع لأن التقوى بمعنى الاتقاء و الدافع مصدر دفع و الدفاع مصدر دافع و قد يكون فاعل بمعنى فعل نحو طارقت النعل و عاقبت اللص و أما قوله «أذن للذين يُقاتلون» فالقراءات فيها متقاربه و المأذون لهم في القتال أصحاب رسول الله ص و ما ظلموا به أن المشركين أخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفه منهم بالحبشه ثم هاجروا إلى المدينة فمن قرأ أذن على بناء الفعل للفاعل فلما تقدم من ذكر الله سبحانه و قوله «للذين يُقاتلون» في موضع نصب و من قرأ «يُقاتلون» فالمعنى أنهم يقاتلون عدوهم الظالمين لهم و من قرأ «أذن» على بناء الفعل للمفعول به فالمعنى على أن الله سبحانه أذن لهم في القتال و الجار و المجرور في موضع رفع و قوله لهدمت بالتخفيف و إنما جاز لأن ذلك قد يكون للقليل و الكثير تقول ضربت زيدا ضربه و ضربته ألف ضربه فاللفظ في القله و الكثره على حاله واحده و «لهدمت» بالتشديد يختص بالكثره قال الشاعر

ما زلت أفتح أبوابا و أغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

فأما من قال صوافن فمثل الصافنات و هي الجياد من الخيل إلا أنه استعمل هنا في

ص: ١٣٦

الإبل و الصافن الرافع إحدى رجليه معتمدا منها على سنيكها قال عمرو بن كلثوم

تركنا الخيل عاكفه عليه مقلده أعتها صفونا

و الصوافى الخوالص لوجه الله و إما صلوات و صلوات فيمكن أن يكون جمع صلاه و إن كانت غير مستعمله فيكون مثل حجره و حجرات و حجرات.

## اللغة

البدن جمع بدنه و هى الإبل المبدنه بالسمن قال الزجاج تقول بدنت الإبل أى سمتها و قيل أصل البدن الضخم و كل ضخم بدن و بدن بدنا و بدنا إذا ضخم و بدن تبدينا إذا أسن و ثقل لحمه بالاسترخاء و

فى الحديث إنى قد بدنت فلا تبادرونى بالركوع و السجود

و قال

(و كنت خلت الشيب و التبدينا)

و الوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس إذا وقعت فى المغيب للغروب و وجب الحائط وقع و وجب القلب اضطرب بأن وقع ما يوجب اضطرابه و وجب الفعل إذا وقع ما يلزم به و وجب البيع إذا وقع وجوبا و الصواف المصطفاه الأزهري عن ابن الأعرابي قال قنعت بما رزقت بالكسر و قنعت إلى فلان خضعت له بالفتح و المعترى و المعترى واحد و روى عن الحسن و أبى رجاء و عمرو بن عبيد أنهم قرءوا المعترى يقال عراه و اعتراه و عره و اعتره كله بمعنى أتاها و قصده قال طرفه

فى جفان نعترى نادينا و سديف حين هاج الصنبر

و يقال قنع الرجل إلى فلان قنوعا إذا سأل قال الشماخ:

لمال المرء يصلحه فيغنى مفاقره أعف من القنوع

و الصومعه أصلها من الانضمام و منه الأصمع للاصق الأذنين و كل منضم فهو متصمع قال أبو ذؤيب يصف صائدا

فرمى فأنفذ من نحوص عائط سهما فخر و ريشه متصمع

و البيع كنائس اليهود.

و «الْبُدْنَ» منصوب بإضمار فعل تقديره و جعلنا البدن جعلناها «صَوَافً» منصوب على الحال «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» فى محل الجر بأنه من الذين يقاتلون و يجوز أن يكون فى موضع الرفع على تقديرهم الذين أخرجوا و فى محل النصب على المدح على تقدير أعنى الذين أخرجوا «بِغَيْرِ حَقٍّ» فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون صفة مصدر محذوف و تقديره أخرجوا إخراجاً بهذه الصفة «إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ» إلا هاهنا لنقض النفى و تقديره إلا بأن يقولوا أى بقولهم و «بَعْضَهُمْ» منصوب على البدل من الناس و هو بدل البعض من الكل و التقدير دفع الله بعض الناس ببعض.

### المعنى

ثم عاد إلى ذكر الشعائر فقال «وَالْبُدْنَ» و هى الإبل العظام و قيل الناقة و البقره مما يجوز فى الهدى و الأضاحى عن عطاء و السدى «جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» أى من أعلام دينه و قيل من علامات مناسك الحج و المعنى جعلناها لكم فيها عباده الله من سوقها إلى البيت و إشعارها و تقليدها و نحرها و الإطعام منها «لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ» أى نفع فى الدنيا و الآخرة و قيل أراد بالخير ثواب الآخرة و هو الوجه لأنه الغرض المطلوب «فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا» أى فى حال نحرها و عبر به عن النحر قال ابن عباس هو أن يقول الله أكبر لا- إله إلا الله و الله أكبر اللهم منك و لك «صَوَافً» أى قياماً مقيدة على سنه محمد ص عن ابن عباس و قيل هو أن تعقل إحدى يديها و تقوم على ثلاثه تنحر كذلك فيسوى بين أوظيفتها لثلا يتقدم بعضها على بعض عن مجاهد و قيل

هو أن تنحر و هى صافه أى قائمه ربطت يديها ما بين الرسغ و الخف إلى الركبه عن أبى عبد الله (عليه السلام)

هذا فى الإبل فأما البقر فإنه يشد يداها و رجلاها و يطلق ذنبها و الغنم يشد ثلاث قوائم منها و يطلق فرد رجل منها «فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا» أى سقطت إلى الأرض و عبر بذلك عن تمام خروج الروح منها «فَكُلُّوا مِنْهَا» و هذا إذن و ليس بأمر لأن أهل الجاهليه كانوا يحرمونها على نفوسهم و قيل إن الأكل منها واجب إذا تطوع بها «وَ أَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ» اختلف فى معناهما فقيل إن القانع الذى يقنع بما أعطى أو بما عنده و لا- يسأل و المعتز الذى يتعرض لك أن تطعمه من اللحم و يسأل عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و عكرمه و إبراهيم و قيل القانع الذى يسأل و المعتز الذى يتعرض و لا يسأل عن الحسن و سعيد بن جبير و

قال أبو جعفر (عليه السلام) و أبو عبد الله (عليه السلام) القانع الذى يقنع بما أعطيته و لا يسخط و لا يكلمح و لا يلوى شدقه غضباً و المعتز الماد يده لتطعمه

و

فى روايه الحلبي عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال القانع الذى يسأل فيرضى بما أعطى و المعتز الذى يعترى رجاءه ممن لا يسأل

و روى عن ابن عباس أنه قال فى جواب نافع بن الأزرق لما سأله عن ذلك القانع الذى يقنع بما أعطى و المعتز الذى يعترى الأبواب أ ما سمعت قول زهير



روى عنهم (عليه السلام) أنه ينبغي أن يطعم ثلثه و يعطى القانع و المعتر ثلثه و يهدى لأصدقائه الثلث الباقي

«كَذَلِكَ» أى مثل ما وصفناه «سَيَخْرُجُهَا لَكُمْ» أى ذلناها لكم حتى لا تمنع عما تريدون منها من النحر و الذبح بخلاف السباع الممتنعه و لتنتفعوا بركوبها و حملها و نتاجها نعمه منا عليكم «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» ذلك «لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَ لَا دِمَائُهَا وَ لَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ» أى لن تصعد إلى الله لحومها و لا- دماؤها و إنما يصعد إليه التقوى عن الحسن و هذا كناية عن القبول و ذلك إنما يقبله الإنسان يقال قد ناله و وصل إليه فخطب الله سبحانه عباده بما اعتادوه فى مخاطباتهم و كانوا فى الجاهليه إذا ذبحوا الهدى استقبلوا الكعبه بالدماء فنضحوها حول البيت قربه إلى الله و قيل معناه لن تبلغوا رضا الله بذلك و إنما تبلغونه بالتقوى «كَذَلِكَ سَيَخْرُجُهَا لَكُمْ» تقدم تفسيره «لِتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ» أى على ما بين لكم و أرشدكم لمعالم دينه و مناسك حجه و قيل هو أن يقول الله أكبر على ما هدانا «وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ» أى الموحدين عن ابن عباس و قيل الذين يعملون أعمالا حسنه و لا يسيئون إلى غيرهم ثم بين سبحانه دفعه عن المؤمنين بشاره لهم بالنصر فقال «إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا» غائله المشركين بأن يمنعهم منهم و ينصرهم عليهم «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ» و هم الذين خانوا الله بأن جعلوا معه شريكا و كفروا نعمه عن ابن عباس و قيل من ذكر اسم غير الله و تقرب إلى الأصنام بذبيحته فهو خوان كفور عن الزجاج ثم بين سبحانه إذنه لهم فى قتال الكفار بعد تقدم بشارتهم بالنصره فقال «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا» أى بسبب أنهم ظلموا و قد سبق معناه فى الحجه و كان المشركون يؤذون المسلمين و لا يزال يجىء مشجوج و مضروب إلى رسول الله ص و يشكون ذلك إلى رسول الله ص فيقول لهم ص اصبروا فإنى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآيه بالمدينه و هى أول آيه نزلت فى القتال و فى الآيه محذوف و تقديره أذن للمؤمنين أن يقاتلوا أو بالقتال من أجل أنهم ظلموا بأن أخرجوا من ديارهم و قصدوا بالإيذاء و الإهانه «وَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» و هذا وعد لهم بالنصر معناه أنه سينصرهم ثم بين سبحانه حالهم فقال «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ» يحتمل معناه أن يكون أراد أخرجوا إلى المدينه فتكون الآيه مدينه و يحتمل إلى الحبشه فتكون الآيه مكيه و ذلك بأنهم تعرضوا لهم بالأذى حتى اضطروا إلى الخروج و قوله «بِغَيْرِ حَقٍّ» معناه من غير أن استحقوا ذلك عن الجبائى أى لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده و

قال أبو جعفر (عليه السلام) نزلت فى المهاجرين و جرت فى آل محمد ع الذين أخرجوا من ديارهم و أخيفوا

«وَ لَوْ لَا

دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ «قد تقدم الكلام في هذا «لَهَدَمْتُ صَوَامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ» أى صوامع فى أيام شريعته عيسى وبيع فى أيام شريعته موسى و مساجد فى أيام شريعته محمد ص عن الزجاج والمعنى و لو لا أن دفع الله بعض الناس ببعض لهدم فى كل شريعته بناء المكان الذى يصلى فيه و قيل البيع للنصارى فى القرى و الصوامع فى الجبال و البرارى و يشترك فيها الفرق الثلاث و المساجد للمسلمين و الصلوات كنيسه اليهود عن أبى مسلم و قال ابن عباس و الضحاك و قتاده الصلوات كنائس اليهود يسمونها صلوه فعربت و قال الحسن أراد بذلك عين الصلاة و هدم الصلاة بقتل فاعليها و منعهم من إقامتها و قيل أراد بالصلوات المصليات كما قال لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سَيَّكَارٍ و أراد المساجد «يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» الهاء تعود إلى المساجد و قيل إلى جميع المواضع الذى تقدمت لأن الغالب فيها ذكر الله «وَ لَيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» هذا وعد من الله بأنه سينصر من ينصر دينه و شريعته «إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» أى قادر قاهر.

## [سوره الحج (٢٢): الآيات ٤١ الى ٤٥]

### إشارة

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ ثَمُودُ (٤٢) وَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَ أَصْحَابُ مَدْيَنَ وَ كَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَ هِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَ بُنْتُرٌ مُعْتَلَةٌ وَ قَصِيرٌ مَشِيدٍ (٤٥)

### القراءة

قرأ أهل البصرة أهلكتها بالتاء و الباكون «أَهْلَكْنَاهَا» و المعنى واحد.

### اللغة

يقال خوت الدار خواء ممدودا فهى خاويه و خوى جوف الإنسان من الطعام خوى مقصورا فهو خوى و التعطيل إبطال العمل بالشىء و لهذا يقال للدهرى معطل لأنه أبطل

العمل بالعلم على مقتضى الحكمة و المشيد المرتفع من الأبنيه شاد الرجل بناه يشيده و شيده و يشيده قال عدى بن زيد:

شاده مرمرًا و جلله كلسا فللطير في ذرأه و كور

و قال امرؤ القيس:

و تيماء لم يترك بها جذع نخله و لا أطمأ إلا مشيدا بجندل

و قيل المشيد المجصص و المبني بالشيد و الشيد الجص و الجيار و الجيار الصاروج.

### المعنى

ثم وصف سبحانه من ذكرهم من المهاجرين فقال «الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ» و التمكين إعطاء ما يصح معه الفعل فإن كان الفعل لا يصح إلا بآله فالتمكين إعطاء تلك الآله لمن فيه القدره و كذلك إن كان لا يصح الفعل إلا بعلم و نصب و دلالة واضحة و سلامه و لطف و غير ذلك فالتمكين إعطاء جميع ذلك و إن كان الفعل يكفى فى صحه وجوده مجرد القدره فخلق القدره التمكين فالمعنى الذين أعطيناهم ما به يصح الفعل منهم و سلطناهم فى الأرض أدوا الصلاة بحقوقها و أعطوا ما افترض الله عليهم من الزكاة «وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ» و هذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و المعروف هو الحق لأنه يعرف صحته و المنكر هو الباطل لأنه لا يمكن معرفه صحته قال الزجاج هذه صفة من فى قوله مَنْ يَنْصُرُهُ وَ قَالَ الْحَسَنُ وَ عَكْرَمَهُ هُم هَذِهِ الْأَمَّةُ وَ

قال أبو جعفر (عليه السلام) نحن هم و الله

«وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» هو كقوله وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ و معناه أنه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا مانع و لا منازع ثم عزى سبحانه نبيه ص عن تكذيبهم إياه و خوف مكذبيه بذكر من كذبوا أنبيائهم فأهلكوا فقال «وَ إِن يَكْفُرْ بِكُفْرَانِكَ» يا محمد «فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ ثَمُودٌ وَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ مَدْيَنَ» كل أمه من هؤلاء الأمم فقد كذبت نبيها ثم قال «وَ كُذِّبَ مُوسَى» و لم يقل و قوم موسى لأن قومه بنو إسرائيل و كانوا آمنوا به و إنما كذبه فرعون و قومه «فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ» أى أخرت عقوبتهم و أمهلتهم يقال أملى الله لفلان فى العمر إذا أخر عنه أجله

ص: ١٤١



«ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ» أى بالعذاب «فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» استفهام معناه التقرير أى فكيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب فأبدلتهم بالنعمة نقمه و بالحياه هلاكها قال الزجاج المعنى ثم أخذتهم فأنكرت أبلغ إنكار ثم ذكر سبحانه كيف عذب المكذبين فقال «فَكَأَيُّنْ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَاهَا» أى و كم من قري أهلكتناها و أخذناها و الاختيار التاء و ذلك لقوله «فَأَمَلَيْتُ» «وَ هِيَ ظَالِمَةٌ» أى و أهلها ظالمون بالتكذيب و الكفر «فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا» أى خاليه من أهلها ساقطه على سقوفها «وَ بئْرٌ مُعَطَّلَةٌ» عطف على قوله «مِنْ قَوْمِهِ» أى و كم من بئر بار أهلها و غار ماؤها و تعطلت من دلائها فلا مستقى منها و لا وارد لها «وَ قَصْرٌ مَشِيدٌ» أى و كم من قصر رفيع مجصص تداعى الخراب بهلاك أهله فلم يبق فيه داع و لا- مجيب و أصحاب الآبار ملوك البدو و أصحاب القصور ملوك الحضرة و

فى تفسير أهل البيت (عليه السلام) فى قوله «وَ بئْرٌ مُعَطَّلَةٌ» أن المعنى و كم من عالم لا يرجع إليه و لا ينتفع بعلمه

و قال الضحاك هذه البئر كانت بحضرموت فى بلده يقال لها حاضور أنزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح و معهم صالح فلما حضروا مات صالح فسمى المكان حضرموت ثم إنهم كثروا فكفروا و عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نبيا يقال له حنظله فقتلوه فى السوق فأهلكهم الله فماتوا عن آخرهم و عطلت بئرهم و خرب قصر ملكهم.

## إشارة

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ إِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَ كَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَ هِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠)

وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)

## القراءة

قرأ ابن كثير و أهل الكوفة غير عاصم مما يعدون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ ابن كثير و أبو عمرو معجزين بالتشديد و فى سبيا أيضا فى موضعين و الباقون «مُعَاجِزِينَ» بالألف فى السورتين.

## الحج

حججه من قرأ يعدون بالياء أن قبله «يَسْتَعْجِلُونَكَ» و حججه من قرأ بالتاء أن ذلك أعم و قوله «مُعَاجِزِينَ» أى طانين و مقدرين أن يعجزونا لأنهم ظنوا أن لا بعث و لا نشور فهو كقوله أم حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا و معجزين ينسبون من تبع النبى ص إلى العجز نحو جهلته نسبتته إلى الجهل و روى عن مجاهد أنه فسر معجزين مثبطين أى يشبطون الناس عن النبى ص.

## المعنى

ثم حث سبحانه على الاعتبار بحال من مضى من القرون المكذبه لرسلم فقال «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» أى أ و لم يسر قومك يا محمد فى أرض اليمن و الشام عن ابن عباس «فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا» أى يعلمون بها ما يرون من العبر و المعنى فيعقلون بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم «أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا» إخبار الأمم المكذبه «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» الهاء فى أنها ضمير القصة و الجملة بعدها تفسيرها قال الزجاج و قوله «الَّتِي فِي الصُّدُورِ» من التوكيد الذى يريده العرب فى الكلام كقوله عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ و قوله يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ و قوله يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ و قيل إنه إنما ذكر ذلك لثلا يتوهم إلى غير معنى القلب نحو قلب النخلة فيكون أنفى للبس بتجاوز الاشتراك و كذلك قوله يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ لأن القول قد يكون بغير الفم و المعنى أن الأبصار و إن كانت عمياء فلا تكون فى الحقيقة كذلك إذا كان أصحابها عارفين بالحق و إنما يكون العمى عمى القلب الذى يقع معه الجحود بوحدانية الله «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ» يا محمد «بِالْعَذَابِ» أن ينزل بهم و يستبطنونه «وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ» أى فى إنزال العذاب بهم قال ابن عباس يعنى يوم بدر «وَ إِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن يوما من أيام الآخرة يكون كألف سنة من أيام الدنيا عن ابن عباس و مجاهد و عكرمه و ابن زيد و فى روايه أخرى عن ابن عباس أنه أراد أن يوما من الأيام التى خلق الله فيها السماوات و الأرض كألف سنة و يدل عليه ما

روى أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام

و يكون المعنى على هذا أنهم يستعجلون العذاب و إن يوما من أيام عذابهم فى الآخرة كألف سنة (و ثانيها) أن المعنى و أن يوما عند ربك و ألف سنة فى قدرته واحد فلا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب و بين تأخره فى القدره إلا أنه سبحانه تفضل بالإمهال إذ لا

ص: ١٤٣

يفوته شىء عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس فى روايه عطا (و ثالثها) أن يوما واحدا كالف سنة فى مقدار العذاب لشده و عظمتة كمقدار عذاب ألف سنة من أيام الدنيا على الحقيقه و كذلك نعيم الجنة لأنه يكون فى مقدار يوم من أيام الجنة من النعيم و السرور مثل ما يكون فى ألف سنة من أيام الدنيا لو بقى منعم فيها ثم الكافر يستعجل ذلك العذاب لجهله عن الجبائى و هذا كما يقال فى المثل " أيام السرور قصار و أيام الهموم طوال " و قال الشاعر

يطول اليوم لا ألقاك فيه و حول نلتقى فيه قصير

و قال

تطاولن أيام معن بنا فيوم كشهريين إذ يستهل

و قال جرير

" و يوم كابهام الجبارى لهوته "

ثم أعلم سبحانه أنه أخذ قوما بعد الإملاء و الإمهال فقال «وَ كَأَيُّنْ مِنْ قَوْمِهِ أَمَلَيْتُ لَهَا وَ هِيَ ظَالِمَةٌ» مستحقه لتعجيل العقاب «ثُمَّ أَخَذْتُهَا» أى أهلكتها «وَ إِلَى الْمَصِيرِ» لكل أحد ثم خاطب نبيه ص فقال «قُلْ» لهم «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ» أى مخوف عن معاصى الله مبين لكم ما يجب عليكم فعله و ما يجب عليكم تجنبه «فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» من الله لمعاصيهم «وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ» يعنى نعيم الجنة فإنه أكرم نعيم فى أكرم دار «وَ الَّذِينَ سَبَّحُوا بِآيَاتِنَا» أى بذلوا الجهد فى إبطال آياتنا و بالغوا فى ذلك و أصل السعى الإسراع فى المشى «مُعَاجِرِينَ» أى مغالين عن ابن عباس و المعاجزه محاوله عجز المغالب و قيل مقدرين أنهم يسبقوننا و المعاجزه المسابقه و قيل طانين أن يعجزوا الله أى يفوتوه و لن يعجزوه عن قتاده و هذا مثل ما تقدم و من قرأ معجزين فمعناه مشطين لمن أراد اتباع النبى ص عن مجاهد و قيل قاصدين تعجيز رسولنا و قيل ناسبين من تبعه إلى العجز «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» أى الملازمون للجحيم أى النار.

ص: ١٤٤

## إشارة

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيُعَلِّمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)

## النزول

روى عن ابن عباس وغيره أن النبي ص لما تلا-سوره و النجم و بلغ إلى قوله أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ألقى الشيطان في تلاوته تلك الغرائق العلى و إن شفاعتهن لترجى فسر بذلك المشركون فلما انتهى إلى السجده سجد المسلمون و سجد أيضا المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما أعجبهم فهذا الخبر أن صح محمول على أنه كان يتلو القرآن فلما بلغ إلى هذا الموضع و ذكر أسماء آلهتهم و قد علموا من عادته ص أنه كان يعيها قال بعض الحاضرين من الكافرين تلك الغرائق العلى و ألقى ذلك في تلاوته توهم أن ذلك من القرآن فأضافه الله سبحانه إلى الشيطان لأنه إنما حصل بإغوائه و وسوسته و هذا أورده المرتضى قدس الله روحه في كتاب التنزيه و هو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية و هو وجه حسن في تأويله.

## المعنى

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ» من هنا مزيدة و التقدير ما أرسلنا قبلك رسولا و لا نبيا و إنما ذكر اللفظين لاختلاف فائدتهما فالرسول الذى أرسله الله تعالى و لا يحمل عند الإطلاق على غير رسول الله ص و النبى الذى له الرفعه و الدرجه العظيمه بالإرسال و قيل إن بينهما فرقا فالرسول الذى تنزل عليه الملائكه بالوحى و النبى الذى يوحى إليه فى منامه فكل رسول نبى و ليس كل نبى رسولا- و قيل بل الرسول هو المبعوث إلى أمه و النبى هو الذى لا يبعث إلى أمه عن قطرب و قيل إن الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع و الأحكام و النبى الذى يحفظ شريعته غيره عن الجاحظ و القول هو الأول لأن الله سبحانه خاطب

نبينا ص مره بالنبي و مره بالرسول فقال يا أيها الرسول و يا أيها النبي فالرسول و النبي واحد لأن الرسول يعم الملائكه و البشر و النبي يختص البشر فجمع بينهما هنا و فى قوله وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا «إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمِّيَّتِهِ» قال المرتضى لا يخلو التمنى فى الآيه من أن يكون معناه التلاوه كما قال حسان بن ثابت

تمنى كتاب الله أول ليله و آخره لاقى حمام المقادر

أو يكون تمنى القلب فإن كان المراد التلاوه فالمعنى أن من أرسل قبلك من الرسل كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرفوا عليه و زادوا فيما يقوله و نقصوا كما فعلت اليهود و أضاف ذلك إلى الشيطان لأنه يقع بغروره «فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ» أى يزيله و يدحضه بظهور حججه و خرج هذا على وجه التسليه للنبي ص لما كذب المشركون عليه و أضافوا إلى تلاوته من مدح آلهتهم ما لم يكن فيها و إن كان المراد تمنى القلب فالوجه أن الرسول متى تمنى بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور و سوس إليه الشيطان بالباطل يدعوه إليه و ينسخ الله ذلك و يبطله بما يرشده إليه من مخالفه الشيطان و ترك استماع غروره قال و أما الأحاديث المرويه فى هذا الباب فهى مطعونه و مضعفه عند أصحاب الحديث و قد تضمنت ما ينزه الرسل (عليه السلام) عنه و كيف يجوز ذلك على النبي ص و قد قال الله سبحانه كَذَلِكَ لِنُنَبِّئَ بِهِ قُرَادَكَ وَ قَالَ سَيُنْفِرُكَ فَلَا تَنْسَى وَ إن حمل ذلك على السهو فالسأهى لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقه لوزن السوره و نظمها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام لأننا نعلم ضروره أن السأهى لو أنشأ قصيده لم يجز أن يسهو حتى يتفق منه بيت شعر فى وزنها و فى معنى البيت الذى تقدمه و على الوجه الذى تقتضيه فائدته و يمكن أن يكون الوجه فيه ما ذكرناه فى النزول لأن من المعلوم أنهم كانوا يلقون عند قراءته طلبا لتغليظه و يمكن أن يكون كان هذا فى الصلاه لأنهم كانوا يلقون فى قراءته و قيل أيضا إنه كان إذا تلا القرآن على قریش توقف فى فصول الآيات و أتى بكلام على سبيل الحجاج لهم فلما تلا الآيات قال تلك الغرائيق العلى على سبيل الإنكار عليهم و على أن الأمر بخلاف ما قالوه و ظنوه و ليس يمتنع أن يكون هذا فى الصلاه لأن الكلام فى الصلاه حينئذ كان مباحا و إنما نسخ من بعد و قيل إن المراد بالغرائيق الملائكه و قد جاء ذلك فى بعض الحديث فتوهم المشركون أنه يريد آلهتهم و قيل إن ذلك كان قرآنا منزلا فى وصف الملائكه فلما ظن المشركون أن المراد به آلهتهم نسخت تلاوته و قال البلخى و يجوز أن يكون النبي ص سمع هاتين الكلمتين من قومه و حفظهما فلما قرأ ألقاها الشيطان فى ذكره فكاد أن يجريها على لسانه فعصمه الله و نبهه و نسخ و سواس الشيطان و أحكم آياته

بأن قرأها النبي ص محكمه سليمه مما أراد الشيطان و يجوز أن يكون النبي ص لما انتهى إلى ذكر اللات و العزى قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعا بهما صوته فألقاهما في تلاوته في غمار الناس فظن الجهال أن ذلك من قول النبي ص فسجدوا عند ذلك و الغرائق جمع غرنوق و هو الحسن الجميل يقال شاب غرنوق و غرائق إذا كان ممثليا ربا «ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ» أى يبقى آياته و دلائله و أوامره محكمه لا سهو فيها و لا غلط «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» بكل شىء «حَكِيمٌ» واضع للأشياء مواضعها «لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ» أى ليجعل ذلك تشديدا فى التعبد و امتحانا عن الجبائى و المعنى أنه شدد المحنه و التكليف على الذين فى قلوبهم شك و على الذين قست قلوبهم من الكفار فتلزمهم الدلاله على الفرق بين ما يحكمه الله و بين ما يلقيه الشيطان «وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» أى فى معاداه و مخالفه بعيده عن الحق «وَ لِيُعَلِّمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» بالله و بتوحيده و بحكمته «أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» أى إن القرآن حق لا يجوز عليه التبدل و التغيير «فَيُؤْمِنُوا بِهِ» أى فيثبتوا على إيمانهم و قيل يزدادوا إيمانا إلى إيمانهم «فَتَخَبَتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ» أى تخشع و تواضع لقوه إيمانهم «وَ إِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى طريق واضح لا عوج فيه أى يثبتهم على الدين الحق و قيل يهديهم ربهم بإيمانهم إلى طريق الجنة «وَ لَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ» أى فى شك من القرآن عن ابن جريج و هذا خاص فيمن علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون من الكفار «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً» أى فجأه و على غفله «أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» قيل إنه عذاب يوم بدر عن قتاده و مجاهد و سماه عقيما لأنه لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكه فيه و مثله قول الشاعر

عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النساء بمثله لعقيم

و قيل إنما سمي ذلك اليوم عقيما لأنه لم يكن فيه للكفار خير فهو كالريح العقيم التى لا تأتى بخير عن الضحاك و اختاره الزجاج و قيل المراد به يوم القيامة و المعنى حتى تأتيتهم علامات الساعه أو عذاب يوم القيامة و سماه عقيما لأنه لا ليله له عن عكرمه و الجبائى.

النظم

اتصلت الآيه الأولى بما تقدم من ذكر الكفار و ما متعوا به من نعيم الدنيا و لما رأى النبي ص ما منى به أصحابه من الإقتار تمنى لهم الدنيا فيبين سبحانه أن ذلك التمنى من وساوس الشيطان و أن ما أعد له من نعيم الآخرة خير و قيل اتصل بقوله إنما أنا لكم نذيرٌ مبينٌ فيبين سبحانه أنه بشر و أن حاله كحال الرسل قبله.

ص: ١٤٧

## إشارة

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥٧) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيُرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيُنْصَرَنَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ (٦٠)

## القراءة

قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل المدينة مدخلا بالفتح والباقون بضم الميم وقد سبق ذكره.

## المعنى

لما تقدم ذكر القيامة بين صفته فقال «الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» لا يملك أحد سواه شيئاً بخلاف الدنيا «يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» أى يفصل بين المؤمنين والكافرين ثم بين حكمه فقال «فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» ينعمون فيها «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» يهينهم و يذلهم «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فارقوا أوطانهم و خرجوا من مكه إلى المدينة «ثُمَّ قُتِلُوا» فى الجهاد «أَوْ مَاتُوا» فى الغربه «لَيُرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا» و هو رزق الجنه عن الحسن و السدى و الرزق الحسن ما إذا رآه لا تمتد عينه إلى غيره و هذا لا يقدر عليه غير الله تعالى و لذلك قال «وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» و قيل بل هو مثل قوله يَلِ أَرْحَامًا عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ «لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ» لأنه لهم فيه ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين و المدخل يجوز أن يكون بمعنى المكان و بمعنى المصدر «وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ» بأحوالهم «حَلِيمٌ» عن معاجله الكفار بالعقوبه «ذَلِكَ» أى الأمر ذلك الذى قصصنا عليك «وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ» أى من جازى الظالم بمثل ما ظلمه قال الحسن معناه قاتل المشركين كما قاتلوه و الأول لم يكن عقوبه و لكن كقولهم الجزاء بالجزاء لازدواج الكلام «ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ»



أى ظلم بإخراجه من منزله يعنى ما فعله المشركون من البغى على المسلمين حتى أخرجوهم إلى مفارقه ديارهم «لَيُنْصِرَنَّ اللَّهُ»  
يعنى المظلوم الذى بغى عليه «إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ» روى أن الآيه نزلت فى قوم من مشركى مكه لقوا قوما من المسلمين لليلتين  
بقيتا من المحرم فقالوا إن أصحاب محمد ص لا يقاتلون فى هذا الشهر فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم فى  
الشهر الحرام فأبوا فأظفر الله المسلمين بهم.

## [سوره الحج (٢٢): الآيات ٦١ الى ٦٥]

### إشاره

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ  
دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ  
(٦٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَ الْفُلْكَ  
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُفٌ رَحِيمٌ (٦٥)

### القرءه

قرأ أهل العراق غير أبى بكر «ما يدعون» هنا و فى لقمان بالياء و الباقون بالتاء.

### الحجه

من قرأ تدعون بالتاء فعلى الخطاب للمشركين و حجته قوله يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ و من قرأ بالياء فعلى الحكايه و حجته قوله  
يَكَادُونَ يَسْطُونَ.

### الإعراب

«فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ» إنما رفع لأنه لم يجعله جوابا للاستفهام و المراد به الخبر

ألم تسأل الربيع القديم فينطق و هل يخبرنك اليوم ببداء سملق.

### المعنى

ثم قال سبحانه «ذَلِكَ» أى ذلك النصر «بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّمُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُؤَلِّمُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» أى يدخل ما انتقص من ساعات الليل فى النهار و ما انتقص من ساعات النهار فى الليل «وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» لدعاء المؤمنين «بَصِيْرٌ» بهم «ذَلِكَ» أى ذلك الذى فعل من نصر المؤمنين «بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» أى ذو الحق فى قوله و فعله و قيل معناه إنه الواحد فى صفات التعظيم التى من اعتقده عليها فهو محق «وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ» لأنه ليس عنده نفع و لا ضرر «وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ» عن الأشياء «الْكَبِيرُ» الذى كل شىء سواه يصغر مقداره عن معناه «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطرا «فَتَصْبِغُ الْأَرْضَ مُخْضِرَةً» بالنبات «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ» بأرزاق عباده من حيث لا يحتسبون «خَبِيرٌ» بما فى قلوبهم و قيل اللطيف المحيط بتدبير دقائق الأمور الذى لا يتعذر عليه شىء يتعذر على غيره «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» أى له التصرف فى جميع ذلك «وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ» الغنى الحى الذى ليس بمحتاج الحميد المحمود بصفاته و أفعاله «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ» من الحيوان و الجماد «وَ الْفُلْمَكَ تَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ» أى و سخر لكم الفلك فى حال جريها «وَ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» أى يمنع السماء من وقوعها على الأرض إلا بإرادته و المعنى إلا إذا أذن الله فى ذلك بأن يريد إبطالها و إعدامها «إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ» برأفته و رحمته بهم فعل هذا التسخير و أمسك السماء من الوقوع.

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِيًّا هُمْ نَاسِيكُوهُ فَلَا يُنَازِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ (٦٧) وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)

ثم ذكر سبحانه دلاله أخرى على وحدانيته فقال «وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ» بعد أن كنتم نطفًا ميتة «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ» عند انتهاء آجالكم «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» للبعث والحساب وفيه بيان أن من قدر على ابتداء الإحياء قدر على إعادته الإحياء «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ» أي جحود فإنه مع هذه الأدلة الدالة على الخلق يجدد الخالق «لِكُلِّ أُمَّةٍ» أي لكل قرن مضى «جَعَلْنَا مَنْسِيًّا كَأَنَّ هُمْ نَاسِيكُوهُ» أي شريعته هم عاملون بها عن ابن عباس وقيل مكانا يألفونه وموضعًا يعتادونه لعباده الله ومناسك الحج من هذا لأنها مواضع العبادات فيه فهي متعبدات الحج وقيل موضع قربان أي متعبد في إراقه الدماء منى أو غيره عن مجاهد وقتاده «فَلَا يُنَازِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ» هذا نهى لهم عن منازعه النبي ص وقيل نهى له لأن المنازعه تكون من اثنين فإذا وجه النهى إلى من ينازعه فقد وجه إليه ومنازعتهم قولهم «أَتَأْكُلُونَ مَا قَتَلْتُمْ وَلَا تَأْكُلُونَ مَا قَتَلَهُ اللَّهُ يَعْنُونَ الْمَيْتَةَ أَيْ فَلَا يَخَاصِمُكَ فِي أَمْرِ الذَّبْحِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَنَازِعُواكَ فِي شَرِيعَتِهِمْ وَقَدْ نَسَخَتْ هَذِهِ الشَّرَائِعَ الْمَتَقَدِّمَةَ «وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ» أَيْ لَا تَلْتَفِتْ إِلَى مَنَازَعَتِكَ وَادْعُ إِلَى تَوْحِيدِ رَبِّكَ وَإِلَى دِينِهِ «إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ» أَيْ عَلَى دِينٍ قِيمٍ «وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ» أَيْ إِنْ خَاصَمُوكَ فِي أَمْرِ الذَّبْحِ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِتَكْذِيبِكُمْ فَهُوَ يُجَازِيكُمْ بِهِ وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَإِنْ جَادَلُوكَ عَلَى سَبِيلِ الْمَرَاءِ وَالتَّعَنَّتْ بَعْدَ لَزُومِ الْحُجَّةِ فَلَا تَجَادَلْهُمْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ وَادْفَعْهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَإِنْ نَازَعُوكَ فِي نَسْخِ الشَّرِيعَةِ فَحَاكِمُهُمْ إِلَى اللَّهِ «اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أَيْ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ «فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» أَيْ فِيمَا تَذْهَبُونَ فِيهِ إِلَى خِلَافٍ مَا يَذْهَبُ ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ص وَالْمَرَادُ جَمِيعَ الْمَكْلُفِينَ «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ «إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ» أَيْ مَثَبٌ فِي الْكِتَابِ الْمَحْفُوظِ عَنِ الْجَبَائِثِ «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» أَيْ كَتَبْتَهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَعَالِجِهِ خَطُوطٍ وَحُرُوفٍ وَإِنَّمَا يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ وَقِيلَ إِنْ الْحَكْمَ بَيْنَكُمْ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ.

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧١) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْمُطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَبْتُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعِيدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَا يُجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥)



قرأ يعقوب و سهل إن الذين يدعون بالياء و الباقون بالتاء.

## اللغه

السطوه إظهار الحال الهائله للإخافه يقال سطا عليه يسطو سطوه و سطا به و الإنسان مسطوبه و السطوه و البطشه بمعنى.

## المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال الكفار فقال «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا» أى حجه «وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ» إنها آلهه و إنما قال ذلك لأن الإنسان قد يعلم أشياء من غير حجه و دليل كالضروريات «وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» أى و ما للمشركين من مانع من العذاب ثم أخبر سبحانه عن شدة عنادهم فقال «وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا» يعنى من القرآن و غيره من حجج الله «بَيِّنَاتٍ» أى واضحات لمن تفكر فيها و هى منصوبه على الحال «تَعْرِفُ» يا محمد «فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ» أى الإنكار و هو مصدر يريد أثر الإنكار من الكراهه و العبوس «يَكَادُونَ يَسْطُونَ» أى يقعون و يبطشون من شدة الغيظ «بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» و المعنى يكادون ييسطون إليهم أيديهم بالسوء يقال سطا عليه و سطا به إذا تناوله بالبطش «قُلْ» يا محمد لهم «أَفَأَتَّبِعُكُمْ بِشَرِّ مَن ذَلِكُمْ» و أكره إليكم

من هذا القرآن الذى تستمعون و أشد عليكم منه ثم فسر ذلك فقال «النَّارُ» أى هو النار «وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ بَشَسَ الْمَصِيرُ» أى المرجع و المأوى ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ» قال الأخفش إن قيل فأين المثل الذى ذكر الله فى قوله «ضُرِبَ مَثَلٌ» قيل ليس هاهنا مثل و المعنى أن الله قال ضرب لى مثل أى شبه فى الأوثان ثم قال فاستمعوا لهذا المثل الذى جعلوه مثلى و قال القتيبي هاهنا مثل لأنه ضرب مثل هؤلاء الذين يعبدون الأصنام بمن عبد من لا يخلق ذبابا و قيل معناه أثبت حديثا يتعجب منه فاستمعوا له لتقفوا على جهل الكفار من قولك ضربت خيمه أى نصبتها و أثبتها و قيل معناه جعل ذلك كالشئىء اللازم الثابت من قولك ضرب السلطان الجزية على أهل الذمه «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعنى الأصنام و كان ثلثائه و ستين صنما حول الكعبة «لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا» فى صغره و قلته «وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسئَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا» مما عليهم قال ابن عباس كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فيجف فيأتى الذباب فيختلسه «لَا يَسئَلُهُمْ مِنْهُ» أى لا يقدر على استنقاذه منه «ضَعْفَ الطَّالِبِ وَ الْمَطْلُوبِ» الطالب الذباب و المطلوب الصنم عن ابن عباس و روى عنه على العكس من هذا و هو أن الطالب الصنم و المطلوب الذباب فعلى هذا يكون معناه ضعف السالب و المسلوب و قيل إن معناه راجع إلى العابد و المعبود أى جهل العابد و المعبود و قهر العابد و المعبود عن الضحاک و هو معنى قول السدى الطالب الذى يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب إليه و الصنم المطلوب إليه «مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أى ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا هؤلاء الأصنام شركاء له عن الحسن و الفراء و قيل معناه ما عرفوه حق معرفته عن الأخفش و قيل ما وصفوه حق صفته عن قطرب «إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» أى قادر لا يقدر أحد على مغالبتة «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا» يعنى جبرائيل و ميكائيل «وَ مِنَ النَّاسِ» يعنى النبيين «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» سميع بأقوالهم بصير بضمائرهم و أفعالهم.

## النظم

إنما اتصل قوله وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ بقوله إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أى و من خالفك على الكفر و الضلال و إنما اتصل قوله يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ بقوله وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا حجه لهم فيه و المعنى أن من لا يقدر على خلق ذباب مع صغره و إذا سلبه الذباب شيئا لا يقدر على استرداده فكيف يستحق أن يعبد ثم قال ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ أى من أشرك غيره معه فى العبادة مع كمال قدرته فما عرفه حق معرفته ثم قال الله يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ليعلم أنه سبحانه إنما اصطفاهم لعبادتهم إياه فمن

جعل الملائكة و الأنبياء أولادا فإنه لم يعظمه حق عظمته و لم يعرفه حق معرفته إذ جعل من يعبد سبحانه معبودا.

## [سوره الحج (٢٢): الآيات ٧٦ الى ٧٨]

### إشاره

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَهُ أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيُكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)

### الإعراب

«حَقَّ جِهَادِهِ» منصوب على المصدر لأنه مضاف إلى المصدر «مِنْ حَرَجٍ» من مزیده أى ما جعل عليكم حرجا «مَلَهُ أَيْبِكُمْ» منصوبه بإضمار فعل تقديره و اتبعوا و الزموا مله أيبكم لأن قبله «جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» قال المبرد عليكم مله أيبكم و قال الزجاج و جائز أن يكون منصوبا على تقدير و افعلوا الخير فعل أيبكم.

### المعنى

لما وصف الله سبحانه نفسه بأنه سميع بصير عقبه بقوله «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» يعنى ما بين أيدي الخلائق من القيامه و أحوالها و ما يكون فى مستقبل أحوالهم «وَ مَا خَلْفَهُمْ» أى و ما يخلفونه من دنياهم و قيل يعلم ما بين أيديهم أى أول أعمالهم و ما خلفهم آخر أعمالهم عن الحسن و قيل معناه يعلم ما كان قبل خلق الملائكة و الأنبياء و ما يكون بعد خلقهم عن على بن عيسى «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» يوم القيامه فلا- يكون لأحد أمر و لا- نهى ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا» أى

صلوا «وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ» بفعل ما تعبدكم به من العبادات «وَافْعَلُوا الْخَيْرَ» قال ابن عباس يريد صله الرحم و مكارم الأخلاق و معناه لا- تقتصروا على فعل الصلاة و الواجبات من العبادات و افعلوا غيرها من أنواع البر من إغائه الملهوف و إعانه الضعيف و بر الوالدين و ما جانسها «لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ» أى لكى تفلحوا و تسعدوا «وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» أكثر المفسرين حملوا الجهاد هاهنا على جميع أعمال الطاعة و قالوا حق الجهاد أن يكون بنيه صادقه خالصه لله تعالى و قال السدى هو أن يطاع فلا يعصى و قال الضحاك معناه جاهدوا بالسيف من كفر بالله و إن كانوا الآباء و الأبناء و روى عن عبد الله بن المبارك أنه قال هو مجاهده الهوى و النفس «هُوَ اجْتِبَاكُم» أى اختاركم و اصطفاكم لدينه «وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» أى من ضيق لا مخرج منه و لا مخلص من عقابه بل جعل التوبه و الكفارات و رد المظالم مخلصا من الذنوب فليس فى دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من العقاب به فلا عذر لأحد فى ترك الاستعداد للقيامه و قيل معناه أن الله سبحانه لم يضيق عليكم أمر الدين فلن يكلفكم ما لا تطيقون بل كلف دون الوسع فلا عذر لكم فى تركه و قيل أنه يعنى الرخص عند الضرورات كالقصر و التيمم و أكل الميتة عن الكلبى و مقاتل و اختاره الزجاج «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ» أى دينه لأن مله إبراهيم داخله فى مله محمد ص و إنما سماه أبا للجميع لأن حرمة على المسلمين كحرمة الوالد على الولد كما قال «أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» عن الحسن و قيل إن العرب من ولد إسماعيل و أكثر العجم من ولد إسحاق و هما ابنا إبراهيم فالغالب عليهم أنهم أولاده «هُوَ سَيِّدَاكُمْ الْمُسْلِمِينَ» أى الله سماكم المسلمين عن ابن عباس و مجاهد و قيل هو كناية عن إبراهيم عن ابن زيد قال و يدل عليه قوله «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ» «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل إنزال القرآن «وَ فِي هَذَا» أى و فى هذا القرآن «لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» أى ليكون محمد ص شهيدا عليكم بالطاعة و القبول فإذا شهد لكم به صرتم عدولا تشهدون على الأمم الماضيه بأن الرسل قد بلغوهم رساله ربهم و أنهم لم يقبلوا فيوجب لكافرهم النار و لمؤمنهم الجنة بشهادتكم و هذا من أشرف المراتب و هو مثل قوله «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيْطاً» الآيه و قيل معناه ليكون الرسول شهيدا عليكم فى إبلاغ رساله ربه إليكم و تكونوا شهداء على الناس بعده بأن تبلغوا إليهم ما بلغه الرسول إليكم «فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ» قال قتاده فريضتان واجبتان افترضهما الله عليكم فأدوهما إلى الله و

روى عبد الله بن عمر عن النبي ص قال لا تقبل الصلاة إلا بالزكاه

«وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ» أى تمسكوا بدين الله عن الحسن و قيل معناه امتنعوا بطاعته عن معصيته و قيل امتنعوا بالله من



أعدائكم أى اجعلوه عصمه لكم مما تحذرون وقيل ثقوا بالله و توكلوا عليه عن مقاتل «هُوَ مَوْلَاكُمْ» أى وليكم و ناصركم و المتولى لأُموركم و مالكم «فَنِعْمَ الْمَوْلَى» هو لمن تولاه «و نِعْمَ النَّصِيرُ» هو لمن استنصره وقيل فنعم المولى إذ لم يمنعكم الرزق حين عصيتموه و نعم النصير إذا أعانكم لما أطمعتموه.

ص: ١٥٦

## (٢٣) سورة المؤمنون مكيه و آياتها ثمانى عشره و مائه (١١٨)

### اشاره

### عدد آياتها

مائة و ثمانى عشره آيه كوفى تسع عشره فى الباقيين.

### اختلافها

آيه واحده و أخاه هارون غير الكوفى.

### فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكه يوم القيامة بالروح و الريحان و ما تقر به عينه عند نزول ملك الموت

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسعادة إذا كان يدمن قراءتها فى كل جمعه و كان منزله فى الفردوس الأعلى مع النبيين و المرسلين.

### تفسيرها

ختم الله سورة الحج بأمر المكلفين فى العباده و أفعال الخير على طريق الإجمال و افتتح هذه السوره بتفصيل تلك الجملة و بيان تلك الأفعال فقال:

ص: ١٥٧

## إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤)  
وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩)  
أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)

## القراءة

قرأ ابن كثير لأمانتهم على الواحد هنا و في المعارج و الباقون لِأَمَانَاتِهِمْ على الجمع و قرأ على صلاتهم بالأفراد أهل الكوفة غير عاصم و الباقون «على صَلَوَاتِهِمْ» على الجمع.

## الحجج

قال أبو علي وجه الأفراد في الأمانة أنه مصدر و اسم جنس فيقع على الكثرة و وجه الجمع قوله إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا و مما أفردت فيه الأمانة و المراد به الكثرة ما

روى عن النبي ص أنه قال من الأمانة أن أوتمنت المرأه على فرجها

يريد تفسير قوله وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ و وجه الإفراد في الصلاة أنها مصدر و وجه الجمع أنها صارت بمنزلة الاسم لاختلاف أنواعها و الجمع فيه أقوى لأنه صار اسما شرعيا لانضمام ما لم يكن في أصل اللغه إليها.

## المعنى

«قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» أى فاز بثواب الله الذين صدقوا بالله و بوحدانيته و برسله و قيل معنى أفلح بقى أى قد بقيت أعمالهم الصالحة و قيل معناه قد سعد قال لبيد

" و لقد أفلح من كان عقل "

قال الفراء يجوز أن يكون قد هاهنا لتأكيد الفلاح للمؤمنين و يجوز أن يكون تقريبا للماضى من الحال ألا تراهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها فيكون المعنى فى الآية إن الفلاح قد حصل لهم و أنهم عليه فى الحال ثم وصف هؤلاء المؤمنين بأوصاف فقال «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» أى خاضعون متواضعون متذللون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم و لا

يلتفتون يمينا و لا شمالا و

روى أن النبي ص رأى رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه

و فى هذا دلالة على أن الخشوع فى الصلاة يكون بالقلب و بالجوارح فأما بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمه لها و الإعراض عما سواها فلا يكون فيه غير العباده و المعبود و أما بالجوارح فهو غض البصر و الإقبال عليها و ترك الالتفات و العبث قال ابن عباس خشع فلا يعرف من على يمينه و لا من على يساره و

روى أن رسول الله ص كان يرفع بصره إلى السماء فى صلاته فلما نزلت الآية طأطأ رأسه ورمى ببصره إلى الأرض

ص: ١٥٨

«وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» اللغو فى الحقيقه هو كل قول أو فعل لا فائده فيه يعتد بها فذلك قبيح محذور يجب الإعراض عنه و قال ابن عباس اللغو الباطل و قال الحسن هو جميع المعاصى و قال السدى هو الكذب و قال مقاتل هو الشتم فإن كفر مكه كانوا يشتمون النبى ص و أصحابه فنهوا عن إجابتهم و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال هو أن يتقول الرجل عليك بالباطل أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله

و

فى روايه أخرى أنه الغناء و الملاهى

«وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ» أى مؤدون فعبر عن التأديه بالفعل لأنه فعل قال أميه بن أبى الصلت "المطعمون الطعام فى السنه الأزمه و الفاعلون للزكوات" قال ابن عباس للصدقه الواجبه مؤدون «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ» قال الليث الفرج اسم لجميع سوءات الرجال و النساء و المراد بالفروج هاهنا فروج الرجال بدلاله قوله «إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» قال الزجاج المعنى أنهم يلامون فى إطلاق ما حظر عليهم و أمروا بحفظه إلا على أزواجهم و دل على المحذوف ذكر اللوم فى قوله «فَأَنَّهُمْ غَيْرٌ مَّلُومِينَ» و ملك اليمين فى الآيه المراد به الإماء لأن الذكور من المماليك لا خلاف فى وجوب حفظ الفرج منهم و إنما قيل للجاريه ملك يمين و لم يقل فى الدار و نحوها ملك يمين لأن ملك الجاريه أخص منه إذ يجوز له نقض بنيه الدار و ليس له نقض بنيه الجاريه و له عاريه الدار و ليس له عاريه الجاريه للوطء حتى توطأ بالعاريه و إنما أطلق سبحانه إباحه وطء الأزواج و الإماء و إن كانت لهن أحوال يحرم وطؤهن فيها كحال الحيض و العده للجاريه من زوج لها و ما أشبه ذلك لأن الغرض بالآيه بيان جنس من يحل وطؤها دون الأحوال التى لا- يحل فيها الوطء «فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ» أى طلب سوى الأزواج و الولائد المملوكه «فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ» أى الظالمون المتجاوزون إلى ما لا- يحل لهم «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ» أى حافظون وافون و الأمانات ضربان أمانات الله تعالى و أمانات العباد فالأمانات التى بين الله تعالى و بين عباده هى العبادات كالصيام و الصلاه و الاغتسال و أمانات العباد هى مثل الودائع و العوارى و البياعات و الشهادات و غيرها و أما العهد فعلى ثلاثه أضرب أوامر الله تعالى و نذور الإنسان و العقود الجاريه بين الناس فيجب على الإنسان الوفاء بجميع ضروب الأمانات و العهود و القيام بما يتولاه منها «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» أى يقيمونها فى أوقاتها و لا يضيعونها و إنما أعاد ذكر الصلاه تنبيها على عظم قدرها و علو رتبته عنده تعالى «أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ» معناه إن من كانوا بهذه الصفات

ص: ١٥٩

و اجتمعت فيهم هذه الخلال هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة فقد

روى عن النبي ص أنه قال ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة و منزل في النار فإن مات و دخل النار ورث أهل الجنة منزله

و قيل إن معنى الميراث هنا أنهم يصيرون إلى الجنة بعد الأحوال المتقدمه و ينتهى أمرهم إليها كالميراث الذى يصير الوارث إليه ثم وصف الوارثين فقال «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ» و هو اسم من أسماء الجنة عن الحسن و لذلك أنت فقال «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» و قيل هو اسم لرياض الجنة عن مجاهد و أبى على الجبائى و قيل هو جنة مخصوصه ثم اختلف فى أصله فقيل إنه اسم رومى فعرّب و قيل هو عربى وزنه فعلول و هو البستان الذى فيه كرم قال جرير

" يا بعد يبرين من باب الفرديس "

و قال الجبائى معنى الوراثه هنا أن الجنة و نعيمها يؤول إليهم من غير اكتساب كما يؤول المال إلى الوارث من غير اكتساب.

**[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٢ الى ١٩]**

**اشاره**

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعِيدٌ ذَلِكَ لَمَعْنُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَ مَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧) وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْوَأْنَا فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩)

ص: ١٦٠

## القراءه

قرأ ابن عامر و أبو بكر عظما فكسونا العظم على الإفراد و قرأ زيد عن يعقوب عظما فكسونا العظام و الباقون على الجمع فى الموضوعين.

## الحجه

قال أبو على الجمع أشبه بما جاء فى التنزيل إذا كُنَّا عِظَامًا وَ زُفَاتًا إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرُهُ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ الْإِنْسَانَ لِأَنَّهُ اسْمُ جِنْسٍ فَأَفْرَدَ كَمَا يَفْرَدُ الْمَصَادِرَ وَ غَيْرَهَا مِنَ الْأَجْنَاسِ نَحْوَ الدَّرْهِمِ وَ الْإِنْسَانِ وَ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ:

كلوا فى بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص

و لكنه على ما أنشده أبو زيد:

لقد تعلت على أياتك صهب قليلات القراد اللازق

فالقراد يراد به الكثره لا محاله.

## اللغه

السلاله اسم لما يسلم من الشىء كالكساحه اسم لما يكسح و تسمى النطفه سلاله و الولد سلاله و سليله و الجمع سلالات و سلال فالسلاله صفوه الشىء التى يخرج منها كالسلافه قال الشاعر:

و هل كنت إلا مهره عربيه سليله أفراس تجللها بغل

و النطفه الماء القليل و قد يقال للماء الكثير أيضا و منه

قول أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوات مصارعهم دون النطفه

يريد النهروان يعنى الخوارج و منه

الحديث حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جورا

يعنى بحر المشرق و بحر المغرب.

## الإعراب

«فِي قَرَارٍ» فى موضع الصفه لنطفه و «عَلَّقَهُ» حال من النطفه بعد الفراغ من الفعل و كذلك القول فى مضغه و عظام و «لَحْمًا» مفعول ثان لكسونا و «خَلَقًا» مصدر أنشأنا من غير لفظه «مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ» صفه لجنات و كذلك قوله «لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ».

ثم قال سبحانه على وجه القسم «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ

ص: ١٦١



طين» المراد بالإنسان ولد آدم (عليه السلام) و هو اسم الجنس فيقع على الجميع عن ابن عباس و مجاهد و أراد بالسالة الماء يسيل من الظهر سلا من طين أى من طين آدم لأنها تولدت من طين خلق آدم منه قال الكلبي يقول من نطفه سلت تلك النطفه من طين و قيل أراد بالإنسان آدم (عليه السلام) لأنه استل من أديم الأرض عن قتاده «ثُمَّ جَعَلْنَاهُ» يعنى ابن آدم الذى هو الإنسان «نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ» يعنى الرحم مكن فيه الماء بأن هيا لاستقراره فيه إلى بلوغ أمده الذى جعل له «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً» مفسر فى سورة الحج «فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا» أى جعلنا تلك المضغه من اللحم عظاما «فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا» أى فأثبتنا اللحم على العظام كاللباس. بين سبحانه تنقل أحوال الإنسان فى الرحم حتى استكمل خلقه لينبه على بدائع حكمته و عجائب صنعته و كمال نعمته «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ» أى نفخنا فيه الروح عن ابن عباس و مجاهد و عكرمه و الشعبى و الضحاك و قيل هو نبات الشعر و الأسنان و إعطاء الفهم عن قتاده و قيل يعنى ثم أنشأناه ذكرا و أنثى عن الحسن «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» أى تعالى الله و دام خيره و ثبت و قيل معناه استحق التعظيم بأنه قديم لم يزل و لا يزال لأنه مأخوذ من البروك الذى هو الثبوت و قال «أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» لأنه لا تفاوت فى خلقه و أصل الخلق التقدير يقال خلقت الأديم إذا قسته لتقطع منه شيئا و قال حذيفه فى هذه الآية تصنعون و يصنع الله و هو خير الصانعين و فى هذا دليل على أن اسم الخلق قد يطلق على فعل غير الله تعالى إلا أن الحقيقة فى الخلق لله سبحانه فقط فإن المراد من الخلق إيجاد الشىء مقدرًا تقديرًا لا تفاوت فيه و هذا إنما يكون من الله سبحانه و تعالى و دليله قوله «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» و روى أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله ص فلما بلغ إلى قوله «خَلَقًا آخَرَ» خطر بباله «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» فلما أملاها رسول الله كذلك قال عبد الله إن كان نبيا يوحى إليه فأنا نبى يوحى إلى فلحق بمكة مرتدا و لو صح هذا فإن هذا القدر لا يكون معجزا و لا يمتنع أن يتفق ذلك من الواحد منا لكن هذا الشقى إنما اشتبه عليه أو شبه على نفسه لما كان فى صدره من الكفر و الحسد للنبي ص «ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ» أى بعد ما ذكرنا من تمام الخلق «لَمَيِّتُونَ» عند انقضاء آجالكم «ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ» أى تحشرون إلى الموقف و الحساب و الجزاء أخبر الله سبحانه أن هذه البنية العجيبة المبنية على أحسن إتقان و إحكام تنقض بالموت لغرض صحيح و هو البعث و الإعادة و هذا لا يمنع من الإحياء فى القبور لأن إثبات البعث فى القيامة لا يدل على نفي ما عداه أ لا ترى أن الله سبحانه أحيا الذين أخرجوا من ديارهم و هم أوف و أحيا قوم موسى على الجبل بعد ما أماتهم و فى الآية

دلالة على فساد قول النظام في أن الإنسان هو الروح و قول معمر إن الإنسان شىء لا- ينقسم و أنه ليس بجسم «وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ» أى سبع سماوات كل سماء طريقه و سميت بذلك لتطارقها و هو أن بعضها فوق بعض و قيل لأنها طرائق الملائكة عن الجبائى و قيل الطرائق الطباق و كل طبقه طريقه عن ابن زيد و قيل إن ما بين كل سمائين مسيره خمسمائه عام و كذلك ما بين السماء و الأرض عن الحسن «وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ» إذ بنينا فوقهم سبع سماوات أطلعنا فيها الشمس و القمر و الكواكب و قيل معناه ما خلقناهم عبثا بل خلقناهم عالمين بأعمالهم و أحوالهم عن الجبائى و فى هذا دلالة على أنه عالم بجميع المعلومات و فيه زجر عن السيئات و ترغيب فى الطاعات «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطرا و غيثا «بِقَدَرٍ» أى بقدر الحاجة لا يزيد على ذلك فيفسد و لا ينقص عنه فيهلك بل على ما توجه المصلحة «فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ» أى جعلنا له الأرض مسكنا جمعناه فيه لينتفع به يريد ما يبقى فى المستنقعات و الدحلان أقر الله الماء فيها لينتفع الناس بها فى الصيف عند انقطاع المطر و قيل معناه جعلنا عيوننا فى الأرض و

روى مقاتل عن عكرمه عن ابن عباس عن النبى ص قال إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون و هو نهر الهند و جيحون و هو نهر بلخ و دجله و الفرات و هما نهر العراق و النيل و هو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة و أجزاها فى الأرض و جعل فيها منافع للناس فى أصناف معاشهم و ذلك قوله «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ» الآية

«وَأِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ» أى و نحن على إذهابه قادرون و لو فعلناه لهلك جميع الحيوانات نبه سبحانه بذلك على عظيم نعمته على خلقه بإنزال الماء من السماء «فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ» أى أحدثنا و خلقنا لنفعمكم «بِهِ» أى بسبب هذا الماء «جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ» يا معاشر الخلق «فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ» تتفكهون بها «وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» و إنما خص النخل و الأعناب لأنها ثمار الحجاز من المدينة و الطائف فذكرهم سبحانه بالنعم التى عرفوها.

## النظم

وجه اتصال الآيات بما قبلها أنه سبحانه لما ذكر نعمته على المؤمنين بما أعد لهم فى الآخرة ابتداء بذكر نعمه عليهم فى مبتدأ خلقه تنبيها لهم على النظر فيها و ترغيبا فى التمسك بالحسنات المذكوره و لما بين أحوال الآخرة بين متى يكون البعث و دل بذلك على أن من قدر على خلق الإنسان فى هذا الترتيب و التركيب العجيب قدر على الإعادة ثم أبان عن قدرته على البعث بقدرته على خلق السماوات ثم بين أنه لا يغفل عن عباده إذ لا يشغله

فعل عن فعل ثم بين أنه قادر لذاته حيث أنزل من السماء الماء و أسكنه في الأرض بأن فرقه في البحار و الأنهار و العيون ثم بين سبحانه أنه قادر على إذهابه دلالة على أن هذه النعمة وقعت باختياره ثم ذكر تفصيل النعمة.

## [سورة المؤمنون (٢٣): الآيات ٢٠ إلى ٢٥]

### إشارة

وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَ صَنِيعَ لِلآكِلِينَ (٢٠) وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسِّقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُونَ (٢٢) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ (٢٤)

إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥)

### القراءة

قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو طور سيناء بكسر السين و الباقون بفتحها و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب عن روح تنبت بالدهن بضم التاء و الباقون «تَنْبُتُ» بفتح التاء و ضم الباء و في الشواذ قراءة الحسن و الزهري و الأعرج تنبت بضم التاء و فتح الباء و قد ذكرنا اختلافهم في نسقيكم في سورة النحل.

### الحج

قال أبو عمرو من قرأ «سَيْنَاءَ» بفتح السين لم ينصرف الاسم عنده في معرفه و لا- نكره لأن الهمزة في هذا البناء لا تكون إلا للتأنيث و لا تكون للإلحاق لأن فعلا لا يكون إلا في المضاعف فلا يجوز أن يلحق به شيء فهذا إذا كموضع أو بقعه تسمى بطرفاء أو صحراء و من قرأ سيناء بالكسر فالهمزة فيها منقلبه عن الياء كعلباء و سيساء و هي الياء التي

أظهرت في نحو درحايه و إنما لم ينصرف على هذا القول و إن كان غير مؤنث لأنه جعل اسم بقعه فصار بمنزله امرأه سميت بجعفر و من قرأ تنبت بالدهن احتمل وجهين (أحدهما) أن يجعل الجار زائدا يريد تنبت الدهن كما في قوله «وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» و قد زيدت هذه الباء مع الفاعل كما زيدت مع المفعول به في نحو قوله:

ألم يأتيك و الأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

و قد زيدت مع هذه الكلمه بعينها في قوله:

بواد يمان تنبت الشث حوله و أسفله بالمرخ و الشبهان

حملوه على ينبت أسفله المرخ و يجوز أن تكون الباء متعلقا بغير هذا الفعل الظاهر و يقدر مفعولا محذوفا تقديره تنبت جناها أى ثمرتها و فيها دهن و صبغ كما تقول خرج بثيابه و ركب بسلاحه و من قرأ «تَنَبَّتْ بِالذُّهْنِ» جاز أن يكون الجار فيه للتعدي أنبته و نبت به و يجوز أن يكون الباء في موضع حال كما كان في الوجه الأول و لا يكون للتعدي و لكن تنبت و فيها دهن و قد قالوا أنبت بمعنى نبت فكان الهمزه في أنبت مره للتعدي و مره لغيرها و يكون من باب أخال و أجرب و أقطف أى صار ذا خال و جرب و من قرأ تنبت فهو على معنى تنبت و فيها دهنها و تؤكد ذلك قراءة عبد الله تخرج بالدهن أى تخرج من الأرض و دهنها معها قال ابن جنى ذهبوا في بيت زهير

" حتى إذا أنبت البقل "

إلى أنه في معنى نبت و قد يجوز أن يكون محذوف المفعول بمعنى حتى إذا أنبت البقل ثمره قال و من ذهب إلى زياده الباء في قوله تنبت بالدهن فمضعوف المذهب لأنه يزيد حرفا لا حاجه له إلى اعتقاد زيادته.

## المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ» أى و أنشأنا لكم بذلك المطر شجره يعنى شجره الزيتون و خصت بالذكر لما فيها من العبره بأنه لا يتعاهدها إنسان بالسقى و هى تخرج الثمره التى يكون منها الدهن الذى تعظم به المنفعه و سيناء اسم المكان الذى به هذا الجبل فى أصح الأقوال و هى نبطيه فى قول الضحاك و حبشيه فى قول عكرمه و هى اسم حجاره بعينها أضيف الجبل إليها عن مجاهد

وقيل سينا البركة فكانه قيل جعل البركة عن ابن عباس و قتاده و قيل طور سينا الجبل المشجر أى كثير الشجر عن الكلبي و قيل هو الجبل الحسن عن عطاء و هو الجبل الذى نودى منه موسى (عليه السلام) و هو ما بين مصر و إيله عن ابن زيد «تَبَّتْ بِالذُّهْنِ» أى تنبت ثمرها بالدهن لأنه يعصر من الزيتون الزيت «وَ صَبَّغَ لِلْأَكْلِينَ» و الصبغ ما يصبغ به من الأدم و ذلك أن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه و الاصطباغ بالزيت الغمس فيه للائتمام به و المراد بالصبغ الزيت عن ابن عباس فإنه يدهن به و يؤتمد جعل الله فى هذه الشجرة آدم و دهنا فالآدم الزيتون و الدهن الزيت و

قد روى عن النبى ص أنه قال الزيت شجره مباركة فأتموا به و ادهنوا

«وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً» أى دلالة تستدلون بها على قدره الله تعالى «نُسَيْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا» أراد به اللبن و من قرأ بضم النون أراد أنا جعلنا ما فى ضروعها من اللبن سقيا لكم و من فتح النون جعل ذلك مختصا بالسقاه و هو مفسر فى سورة النحل «وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ» فى ظهورها و ألبانها و أوبارها و أصوافها و أشعارها «وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ» أى من لحومها و أولادها و التكبسب بها «وَ عَلَيْهَا» يعنى على الإبل خاصة «وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ» و هذا كقوله «وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» أما فى البر فالإبل و أما فى البحر فالسفن و لما قدم سبحانه ذكر الأدلة الدالة على كمال قدرته فأتبعها بذكر شمول نعمته على كافة خليقته عقب ذلك بذكر إنعامه عليهم بإرسال الرسل فقال «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ» قيل إنما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه عن ابن عباس و قيل فى سبب نوحه أنه كان يدعو على قومه بالهلاك و قيل هو مراجعته ربه فى شأن ابنه «فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ» أى أطيعوه و وحدوه «مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» بدأ بالتوحيد لأنه الأهم «أَفَلَا تَتَّقُونَ» عذاب الله فى ترك الإيمان به «فَقَالَ الْمَلَأُ» أى الأشراف «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ» أى يتشرف و يترأس عليكم بأن يصير متبوعا و أنتم له تبع فيكون له الفضل عليكم «وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ» أن لا يعبد شىء سواه «لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً» و لم يرسل بشرا آدميا «مَا سَمِعْنَا بِهَذَا» الذى يدعونا إليه نوح من التوحيد «فِي آبَائِنَا الْأَوْلِينَ» أى فى الأمم الماضيه «إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ» أى حاله جنون «فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ» أى انتظروا موته فتستريحوا منه و قيل فانتظروا إفاقة من جنونه فيرجع عما هو عليه و قيل معناه احبسوه مدة ليرجع عن قوله.

## إشارة

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠)

## القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم منزلا بفتح الميم و كسر الزاي و الباقون «مُنزلاً» بضم الميم و فتح الزاي.

## الحج

قال أبو علي من قرأ «مُنزلاً» بالضم جاز أن يكون مصدرا و أن يكون موضعا للإِنزال فعلى الوجه الأول جاز أن يعدى الفعل إلى مفعول آخر و على الوجه الثانى قد تعدى إلى مفعولين و من قرأ منزلا- أمكن أن يكون مصدرا و أن يكون موضع نزول و دل أنزلنى على نزلت.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه أن نوحا لما نسبه قومه إلى الجنون و لم يقبلوا منه «قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي» أى بتكذيبهم إياى و المعنى انصرنى يا هلا-كهم «فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا» أى بحيث نراها كما يراها الرائى من عبادنا بعينه و قيل معناه بأعين أوليائنا من الملائكة و المؤمنين فإنهم يحرسونك من كل من يمنعك منه «وَ وَحَيْنَا» أى بأمرنا و إعلامنا إياك كيفية فعلها «فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَ فَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا» أى فأدخل فى السفينه «مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ» مفسر فى سوره هود «وَ لَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى لا- تكلمنى فى شأنهم «إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ» أى هالكون «فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ» يا نوح «وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ» أى السفينه «فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا» أى خلصنا «مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» لنفوسهم بجحدهم توحيد الله «وَ قُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا» أى إنزالا- مباركا أو نزولا مباركا بعد الخروج من السفينه و ذلك تمام النجاه عن مجاهد و قيل المنزل المبارك هو السفينه عن الجبائى قيل لأنه سبب النجاه و قيل معناه أنزلنى

مكانا مباركا بالماء و الشجر عن الكلبى و قيل معنى البركه أنهم توالدوا و كثروا عن مقاتل «وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ» لأنه لا يقدر أحد على أن يصون غيره من الآفات إذا أنزله منزلا و يكفيه جميع ما يحتاج إليه إلا أنت قال الحسن كان فى السفينه سبعة أنفس من المؤمنين و نوح ثامنهم و قيل ثمانون «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى أمر نوح و السفينه و هلاك أعداء الله «الآيات» أى دلالات للعقلاء يستدلون بها على التوحيد «وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ» معناه و إن كنا مختبرين إياهم بإرسال نوح و وعظه و تذكيره و متعبدين عبادنا بالاستدلال بتلك الآيات على قدرتنا و معرفتنا.

## [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٣١ الى ٤٠]

### اشاره

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَآتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَ مَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ (٤٠)

### القراءة

قرأ أبو جعفر هيهات هيهات بالكسر و الباقون بالفتح و فى الشواذ قراءة

ص: ١٦٨

عيسى بن عمر هيهات هيهات بالتثوين و الكسر و قراءه أبى حيوه هيهات هيهات بالرفع و التثوين و قراءه عيسى الهمداني هيهات هيهات مرسله التاء.

## الحج

قال ابن جنى أما الفتح و هو قراءه العامه فعلى أنه واحد و هو اسم سمي به الفعل فى الخبر و هو اسم بعد كما أن شتان اسم افترق و أف اسم أتضجر و من كسر فقال هيهات منونا أو غير منون فهو جمع هيهاه و أصلها هيهيات فحذف الألف لأنه فى آخر اسم غير متمكن كما حذف ياء الذى و ألف ذا فى التشبيه إذا قلت اللذان و ذان و من نون ذهب إلى التنكير أى بعدا بعدا و من لم ينون ذهب إلى التعريف أراد البعد البعد و من فتح وقف بالهاء لأنها كهاء أوطاه و من كسر كتبها بالتاء لأنها جماعه و من قال هيهات بالتثوين و الرفع فإنه يكتبها بالهاء و يكون اسما معربا فيه معنى البعد و قوله «لما توعِدُونَ» خبر عنه فكأنه قال البعد لوعدكم و أما هيهات ساكنه التاء فينبغى أن تكون جماعه و تكتب بالتاء و أجريت فى الوقف مجراها فى الوصل و تقول العرب هيهات لما تبغى و هيهات منزلتك قال جرير

فهيهات هيهات العقيق و من به و هيهات خل بالعقيق نواصله

و يروى أيهات و اختار الفراء الوقف على هيهات بالتاء لأن قبلها ساكنها فصارت كتأنيث أخت و قال أبو على إنما كرر هيهات فى الآيه و فى البيت للتأكيد و أما اللتان فى الآيه فى كل واحده منهما ضمير مرتفع يعود إلى الإخراج إذ لا يجوز خلوه من الفاعل و التقدير هيهات إخراجكم لأن قوله «أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ» بمعنى الإخراج أى بعد إخراجكم للوعد إذ كان الوعد إخراجكم بعد موتكم استبعد أعداء الله إخراجهم لما كانت العده به بعد الموت ففاعل هيهات هو الضمير العائد إلى «أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ» الذى هو بمعنى الإخراج و أما فى البيت فى هيهات الأول ضمير العقيق و فسر ذلك ظهوره مع الثانى.

## الإعراب

اختلفوا فى أن الثانى من قوله سبحانه «أَيَعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَاباً وَ عِظَاماً أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ» و كذلك قوله أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ وَ قَوْلُهُ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فقال سيبويه إن الثانى فى هذه المواضع الثلاث بدل من الأولى و قال أبو عمرو و الجرمى و أبو العباس المبرد أنها مكرره للتأكيد و طول الكلام و قال أبو الحسن إنها مرتفع بالظرف و اختاره أبو على الفارسى و زيف القولين الأولين و أقول إن أن الأولى فى



قوله «أَيُّعِدُّكُمْ أَنْكُمْ» مع اسمها وخبرها في موضع نصب على أنه المفعول الثاني من الوعد و يكون تقديره على مذهب سيويه أ يعدكم أنكم مخرجون إذا متم و كنتم ترابا و عظاما أى أ يعدكم كونكم مخرجين بعد موتكم و كونكم ترابا و عظاما و أما على مذهب من جعله للتكرير فتقديره أ يعدكم أنكم بعد موتكم مخرجون و أما على مذهب أبى الحسن و أبى على فتقديره أ يعدكم أنكم إذا متم إخراجكم و اتقوا أنكم وقت موتكم أو بعد موتكم إخراجكم فقوله «أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ» في موضع رفع بالظرف الذى هو قوله «إِذَا مِتُّمْ» و قوله «إِذَا مِتُّمْ» مع ما بعده رفع لكونه جملة واقعه موقع خبر إن الأولى و موضع إذا نصب كما انتصب يوم فى قولك يوم الجمعة القتال و العامل فى الظرف فى الأصل الفعل المحذوف أو معنى الفعل مثل قولك يحدث أو حادث أو يكون أو كائن و لا يجوز أن يكون العامل فيه الإخراج نفسه إذ لو كان كذلك لكان الكلام غير تام و لا يكون له خبر ثم يحذف هذا المضمرة لدلالة الظرف عليه و قيامه مقامه و يصير الذكر الذى كان فى المضمرة من المحدث عنه فى الظرف و ذلك الذكر مرتفع بالظرف كما كان يرتفع بالفعل كما فى نحو قولك زيد ذهب و زيد ذاهب فلما قام الظرف مقام الفعل متأخرا عن الاسم قام مقامه أيضا مبتدأ فرفع الاسم الظاهر كما رفعه الفعل فكذلك إذا فى الآية تقديره فى الأصل إذا متم إخراجكم كائن أو حادث أو يكون أو يحدث ثم اختزل الفعل أو معنى الفعل على ما قاله أبو على فانصب إذا بذلك كما ينتصب غدا فى قولك غدا الرحيل و حذف الخبر كما حذف من غد ثم قام إذا مقام الفعل فرفع قوله «أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ» كما رفع قولك غدا الرحيل و على هذا فيجوز أن نقول هنا أن موضع إذا نصب بحادث أو يحدث المضمرة فى قولك إذا متم إخراجكم يحدث أو حادث و يجوز أن نقول إن الاسم الذى هو «أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ» واقع موقع جواب شرط إذا و يرفع بفعل مضمرة تقديره أ يعدكم إذا متم يعاد إخراجكم أو يحدث إخراجكم و يكون موضع إذا نصب بذلك الفعل فأما تقدير ارتفاع أن الثانية بالظرف فى الآيتين الأخيرتين فقد تقدم بيانه فى موضعيهما من هذا الكتاب فلا معنى لإعادته فقد أجاز أبو عثمان و غيره إضمار الظرف و إعماله كما قالوا فى انتصاب مثلهم فى بيت الفرزدق

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش و إذ ما مثلهم بشر

أنه على ظرف مضمرة.

## المعنى

ثم عطف سبحانه على قصه قوم نوح فقال «ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ» أى

أحدثنا و خلقنا من بعد قوم نوح «قَرْنَا آخِرِينَ» أى جماعه آخرين من الناس و القرن أهل العصر على مقارنه بعضهم لبعض قيل  
يعنى عاد أقوم هود لأنه المبعوث بعد نوح و قيل يعنى ثمود لأنهم أهلكوا بالصيحه عن الجبائى «فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ  
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ» سبق تفسيره «وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ» أى بالبعث و  
الجزاء «وَآتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى نعمناهم فيها بضروب الملاذ «ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا  
تَشْرَبُونَ» من الأشربه فليس هو أولى بالرساله منا «وَلَيْنِ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ» فيما يدعوكم إليه «إِنَّكُمْ إِذَا لَخَّاسِئِرُونَ» باتباعه «أ  
يَعِدُّكُمْ» هذا الرسول «إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَابًا وَ عِظَامًا» و صرتم بعد الموت رميما «أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ» من قبوركم أحياء «هَيْهَاتَ»  
فيه ضمير مرتفع عائذ إلى قوله «أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ» و المعنى هيهات هو أى بعد إخراجكم جدا حتى امتنع «هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ»  
قال ابن عباس بعدا بعدا لما توعدون و قال الكلبي بعيد بعيد ما يعدكم ليوم البعث «إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا» أى ليس الحياه إلا  
الحياه التى نحن فيها القريبه منا «نَمُوتُ وَ نَحْيَا» أى يموت قوم منا و يحيا قوم و لا- نبعث و قيل يموت الآباء و يحيا الأبناء عن  
الكلبي و قيل يموت قوم و يولد قوم «وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ» بعد ذلك «إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى اختلق كذبا «وَ مَا  
نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ» أى بمصدقين فيما يقول «قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ» تقدم بيانه «قَالَ» أى قال الله سبحانه «عَمَّا قَلِيلٍ» أى عن  
قليل من الزمان و الوقت يعنى عند الموت لو عند نزول العذاب و ما هاهنا مزيده «لِيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ» هذا وعيد لهم و اللام للقسم.

## إشارة

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبِعْدَ اللَّقْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجْلَهَا  
وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرًا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّه رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعْدَ لِقَوْمٍ لَا  
يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَ أَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥)

إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَ نُوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَ قَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ  
الْمُهْلَكِينَ (٤٨) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّه آيَةً وَ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ  
(٥٠)

## القرءاءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أبو جعفر تترى بالتونين و الباقون بغير تنوين و من نون وقف بالألف لا- غير و من لم ينون و مذهبه  
الإمالة وقف بالياء و هي ألف مماله و الباقون بالألف و قد ذكرنا اختلافهم في «رَبْوَةٍ» في سورة البقرة.

## الحجاءة

قال أبو على «تتراً» فعلى من المواتره أن يتبع الخبر الخبر و الكتاب الكتاب فلا- يكون بينهما فصل كثير و الأقيس أن لا يصرف  
لأن المصادر قد يلحق أواخرها ألف التانيث كالدعوى و العدوى و الذكرى و الشورى و لم نعلم شيئاً من المصادر لحق آخرها  
الياء للإلحاق فمن قال «تتراً» أمكن أن يريد به فعلى من المواتره فيكون الألف بدلا من التنوين و إن كان في الخط بالياء كان  
للإلحاق و الإلحاق في غير المصادر ليس بالقليل نحو أرطى و معزى و لزم أن يحمل على فعل دون فعلى و من قال «تتراً» و أراد  
به فعلى فحكمه أن يقف بالألف مفخمه و لا يملئها و من جعل للإلحاق أو للتانيث أمال الألف إذا وقف عليها.

## المعنى

لما قال سبحانه إن هؤلاء الكفار يصبحون نادمين على ما فعلوه عقبه بالإخبار عن إهلاكهم فقال «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ» صاح بهم  
جبرائيل صيحه واحده ماتوا عن آخرهم «بِالْحَقِّ» أى باستحقاقهم العقاب بكفرهم «فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً» و هو ما جاء به السيل من نبات  
قد يبس و كل ما يحمله السيل على رأس الماء من قصب و عيدان شجره فهو غثاء و المعنى فجعلناهم هلكى قد يبسوا كما يبس  
الغشاء و همدوا «فَبِعْدَ» أى أَلْزَمَ اللهُ بَعْدَ مِنَ الرَّحْمَةِ «لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» المشركين المكذبين «ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ» أى من بعد  
هؤلاء «قُرُونًا آخَرِينَ» أى أمما و أهل أعصار آخرين «مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجْلَهَا وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ» هذا وعيد للمشركين معناه ما تموت  
أمه قبل أجلها المضروب لها و لا تتأخر عنه و قيل عنى بالعذاب الموعود لهم على التكذيب أنه لا يتقدم على الوقت المضروب  
لهم لذلك و لا يتأخر

عنه و الأجل هو الوقت المضروب لحدوث أمر من الأمور و الأجل المحتوم لا يتأخر و لا يتقدم و الأجل المشروط بحسب الشرط و المراد بالأجل المذكور فى الآيه الأجل المحتوم «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا» أى متواتره يتبع بعضهم بعضا عن ابن عباس و مجاهد و قيل متقاربه الأوقات و أصله الاتصال لاتصاله بمكانه من القوس و منه الوتر و هو الفرد عن الجمع المتصل قال الأصمعى يقال واترت الخير اتبعت بعضه بعضا و بين الخبرين هنيهة «كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّهُ رَسُولُهَا كَذِبٌ» و لم يقرؤا بنبوته «فَأَتَّبَعْنَا بِغَضٍّ هُمْ بَعْضًا» يعنى فى الإهلاك أى أهلكنا بعضهم فى إثر بعض «وَجَعَلْنَا هُمْ أَحَادِيثَ» أى يتحدث بهم على طريق المثل فى الشر و هو جمع أهدوته و لا يقال هذا فى الخير و المعنى إنا صيرناهم بحيث لم يبق بين الناس منهم إلا حديثهم «فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» ظاهر المعنى «ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَ أَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا» أى بدلائلنا الواضحة «وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى و برهان ظاهر بين «إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ» خص الملائـ و هم الأشراف بالذكر لأن الآخرين كانوا أتباعا لهم «فَأَسِيَّتْ كِبْرُؤًا» أى تجبروا و تعظموا عن قبول الحق «وَكَانُوا قَوْمًا عَلِيلِينَ» أى متكبرين قاهرين قهروا أهل أرضهم و اتخذوهم خولا «فَقَالُوا أَلَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا» أى أنصدق لإنسانين خلقهم مثل خلقنا و يسمى الإنسان بشرا لانكشاف بشرته و هى جلده الظاهره حتى احتاج إلى لباس يكنه و غيره من الحيوان مغطى البشره بصوف أو ريش أو غيره لطفًا من الله سبحانه بخلقه إذ لم يكن هناك عقل يدبر أمره مع حاجته إلى ما يكنه و الإنسان يهتدى إلى ما يستعين به فى هذا الباب «وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ» أى مطيعون طاعه العبد لمولاه قال الحسن كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون و فرعون يعبد الأوثان «فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ» أى فكذبوا موسى و هارون فكان عاقبه تكذيبهم أن أهلكهم الله و غرقهم «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» أى التوراه «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» أى لكى يهتدوا إلى طريق الحق و الصواب «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً» و هذا مثل قوله وَ جَعَلْنَاهَا وَ ابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ أى حجه على قدرتنا على الاختراع و آيه عيسى أنه خلق من غير ذكر و آيه مريم أنها حملت من غير فحل «وَ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ» أى جعلنا مأواهما مكانا مرتفعا مستويا واسعا يقال أوى إليه يأوى أويا و أواه غيره يؤويه إيواء أى جعله مأوى له و الربوه التى أويا إليها هى الرمله من فلسطين عن أبى هريره و قيل دمشق عن سعيد بن المسيب و قيل مصر عن ابن زيد و قيل بيت المقدس عن قتاده و كعب قال كعب و هى أقرب الأرض إلى السماء و قيل هى حيره الكوفه و سوادها و

القرار مسجد الكوفه و المعين الفرات عن أبى جعفر و أبى عبد الله ع

و قيل «ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ» معناه أى ذات موضع قرار أى هى أرض مستويه يستقر عليها ساكنوها عن الضحاك و سعيد و قيل ذات ثمار عن قتاده ذهب إلى أنه لأجل الثمار

يستقر فيها ساكنوها و معين ماء جار ظاهر العيون مفعول من عنته أعينه و يجوز أن يكون فعلا من معن يمعن معانه و الماعون الشئ ء القليل فى قول الزجاج قال الراعى

قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم و يبدلوا التنزيلا

قالوا معناه رفدهم و قيل زكائهم و قال عبيد بن الأبرص

واهيه أو معين ممعن أو هضبه دونها لهوب

و اللهب شق فى الجبل ممعن مار و المعن الشئ ء السهل الذى ينقاد و لا يعتاص و أمعن بحقه و أذعن أى أقر قال ابن الأعرابى سالت معنانه أى مسايله و مجاريه.

## [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥١ الى ٥٦]

### اشاره

يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَ بَيْنَيْنَ (٥٥)

نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)

### القراءه

قرأ أهل الكوفه «وَ إِنَّ هَذِهِ» بالكسر و قرأ ابن عامر و أن بالفتح و التخفيف و الباقون و أن هذه بالفتح.

### الحجه

قال أبو على من قرأ و أن هذه بالفتح فالمعنى على قول الخليل و سيبويه أنه محمول على الجار و التقدير لأن هذه أمتكم أمه واحده و أنا ربكم فاتقون أى اتقونى لهذا و مثل ذلك عندهم قوله وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ أَى و لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا و كذلك عندهما لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ فكأنه قال فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش أى ليقابلوا هذه النعمه

بالشكر و العباده للمنعم بها و على هذا التقدير يحتمل قراءه ابن عامر ألا ترى أن إذا خفت اقتضت ما يتعلق بها اقتضاءها و هى غير مخففة و قال بعض النحويين موضع أن المفتوحه جر عطفاً على قوله «بِمَا تَعْمَلُونَ» و «أُمَّةً وَاحِدَةً» نصب على الحال و الكوفيون يسمونه قطعاً و من كسر لم يحملها على الفعل كما يحملها من فتح و لكن يجعلها كلاماً مستأنف.

## المعنى

لما أخبر الله سبحانه عن إيتائه الكتاب للاهتداء ثم عما أولاه من سائغ النعماء خاطب الرسل بعد ذلك فقال «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ» قيل هو خطاب للرسل كلهم و أمر لهم أن يأكلوا من الحلال عن السدى و

روى عن النبى ص أنه قال إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً و أنه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ» و قال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

وقيل أراد به محمداً ص وحده على مذهب العرب فى مخاطبه الواحد مخاطبه الجمع عن الحسن و مجاهد و قتاده و الكلبي و يتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذا أمروا قال الحسن أما و الله ما عنى به أصفركم و لا أحمركم و لا حلوكم و لا حامضكم و لكنه قال انتهوا إلى الحلال منه «وَ اعْمَلُوا صَالِحاً» أى ما أمركم الله به و قيل إنه خطاب عيسى (عليه السلام) خاصة «إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» هذا بيان السبب الداعى إلى إصلاح العمل فإن العاقل إذا عمل لمن يعلم عمله و يجازيه على حسب ما يعمل من عمله و بقدر استحقاقه أصلح العمل «وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى دينكم دين واحد عن الحسن و ابن جريج و يعضده قوله «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ أَى عَلَىٰ دِينٍ قَالَ النابغه

حلفت فلم أترك لنفسى ريبه و هل يآثمن ذو أمه و هو طائع

وقيل هذه جماعتكم و جماعه من قبلكم واحده كلكم عباد الله تعالى عن الجبائى «وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ» أى لهذا فاتقوا «فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ» تفسير الآيتين قد تقدم فى سورة الأنبياء «زُبُرًا» أى كتبا و هو جمع زبور عن الحسن و قتاده و مجاهد و المعنى تفرقوا فى دينهم و جعلوه كتباً دانوا بها و كفروا بما سواها كاليهود و كفروا بالإنجيل و القرآن و النصرى كفروا بالقرآن و قيل معناه أحدثوا كتباً يحتجون بها لمذهبهم عن ابن زيد و من قرأ زبرا و هو ابن عامر فمعناه جماعات مختلفه فهى جمع زبره أى تفرقوا أحزاباً و انتصب «زُبُرًا» على الحال من «أَمْرَهُمْ» و العامل فيه تقطع و قال الزجاج معناه جعلوا دينهم كتباً مختلفه على قراءه من قرأ زبرا فعلى هذا يكون زبرا مفعولاً ثانياً «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» أى كل فريق بما عندهم من الدين راضون يرون أنهم على الحق ثم خاطب نبيه ص فقال «فَسَدَرْتَهُمْ» يا محمد «فِي غَمَرَتِهِمْ» أى جهلهم و ضلالتهم و قيل فى حيرتهم و قيل فى غفلتهم و هى متقاربه «حَتَّىٰ

حين» أى وقت الموت وقيل وقت العذاب ثم قال «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعِ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ» معناه أى يظن هؤلاء الكفار أن ما نعطيهم و نزيدهم من أموال و أولاد أنما نعطيهم ثوابا و مجازاه لهم على أعمالهم أو لرضانا عنهم و لكرامتهم علينا ليس الأمر كما يظنون بل ذلك إملاء لهم و استدراج لهوانهم علينا و للابتلاء فى التعذيب لهم و نظيره قوله فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ و

روى السكونى عن أبى عبد الله (عليه السلام) عن أبيه عن آباءه قال قال رسول الله ص إن الله تعالى يقول يحزن عبدى المؤمن إذا أفترت عليه شيئا من الدنيا و ذلك أقرب له منى و يفرح إذا بسطت له الدنيا و ذلك أبعد له منى ثم تلا هذه الآية إلى قوله «بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» ثم قال إن ذلك فتنه لهم

و معنى نَسَارِعَ نَسْرِعَ و نَتَعَجَّلُ و تقديره نَسَارِعَ لَهُمْ به فى الخيرات فحذف به للعلم بذلك كما حذف الضمير من قولهم السمن منوان بدرهم أى منوان منه بدرهم و الخيرات المنافع التى يعظم شأنها و نقيضها الشرور و هى المضار التى يشتد أمرها و الشعور العلم الذى يدق معلومه و فهمه على صاحبه كدقه الشعر و قيل هو العلم من جهة المشاعر و هن الحواس و لهذا لا يوصف القديم سبحانه به.

## [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥٧ الى ٦١]

### إشارة

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)

### القراءة

فى الشواذ قراءة النبى ص و عائشه و ابن عباس و قتاده و الأعمش يأتون ما أتوا مقصورا.

### الحجج

معنى قوله «يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ» أنهم يعطون الشىء و يشفقون أن لا يقبل منهم و معنى «يُؤْتُونَ مَا آتَوْا» أنهم يعملون العمل و هم يخافونه و يخافون لقاء الله.

### المعنى

ثم بين سبحانه حال الأخيار الأبرار بعد بيانه أحوال الكفار الفجار فقال «إِنَّ

الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» أى من خشية عذاب ربهم خائفون فيفعلون ما أمرهم به و ينتهون عما نهاهم عنه و الخشيه انزعاج النفس يتوهم المضره «وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ» أى بآيات الله و حججه من القرآن و غيرها يصدقون «وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ» أى لا يشركون بعباده الله تعالى غيره من الأصنام و الأوثان لأن خصال الإيمان لا تتم إلا بترك الإشراك «وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا» أى يعطون ما أعطوا من الزكاه و الصدقه و قيل أعمال البر كلها «وَ قُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ» أى خائفه عن قتاده و قال الحسن المؤمن جمع إحسانا و شفقه و المنافع جمع إساءه و أمانا و

قال أبو عبد الله معناه خائفه أن لا يقبل منهم

و

فى روايه أخرى يؤتى ما آتى و هو خائف راج

و قيل أن فى الكلام حذفاً و إضماراً و تأويله قلوبهم و جلّه أن لا يقبل منهم لعلمهم «أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» أى لأنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى الله تعالى يخافون أن لا- يقبل منهم و إنما يخافون ذلك لأنهم لا- يأمنون التفريط «أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» معناه الذين جمعوا هذه الصفات و كملت فيهم هم الذين يبادرون إلى الطاعات و يسابقون إليها رغبه منهم فيها و علما بما ينالون بها من حسن الجزاء «وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ» أى و هم لأجل تلك الخيرات سابقون إلى الجنه و قيل معناه و هم إليها سابقون و قال الكلبي سبقوا الأمم إلى الخيرات قال ابن عباس يسابقون فيها أمثالهم من أهل البر و التقوى.

ص: ١٧٧



## إشارة

وَلَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَ لَمَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرِهِ مِنْ هَذَا وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣) حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تُنكِرُونَ (٦٦)

مُسَيِّتِكِبْرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَ فَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَ لَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١)

## القراءة

قرأ نافع تهجرون بضم التاء و كسر الجيم و الباقون «تَهْجُرُونَ» بفتح التاء و ضم الجيم و فى الشواذ قراءة ابن مسعود و ابن عباس و عكرمه سمرا تهجرون و قراءة ابن محيصة سمرا و قراءة يحيى و لو اتبع بضم الواو.

## الحج

قال أبو على من قال «تَهْجُرُونَ» فالمعنى أنكم كنتم تهجرون آياتى و ما يتلى عليكم من كتابى فلا تنقادون له و تكذبون به و تهجرون تأتون بالهجر و الهديان و ما لا خير فيه من الكلام و قال ابن جنى قوله «تَهْجُرُونَ» معناه تكثرون من الهجر أو هجر النبى ص أو كتابه أو تكثرون من الإهجار و هو الإفحاش فى القول لأن فعل للتكثير و السمر جمع سامر و السامر القوم يسمرون أى يتحدثون ليلا قال ذو الرمة:

و كم عرس بعد السرى من معرس به من عزيز الجن أصوات سامر

قال قطرب السامر قد يكون واحدا أو جماعه و قيل أنه أخذ من السمره و هى اللون الذى بين السواد و البياض فقيل لحديث الليل السمر لأنهم كانوا يقعدون فى ظل القمر يتحدثون و قيل إن السمر ظل القمر.

## اللغة

الوسع الحال التى يتسع بها السبيل إلى الفعل و الوسع دون الطاقه و التكليف تحميل ما فيه المشقه بالأمر و النهى و الإعلام مأخوذ من الكلفه فى الفعل و الله سبحانه يكلف عباده تعريضا إياهم للنفع الذى لا يحسن الابتداء بمثله و هو الثواب و أصل الغمره الستر و التغطيه يقال غمرت الشىء إذا سترته و غمرات الموت شدائده و كل شدة غمره قال الغمرات ثم ينجلينا ثم يذهبن فلا يجيئنا و الجوار الاستغائه و رفع الصوت بها و النكوص رجوع القهقرى و هو المشى على الأعقاب إلى خلف و هو أقبح مشيه مثل بها أقبح حال و هى الإعراض عن الداعى إلى الحق.



«وُسِّعَهَا» مفعول ثانٍ لنكلف " بِالْحَقِّ " إن جعلت الحق مصدراً فالباء مزيدة و التقدير ينطق الحق و إن جعلته صفة محذوفاً فالتقدير ينطق بالحكم الحق و مفعول «يُنْطَقُ» محذوف، «هُمُ لَهَا عَامِلُونَ» جملة في موضع رفع لأنها صفة لأعمال «مُسِيَّ تَكْبِيرِينَ» منصوب على الحال من قوله «تَنْكِصُونَ» و ذو الحال و «تَنْكِصُونَ» خبر كان و «سامراً» اسم للجمع منصوب لأنه حال.

### المعنى

ثم بين سبحانه أنه لا يكلف أحداً إلا - دون الطاقه بعد أن أخبر عن حال الكافرين و المؤمنين فقال «وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا» أى لا نكلفها أمراً و لا نأمرها «إِلَّا وَوَسَّعَهَا» أى دون طاقتها «وَلَمَدَيْنَا كِتَابًا يَنْطِقُ بِالْحَقِّ» معناه و عند ملائكتنا المقربين كتاب ينطق بالحق أى يشهد لكم و عليكم بالحق كتبته الملائكة بأمرنا يريد صحائف الأعمال «وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ» أى يوفون جزاء أعمالهم فلا ينقص من ثوابهم و لا يزداد فى عقابهم و لا يؤاخذون بذنب غيرهم «بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا» بل رد لما سبق و ابتداء الكلام و المعنى أن قلوب الكفار فى غفله شديده من هذا الكتاب المشتمل على الوعد و الوعيد و هو القرآن و قيل فى جهل و حيره عن الحسن و الجبائى «وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ» أى و لهم أعمال رديه سوى هذا الجهل يعملون تلك الأعمال فيستحقون بها و بالكفر العقوبه من الله تعالى و قيل و لهم أعمال أى خطايا من دون الحق عن قتاده و أبى العالیه و مجاهد و قيل و لهم أعمال من دون الأجل الذى أجلت لهم فى موتهم لا بد أن يعملوها عن الحسن و مجاهد فى روايه أخرى و ابن زيد و قيل أعمال أصغر من ذلك أى دون الكفر كما يقال هذا دون هذا فى القدر هم عاملون إلى أن يفنى آجالهم فهم مشغولون بها «حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ» أى يكون هذا دأبهم حتى إذا أخذنا متنعيمهم و رؤساءهم بعذاب الآخرة و يقال عذاب الدنيا و هو عذاب السيف فى يوم بدر عن ابن عباس و قيل هو الجوع حين

دعا النبى ص فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر و اجعلها سنين كسنى يوسف

فابتلاهم الله سبحانه بالقحط حتى أكلوا الجيف و الكلاب عن الضحاك «إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ» أى يضجون لشده العذاب و يجزعون و قيل يستغيثون عن ابن عباس و قيل يصرخون إلى الله بالتوبه فلا يقبل منهم «لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ» أى يقال لهم لا تتضرعوا اليوم «إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِّرُونَ» هذا إيناس لهم من دفع العذاب عنهم «فَمَدَّ كَأَن آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ» أى تقرأ «فَكُنْتُمْ» أيها الكافرون المعذبون «على أعقابكم تَنْكِصُونَ» أى تدبرون و تستأخرون و ترجعون القهقري مكذبين «مُسِيَّ تَكْبِيرِينَ بِهِ» أى متكبرين على سائر الناس بالحرم أو بالبلد يعنى مكه أن لا يظهر عليكم فيه أحد عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قيل مستكبرين بمحمد ص أن تطيعوه و بالقرآن أن تقبلوه فإنها

كنايه عن غير مذكور في الجميع «سامراً» أى تسمرون بالليل أى تتحدثون فى معائب النبى ص «تَهْجُرُونَ» الحق بالإعراض عنه و تهجرون أى تفحشون فى المنطق ثم قال سبحانه «أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ» أى ألم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر و الدلالات على صدق نبينا ص «أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ» قال ابن عباس يريد أليس قد أرسلنا نوحا و إبراهيم و النبيين إلى قومهم و كذلك أرسلنا محمدا ص «أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ» قال ابن عباس أليس هو محمدا الذى قد عرفوه صغيرا و كبيرا صادق اللسان أمينا وافيا بالعهد و فى هذا توبيخ لهم بالإعراض عنه بعد ما عرفوا صدقه و أمانته مع شرف نسبه قبل الدعوه «أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ» قال ابن عباس يريد و أى جنون ترون به و فى هذا دلالة على جهلهم حيث أقروا له بالعقل و الصدق أولا- ثم نسبوه إلى الجنون و إنما نسبوه إلى الجنون لينفروا الناس عنه أو لأنه يطمع فى إيمانهم فهو يطمع فى غير مطمع «بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ» المعنى بل جاءهم بالقرآن و الدين الحق و ليس به جنه «وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ» لأنه لم يوافق مرادهم «وَ لَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ» الحق هو الله تعالى عن أبى صالح و ابن جريج و السدى و المعنى و لو جعل الله لنفسه شريكا كما يهونون «لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ» و وجه الفساد ما تقدم ذكره عند قوله لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا و قيل الحق ما يدعو إلى المصالح و المحاسن و الأهواء ما تدعو إلى المفاسد و المقابح و لو اتبع الحق داعى الهوى لدعا إلى المقابح و لفسد التدبير فى السماوات و الأرض لأنها مدبره بالحق لا بالهوى و قيل معناه لفسدت أحوال السماوات و الأرض لأنها جاربه على الحكمه لا- على الهوى و من فيهن أى و لفسد من فيهن و هو إشاره إلى العقلاء من الملائكة و الإنس و الجن و قال الكلبي و ما بينهما من خلق فيكون عاما و وجه فساد العالم بذلك أنه يوجب بطلان الأدله و امتناع الثقة بالمدلول عليه و أن لا يوثق بوعد و لا وعيد و لا يؤمن انقلاب عدل الحكيم «بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ» أى بما فيه شرفهم و فخرهم لأن الرسول ص منهم و القرآن نزل بلسانهم «فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ» أى شرفهم «مُعْرِضُونَ» و بالذل راضون و قيل الذكر البيان للحق عن ابن عباس.

إشاره

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّا كِبُونَ (٧٤) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصَرِعُونَ (٧٦)

حَيَّتِي إِذَا فَتَخْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٨٠)

اللغه

أصل الخراج و الخرج واحد و هو الغله التي تخرج على سبيل الوظيفة و منه خراج الأرض و هما مصدران يجمعان و قد سبق اختلاف القراء فيه في سوره الكهف و الاستكانه الخضوع و هو استفعل من الكون و المعنى ما طلبوا الكون على صفة الخضوع قال الأزهرى أكانه الله يكيهه أى أخضعه حتى ذل و مات فلان بكيهه سوء أى بحال سوء و قيل إن استكان من السكيهه و السكون إلا أن الفتحة أشبعت فنشأت منها ألف فصار استكانوا الأصل استكنوا على افتعلوا قال عنتره فى إشباع الفتحة

ينباع من ذفرى غضوب جسره زيافه مثل الفنيق المكدم

يريد ينبع فأشبع الفتحة و قال آخر

و أنت من الغوائل حين ترمى و من ذم الرجال بمنترح

أى بمنترح يقال استكن و استكان و تمسكن بمعنى.

ثم قال سبحانه «أَمْ تَسْأَلُهُمْ» يا محمد على ما جئتهم به من القرآن والإيمان «خَرْجًا» أى أجرا و مالا يعطونك فيورث ذلك تهمه فى حالك أو يثقل عليهم قبول قولك لأجله «فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ» أى فرزق ربك فى الدنيا خير منه عن الكلبي وقيل فأجر ربك فى الآخرة خير منه عن الحسن «وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» أى أفضل من أعطى و أجر و فى هذا دلالة على أن فى العباد من يرزق غيره بإذن الله «وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» من التوحيد و إخلاص العبادة و العمل بالشريعة «وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» أى لا- يصدقون بالنشأة الآخرة «عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ» أى عن الدين الحق عادلون و مائلون و قيل معناه أنهم فى الآخرة ناكبون عن طريق الجنة يؤخذ بهم يمنة و يسره إلى النار عن الجبائى «وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ» فى الآخرة «وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ» و رددناهم إلى دار التكليف «لَلْجُورِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» مثل قوله «وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا» عن الجبائى و أبى مسلم و قيل أنه فى الدنيا أى و لو أنا رحمناهم و كشفنا ما بهم من جوع و نحوه لتمادوا فى ضلالتهم و غوايتهم يترددون عن ابن جريج «وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعِزَابِ» معناه إنا قد أخذنا هؤلاء الكفار بالجدب و ضيق الرزق و القتل بالسيف «فَمَا اسْتَيْكَنُوا لِرَبِّهِمْ» أى ما تواضعوا و لا انقادوا «وَمَا يَتَضَرَّعُونَ» أى و ما يرغبون إلى الله فى الدعاء و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) الاستكانة الدعاء و التضرع رفع اليد فى الصلاة

«حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ» أى هذا دأبهم حتى إذا فتحنا عليهم نوعا آخر من العذاب و ذاك حين

دعا النبى ص عليهم فقال اللهم سنين كسنى يوسف

فجاءوا حتى أكلوا العلهز و هو الوبر بالدم عن مجاهد و قيل هو القتل يوم بدر عن ابن عباس و قيل فتحنا عليهم بابا من عذاب جهنم فى الآخرة عن الجبائى و قيل ذلك حين فتح مكة و

قال أبو جعفر (عليه السلام) هو فى الرجعه

«إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» أى آيسون من كل خير متحiron ثم بين سبحانه أنه المنعم على خلقه بأنواع النعم فقال «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ» أى خلق هذه الحواس ابتداء لا من شىء و خص هذه الثلاثة لأن الدلائل مبنية عليها ينظر العاقل و يسمع و يتفكر فيعلم «قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ» أى يقل شكركم لها و «قَلِيلًا» منصوب على المصدر و تقديره تشكرون قليلا لهذه النعم التى أنعم الله بها عليكم و قيل معناه إنكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه عن مقاتل «وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ» أى خلقكم و أوجدكم «فِي الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم «وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ» أى يحييكم فى أرحام أمهاتكم و يميتكم عند انقضاء آجالكم «وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» أى و له تدبيرها بالزيادة و النقصان و قيل و له ملك اختلافهما و هو ذهاب أحدهما و مجىء الآخر «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أى أفلا تعلمون بأن تفكروا فتعلموا أن لذلك صناعا قادرا

عالما حيا حكيما لا يستحق الإلهيه سواه و لا تحسن العباده إلا له.

## [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٨١ الى ٩٠]

### اشاره

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَاباً وَ عِظَاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣) قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥)

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠)

### القراءه

قرأ أهل البصره سيقولون الله فى الآيتين و الباقون «لله» و لم يختلفوا فى الأولى.

### الحجه

أما قراءه أهل البصره فجواب على ما يوجهه اللفظ و من قرأ «لله» فعلى المعنى و ذلك أنه إذا قيل من مالك هذه الدار فأجيب لزيد فإن الجواب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ فإن الذى يقتضيه اللفظ أن يقال زيد و إنما استقام ذلك لأن معنى من مالك هذه الدار و لمن هذه الدار واحد فلذلك أجيب تاره على اللفظ و تاره على المعنى.

### المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الكفار المكذبين بالبعث فقال «بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ» المنكرون للبعث بعد الموت ثم حكى مقالهم فقال «قَالُوا أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَاباً وَ عِظَاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» و هذا جهل منهم لأنهم لو تفكروا فى أن النشأه الأولى أعظم منه لما استعظموه و قد أقروا بأن الله خالقهم «لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا» أى وعد آبأؤنا هذا الذى تعدنا

من البعث «مَنْ قَبْلُ» أى من قبل مجيئك فما صدق وعدهم «إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى ما هذا إلا أكاذيب الأولين قد سطروا ما لا حقيقه له و إنما يجرى مجرى حديث السمر الذى يكتب للأطراف به ثم احتج على هؤلاء المنكرين للبعث و النشور فقال «قُلْ» يا محمد لهم «لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهَا» أى لمن خلق الأرض و ملكها و من فيها من العقلاء «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ» فى الجواب «لِلَّهِ» و إنما قال ذلك لأنهم كانوا يقولون بأن الله هو الخالق «قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» أى فقل لهم عند ذلك أفلا تفكرون فتعلمون أنه تعالى قادر على ذلك و من قدر عليه قدر على إحياء الموتى لأنه ليس ذلك بأعظم منه ثم زاد فى الحجة فقال «قُلْ» يا محمد لهم أيضا «مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّعِيَّةِ» أى من مالكتها و المتصرف فيها «وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» أى و من مالكت العرش و مدبره لأنهم كانوا يقولون بأن الله خالق السماوات و أن الملائكة سكان السماوات و العرش عندهم عبارة عن الملك إلا أن يكون أتاهم خلق العرش من قبل النقل ثم أخبر أنهم سيقولون الله فى الجواب عن ذلك أى إن رب السماوات و رب العرش هو الله و من قرأ «لِلَّهِ» فالمعنى أنها لله «قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» أى فعند ذلك يلزمهم الحجة فقل لهم أفلا تتقون عذابه على جحد توحيده و الإشراك فى عبادته و فى إنكار البعث ثم زاد فى الحجة فقال «قُلْ» يا محمد لهم أيضا «مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ» و الملكوت من صفات المبالغة فى الملك كالجبروت و الرهبوت و قال مجاهد ملكوت كل شىء خزائن كل شىء «وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لَا يُجَارُ عَلَيْهِ» أى يمنع من السوء من يشاء و لا- يمتنع منه من أراد به سوء يقال أجرت فلانا إذا استغاث بك فحميته و أجرت عليه إذا حميت عنه و يحتمل أن يكون أراد فى الدنيا أى من قصد عبدا من عباده بسوء قدر على منعه و من أراد الله بسوء لم يقدر على منعه أحد و يحتمل أن يكون أراد فى الآخرة أى يجير من العذاب و لا- يجار عليه منه «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى إن كنتم تعلمون ذلك فأجيبوا «سَيَقُولُونَ» فى الجواب «لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ» أى فكيف يخيل إليكم الحق باطلا و الصحيح فاسدا مع وضوح الحق و تمييزه من الباطل و قيل معناه فكيف تعملون عن هذا و تصدون عنه من قولهم سحرت أعيننا فلم نبصر و قيل معناه فكيف تخدعون و يموه عليكم كقول امرئ القيس

" و نسحر بالطعام و بالشراب "

أى و نخدع «بَيْلٌ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» معناه إنا جئناهم بالحق و بينا لهم الحق الذى فيه بيان كذبهم و لكنهم أصروا على باطلهم و كذبهم.

النظم

و إنما اتصلت الآية الأولى بما قبلها بمعنى أنهم لو تفكروا لعلموا و لكن



عولوا على التقليد فقالوا مثل ما قال الأولون فعلى هذا تكون متصله بقوله أَفَلَا تَعْقِلُونَ و قيل إنه جواب الاستفهام فى قوله أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ و الآيه الأخيره معطوفه على ما تقدم من أدله التوحيد و هى رد على المشركين و تكذيب لهم فى قولهم إن الأصنام آلهه و إن الله سبحانه له ولد و إن الملائكه بنات الله.

## [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩١ الى ١٠٠]

### إشاره

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَمَذَهُبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئُنِي مَا يُوعِدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا- تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَ إِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لِقَادِرُونَ (٩٥)

ادْفَعِ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَ أَعُوذُ بِكَ رَبُّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)

### القراءه

قرأ أهل المدينه و أهل الكوفه غير حفص عالم الغيب بالرفع و الباقون بالجر إلا أن رويسا إذا وصل جر و إذا ابتدأ رفع.

### الحجه

وجه الرفع أن يكون خبر مبتدأ محذوف و تقديره هو عالم الغيب و وجه الجر أن يكون صفة الله تعالى و يكون إضافه عالم حقيقه بمعنى اللام و يجوز أن يكون بدلا فتكون الإضافه غير حقيقه و الغيب فى تقدير النصب الأول يكون بمعنى الماضى و الثانى بمعنى

## اللغة

الهمزة شدة الدفع و منه الهمزة للحرف الذى يخرج من أقصى الحلق باعتماد شديد و دفع و همزه الشيطان دفعه بالإغواء إلى المعاصى و قوس همزى شديده الدفع للسهم و البرزخ الحاجز بين الشيتين و كل فصل بين شيئين برزخ و معنى من ورائهم هنا من أمامهم و قدامهم قال الشاعر:

أ يرجو بنو مروان سمعى و طاعتى و قومى تميم و الفلاه ورائيا

. الإعراب

قوله «إِذَا لَمَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ» جواب لو مقدر و التقدير و لو كان معه إله إذا لذهب و إذا هنا حشو بين لو و جوابه فهى لغو غير عامل «إِمَّا تُرِينِيَّ» إن للشرط ضمت إليها ما مسلطه و المعنى أنها سلطت نون التأكيد على دخولها الفعل المضارع و لو لم تكن هى لم يجز أن ترينى و جواب الشرط «فَلَا تَجْعَلْنِي» و رب معترض بين الشرط و الجزاء و «بِإِلَهِى هِىَ أَحْسَنُ» الموصولة و الصلة فى موضع جر بأنهما صفة محذوف مجرور التقدير ادفع بالخصلة التى هى أحسن و «رَبِّ ارْجِعُونِ» جاء الخطاب على لفظ الجميع لأنه سبحانه يقول إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذُّكْرَ و إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي و هذا اللفظ يعرفه العرب للجليل الشأن يخبر به الجماعة فكذلك جاء الخطاب فى «ارْجِعُونِ» و قال المازنى أنه جمع الضمير ليدل على التكرار فكأنه قال رب أرجعنى أرجعنى أرجعنى و «إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ» إلى تتعلق بما يتعلق به من فى قوله «وَمِنْ وَّرَائِهِمْ بَرْزَخٌ» و يوم مضاف إلى «يُبْعَثُونَ» لأن أسماء الزمان تضاف إلى الأفعال.

## المعنى

ثم أكد سبحانه ما قدمه من أدله التوحيد بقوله «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ» أى لم يجعل ولد غيره ولد نفسه لاستحاله ذلك عليه فمن المحال أن يكون له ولد فلا يجوز عليه التشبيه بما هو مستحيل ممتنع إلا على النفى و التباعد و اتخاذ الولد هو أن يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده لو كان له و كذلك التبنى إنما هو جعل الجاعل ابن غيره و من يصح أن يكون ابنا له مقام ابنه و لذلك لا يقال تبنى شاب شيخا و لا تبنى الإنسان بهيمه لما استحال أن يكون ذلك ولدا له «وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ» من هاهنا و فى قوله «مِنْ وَلَدٍ» مؤكدا فهو أكد من أن يقول ما اتخذ الله ولدا و ما كان معه إله نفى عن نفسه الولد و الشريك على أكد الوجوه «إِذَا لَمَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ» و التقدير إذ لو كان معه إله آخر لذهب كل إله بما خلق أى لميز كل إله خلقه عن خلق غيره و منعه من الاستيلاء على ما خلقه أو نصب دليلا يميز به بين خلقه و خلق غيره فإنه كان لا يرضى أن يضاف خلقه و إنعامه إلى غيره «وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» أى و لطلب بعضهم قهر بعض و مغالته و هذا معنى قول المفسرين و لقاتل بعضهم بعضا كما

يفعل الملوک فی الدنيا وقيل معناه ولمنع بعضهم بعضا عن مراده وهو مثل قوله لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا و في هذا دلالة عجيبة في التوحيد وهو أن كل واحد من الآلهة من حيث يكون إلهها يكون قادرا لذاته فيؤدى إلى أن يكون قادرا على كل ما يقدر عليه غيره من الآلهة فيكون غالبا و مغلوبا من حيث إنه قادر لذاته و أيضا فإن من ضروره كل قادرين صحه التمانع بينهما فلو صح وجود إلهين صح التمانع بينهما من حيث أنهما قادران و امتنع التمانع بينهما من حيث أنهما قادران للذات و هذا محال و في هذا دلالة على إعجاز القرآن لأنه لا يوجد في كلام العرب كلمه و جيزه تضمنت ما تضمنته هذه فإنها قد تضمنت دليلين باهرين على وحدانيه الله و كمال قدرته ثم نزه نفسه عما وصفوه به فقال «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ» أى عما يصفه به المشركون من اتخاذ الولد و الشريك «عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى يعلم ما غاب و ما حضر فلا يخفى عليه شىء «فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» و المعنى أنه عالم بما كان و بما سيكون و بما لم يكن أن لو كان كيف يكون و من كان بهذه الصفة لا يكون له شريك لأنه الأعلى من كل شىء فى صفته ثم قال لنبه ص «قُلْ» يا محمد «رَبِّ إِمَّا تُرِيئُنِي مَا يُوعَدُونَ» أى إن أريتنى ما يوعدون من العذاب و النقمه يعنى القتل يوم بدر «رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أى مع القوم الظالمين و المعنى فأخرجنى من بينهم عند ما تريد إحلل العذاب بهم لثلا يصيبنى ما يصيبهم و فى هذا دلالة على جواز أن يدعو الإنسان بما يعلم أن الله يفعله لا محاله لأن من المعلوم أن الله تعالى لا يعذب أنبياءه مع المعذبين و يكون الفائده فى ذلك إظهار الرغبه إلى الله «وَ إِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ» هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه إنا لا نعاجلهم بالعقوبه مع قدرتنا على ذلك و لكن نظرهم و نمهلهم لمصلحه توجب ذلك قال الكلبي هذا أمر شهده أصحاب رسول الله ص بعد موته و

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس و جابر بن عبد الله أنهما سمعا رسول الله ص يقول فى حجه الوداع و هو بمنى لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض و أيم الله لئن فعلتموها لتعرفنى فى كتبه يضاربونكم قال فغمز من خلف منكب الأيسر فالتفت فقال أ و على فنزل «قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئُنِي» الآيات ثم أمره ص بالصبر إلى أن ينقضى الأجل المضروب للعذاب فقال «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ»

أى ادفع بالإغضاء و الصفح إساءه المسىء عن مجاهد و الحسن و هذا قبل الأمر بالقتال و قيل معناه ادفع باطلهم ببيان الحجج على أطف الوجوه و أوضحها و أقربها إلى الإجابة و القبول «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ» أى بما يكذبون و يقولون من الشرك و المعنى إنا نجازيهم بما يستحقونه ثم أمره ص فقال «قُلْ» يا محمد «رَبِّ أَعُوذُ بِكَ» أى أعتصم بك «مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ» أى من

نزعاتهم و وساوسهم عن ابن عباس و الحسن و المعنى من دعائهم إلى الباطل و العصيان و من شرورهم فى كل شىء يخاف فيه من ذلك «وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ» أى يشهدونى و يقاربونى و يصدونى عن طاعتك و قيل معناه أن يحضرونى فى الصلاة عند تلاوه القرآن و قيل فى الأحوال كلها ثم عاد سبحانه إلى قوله أِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا فَقَالَ «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ» يعنى أن هؤلاء الكفار إذا أشرفوا على الموت سألوا الله تعالى عند ذلك الرجعة إلى دار التكليف فيقول أحدهم رب أرجعون على لفظ الجمع و فى معناه قولان (أحدهما) أنهم استغاثوا أولاً بالله ثم رجعوا إلى مسأله الملائكة فقالوا لهم ارجعون أى ردونى إلى الدنيا عن ابن جرير (و الآخر) أنه على عاده العرب فى تعظيم المخاطب كما قال قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ وَ روى النضر بن شميل قال سألوا الخليل عن هذا ففكر ثم قال سألتمونى عن شىء لا أحسنه و لا أعرف معناه فاستحسن الناس منه ذلك «لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ» أى فى تركتى و المعنى أودى عنها حق الله تعالى و قيل معناه فى دنياى فإنه ترك الدنيا و صار إلى الآخرة و قيل معناه أعمل صالحا فيما فرطت و ضيعت أى فى صلاتى و صيامى و طاعاتى و

قال الصادق (عليه السلام) أنه فى مانع الزكاه يسأل الرجعة عند الموت

ثم قال سبحانه فى الجواب عن سؤالهم «كَلَّا» أى لا يرجع إلى الدنيا «إِنَّهَا» أى مسأله الرجعة «كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا» أى كلام يقوله و لا فائده له فى ذلك و قيل معناه و هى كلمه يقولها بلسانه و ليس لها حقيقه مثل قوله وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ

روى العياشى بإسناده عن الفتح بن يزيد الجرجانى قال قلت لأبى الحسن الرضا (عليه السلام) جعلت فداك يعرف القديم سبحانه الشىء الذى لم يكن أن لو كان كيف كان يكون قال و يحكك إن سألتك لصعبه أ ما قرأت قوله عز و جل لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا «وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» لقد عرف الشىء الذى لم يكن و لا يكون إن لو كان كيف كان يكون و قال و يحكى قول الأشقياء «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا» و قال وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فقد علم الشىء الذى لم يكن لو كان كيف كان يكون و هو السميع البصير الخبير العليم

«مِنْ وَرَائِهِمْ» أى و من بين أيديهم «بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أى حاجز بين الموت و البعث فى يوم القيامة من القبور عن ابن زيد و قيل حاجز بينهم و بين الرجوع إلى الدنيا و هم فيه إلى يوم يبعثون عن ابن عباس و مجاهد و قيل البرزخ الإمهال إلى يوم القيامة و هو القبر و كل فصل بين شيئين هو برزخ عن على بن عيسى و فى الآيه دلالة على أن أحدا لا يموت حتى يعرف منزلته عند الله تعالى اضطرارا و أنه من أهل الثواب أو العقاب عن الجبائى.

## إشارة

فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥)

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقَمَاتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)

## القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم شقاوتنا بالألف وفتح الشين و الباقون «شِقَمَاتُنَا» بكسر الشين من غير ألف وقرأ أهل المدينة و أهل الكوفة غير عاصم سخريا بضم السين و الباقون بكسرها و كذلك في سورة ص.

## الحجج

قال أبو علي الشقوه مصدر كالرقه و الفطنه و الشقاوه كالسعاده فالقراء بهما جميعا سائغه و قال أبو زيد اتخذت فلانا سخريا و سخريا إذا هزئت منه و قد سخرت منه أسخر سخريا و سخر قال أبو عبيده اتخذتموهم سخريا تسخرون منهم و سخريا تسخرونهم و يقال أيضا أن من الهزء سخرى و سخرى و من السخرية مضمومه لا غير و حكى عن الحسن و قتاده أن ما كان من العبوده فهو سخرى بالضم و ما كان من الهزء فبالكسر قال أبو علي الأكثر في الهزء كسر السين فيما حكوه و يروى أنه إنما كان أكثر لأن السخر مصدر سخرت و فعل و فعل قد

يكونان بمعنى نحو المثل و المثل و الشبه و الشبه في حرف آخر فكذلك السخر و السخر إلا أن المكسوره ألزمت ياء النسب دون المفتوحه مما اتفقوا في القسم على الفتح في لعمر الله و لم يعتد بياء النسب كما لم يعتد بها في نحو أحمر و أحمرى و دوار و دوارى و الوجه في الضم على ما حكى عن يونس أن السخرى قد يقال بالضم بمعنى الهزه و اتفق القراء على الضم في الزخرف لأنه من السخره و انقياد بعضهم لبعض في الأمور و ذلك لا يكون إلا بالضم.

## اللغه

اللفح و النفح: بمعنى إلا أن اللفح أشد تأثيرا و أعظم من النفح و هو ضرب من السموم للوجه و النفح ضرب الريح الوجه و الكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان قال الأعشى

و له المقدم لا مثل له ساعه الشدق عن الناب كلح

و خسأت فلانا أخسأه خساً إذا زجرته ليتباعد فخساً و هو خاسئ و معنى اخساً أى تباعد تباعد سخط.

## الإعراب

العامل فى إذا نفخ و بينهم و يومئذ خبر لا المحذوف تقديره فلا أنساب تثبت بينهم «تَلَفَّحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ» فى موضع نصب على الحال و العامل فيه «خَالِدُونَ».

## المعنى

ثم بين سبحانه حال الفريقين يوم البعث فقال «فَإِذَا نَفَّخَ فِي الصُّورِ» قيل أن المراد به نفخه الصعق عن ابن عباس و قيل نفخه البعث عن ابن مسعود و الصور جمع صوره أى إذا نفخ فيه الأرواح و أعيدت أحياء عن الحسن و قيل إن الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل (عليه السلام) بالصوت العظيم الهائل على ما وصفه الله تعالى علامه لوقت إعادته الخلق عن أكثر المفسرين «فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ» أى لا- يتواصلون بالأنساب و لا يتعاطفون بها مع معرفه بعضهم بعضا عن الحسن و المعنى أنه لا يرحم قريب قريبه لشغله عنه فإن المقصود بالأنساب دفع ضرر أو جر نفع فإذا ذهب هذا المقصود فكان الأنساب قد ذهبت و مثله يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ و قيل معناه لا- يتفاخرون بالأنساب كما كانوا يفعلونه فى الدنيا عن ابن عباس و الجبائى و لا بد من تقدير محذوف فى الآيه على تأويل فلا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتعاطفون بها و المعنى أنه لا يفضل بعضهم بعضا يومئذ بنسب و إنما يتفاضلون بأعمالهم و

قال النبى ص كل حسب و نسب منقطع يوم القيامة إلا حسبى و نسبى

«وَلَا يَتَسَاءَلُونَ» أى لا يسأل بعضهم بعضا عن حاله و خبره كما كانوا يسألون فى الدنيا لشغل كل واحد بنفسه عن

الجبائي وقيل لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه ذنبه ولا تنافى بين هذه الآيه و بين قوله فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ لأن للقيامه أحوالا و مواطن فمنها حال يشغلهم عظم الأمر فيها عن المسأله و منها حال يلتفتون فيها فيتساءلون و هذا معنى قول ابن عباس لما سئل عن الآيتين فقال هذه تارات يوم القيامه و قيل إنما يتساءلون عند دخول الجنه و إنما يسأل بعض أهل الجنه بعضاً فإنهم لا يفزعون من أهوال القيامه عن السدى «فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ» بالطاعات «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الناجون «وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ» عن الطاعات «فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ» و قد تقدم تفسير الآيتين و اختلاف المفسرين فى كيفية الميزان و الوزن فى سورة الأعراف «تَلَفَّحَ وَجُوهَهُمُ النَّارُ» أى يصيب وجوههم لفتح النار و لهبها «وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ» أى عابسون عن ابن عباس و قيل هو أن تتقلص شفاههم و تبدو أسنانهم كالرءوس المشويه عن الحسن «أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ» أى و يقال لهم أ و لم يكن القرآن يقرأ عليكم و قيل أ لم تكن حججى و بيناتى و أدلتى تقرأ عليكم فى دار الدنيا «فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ» قالوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا» أى شقاوتنا و معناهما واحد و هو المضره اللاحقه فى العافيه و السعاده المنفعه اللاحقه فى العافيه و يقال لمن حصل فى الدنيا على مضره فادحه شقى و المعنى استعلت علينا سيئاتنا التى أوجبت لنا الشقاء «وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ» أى ذاهبين عن الحق و لما كانت سيئاتهم التى شقوا بها سبب شقاوتهم سميت شقاوه توسعا و من أكبر الشقاوه أن تترك عباده الله تعالى إلى عباده غيره و تترك الأدله و يتبع الهوى «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا» أى من النار «فَإِنْ عُدْنَا» لما تكره من الكفر و التكذيب و المعاصى «فَأَنَّا ظَالِمُونَ» لأنفسنا قال الحسن هذا آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم بعد ذلك يكون لهم شهيق كشهيق الحمار «قَالَ أَحْسَبُ فِيهَا» أى ابعدوا بعد الكلب فى النار و هذه اللفظه زجر للكلاب و إذا قيل ذلك للإنسان يكون للإهانه المستحقه للعقوبه «وَلَا تُكَلِّمُونِ» و هذه مبالغه للإذلال و الإهانه و إظهار الغضب عليهم لأن من لا يكلم إهانه له فقد بلغ به الغايه فى الإذلال و قيل معناه و لا تكلمون فى رفع العذاب فىانى لا- أرفعه عنكم و هى على صيغه النهى و ليست بنهى لأن الأمر و النهى مرتفعان فى الآخره لارتفاع التكليف «إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي» أى طائفه من عبادى و هم الأنبياء و المؤمنون «يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ» أى يدعون بهذه الدعوات فى الدنيا طلبا لما عندى من الثواب «فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ» أنتم يا معشر الكفار «سَخِرِيًّا» أى كنتم تهزئون و تسخرون منهم و قيل معناه تستعبدونهم و تصرفونهم فى أعمالكم و حوائجكم كرها بغير أجر و قيل إنهم كانوا إذا آذوا المؤمنين قالوا انظروا إلى هؤلاء رضوا من الدنيا بالعيش الدنى طمعا فى ثواب الآخره و ليس وراءهم آخره

ولا- ثواب فهو مثل قوله وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ «حَيْتَىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي» أى نسيتم ذكرى لاشتغالكم بالسخرية منهم فنسب الإنساء إلى عباده المؤمنين وإن لم يفعلوه لما كانوا السبب فى ذلك «وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ» ظاهر المعنى.

## [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١١١ الى ١١٨]

### إشاره

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عِدَدًا سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلَ الْعَادِينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا- لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَمْ فَحْسَبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨)

### القراءه

قرأ حمزه و الكسائى إنهم بكسر الألف و قل كم لبثتم و قل إن لبثتم على الأمر و قرأ ابن كثير «قال كم لبثتم» فقط و قرأ الباقون «أنهم» بفتح الألف و «قال» فى الموضعين و قرأ أهل الكوفه غير عاصم و يعقوب لا ترجعون بفتح التاء و الباقون بضم التاء و فتح الجيم.

### الحجه

قال أبو على من فتح أن فالمعنى لأنهم هم الفائزون و يجوز أن يكون إنهم فى موضع المفعول الثانى لأن جزيت يتعدى إلى مفعولين قال سبحانه وَ جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا و تقديره جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز و فاز الرجل إذا نال ما أراد و قالوا فوز الرجل إذا مات و يشبه أن يكون ذلك على التفاؤل له أى صار إلى ما أحب و المفازة المهلكه على وجه التفاؤل أيضا و من كسر إن استأنف فقطعه عما قبله و مثله لبيك إن الحمد و النعمه لك و إن



الحمد بالكسر و الفتح و من قرأ قل كم لبثتم كان على قل أيها السائل عن لبثهم و قال على الإخبار عنه و زعموا أن في مصاحف أهل الكوفة قل في الموضوعين و حجه من قال ترجعون إنا إليه راجعون و قد تقدم ذكر هذا النحو.

## الإعراب

«كُمْ لَبِثْتُمْ» كم في محل نصب لأنه ظرف زمان و العامل فيه لبث و «عِيدَدَ» منصوب على التمييز و العامل فيه كم و لا يمنع كم من العمل الفصل الكثير لأن كم الخبرية تجر المميز فإذا فصل بينها و بين معمولها نصبت كالاستفهامية فلأن تنصب الاستفهامية مع الفصل أولى و قليلا- صفة مصدر محذوف تقديره إن لبثتم إلا- قليلا- عبثا و يجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال و تقديره أ فحسبتم إنما خلقناكم عابثين و يجوز أن يكون مفعولا له أى للعبث «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» في موضع نصب على الحال على تقدير فتعالى الله عديم المثل و الأولى أن يكون جملة مستأنفة. و «رَبُّ الْعَرْشِ» خبر مبتدأ محذوف فهي جملة أخرى مستأنفة بدلاله حسن الوقف على المواضع الثلاثة على «الْحَقُّ» و على «هُوَ» و على «الْكَرِيمِ» «لَا- بُرْهَانَ لَهُ» به جملة منصوبه الموضع بأنه صفة لقوله «إِلَهًا» فهي صفة بعد صفة.

## المعنى

ثم أخبر سبحانه عن المؤمنين الذين سخر الكافرون منهم في دار الدنيا فقال «إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا» أى بصبرهم على أذاكم و سخريتكم و استهزأتكم بهم «أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ» أى الظافرون بما أرادوا الناجون فى الآخرة و المراد بقوله «الْيَوْمَ» أيام الجزاء لا- يوم بعينه «قَالَ» أى قال الله تعالى للكفار يوم البعث و هو سؤال توبيخ و تبيكت لمنكرى البعث «كُمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ» أى القبور «عَدَدَ سِتِّينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» لأنهم لم يشعروا بطول لبثهم و مكثهم لكونهم أمواتا و قيل إنه سؤال لهم عن مدة حياتهم فى الدنيا قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم استقلوا حياتهم فى الدنيا لطول لبثهم و مكثهم فى النار عن الحسن قال و لم يكن ذلك كذبا منهم لأنهم أخبروا بما عندهم و قيل إن المراد به يوما أو بعض يوم من أيام الآخرة قال ابن عباس أنساهم الله قدر لبثهم فيرون أنهم لم يلبثوا إلا- يوما أو بعض يوم لعظم ما هم بصدده من العذاب «فَسَيِّئِلِ الْعَادِيْنَ» يعنى الملائكة لأنهم يحصون أعمال العباد عن مجاهد و قيل يعنى الحساب لأنهم يعدون الشهور و السنين عن قتاده «قَالَ» الله تعالى «إِن لَبِثْتُمْ» أى ما مكثتم «إِلَّا قَلِيلًا» لأن مكثهم فى الدنيا أو فى القبور و إن طال فإنه متناه قليل بالإضافة إلى طول مكثهم فى عذاب جهنم «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» صحه ما أخبرناكم به و قيل معناه لو كنتم تعلمون قصر أعماركم فى الدنيا و طول مكثكم فى الآخرة فى العذاب لما اشتغلتم بالكفر و المعاصى و آثرتم الفانى على الباقي ثم قال سبحانه لهم

«أَفَحَسِبْتُمْ» معاشر الجاحدين للبعث و النشور الظانين دوام الدنيا «أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا» أى لعبا و باطلا لا لغرض و حكمه و مثله أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى و المعنى أفضننتم أنا خلقناكم لتفعلوا ما تريدون ثم إنكم لا تحشرون و لا تسألون عما كنتم تعملون هذا عبث فإن من خلق الأشياء لا لينتفع به نفسه أو غيره كان عبثا و الله سبحانه غنى لا يلحقه منفعه فلا بد من أن يكون خلق الخلق لينفعهم و يعرضهم للثواب بأن يتعبد لهم و إذا تعبد لهم فلا بد من الفرق بين المطيع و العاصى و ذلك إنما يكون بعد البعث «وَ أَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» أى و حسبتم أنكم لا ترجعون إلى حكمتنا و الموضع الذى لا يملك الحكم فيه غيرنا «فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ» أى تعالى عما يصفه به الجهال من الشريك و الولد و قيل معناه تعالى الله من أن يفعل شيئا عبثا و الملك الحق الذى يحق له الملك بأنه ملك غير مملوك و كل ملك غيره فملكه مستعار و لأنه يملك جميع الأشياء من جميع الوجوه و كل ملك سواه يملك بعض الأشياء من بعض الوجوه و الحق هو الشىء الذى من اعتقد كان على ما اعتقده فالله هو الحق لأن من اعتقد أنه «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» فقد اعتقد الشىء على ما هو به «رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» أى خالق السرير الحسن و الكريم فى صفه الجماد بمعنى الحسن و قيل الكريم الكثير الخير وصف العرش به لكثرة ما فيه من الخير لمن حوله و لإتيان الخير من جهته و خص العرش بالذكر مع كونه سبحانه رب كل شىء تشريفا و تعظيما كقوله رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» أى لا- حجه له فيما يدعيه يعنى أن من صفته أنه لا- حجه له به «فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ» معناه فإنما معرفه مقدار ما يستحقه من الجزاء عند ربه فيجازه على قدر ما يستحقه و قيل معناه فإنما مكافاته عند الله تعالى و المكافاه و المحاسبه بمعنى «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» أى لا يظفر و لا يسعد الجاحدون لنعم الله و المنكرون لتوحيده و الدافعون للبعث و النشور و لما حكى سبحانه أقوال الكفار أمر نبيه ص بالتبرى منهم و الانقطاع إليه سبحانه فقال «وَقُلْ» يا محمد «رَبِّ اغْفِرْ» الذنوب «وَ ارْحَمْ» و أنعم على خلقك «وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ» أى أفضل المنعمين و أكثرهم نعمه و أوسعهم فضلا.

## (٢٤) سورة النور مدنيه و آياتها أربع و ستون (٦٤)

### اشاره

### [توضيح]

مدنيه بلا خلاف.

### عدد آياتها

أربع و ستون آيه عراقى شامى آيتان حجازى

### اختلافها

آيتان بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ كلاهما عراقى شامى.

### فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن و مؤمنه فيما مضى و فيما بقى

و

روى الحاكم أبو عبد الله فى الصحيح بالإسناد عن عائشه قالت قال رسول الله ص لا- تنزلوهن الغرف و لا تعلموهن الكتابه و علموهن المغزل و سورة النور يعنى النساء

و

روى عبد الله بن مسكان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال حصنوا أموالكم و فروجكم بتلاوه سورة النور و حصنوا بها نساءكم فإن من أدمن قراءتها فى كل ليله أو فى كل يوم لم يزن أحد من أهل بيته أبدا حتى يموت فإذا مات شيعة إلى قبره سبعون ألف ملك يدعون و يستغفرون الله له حتى يدخل إلى قبره.

### تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة المؤمنين بأنه لم يخلق الخلق للعبث بل للأمر و النهى و ابتداء هذه السوره بذكر الأمر و النهى و بيان الشرائع فقال:

ص: ١٩٥

## إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عِدَابُهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣)

## القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و فرضناها بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ ابن كثير غير ابن فليح رأفه بفتح الهمزة و الباقون بسكون الهمزة و فى الشواذ قراءه عيسى الثقفى سوره بالنصب و الزانية و الزانى بالنصب و روى عن عمر بن عبد العزيز و عيسى الهمدانى سوره أيضا بالنصب.

## الحجّه

قال أبو على التتقيل فى فرضناها لكثره ما فيها من الفرض و التخفيف يصلح للقليل و الكثير و من حجه التخفيف إنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْهِ كَقَوْلِكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ قَالَ وَ لَعَلَّ رَأْفَةَ الَّتِي قَرَأَهَا ابْنُ كَثِيرٍ لَغَةً وَ أَمَا قِرَاءَةُ «سُورَةٍ» بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهَا خَبْرٌ مَبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ أَى هَذِهِ سُورَةٌ وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأً لِأَنَّهَا نَكَرَةٌ وَ لَا يَبْتَدَأُ بِالنَّكَرَةِ حَتَّى تَوْصَفَ وَ إِنْ جَعَلْتَ «أَنْزَلْنَاهَا وَ فَرَضْنَاهَا» صِفَةً لَهَا بَقِيَ الْمَبْتَدَأُ بِمَا خَبَرَ فَإِنْ جَعَلْتَ تَقْدِيرَهُ يَتْلَى عَلَيْكُمْ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا جَازٍ وَ مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةٍ بِالنَّصْبِ فَعَلَى إِضْمَارِ فَعَلٍ يَفْسِرُهُ «أَنْزَلْنَاهَا» وَ التَّقْدِيرُ أَنْزَلْنَا سُورَةَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا أَنْ هَذَا الْفِعْلُ لَا يَظْهَرُ لِأَنَّ التَّفْسِيرَ يَغْنَى عَنْهُ وَ مِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أصبحت لا أحمل السلاح و لا أملك رأس البعير إن نفرا

و الذئب أخشاه إن مررت به وحدى و أخشى الرياح و المطرا

أى و أخشى الذئب فلما أضمره فسر به بقوله أخشاه و يجوز أن يكون الفعل الناصب لسوره من غير لفظ الفعل بعدها على معنى التخصيص أى اقرءوا سوره و تأملوا سوره أنزلناها كقوله سبحانه ناقة الله و سقياها أى ا حفظوا ناقة الله و كذلك قوله «الزانية و الزانى» انتصب بفعل مضمرة أى ا جلدوا الزانية و الزانى فلما أضمر الفعل الناصب فسر به بقوله «فاجلدوا كل واحد منهما» و جاز دخول الفاء فى هذا الوجه لأنه موضع أمر و لا يجوز زيادا فضرته لأنه خبر و إنما

جاز في الأمر لمضارعه الشرط ألا تراه دالا على الشرط و لذلك انجزم جوابه في قولك زرنى أكرمك لأن معناه فإنك إن تزرني أكرمك فلما آل معناه إلى الشرط جاز دخول الفاء في الفعل المفسر للمضمر و تقول على هذا يزيد فامرر و على عمرو فأغضب.

## اللغة

السورة مأخوذة من سور البناء و هو ارتفاعه و قيل هو ساق من أسواقه فعلى القول الأول يكون تسميتها بذلك لارتفاعها في النفوس و على القول الثانى يكون تسميتها بذلك لأنها قطعه من القرآن و قيل إن السورة المنزل الشريفه و الجلاله قال النابغه:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

لأنك شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و قيل أصله الهمز و قيل اشتقاقها من أسأرت إذا أبقيت فى الإناء بقيه و منه

الحديث إذا شربتم فأساروا

إلا- أنه أجمع على تخفيفها كما أجمع على تخفيف بريه و رويه و أصلها من برأ الله الخلق و رأت فى الأمر و أصل الفرض من فرض القوس و هو الحز الذى فيه الوتر ثم اتسع فيه فجعل فى موضع الإيجاب و فصل بين الفرض و الواجب فإن الفرض واجب بجعل جاعل لأنه فرضه على صاحبه كما أنه أوجه عليه و الواجب قد يكون واجبا من غير جعل جاعل كوجوب شكر المنعم فجرى دلالة الفعل على الفاعل فى أنه يدل من غير جعل جاعل و الزنا هو وطء المرأة فى الفرج من غير عقد شرعى و لا شبهه عقد مع العلم بذلك أو غلبه الظن و ليس كل وطء حرام زنا لأن الوطء فى الحيض و النفاس حرام و لا يكون زنا و الجلد ضرب الجلد يقال جلده كما يقال ظهره و رأسه و فأده و هذا قياس و الرأفه التحنن و التعطف و فيه ثلاث لغات سكون الهمزة و فتحها و مدها و قال الأخفش الرأفه رحمه فى توجع.

## المعنى

«سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا» أى هذه سورة قطعه من القرآن لها أول و آخر أنزلها جبرائيل (عليه السلام) بأمرنا «وَفَرَضْنَاهَا» أى و أوجبنا عليكم العمل بها و على من بعدكم إلى يوم القيامة و قيل معناه و فرضنا فيها إباحه الحلال و حظر الحرام عن مجاهد و هذا يعود إلى معنى أوجبناها و قيل معناه و قدرنا فيها الحدود عن عكرمه و هو من قوله فَنَصَّفُ مَا فَرَضْتُمْ و فسر أبو عمرو معنى القراءه بالتشديد بأن قال معناها فصلناها و بينها بفرائض مختلفه «وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» أى دلالات واضحات على وحدانيتنا و كمال قدرتنا و قيل أراد بها الحدود

و الأحكام التي شرع فيها «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» أي لكي تتذكروا فتعلموا بما فيها ثم ذكر سبحانه تلك الآيات و ابتداءً بحكم الزنا فقال «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي» معناه التي تزني و الذی يزني أي من زنى من النساء و من زنى من الرجال فيفيد العموم في الجنس «فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ» يعنى إذا كانا حرين بالغين بكرين غير محصنين فأما إذا كانا محصنين أو كان أحدهما محصنا كان عليه الرجم بلا خلاف و الإحصان هو أن يكون له فرج يغدو إليه و يروح على وجه الدوام أو يكون حرا فأما العبد فلا- يكون محصنا و كذلك الأمه لا تكون محصنه و إنما عليهما نصف الحد خمسون جلده لقوله سبحانه فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ و قيل إنما قدم ذكر الزانية على الزانى لأن الزنى منهن أشنع و أعير و هو لأجل الحبل أضر لأن الشهوه فيهن أكثر و عليهن أغلب و قوله «فَاجْلِدُوا» هذا خطاب للأنثى و من يكون منصوبا للأمر من جهتهم لأنه ليس لأحد أن يقيم الحدود إلا- للأنثى و ولا نهم بلا خلاف «وَ لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» معناه إن كنتم تصدقون بالله و تقرون بالبعث و النشور فلا تأخذكم بهما رحمه تمنعكم من إقامة الحدود عليهما فتعطلوا الحدود عن عطا و مجاهد و قيل معناه لا تأخذكم بهما رأفه تمنع من الجلد الشديد بل أوجعهما ضربا و لا تخففوا كما يخفف في حد الشارب عن الحسن و قتاده و سعيد بن المسيب و النخعي و الزهري و قوله «فِي دِينِ اللَّهِ» أي في طاعه الله و قيل في حكم الله عن ابن عباس كقوله ما كان ليأخذ أخاه في دين المليك أي في حكمه «وَ لَيْسَ هَذَا بَعْثُهُمَا» أي و ليحضر حال إقامة الحد عليهما «طَائِفَةٌ» أي جماعه «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و هم ثلاثة فصاعدا عن قتاده و الزهري و قيل الطائفة رجلا فصاعدا عن عكرمه و قيل

أقله رجل واحد عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و إبراهيم و هو المروى عن أبي جعفر

و يدل على ذلك قوله وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا و هذا الحكم يثبت للواحد كما يثبت للجمع و قيل أقلها أربعة لأن أقل ما يثبت به الزنا شهاده أربعة عن ابن زيد و قيل ليس لهم عدد محصور بل هو موكول إلى رأى الإمام و المقصود أن يحضر جماعه يقع بهم إذاعه الحد ليحصل الاعتبار و قوله «الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ الزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ» اختلف في تفسيره على وجوه (أحدها) أن المراد بالنكاح العقد و نزلت الآية على سبب و هو أن رجلا من المسلمين استأذن النبي ص فى أن يتزوج أم مهزول و هى امرأه كانت تسافح و لها رايه على بابها تعرف بها فنزلت الآية عن عبد الله بن عباس و ابن عمر و مجاهد و قتاده و الزهري و المراد بالآيه النهى و إن كان ظاهره الخبر و يؤيده

ما روى عن أبي جعفر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام) أنهما قالوا- هم رجال و نساء كانوا على عهد رسول الله ص مشهورين

بالزنا فهى الله عن أولئك الرجال و النساء على تلك المنزله فمن شهر بشىء من ذلك و أقيم عليه الحد فلا تزوجه حتى تعرف توبته

(و ثانيها) أن النكاح هنا الجماع و المعنى أنهما اشتركا فى الزنا فهى مثله عن الضحاك و ابن زيد و سعيد بن جبير و فى إحدى الروايتين عن ابن عباس فيكون نظير قوله الخبيثات للخبيثين فى أنه خرج مخرج الأغلب الأعم (و ثالثها) أن هذا الحكم كان فى كل زان و زانية ثم نسخ بقوله و أنكحوا الأيامى منكم الآية عن سعيد بن المسيب و جماعه (و رابعها) أن المراد به العقد و ذلك الحكم ثابت فيمن زنا بامرأه فإنه لا يجوز له أن يتزوج بها روى ذلك عن جماعه من الصحابه و إنما قرن الله سبحانه بين الزانى و المشرك تعظيما لأمر الزنا و تفخيما لشأنه و لا يجوز أن تكون هذه الآية خبرا لأننا نجد الزانى يتزوج غير الزانية و لكن المراد هنا الحكم أو النهى سواء كان المراد بالنكاح العقد أو الوطء و حقيقه النكاح فى اللغه الوطء «و حُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» أى حرم نكاح الزانيات أو حرم الزنا على المؤمنين فلا يتزوج بهن أو لا يطأهن إلا زان أو مشرك.

## [سوره النور (٢٤): الآيات ٤ الى ٥]

### اشاره

وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمَحْضِيَّاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

### القراءه

فى الشواذ قراءه عبد الله بن مسلم بن يسار و أبى زرعه بأربعة بالتثوين.

### الحجه

من قرأ «بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ» بغير تثوين أضاف العدد إلى «شُهَدَاءَ» و إن كان الشهداء من الصفات و ساغ ذلك لأنهم استعملوها استعمال الأسماء كقولهم إذا دفن الشهيد صلت عليه الملائكه و نحو ذلك فحسن إضافة اسم العدد إليها كما يضاف إلى الاسم الصريح و من قرأ بالتثوين جعل شهداء صفه لأربعة فى موضع جر و يجوز أن يكون فى موضع نصب من جبهتين (أحدهما) أن يكون على معنى ثم لم يحضروا أربعة شهداء و على الحال من النكره أى لم يأتوا بأربعة فى حال الشهاده قاله الزجاج.

### الإعراب

موضع «الَّذِينَ يَزُمُونَ» رفع بالابتداء و من قرأ الزانية و الزانى بالنصب فيكون على ذلك موضع «وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ» نصبا على معنى اجلدوا الذين يرمون المحصنات و المحصنات هنا اللاتى أحسن فروجهن بالعفه و «الَّذِينَ تَابُوا» فى محل نصب على الاستثناء

من قوله «وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا» عند من قال إن شهادتهم مقبولة و يكون قوله «وَأَوْلِيكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» صفة لهم و يجوز أن يكون فى موضع جر على البدل من هم فى لهم و من قال إن شهادته القاذف غير مقبولة فعنده يكون فى موضع نصب على الاستثناء من قوله «وَأَوْلِيكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

## المعنى

لما تقدم ذكر حد الزنا عقبه سبحانه بذكر حد القاذف بالزنا فقال سبحانه «وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ» أى يقذفون العفاف من النساء بالفجور و الزنا و حذف لدلاله الكلام عليه «ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ» أى ثم لم يأتوا على صفة ما رموهن به من الزنا بأربعة شهداء عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ذلك «فَاجْلِدُوهُنَّ» أى فاجلدوا الذين يرمونهن بالزنا «ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا» نهى سبحانه عن قبول شهادته القاذف على التأبىد و حكم عليهم بالفسق ثم استثنى من ذلك فقال «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا» أعمالهم «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و اختلف فى هذا الاستثناء إلى ما ذا يرجع على قولين (أحدهما) أنه يرجع إلى الفسق خاصه دون قوله «وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا» فيزول عنه اسم الفسق بالتوبه و لا تقبل شهادته إذا تاب بعد إقامه الحد عليه عن الحسن و قتاده و شريح و إبراهيم و هو قول أبى حنيفة و أصحابه (و الآخر)

أن الاستثناء يرجع إلى الأمرين فإذا تاب قبلت شهادته حد أو لم يحد عن ابن عباس فى روايه الوالى و مجاهد و الزهرى و مسروق و عطا و طاووس و سعيد بن جبير و الشعبى و هو اختيار الشافعى و أصحابه و قول أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

قال الشافعى أخبرنا سفيان بن عيينه عن الزهرى قال زعم أهل العراق أن شهادته القاذف لا- تجوز فأشهد لأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكره لما شهد على المغيرة بن شعبه تب تقبل شهادتك أو إن تبت تقبل شهادتك فأبى أبو بكره أن يكذب نفسه و قال الزجاج ليس القاذف بأشد جرما من الكافر و الكافر إذا أسلم قبلت شهادته فالقاذف أيضا حقه إذا تاب أن تقبل شهادته يعضد هذا القول أن المتكلم بالفاحشه لا- ينبغى أن يكون أعظم جرما من مرتكبها و لا خلاف فى العاهر أنه إذا تاب قبلت شهادته فالقاذف إذا تاب و نزع مع أنه أيسر جرما يجب أن تقبل شهادته و قال الحسن

يجلد القاذف و عليه ثيابه و يجلد الرجل قائما و المرأة قاعده و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و من شرط توبه القاذف أن يكذب نفسه فيما قاله فإن لم يفعل ذلك لم يجز قبول شهادته و به قال الشافعى و قيل أنه لا يحتاج إلى ذلك و هو قول مالك و الآيه وردت فى النساء و حكم الرجال حكمهن ذلك فى الإجماع و إذا كان القاذف عبدا أو أمه فالحد أربعون جلده عند أكثر الفقهاء و روى أصحابنا أن الحد ثمانون فى الحر و العبد سواء و ظاهر الآيه يقتضى ذلك و به قال عمر بن عبد العزيز



## [سوره النور (٢٤): الآيات ٦ الى ١٠]

### إشارة

وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

### القرءاء

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ» بالرفع و الباكون أربع شهادات بالنصب و قرأ حفص و الخامسة الثانية بالنصب و الباكون بالرفع و قرأ نافع أن ساكنه النون لعنه الله بالرفع و أن غضب الله عليها بكسر الضاد و رفع الله و قرأ يعقوب أن لعنه الله و أن غضب الله برفع لعنه و غضب جميعا و الباكون «أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ» و «أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ» بالتشديد و النصب في الموضوعين.

### الحج

قال أبو علي من نصب أربع شهادات نصبه بالشهادة و ينبغي أن يكون قوله «فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ» مبنيا على ما يكون مبتدأ تقديره فالحكم أو فالفرض أن تشهد أربع شهادات أو فعلهم أن يشهدوا و إن شئت حملته على المعنى لأن المعنى يشهد أحدهم و قوله «بِاللَّهِ» يجوز أن يكون من صلة الشهادة لأنك أوصلتها بالشهادة و من صلة شهادات إذا نصبت الأربع و قياس من أعمل الثاني أن يكون قوله «بِاللَّهِ» من صلة شهادات و حذف من الأول لدلاله الثاني عليه كما تقول ضربت و ضربني زيد و من رفع فقال «فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ» فإن الجار و المجرور من صلة شهادات و لا يجوز أن يكون من صلة شهادة لأنك إن وصلتها بالشهادة فقد فصلت بين الصلة و الموصول ألا ترى أن الخبر الذي هو «أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ» يفصل

قوله «إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فى قول من نصب أربع شهادات يجوز أن يكون من صله شهاده أحدهم فتكون الجملة التى هى «إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فى موضع نصب لأن الشهاده كالعلم فيتعلق بها أن كما يتعلق بالعلم و الجملة فى موضع نصب بأنه مفعول به و «أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ» ينتصب انتصاب المصدر و من رفع «أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ» لم يكن «إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» إلا من صله شهادات دون صله شهاده لأنك إن جعلته من صله شهاده فصلت بين الصله و الموصول و من قرأ أن لعنه الله عليه و أن غضب الله عليها فمعناه أنه لعنه الله عليه و أنه غضب الله عليها خفت الثقيله المفتوحه على إضمار القصة و الحديث و لا تكون فى ذلك كالمكسوره لأن الثقيله المفتوحه موصوله و الموصول يتشبه بصلته أكثر من تشبه غير الموصول بما يتصل به و أهل العريه يستقبحون أن تلى الفعل حتى يفصل بينها و بين الفعل بشىء و يقولون استقبحوا أن تحذف و يحذف ما تعمل فيه و إن تلى ما لم تكن تليه من الفعل بلا حاجز بينهما فتجتمع هذه الاتساعات فيها فإن فصل بينها و بين الفعل بشىء لم يستقبحوا ذلك كقوله تعالى عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى و قوله أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا و علمت أن قد قام فإن قلت فقد جاء وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى و جاء نُودَى أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا فالجواب فإن ليس يجرى مجرى ما و نحوها مما ليس بفعل و أما قوله نُودَى أَنْ بُورِكَ فإن قوله بُورِكَ على معنى الدعاء فلم يجز دخول لا- و لا قد و لا السين و لا شىء مما يصح دخوله الكلام فيصح به الفصل و وجه قراءه نافع أن ذلك قد جاء فى الدعاء و لفظه لفظ الخير و قد يجىء فى الشعر و إن لم يكن شىء يفصل بين أن و بين ما تدخل عليه من الفعل فإن قلت فلم لا تكون أن فى قوله أن غضب الله أن الناصبه للفعل وصل بالماضى فيكون كقراءه من قرأ و امرأه مؤمنه أن وهبت نفسها للنبي فإن ذلك لا يسهل ألا ترى أنها متعلقه بالشهاده و الشهاده بمنزله العلم لا تقع بعدها الناصبه.

## النزول

الضحاك عن ابن عباس قال لما نزلت الآيه وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ قال عاصم بن عدى يا رسول الله إن رأى رجل منا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جلد ثمانين و إن التمس أربعة شهداء كان الرجل قد قضى حاجته ثم مضى قال كذلك أنزلت الآيه يا عاصم قال فخرج سامعاً مطيعاً فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن أميه يسترجع فقال ما وراءك قال شر وجدت شريك بن سحما على بطن امرأتى خوله فرجع إلى النبي ص فأخبره هلال بالذى كان فبعث إليها فقال ما يقول زوجك فقالت يا رسول الله إن ابن سحما كان يأتينا فينزل بنا فيتعلم الشىء من القرآن فربما تركه عندى و خرج زوجى فلا أدري أدر كته الغيره أم بخل على بالطعام فأنزل الله آيه اللعان «وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ» الآيات

و

عن الحسن قال لما

ص: ٢٠٢

نزلت وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْآيَةَ قَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ رَأَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَقَتَلَهُ تَقْتُلُونَهُ وَ إِنْ أَخْبَرَ بِمَا رَأَى جِلْدَ ثَمَانِينَ أَوْ فَلَا يَضْرِبُهُ بِالسِّيفِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَى بِالسِّيفِ شَاهِدًا ثُمَّ أَمْسَكَ وَ قَالَ لَوْ لَا أَنْ يَتَابِعَ فِيهِ السُّكْرَانُ وَ الْغَيْرَانُ

و

فِي رِوَايَةٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ لَوْ أُتِيتَ لِكَاعٍ وَ قَدْ يَفْخِذُهَا رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَهْيَجَهُ حَتَّى آتَى بِأَرْبَعِهِ شُهَدَاءَ فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ لَأَتَى بِأَرْبَعِهِ شُهَدَاءَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حَاجَتِهِ وَ يَذْهَبُ وَ إِنْ قُلْتُ مَا رَأَيْتَ إِنْ فِي ظَهْرِي لَثَمَانِينَ جِلْدَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا تَسْمَعُونَ إِلَيَّ مَا قَالَ سَيِّدُكُمْ فَقَالُوا لَا تَلْمُهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ مَا تَزُوجُ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا بِكَرَاهٍ وَ لَا تَطْلُقُ امْرَأَةً لَهُ فَاجْتَرَى رَجُلٌ مِنَّا إِنْ يَتَزَوَّجُهَا فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي وَ اللَّهُ إِنِّي لِأَعْرِفُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ وَ أَنَّهَا حَقٌّ وَ لَكِنْ عَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا أَخْبَرْتُكَ فَقَالَ فَإِنَّ اللَّهَ يَا أَبِي إِلَّا ذَاكَ فَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ فَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا بِسِيرَةٍ حَتَّى جَاءَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ يَقُولُ لَهُ هَلَالَ بْنِ أُمِيهِ مِنْ حَدِيقِهِ لَهُ قَدْ رَأَى رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي جِئْتُ أَهْلِي عِشَاءً فَوَجَدْتُ مَعَهَا رَجُلًا رَأَيْتَهُ بَعِينِي وَ سَمِعْتَهُ بِإِذْنِي فَكَّرَهُ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رَأَى الْكِرَاهَةَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ هَلَالَ إِنِّي لِأَرَى الْكِرَاهَةَ فِي وَجْهِكَ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لِصَادِقٌ وَ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِرْجًا فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَرْبِهِ وَ قَالَ وَ اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ وَ قَالُوا ابْتَلَيْنَا بِمَا قَالَ سَعْدُ أَيْ جِلْدَ هَلَالَ وَ تَبَطَّلَ شَهَادَتَهُ فَتَزَلَّ الْوَحْيُ وَ أَمْسَكُوا عَنِ الْكَلَامِ حِينَ عَرَفُوا أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ نَزَلَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى «وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ» الْآيَاتِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا هَلَالَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ فِرْجًا فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَرْجُو ذَاكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلُوا إِلَيْهَا فِجَاءً فَلَا عَنَ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا انْقَضَى اللَّعَانُ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا وَ قَضَى أَنْ الْوَلَدَ لَهَا وَ لَا يَدْعَى لِأَبٍ وَ لَا يَرْمِي وَلَدَهَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ جَاءَتْ بِهِ كَذَا وَ كَذَا فَهُوَ لِزَوْجِهَا وَ إِنْ جَاءَتْ بِهِ كَذَا وَ كَذَا فَهُوَ لِلَّذِي قِيلَ فِيهِ.

## المعنى

لَمَّا تَقَدَّمَ حُكْمُ الْقَذْفِ لِلْأَجْنِبِيَّاتِ عَقِبَهُ بِحُكْمِ الْقَذْفِ لِلزَّوْجَاتِ فَقَالَ «وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ» بِالزَّنَا «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ» يَشْهَدُونَ لَهُمْ عَلَى صَحْحِهِ مَا قَالُوا «إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ» قَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَاهُ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ الَّتِي تَدْرَأُ حَدَّ الْقَاذِفِ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ وَ مِنْ نَصَبٍ فَمَعْنَاهُ فَالَّذِي يَدْرَأُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ أَنْ يَشْهَدَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ «بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنَا «وَ الْخَامِسَةُ» أَيْ وَ الشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ «أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنَا وَ الْمَعْنَى أَنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ بَعْدَ مَرَّةٍ أُخْرَى أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنِّي لَمِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ مِنَ الْفُجُورِ فَإِنَّ هَذَا حُكْمَ خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْأَزْوَاجَ فِي قَذْفِ نِسَائِهِمْ فَتَقُومُ الشَّهَادَاتُ الْأَرْبَعُ مَقَامَ الشُّهُودِ الْأَرْبَعَةَ فِي دَفْعِ حَدِّ الْقَذْفِ عَنْهُمْ ثُمَّ يَقُولُ فِي الْمَرَّةِ الْخَامِسَةِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيَّ إِنْ كُنْتُ

من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا «وَيَذَرُهَا عَنِهَا الْعَذَابُ» و يدفع عن المرأة حد الزنا «أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ» معناه أن تقول المرأة أربع مرات مره بعد أخرى أشهد بالله أنه لمن الكاذبين فيما قذفتى به من الزنا «وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا» أى و تقول فى الخامسة غضب الله على «إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فيما قذفتى به من الزنا ثم يفرق الحاكم بينهما و لا تحل له أبدا و كان عليها العده من وقت لعانها «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ» جواب لو لا محذوف تقديره و لو لا- فضل الله عليكم بالنهى عن الزنا و الفواحش و إقامة الحدود لتهالك الناس و لفسد النسل و انقطع الأنساب عن أبى مسلم و قيل معناه لو لا إفضال الله و إنعامه عليكم و أن الله عواد على من يرجع عن المعاصى بالرحمه حكيم فيما فرضه من الحدود لنال الكاذب منهما عذاب عظيم أى ليين الكاذب منهما فيقام عليه الحد و قيل لعاجلكم بالعقوبه و لفضحكم بما تكون من الفاحشه و مثله قوله لو رأيت فلانا و فى يده السيف و المعنى لرأيت شجاعا أو لرأيت أمرا هائلا و قال جرير:

كذب العواذل لو رأين مناخنا بحزير رامه و المطى سوام

و جاء فى المثل لو ذات سوار لطمتنى.

[سوره النور (٢٤): الآيات ١١ الى ١٥]

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْ لَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَ لَوْ لَا- فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)

ص: ٢٠٤

قرأ يعقوب كبره بضم الكاف و هو قراءة أبي رجا و حميد الأعرج و قراءة القراء «كَبْرَهُ» بكسر الكاف و فى الشواذ قراءة عائشه و ابن عباس و ابن معمر إذ تلقونه و قراءة ابن السميع تلقونه و القراء المشهوره «تَلَقَّوْنَهُ».

من ضم كبره أراد عظمه و من كسر أراد وزره و إثمه قال قيس بن الخطيم:

تنام عن كبر شأنها فإذا قامت رويدا تكاد تتغرف

أى عن معظم شأنها و أما قوله «تَلَقَّوْنَهُ» فمعناه تسرعون فيه و تخفون إليه قال الراجز

" جاءت به عنس من الشام تلق "

أى تخف و أصله تلقون فيه أو إليه فحذف حرف الجر فوصل الفعل إلى المفعول و قيل إن الولق الكذب فكان الكاذب يستمر فى الكذب و يسرع فيه و

جاء فى حديث على (عليه السلام) كذبت و ولقت

و أما تلقونه فمعناه تلقونه بأفواهكم و أما تلقونه فهو من تلقيت الحديث من فلان أى أخذته منه قبلته.

روى الزهرى عن عروه بن الزبير و سعيد بن المسيب و غيرهما عن عائشه أنها قالت كان رسول الله ص إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيهن خرج سهمها خرج بها فأقرع بيننا فى غزوه غزاها فخرج فيها سهمى و ذلك بعد ما أنزل الحجاب فخرجت مع رسول الله ص حتى فرغ من غزوه و قفل و روى أنها كانت غزوه بنى المصطلق من خزاعه قالت و دنونا من المدينه فقامت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت إلى الرحل فلمست صدرتى فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست

عقدى فحبسنى ابتغاؤه و أقبل الرهط الذى كانوا يرحلوننى فحملوا هودجى على بعيرى الذى كنت أركب و هم يحسبون أنى فيه و كانت النساء إذا ذاك خفافا لم يهبلهن اللحم (و لم يغشهن اللحم خ ل) إنما يأكلن العلقه من الطعام فبعثوا الجمل و ساروا و وجدت عقدى و جئت منازلهم و ليس بها داع و لا موجب فسموت منزلى الذى كنت فيه و ظننت أن القوم سيفقدونى فيرجعون إلى فيينا أنا جالسہ إذ غلبتنى عيناي فتمت و كان صفوان بن المعطل السلمى قد عرس من وراء الجيش فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم فعرفنى حين رآنى فخمرت وجهى بجلبابى و و الله ما كلمنى بكلمه حتى أناخ راحلته فركبتها فانطلق يقود الراحله حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى حر الظهيره فهلك من هلك فى و كان الذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبى سلول فقدما المدينة فاشتكت حين قدمتها شهرا و الناس يفيضون فى قول أهل الإفك و لا أشعر بشىء من ذلك و هو يرثينى فى وجعى غير أنى لا أعرف من رسول الله ص اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزننى و لا أشعر بالسر حتى خرجت بعد ما نقهت و خرجت معى أم مسطح قبل المصانع و هو متبرزنا و لا نخرج إلا ليلا إلى ليل و ذلك قبل أن نتخذ الكنف و أمرنا أمر العرب الأول فى التنزه و كنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا و انطلقت أنا و أم مسطح و أمها بنت ضخره بن عامر خاله أبى فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أ تسيين رجلا قد شهد بدرا فقالت أى بنتاه ألم تسمعى ما قال قلت و ما ذا قال فأخبرتنى بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلى مرضى فلما رجعت إلى بيتى دخل على رسول الله ص ثم قال كيف تيكم قلت تأذن لى أن آتى أبوى قالت و أنا أريد أن أتيقن الخبر من قبله فأذن لى رسول الله ص فجئت أبوى و قلت لأمى يا أماه ما ذا يتحدث الناس فقالت أى بنيه هونى عليك فو الله لقل ما كانت امرأه قط وضيئه عند رجل يحبها و لها ضرائر إلا أكثرن عليها قلت سبحان الله أ و قد يحدث الناس بهذا قالت نعم فمكثت تلك الليله حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع و لا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى و دعا رسول الله أسامه بن زيد و على بن أبى طالب (عليه السلام) حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله فأما أسامه فأشار على رسول الله ص بالذى علم من براءه أهله و بالذى يعلم فى نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك و لا نعلم إلا خيرا فأما على بن أبى طالب عليه أفضل الصلوات فقال لم يضيق الله عليك و النساء سواها كثيره و إن تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله ص بريره فقال يا بريره هل رأيت شيئا يريبك من عائشه قالت بريره و الذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط

أغمضه عليها أكثر من أنها جاريه حديثه السن تنام عن عجيب أهلها قالت و أنا و الله أعلم أنى بريئه و ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحي يتلى و لكنى كنت أرجو أن يرى رسول الله رؤيا يبرئنى الله بها فأنزل الله تعالى على نبيه و أخذه ما كان يأخذه من برحاء الوحى حتى أنه لينحدر عنه مثل الجمان من العرق فى اليوم الثانى من ثقل القول الذى أنزل عليه فلما سرى عن رسول الله ص قال أبشرى يا عائشه أما الله فقد برأك فقالت لى أمة قومية إليه فقلت و الله لا أقوم إليه و لا أحمد إلا الله فهو الذى أنزل براءتى فأنزل الله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ» الآيات العشر.

## المعنى

«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ» أى بالكذب العظيم الذى قلب فيه الأمر عن وجهه «عُضِبَتْهُ مِنْكُمْ» أيها المسلمون قال ابن عباس و عائشه منهم عبد الله بن أبى سلول و هو الذى تولى كبره و مسطح بن أثاثه و حسان بن ثابت و حمته بنت جحش «لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» هذا خطاب لعائشه و صفوان لأنهما قصدا بالإفك و لمن اغتم بسبب ذلك و خطاب لكل من رمى بسبب عن ابن عباس أى لا- تحسبوا غم الإفك شرا لكم بل هو خير لكم لأن الله تعالى يبرى عائشه و يأجرها بصبرها و احتسابها و يلزم أصحاب الإفك ما استحقوه بالإثم الذى ارتكبه فى أمرها و قال الحسن هذا خطاب للقاذفين من المؤمنين و المعنى لا تحسبوا أيها القذفة هذا التأديب شرا لكم بل هو خير لكم فإنه يدعوكم إلى التوبه و يمنعكم عن المعاوده إلى مثله «لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ» أى لكل امرئ من القذفة جزاء ما اكتسبه من الإثم بقدر ما خاض و أفاض فيه و قيل معناه على كل امرئ منهم عقاب ما اكتسب كقوله «وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» أى فعلها «وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ» أى تحمل معظمه «مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ» المراد به عبد الله بن أبى سلول أى فإنه كان رأس أصحاب الإفك كان يجتمع الناس عنده و يحدثهم بحديث الإفك و يشيع ذلك بين الناس و يقول قال امرأه نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها و الله ما نجت منه و لا نجا منها و العذاب العظيم عذاب جهنم فى الآخرة و قيل المراد به مسطح بن أثاثه و قيل حسان بن ثابت فإنه روى أنه دخل على عائشه بعد ما كف بصره فقيل لها أنه يدخل عليك و قد قال فيك ما قال و قد قال الله تعالى و الذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت عائشه أ ليس قد كف بصره فأنشد حسان قوله فيها:

حصان رزان ما تزن بريبه و تصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقال عائشه لكنك لست كذلك «لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا» معناه هلا حين سمعتم هذا الإفك من القائلين له ظن المؤمنون و المؤمنات بالذين هم كأنفسهم خيرا لأن المؤمنين كلهم كالنفس الواحده فيما يجرى عليها من الأمور فإذا جرى على أحدهم محنه فكأنها جرت على جماعتهم فهو كقوله «فَسَيَلْمُوكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ» عن مجاهد و على هذا يكون خطابا لمن سمعه فسكت و لم يصدق و لم يكذب و قيل هو خطاب لمن أشاعه و المعنى هلا إذا سمعتم هذا الحديث ظننتم بها ما تظنونه بأنفسكم لو خلوتم بها و ذلك لأنها كانت أم المؤمنين و من خلا بأمه فإنه لا يطمع فيها و هى لا تطمع فيه «وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ» أى و هلا- قالوا هذا القول كذب ظاهر «لَوْ لَا جَاءُوكَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ» أى هلا جاءوا على ما قالوه بينه و هى أربعه شهداء يشهدون بما قالوه «فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ» أى فحين لم يأتوا بالشهداء «فَأُولَئِكَ» الذين قالوا هذا الإفك «عِنْدَ اللَّهِ» أى فى حكمه «هُمُ الْكَاذِبُونَ وَ لَوْ لَا- فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحِمْتُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» بأن أمهلكم لتتوبوا و لم يعاجلكم بالعقوبه «لَمَسَّكُمْ» أى أصابكم «فِي مَا أَفَضْتُمْ» أى خضتم «فِيهِ» من الإفك «عَذَابٌ عَظِيمٌ» أى عذاب لا انقطاع له عن ابن عباس ثم ذكر الوقت الذى كان يصيهم العذاب فيه لو لا- فضله فقال «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ» أى يرويه بعضكم عن بعض عن مجاهد و مقاتل و قيل معناه تقبلونه من غير دليل و لذلك إضافه إلى اللسان و قيل معناه يلقى بعضكم إلى بعض عن الزجاج «وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا» أى تظنون أن ذلك سهل لا إثم فيه «وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ» فى الوزر لأنه كذب و افتراء.



وَلَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَوْفٌ رَحِيمٌ (٢٠)

### المعنى

ثم زاد سبحانه في الإنكار عليهم فقال «وَلَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ» أى هلا قلت حين سمعتم ذلك الحديث «مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا» أى لا يحل لنا أن نخوض في هذا الحديث و ما ينبغي لنا أن نتكلم به «سُبْحَانَكَ» يا ربنا «هذا» الذى قالوه «بُهْتَانٌ عَظِيمٌ» أى كذب و زور عظيم عقابه أو نتحير من عظمه و قيل إن سبحانه هنا معناه التعجب كقول الأعشى

" سبحان من علقمه الفاخر "

و قيل معناه نزهك ربنا من أن نعصيك بهذه المعصية ثم وعظ سبحانه الذين خاضوا فى الإفك فقال «يَعِظُكُمُ اللَّهُ» أى ينهاكم الله عن مجاهد و قيل يحرم الله عليكم «أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ» عن ابن عباس و قيل معناه كراهه أن تعودوا أو لئلا تعودوا إلى مثله من الإفك «أَبَدًا» أى طول أعماركم «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى مصدقين بالله و نبيه قائلين موعظه الله «وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ» فى الأمر و النهى «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» بما يكون منكم «حَكِيمٌ» فيما يفعله لا يضع الشىء إلا فى موضعه ثم هدد القاذفين فقال «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ» أى يفسوا و يظهرها الزنا و القبائح «فِي الَّذِينَ آمَنُوا» بأن ينسبوا إليهم و يقذفوهم بها «لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا» بإقامه الحد عليهم «وَ الْآخِرَةِ» و هو عذاب النار «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» ما فيه من سخط الله و ما يستحق عليه من المعاقبه «وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ذلك ثم ذكر فضله و منته عليهم فقال «وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَوْفٌ رَحِيمٌ» لعاجلكم بالعقوبه و لكنه برحمته أمهلكم لتتوبوا و تندموا على ما قلت و جواب لو لا محذوف لدلاله الكلام عليه.

### النظم

لما بين سبحانه أحكام قذف المحصنات و عظم أمره عقب ذلك بأحكام قذف الزوجات ثم عطف بعد ذلك قذف الأمهات فإن أزواج النبی ص أمهات المؤمنین بدلاله قوله تعالى «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ» الآية.

## اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)

## القراءة

قرأ روح عن يعقوب ما زكى منكم بالتحديد و الباقر بالتخفيف وقرأ أبو جعفر و لا يتأل و هو قراءة زيد بن أسلم و أبى رجا و أبى مجلز و الباقر «لا يأتل» و روى عن على (عليه السلام) و لتعفوا و لتصفحوا بالتاء كما يروى بالياء أيضا وقرأ أهل الكوفه غير عاصم يوم يشهد عليهم بالياء و الباقر «تشهد» و فى الشواذ قراءة مجاهد و أبى روق يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق بالرفع.

## الحجه

الوجه فى قوله «ما زكى» بالتحديد أنه قال و الله يزكى و أما قوله «و لا يتأل» فإنه من تألى إذا حلف و

فى الحديث و من يتأل على الله يكذبه

و هو الذى يحلف فيقول و الله لا يدخل فلان الجنة و فلان النار و أنشد الأصمعى:

"عجاجة هجاجة تألى لأصبحن الأحقر الأذلاء"

و أما «لا يأتل» ففيه ثلاثه أقوال (أحدها) من الآليه التى هى اليمين أيضا يقال

ابتلى و تآلى و إلى بمعنى و الآخر أنه من قولهم ما ألوت فى كذا أى ما قصرت و المعنى و لا يقصر و قال الأخفش أنه يحتمل الأمرين و قوله «و لتعفوا و لتصفحوا» بالتاء مثل ما روى فلتفرحوا بالتاء على الأصل و قد تقدم القول فيه و من قرأ يوم يشهد بالياء فلأن تأنيث الألسنة ليس بحقيقى و لأنه حصل بين الفعل و الفاعل فصل و من قرأ بالتاء فعلى أن الألسنة مؤنثة و من قرأ الحق بالرفع جعله وصفا لله تعالى أى يوفيهم الله الحق دينهم مثل قوله «إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ».

## النزول

قيل إن قوله «و لا- يأتل أولوا الفضل منكم» الآية نزلت فى أبى بكر و مسطح بن أثانة و كان ابن خاله أبى بكر و كان من المهاجرين و من جملة البدرين و كان فقيرا و كان أبو بكر يجرى عليه و يقوم بنفقته فلما خاض فى الإفك قطعها و حلف أن لا ينفعه بنفع أبدا فلما نزلت الآية عاد أبو بكر إلى ما كان و قال و الله إنى لأحب أن يغفر الله لى و الله لا أنزعها عنه أبدا عن ابن عباس و عائشه و ابن زيد و قيل نزلت فى يتيم كان فى حجر أبى بكر حلف لا ينفق عليه عن الحسن و مجاهد و قيل نزلت فى جماعه من الصحابه أقسموا على أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشىء من الإفك و لا يواسوهم عن ابن عباس و غيره.

## المعنى

ثم نهى سبحانه عن اتباع الشيطان فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ» أى آثاره و طرقه التى تؤدى إلى مرضاته و قيل وساوسه «و مَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ» هذا بيان سبب المنع من اتباعه «و لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ» بأن لطف لکن و أمرکم بما تصيرون به أزكيا و نهاکم عما تصيرون بترکه أزكيا «ما زكى منكم من أحد أبدا» أى ما صار منكم أحد زكيا و من فى من أحد مزیده و قيل معناه ما طهر منكم أحد من وسوسة الشيطان و ما صلح «و لکنَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ» أى يطهر بلطفه من يشاء و هو من له لطف يفعل سبحانه به ليزكو عنده «و اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» يفعل المصالح و الألفاف بالمكلفين لأنه يسمع أصواتهم و أقوالهم و يعلم أحوالهم و أفعالهم و فى الآية دلالة على أن الله سبحانه يريد من خلقه خلاف ما يريد الشيطان لأنه إذا ذم سبحانه الأمر بالفحشاء و المنكر فخالف الفحشاء و المنكر و مریدهما أولى بالذم تعالى و تقدس عن ذلك و فيها دلالة على أن أحدا لا- يصلح إلا- بلطفه «و لا- يأتل» أى و لا يحلف أولا يقصر و لا يترك «أولوا الفضل منكم و السعة» أى أولو الغنى و السعة فى المال «أن يؤتوا أولى القربى» قال الزجاج معناه أن لا يؤتوا فحذف لا أى لا يحلفوا أن لا يؤتوا و قيل لا يقصروا أن يؤتوا و لا يتركوا جهدا فى الإنفاق على أقربائهم «و المساكين و المهاجرين فى

سَبِيلِ اللَّهِ» وقد اجتمع في مسطح الصفات الثلاث كان قرينا لأبى بكر مسكينا مهاجرا قال الجبائي و في قصه مسطح دلالة على أنه قد يجوز أن تقع المعاصي ممن شهد بدرا بخلاف قول النوائب «وَلْيُغْفُوا وَ لِيُصْفَحُوا» هذا أمر من الله تعالى للمرادين بالآية بالعفو عن أساء إليهم و الصفح عنهم و قال لهم «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» معاصيكم جزاء على عفوكم و صفحكم عن أساء إليكم «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ» أى يقذفون العفاف من النساء «الغافلات» عن الفواحش «الْمُؤْمِنَاتِ» بالله و رسوله و اليوم الآخر «لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» أى أبعدوا من رحمه الله فى الدارين و قيل استحقوا اللعنة فيهما و قيل عذبوا فى الدنيا بالجلد و رد الشهادة و فى الآخرة بعذاب النار «وَلَهُمْ» مع ذلك «عَذَابٌ عَظِيمٌ» و هذا الوعيد عام لجميع المكلفين عن ابن عباس و ابن زيد «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» بين الله سبحانه أن ذلك العذاب يكون فى يوم تشهد ألسنتهم فيه عليهم بالقذف و سائر أعضائهم بمعاصيهم و فى كيفية شهادة الجوارح أقوال (أحدها) أن الله تعالى يبنها بنيه يمكنها النطق و الكلام من جهتها فتكون ناطقه (و الثانى) إن الله تعالى يفعل فيها كلاما يتضمن الشهادة فيكون المتكلم هو الله دون الجوارح و أضيف الكلام إليها على التوسع لأنها محل الكلام (و الثالث) إن الله تعالى يجعل فيها علامه تقوم مقام النطق بالشهادة و أما شهاده الألسن فبان يشهدوا بألسنتهم إذا رأوا أنه لا ينفعهم الجحود و أما قوله «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ» فإنه يجوز أن تخرج الألسنه و يختم على الأفواه و يجوز أن يكون الختم على الأفواه فى حال شهاده الأيدي و الأرجل «يَوْمَئِذٍ يُؤَفَّفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ» أى يتمم الله لهم جزاءهم الحق فالدين هنا بمعنى الجزاء و يجوز أن يكون المراد جزاء دينهم الحق فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه «وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» أى يعلمون الله ضروره فى ذلك اليوم و يقرون أنه الحق لأنه يقضى بالحق و يعطى بالحق و يأخذ بالحق «الْمُبِينُ» أى الذى يظهر لهم حقائق الأمور و يبين جلائل الآيات.

## النظم

بدأ سبحانه فبين حكم القاذف أولا و أوجب عليه الحد و رد شهادته و سماه فاسقا فعلم أن المراد به أهل المله ثم عقبه بحديث الإفك لاتصاله به ثم ذكر صنفا آخر من القذفه و هم المنافقون بقوله «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا» و بين ما لهم من الغضب و اللعنه ثم عم الجميع بالوعيد فى قوله «إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ» الآيات عن أبى مسلم.

## إشارة

الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينِ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩)

## اللغة

الاستيناس طلب الأنس بالعلم أو غيره تقول العرب اذهب فاستأنس هل ترى أحداً و منه قوله «فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا» أى علمتم و روى عن ابن عباس أنه قال إنما هى تستأذنونوا يعنى قوله «تَسْتَأْذِنُوا» و كذلك يروى عن عبد الله و روى عن أبى حتى تسلموا و تستأنسوا و كذلك قرأ ابن عباس.

## المعنى

قال سبحانه «الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينِ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثَاتِ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن الخيئات من الكلم للخيئين من الرجال و الخيئون من الرجال للخيئات من الكلم و الطيبات من الكلم للطيبين من الرجال و الطيبون من الرجال للطيبات من الكلم أ لا ترى أنك تسمع الخبيث من الرجل الصالح فتقول غفر الله لفلان ما هذا من خلقه و لا مما يقول عن ابن عباس و الضحاك و مجاهد و الحسن (و الثانى) إن معناه الخيئات من السيئات للخيئين من الرجال و الخيئون من الرجال للخيئات من السيئات و الطيبات من الحسنات

للطيبين من الرجال و الطيبون من الرجال للطيبات من الحسنات عن ابن زيد (و الثالث)

الخبثات من النساء للخبثين من الرجال و الخبثون من الرجال للخبثات من النساء و الطيبات من النساء للطيبين من الرجال و الطيبون من الرجال للطيبات من النساء عن أبي مسلم و الجبائي و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام) قالا هي مثل قوله «الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً» الآية أن أناسا هموا أن يتزوجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك و كره ذلك لهم

«أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ» أى الطيبون مبرءون أى منزهون من الكلام الخبيث عن مجاهد و قال الفراء يعنى به عائشه و صفوان بن المعطل و هو بمنزله قوله تعالى «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ» و الأم تحجب بالأخوين فجاء على تغليب لفظ الجمع «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» أى لهؤلاء الطيبين من الرجال و النساء مغفره من الله لذنوبهم «وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» أى عطيه من الله كريمه فى الجنة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا» أى حتى تستأذنوا عن ابن مسعود و ابن عباس قال أخطأ الكاتب فيه و كان يقرأ حتى تستأذنوا و قيل تستأنسوا بالتنحج و الكلام الذى يقوم مقام الاستيذان و قد بين الله تعالى ذلك فى قوله «وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا» عن مجاهد و السدى و قيل معناه حتى تستعلموا و تعرفوا عن

أبى أيوب الأنصارى قال قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسيحه و التحميده و التكبيره و يتنحج على أهل البيت

و

عن سهل بن سعد قال أطلع رجل فى حجره من حجر رسول الله فقال رسول الله ص و معه مدرى يحك به رأسه لو أعلم أنك تنظر لطعنت به فى عينيك إنما الاستيذان من النظر

و

روى أن رجلا قال للنبي ص أستأذن على أمى فقال نعم قال أنها ليس لها خادم غيرى أ فاستأذن عليها كلما دخلت قال أ تحب أن تراها عريانه قال الرجل لا قال فاستأذن عليها

«وَتَسَاءَلُوا عَلَى أَهْلِهَا» قيل إن فيه تقديم و تأخيرا تقديره حتى تسلموا على أهلها و تستأنسوا و تستأذنوا فإن أذن لكم فادخلوا و قيل معناه حتى تستأنسوا بأن تسلموا

فقد روى أن رجلا استأذن على رسول الله ص فتنحج فقال رسول الله ص لامرأه يقال لها روضه قومي إلى هذا فعلميه و قولى له قل السلام عليكم أ أدخل فسمعها الرجل فقالها فقال أدخل

«ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ» معناه ذلك الدخول بالاستيذان خير لكم «لَعَلَّكُمْ تَدَكَّرُونَ» مواعظ الله و أوامره و نواهيته فتتبعونها «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا» معناه فإن لم تعلموا «فِيهَا أَحَدًا» يأذن لكم فى الدخول «فَلَا تَدْخُلُوهَا» لأنه ربما كان فيها ما

لا يجوز أن تطلعوا عليه «حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ» أى حتى يأذن لكم أرباب البيوت فى ذلك بين الله سبحانه بهذا أنه لا يجوز دخول دار الغير بغير إذنه و إن لم يكن صاحبها فيها و لا يجوز أن يتطلع إلى المنزل ليرى من فيه فيستأذنه إذا كان الباب مغلقا

لقوله (عليه السلام) إنما جعل الاستئذان لأجل النظر

و إلا- أن يكون الباب مفتوحا لأذن صاحبه بالفتح أباح النظر «وَ إِنْ قِيلَ لَكُمْ اذْجِعُوا فَارْجِعُوا» أى فانصرفوا و لا تلجوا عليهم و ذلك بأن يأمرؤكم بالانصراف صريحا أو يوجد منهم ما يدل عليه «هُوَ أَزْكَى لَكُمْ» معناه أن الانصراف أنفع لكم فى دينكم و دنياكم و أظهر لقلوبكم و أقرب إلى أن تصيروا أزكيا «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» أى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شىء منها ثم قال سبحانه «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» أى حرج و إثم «أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ» يعنى بغير استئذان «فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ» قيل فى معنى هذه البيوت أقوال (أحدها)

أنها الحانات و الحمامات و الأرحية عن الصادق (عليه السلام)

و عن محمد بن الحنفية و قتاده و يكون معنى متاع لكم أى استمتاع لكم (الثانى) إنها الخرابات المعطلة و يدخلها الإنسان لقضاء الحاجة عن عطا (و الثالث) أنها الحوانيت و بيوت التجار التى فيها أمتعه الناس عن ابن زيد قال الشعبى و إذنهم أنهم جاءوا ببيوعهم فجعلوها فيها و قالوا للناس علموا (و الرابع) أنها مناخات الناس فى أسفارهم يرتفقون بها عن مجاهد و الأولى حملة على الجميع «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ» لا يخفى عليه شىء من ذلك.

النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه سبحانه لما عظم شأن الزنا و القذف أكد ذلك بالنهى عن دخول بيوت الناس إلا بعد الاستئذان و الاستئناس ليكونوا أبعد من التهمه و أقرب إلى العصمه من السيئه.

إشارة

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)

القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و أبو بكر غير أولى الأربه بالنصب و الباقر و الجبر و قرأ ابن عامر أیه المؤمنین و یا أیه الساحر و أیه الثقلان بضم الهاء و الباقر بفتحها.

الحجة

قال أبو علي " غير " فيمن جر صفة للتابعين و المعنى لا- يبدين زينتهن إلا للتابعين الذين لا إربه لهم في النساء و الإربه الحاجه لأنهم في أنهم لا إربه لهم كالأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء أى لم يقووا عليها و منه قوله «فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ» و جاز وصف التابعين بغير لأنهم غير مقصودين بأعيانهم فأجرى لذلك مجرى النكره و قد قيل إن التابعين جاز أن يوصفوا بغير في هذا لقصر الوصف على شىء بعينه فإذا قصر على شىء بعينه زال الشيع عنه فاخصص بالتابعون ضربان ذو إربه و غير ذى إربه و ليس ثالث و إذا كان كذلك جاز لاختصاصه أن يجرى و صفا على المعرفه و على هذا الذين أَنْعَمَتْ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ و كذلك لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ لأن المسلمين و غيرهم لا يخلو من أن يكونوا أصحاب أو زمنى فإذا وصفوا بأحد الشيين زال الشيع فساغ الوصف به لذلك و من نصب غير احتمال ضربين أحدهما أن يكون استثناء و التقدير لا يبدين زينتهن إلا- للتابعين إلا إذا الإربه منهم فإنهم لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا إربه (و الآخر) أن يكون حالا و المعنى أو الذين يتبعونهن عاجزين عنهن و ذو الحال ما فى التابعين من الذكر و قال الوقف على يا أيها و أيها بالألف لأنهما إنما أسقطت لسكونها و سكون لام المعرفه فإذا وقف عليها زال التقاء الساكنين و ظهرت الألف فأما ضم الهاء فى قراءه ابن عامر فلا يتجه لأن آخر الاسم هو الياء الثانيه من أى فينبغى أن يكون المضموم آخر الاسم و لو جاز



أن يضم هذا من حيث كان مضموما إلى الكلمة لجاز أن يضم الميم من اللهم لأنه آخر الكلمة و وجه الإشكال و الشبهه فى ذلك أنه وجد هذا الحرف قد صار فى بعض المواضع التى يدخل فيها بمنزله ما هو من نفس الكلمة نحو مررت بهذا الرجل و غلام هذه المرأه فلما وجدها فى أوائل المبهمه كذلك جعلها فى الآخر أيضا بمنزله شىء من نفس الكلمة و استجاز حذف الألف اللاحق للحرف لما رآه قد حذف فى قولهم هلم فأجرى عليه الإعراب لما كان كالشىء الذى من نفس الكلمة فإن قلت فإنه قد حرك الياء التى قبلها بالضم فى يا أيها الرجل فإنه يجوز أن نقول حركه أى فى هذه المواضع كحركات الاتباع فى نحو امرئ و امرؤ فهذا وجه شبهته.

## اللغه

أصل الغض النقصان يقال غض من صوته و من بصره أى نقص و منه حديث عمرو بن العاص لما مات عبد الرحمن بن عوف هنيئا لك خرجت من الدنيا ببطنتك لم تتغضغض منها بشىء يقال غضغضت الشىء فتغضغض إذا نقص و الإربه فعله من الإرب كالمشيه و الجلسه و

فى الحديث إن رجلا اعترض النبى ص ليسأله فصاحوا به فقال ص دعوا الرجل أرب ماله

قال ابن الأعرابى أى احتاج فسأل ما له و قيل معناه حاجه جاءت به فدعوه و ما زيده عن الأزهرى.

## الإعراب

«يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ» مجزوم لأنه جواب شرط مقدر و التقدير قل للمؤمنين غضوا من أبصاركم فإنك إن تقل لهم يغضوا و يجوز أن يكون مجزوما على تقدير ليغضوا من أبصارهم و مثل ذلك قوله «يَغْضُضْنَ» و إن لم يظهر فيه الإعراب لكونه مبنيا و ما ظهر فى موضع نصب على البدل من «زَيْنْتَهُنَّ» و قوله «مِنْهَا» من هنا للتبيين و الجار و المجرور مع المحذوف فى موضع نصب على الحال.

## المعنى

ثم بين سبحانه ما يحل من النظر و ما لا يحل منه فقال «قُلْ» يا محمد «لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ» عما لا يحل لهم النظر إليه «وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ» عمن لا يحل لهم و عن الفواحش و قيل إن من زيده و تقديره يغضوا أبصارهم عن عورات النساء و قيل إنها للتبعيض لأن غض البصر إنما يجب فى بعض المواضع عن أبى مسلم و المعنى ينقصوا من نظرهم فلا ينظروا إلى ما حرم و قيل إنها لابتداء الغايه و قال ابن زيد كل موضع فى القرآن ذكر فيه حفظ الفروج فهو عن الزنا إلا فى هذا الموضع فإن المراد به الستر حتى لا

المروى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال فلا يحل للرجل أن ينظر إلى فرج أخيه و لا يحل للمرأة أن تنظر إلى فرج أخيها

«ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ» أى أنفع لدينهم و دنياهم و أظهر لهم و أنفى للتهمه و أقرب إلى التقوى «إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ» أى عليم «بِمَا يَصْنَعُونَ» أى بما يعملونه أى على أى وجه يعملونه «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ» أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال من غض البصر و حفظ الفرج «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ» أى لا يظهرن مواضع الزينه لغير محرم و من هو فى حكمه و لم يرد نفس الزينه لأن ذلك يحل النظر إليه بل المراد مواضع الزينه و قيل الزينه زينتان ظاهره و باطنه فالظاهره لا يجب سترها و لا يحرم النظر إليها لقوله «إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» و فيها ثلاثه أقاويل (أحدها) إن الظاهره الثياب و الباطنه الخللان و القرطان و السواران عن ابن مسعود (و ثانيها) إن الظاهره الكحل و الخاتم و الخدان و الخضاب فى الكف عن ابن عباس و الكحل و السوار و الخاتم عن قتاده (و ثالثها) إنها الوجه و الكفان عن الضحاك و عطا و الوجه و البنان عن الحسن و فى تفسير على بن إبراهيم الكفان و الأصابع «وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ» و الخمر المقانع جمع خمار و هو غطاء رأس المرأة المنسدل على جيبها أمرن بالقاء المقانع على صدورهن تغطيه لئلا يروهن فقد قيل إنهن كن يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو صدورهن و كنى عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسه عليها و قيل إنهن أمرن بذلك ليسترن شعورهن و قرظهن و أعناقهن قال ابن عباس تغطى شعرها و صدرها و ترائبها و سواها «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ» يعنى الزينه الباطنه التى لا يجوز كشفها فى الصلاة و قيل معناه لا يضعن الجلباب و الخمار عن ابن عباس «إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ» أى لأزواجهن يبدن مواضع زينتهن لهم استدعاء لميلهم و تحريكا لشهوتهم

فقد روى أنه ص لعن السلطاء من النساء و المرهاء فالسلطاء التى لا تخضب و المرهاء التى لا تكتحل و لعن المسوفه و المفسله فالمسوفه التى إذا دعاها زوجها إلى المباشره قالت سوف أفعل و المفسله هى التى إذا دعاها قالت أنا حائض و هى غير حائض

«أَوْ آبَائِهِمْ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِمْ أَوْ أَبْنَائِهِمْ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِمْ أَوْ إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِمْ» و هؤلاء الذين يحرم عليهم نكاحهن فهم ذوو محارم لهن بالأسباب و الأنساب و يدخل أجداد البعوله فيه و إن علوا و أحفادهم و إن سفلوا يجوز إبداء الزينه لهم من غير استدعاء لشهوتهم و يجوز لهم تعمد النظر من غير تلذذ «أَوْ نِسَائِهِمْ» يعنى النساء المؤمنات و لا يحل لهن أن يتجردن ليهوديه أو نصرانيه أو مجوسيه إلا إذا كانت أمه و هو معنى قوله «أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ» أى من الإماء عن ابن جريج و مجاهد و الحسن و سعيد بن المسيب قالوا و لا يحل للعبد أن ينظر إلى شعر مولاته و

قيل معناه العبيد و الإماء و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و قال الجبائى أراد مملوكا له لم يبلغ مبلغ الرجال «أَوْ

التَّابِعِينَ غَيْرِ أَوْلَىٰ الْأَرْبَةِ مِنَ الرَّجَالِ» اختلف في معناه

فقيل التابع الذى يتبعك لينال من طعامك ولا حاجه له فى النساء و هو الأبله المولى عليه عن ابن عباس و قتاده و سعيد بن جبير و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل هو العنين الذى لا إرب له فى النساء لعجزه عن عكرمه و الشعبى و قيل إنه الخصى الم محبوب الذى لا رغبه له فى النساء عن الشافعى و لم يسبق إلى هذا القول و قيل إنه الشيخ الهمم لذهاب إربه عن يزيد بن أبى حبيب و قيل هو العبد الصغير عن أبى حنيفه و أصحابه «أَوِ الطُّفْلِ» أى الجماعه من الأطفال «الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ» يريد به الصبيان الذين لم يعرفوا عورات النساء و لم يقووا عليها لعدم شهوتهم و قيل لم يطيقوا مجامعه النساء فإذا بلغوا مبلغ الشهوه فحكمهم حكم الرجال «وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ» قال قتاده كانت المرأة تضرب برجلها لتسمع قعقه الخللخال فيها فنهاهن عن ذلك و قيل معناه لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليتبين خلخالها أو يسمع صوته عن ابن عباس «وَأَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» أى تفوزون بثواب الجنه و

فى الحديث أنه ص قال أيها الناس توبوا إلى ربكم فإنى أتوب إلى الله فى كل يوم مائه مره أوردته مسلم فى الصحيح

و المراد بالتوبه الانقطاع إلى الله تعالى.

ص: ٢١٩

## إشارة

وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَ لَيْسَ تَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَ أَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣) وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَ مَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤)

## القراءة

فى الشواذ قراءة ابن عباس و سعيد بن جبیر

من بعد إكراههن لهن غفور رحيم و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام).

## الحج

اللام فى هن متعلقه بغفور أى غفور لهن.

## اللغة

الأيامى جمع أيم و هى المرأة التى لا زوج لها سواء كانت بكرا أو ثيبا و يقال للرجل الذى لا زوج له أيم أيضا قال جميل:

أحب الأيامى إذ بشينه أيم و أحببت لما أن غنيت الغوانيا

و قال الشاعر:

فإن تنكحى أنكح و إن تتأيمى يدا الدهر ما لم تنكحى أتايم

و الفعل منه آمت المرأة تميم أيمه و أيوما و الإنكاح التزويج يقال نكح إذا تزوج و أنكح غيره إذا زوج و الاستعفاف و التعفف سواء و هو طلب العفة و استعمالها و يقال رجل عف و امرأه عفه و الكتاب و المكاتبه أن يكاتب الرجل مملوكه على مال يؤديه إليه فإذا أداه عتق و أصله من الجمع و كل شىء جمعته إلى شىء فقد كتبه و منه الكتاب لتداني بعض حروفه إلى بعض و هنا قد جمع العبد نجوم المال و قيل جمع ماله إلى مال السيد.

## الإعراب

أحد مفعولى «أَنْكِحُوا» محذوف تقديره و أنكحوا رجالكم الأيامى من نساءكم أو نساءكم الأيامى من رجالكم و أنكحوا

الصالحين من عبادكم إماءكم الصالحات أو الصالحات من إمائكم عبادكم الصالحين لأن الأيامي يشتمل على الرجال و النساء و الصالحين يشتمل عليهما أيضا و قوله «مِنْكُمْ» و «مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال و من للتبيين و كل موضع يكون من مع معموله و العامل فيه فى محل نصب على الحال لا يكون إلا كذلك.

## المعنى

ثم أمر سبحانه عباده بالنكاح و أغناهم عن السفاح فقال «وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ» و معناه زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم و نسائكم و هذا أمر ندب

ص: ٢٢٠

و استحباب و

قد صح عن النبي ص أنه قال من أحب فطرتي فليستن بستي و من سنتي النكاح

و

قال ص يا معشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج و من لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء

و روى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبیر قال لقيني ابن عباس في حجه حجها فقال هل تزوجت قلت لا قال فتزوج قال و لقيني في العام المقبل فقال هل تزوجت قلت لا فقال اذهب فتزوج فإن خير هذه الأمه كان أكثرها نساء يعني النبي ص و عن أبي هريره قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد للقيت الله بزوجه سمعت رسول الله ص يقول شراركم عزابكم

و

قال ص من أدرك له ولد و عنده ما يزوجه فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما

و

عن أبي أمامه عن النبي ص قال أربع لعنهم الله من فوق عرشه و أمنت عليه ملائكته الذي يحصر نفسه فلا يتزوج و لا يتسرى لثلا يولد له و الرجل يتشبه بالنساء و قد خلقه الله ذكرا و المرأة تشبه بالرجال و قد خلقها الله أنثى و مضلل الناس يريد الذي يهزأ بهم يقول للمسكين هلم أعطك فإذا جاء يقول ليس معي شيء و يقول للمكفوف اتق الدابه و ليس بين يديه شيء و الرجل يسأل عن دار القوم فيضله

«و الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ» أى و زوجوا المستورين من عبيدكم و ولائدكم و قيل إن معنى الصلاح هاهنا الإيمان عن مقاتل ثم رجع إلى الأحرار فقال «إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءً» لا سعه لهم للتزويج «يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» و عدهم سبحانه أن يوسع عليهم عند التزويج «و اللَّهُ وَاسِعٌ» المقدور كثير الفضل «عَلِيمٌ» بأحوالهم و ما يصلحهم فيعطيهم على قدر ذلك و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من ترك التزويج مخافه العيله فقد أساء الظن بربه لقوله سبحانه «إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءً يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»

«و لَيْسَ تَعْفُفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد السبيل إلى أن يتزوج بأن لا يجد المهر و النفقه أن يتعفف و لا يدخل في الفاحشه و يصبر حتى يوسع الله عليه من رزقه ثم بين سبحانه ما يسهل سبيل النكاح فقال «و الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ» أى يطلبون المكاتبه «مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» من العبيد و الإماء «فَكَاتِبُوهُمْ» و المكاتبه أن يكاتب الإنسان عبده على مال ينجمه عليه ليؤديه إليه في هذه النجوم المعلومه و هذا أمر ندب و استحباب و ترغيب عند جميع الفقهاء و

قيل أنه أمر حتم وإيجاب إذا طلبه العبد و علم فيه الخير عن عطا و عمر بن دينار و الطبرى «إِنَّ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا» أى صلاحا و  
رشدا عن ابن عباس و روى عنه أيضا

ص: ٢٢١

إن علمتم فيهم قدره على الاكتساب لأداء مال الكتابه و رغبه فيه و أمانه و هو قول ابن عمر و ابن زيد و الثورى و الزجاج قال الحسن إن كان عنده مال فكاتبه و إلا فلا تعلق عليه صحيفه يغدو بها على الناس و يروح بها فيسألهم و روى أن عبدا لسلطان قال له كاتبى قال أ لك مال قال لا قال تطعمنى أوساخ الناس فأبى عليه و قال قتاده يكره أن يكاتب العبد و يقول لا يكاتبه إلا يسأل الناس «وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ» أى حطوا عنهم من نجوم الكتابه شيئا عن ابن عباس و قتاده و عطا و قيل معناه ردوا عليهم يا معشر الساده من المال الذى أخذتم منهم شيئا و هو استحباب و قيل هو إيجاب و قال قوم من المفسرين أنه خطاب للمؤمنين بمعونتهم على تخلص رقابهم من الرق و من قال أنه خطاب للساده اختلفوا فى قدر ما يجب فقيل

يتقدر بربع المال عن الثورى و روى ذلك عن على (عليه السلام)

و قيل ليس فيه تقدير بل يحط عنه شىء منه و هو الصحيح و قيل أنه يعطى سهمه من الصدقات فى قوله وَ فِي الرِّقَابِ قَالَ الْحَسَنُ لَوْ لَا الْكِتَابَةُ لَمَا جَازَ لَهُ أَخْذُ الصَّدَقَةِ وَ قَالَ أَصْحَابُنَا أَنَّ الْمَكَاتِبَةَ ضَرْبَانِ مُطْلَقٌ وَ مُشْرُوطٌ فَالْمُشْرُوطُ أَنْ يَقُولَ لِعَبْدِهِ فِي حَالِ الْكِتَابَةِ مَتَى عَجَزْتَ عَنْ أَدَاءِ ثَمَنِكَ كُنْتَ مُرْدُودًا فِي الرِّقِّ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ جَازَ لَهُ رَدُّهُ فِي الرِّقِّ عِنْدَ الْعِجْزِ وَ الْمَطْلُوقُ يَنْعَقُ مِنْهُ عِنْدَ الْعِجْزِ بِحِسَابِ مَا أَدَى مِنَ الْمَالِ وَ يَبْقَى مَمْلُوكًا بِحِسَابِ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ وَ يَرِثُ وَ يُوْرَثُ بِحِسَابِ مَا عَتَقَ «وَلَا تُكْرَهُوا فَتْيَاتِكُمْ» أى إمائكم و ولائدكم «عَلَى الْبِغَاءِ» أى على الزنا «إِنْ أَرَدَنْ تَحْصُنًا» أى تعففا و تزويجا عن ابن عباس و إنما شرط إرادته التحصن لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادته التحصن فإن لم ترد المرأة التحصن بغت بالطبع فهذه فائده الشرط «لِيَتَّبِعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى من كسبهن و بيع أولادهن قيل أن عبد الله بن أبى كان له ست جوار يكرههن على الكسب بالزنا فلما نزل تحريم الزنا أتى رسول الله ص فشكون إليه فنزلت الآيه «وَمَنْ يُكْرِهُنَّ» أى و من يجبرهن على الزنا من سادتهن «فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ» للمكرهات لا للمكره لأن الوزر عليه «رَحِيمٌ» بهن «وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ» أى واضحات ظاهرات و من قرأ بفتح الباء فمعناه مفصلات بينهن الله و فصلهن «وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ» و أخبارا من الذين مضوا من قبلكم و قصصا لهم و شبهها من حالهم بحالكم لتعتبروا بها «وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ» أى و زجرا للمتقين عن المعاصى و خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها.

[سوره النور (٢٤): الآيات ٣٥ الى ٣٨]

اشاره

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَ لَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ءَ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ يَزُوقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)

ص: ٢٢٢



قرأ أبو جعفر و ابن كثير و يعقوب كوكب درى مضمومه الدال مشدده الباء توقد بفتح التاء و الدال و تشديد القاف و قرأ أبو عمر و درى ء مكسوره الدال ممدوده مهموزه توقد كما تقدم و قرأ الكسائى درى ء مكسوره الدال ممدوده مهموزه توقد بضم التاء و التخفيف و الرفع و قرأ نافع و ابن عامر و حفص «دُرِّيُّ» غير مهموزه «يُوقَدُ» بضم الياء و الرفع و قرأ أبو بكر و حمزه درى ء مضمومه الدال مهموزه ممدوده توقد بضم التاء و تخفيف القاف و قرأ خلف «دُرِّيُّ» مضمومه الدال غير مهموزه توقد بضم التاء و التخفيف و قرأ ابن عامر و أبو بكر يسبح له فيها بفتح الباء و الباكون بكسرهما.

قال أبو على من قرأ «دُرِّيُّ» يحتمل قوله أمرين (أحدهما) أن يكون نسبه إلى الدر لفرط صفائه و نوره و يجوز أن يكون فعيلًا من الدرئ فخففت الهمزه فانقلبت ياء كما تنقلب من النسى ء و النبى ء و من قال درى ء كان فعيلًا من الدرء مثل السكير و الفسيق و المعنى إن الخفاء اندفع عنه لتأليله فى ظهوره فلم يخف كما يخفى السهى و نحوه و من قرأ درى ء كان فعيلًا- من الدرء الذى هو الدفع و قد حكى سيويه عن أبى الخطاب «كوكب درى ء» من

الصفات و من الأسماء المريق للعصفر و مما يمكن أن يكون على هذا البناء العليه أ لا تراه أنه من علا و منه السريه. الأولى أن تكون فعلية و من قرأ توقد كان فاعله «المُصْبَاحُ» لأن المصباح هو الذى توقد قال امرؤ القيس:

سموت إليها و النجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقفال

و من قرأ «يُوقَدُ» كان فاعله «المُصْبَاحُ» أيضا و من قرأ توقد كان فاعله «الزُّجَاجَةُ» و المعنى على مصباح الزجاجه فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه فقال توقد فحمل الكلام على لفظ الزجاجه أو يريد بالزجاجه القنديل فقال توقد على لفظ الزجاجه و إن كان يريد القنديل و معنى توقد من شجره أى من زيت شجره فحذف المضاف يدلك على ذلك قوله «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ» و من قرأ يسبح له بفتح الباء أقام الجار و المجرور مقام الفاعل ثم فسر من يسبح فقال «رِجَالٌ» أى يسبح له رجال فرفع رجالا بهذا المضمرة الذى دل عليه قوله «يُسَبِّحُ» لأنه إذا قال يسبح دل على فاعل التسبيح و مثله قول الشاعر:

لييك يزيد ضارع لخصومه و مختبط مما تطيح الطوائح.

## اللغة

المشكاه قيل أنها روميه معربه و قال الزجاج يجوز أن تكون عربيه لأن فى الكلام مثل لفظها شكوه و هى قربه صغيره فعلى هذا تكون مفعله منها و أصلها مشكوه فقلبت الواو ألفا لتحركها و انفتاح ما قبلها و المصباح السراج و أصله من البياض و الأصبغ الأبيض.

## الإعراب

قيل فى تقدير قوله «نُورُ السَّمَاوَاتِ» وجهان (أحدهما) أن يكون على حذف المضاف و تقديره ذو نور السماوات و الأرض على حد قوله إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ (و الثانى) أن يكون مصدرا وضع موضع اسم الفاعل كقوله «إِنَّ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا» أى غائرا و كما قالت الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هى إقبال و إدبار

و على هذا تكون الإضافه غير حقيقه و «السَّمَاوَاتِ» فى تقدير النصب «فِيهَا مِصْبَاحٌ» جمله فى موضع الجر لأنها صفة مشكاه «المُصْبَاحُ فِي زُجَاجِهِ» جمله فى موضع رفع بأنها صفة

مصباح و العائد منها إليه لام العهد تقديره فيها مصباح ذلك المصباح في زجاجة أو هو في زجاجة «الرُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» الجملة في موضع جر بأنها صفة زجاجة و قوله «زَيْتُونَةٍ» بدل من «شَجَرَةٍ» و الباقي صفة «نُورٌ» خبر مبتدأ محذوف أى هو نور على نور متعلق بمحذوف في موضع رفع بكونه صفة نور «فِي بُيُوتٍ» يتعلق بمحذوف و في موضع جر بكونه صفة لمشكاة فانتقل الضمير من المحذوف إليه حيث سد مسده «بِغَيْرِ حِسَابٍ» في موضع نصب بكونه صفة لمفعول محذوف و تقديره يرزق من يشاء رزقا بغير حساب أى غير محسوب.

## المعنى

«اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» اختلف في معناه على وجوه (أحدها) الله هادى أهل السماوات و الأرض إلى ما فيه من مصالحهم عن ابن عباس (و الثانى) الله منور السماوات و الأرض بالشمس و القمر و النجوم عن الحسن و أبى عاليه و الضحاك (و الثالث) مزين السماوات بالملائكة مزين الأرض بالأنبياء و العلماء عن أبى بن كعب و إنما ورد النور في صفة الله تعالى لأن كل نفع و إحسان و إنعام منه و هذا كما يقال فلان رحمه و فلان عذاب إذا كثر فعل ذلك منه و على هذا قول الشاعر:

ألم تر أنا نور قوم و إنما يبين فى الظلماء للناس نورها

و إنما المعنى إنا نسعى فيما ينفعهم و منا خيرهم و كذا قول أبى طالب فى مدح النبى ص:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمه و فواضل

لم يعن بقوله أبيض بياض لونه و إنما أراد كثره إفضاله و إحسانه و نفعه و الاهتداء به و لهذا المعنى سماه الله تعالى سراجا منيرا «مَثَلُ نُورِهِ» فيه وجوه (أحدها) أن المعنى مثل نور الله الذى هدى به المؤمنين و هو الإيمان فى قلوبهم عن أبى بن كعب و الضحاك و كان أبى يقرأ مثل نور من آمن به (و الثانى) مثل نوره الذى هو القرآن فى القلب عن ابن عباس و الحسن و زيد بن أسلم (و الثالث) أنه عنى بالنور محمد ص و أضافه إلى نفسه تشريفا له عن كعب و سعيد بن جبير فالمعنى مثل محمد رسول الله ص (الرابع) أن نوره سبحانه الأدله الداله على توحيده و عدله التى هى فى الظهور و الوضوح مثل النور عن أبى مسلم (الخامس) أن النور هنا الطاعة أى مثل طاعه الله فى قلب المؤمن عن ابن عباس فى روايه أخرى «كَمِشْكَاهٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» المشكاة هى الكوه فى الحائط يوضع عليها زجاجة ثم يكون

المصباح خلف تلك الزجاجه و يكون للكوه باب آخر يوضع المصباح فيه و قيل المشكاه عمود القنديل الذى فيه الفتيله و هو مثل الكوه و المصباح السراج و قيل المشكاه القنديل و المصباح الفتيله عن مجاهد «المُصْبَاحُ فِي زُجَاجِهِ» أى ذلك السراج فى زجاجه و فائده اختصاص الزجاجه بالذكر أنه أصفى الجواهر فالمصباح فيه أضوأ «الزُّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» أى تلك الزجاجه مثل الكوكب العظيم المضى ء الذى يشبه الدر فى صفائه و نوره و نقائه و إذا جعلته من الدرء و هو الدفع فمعناه المنافع السريع الوقع فى الانقضاى و يكون ذلك أقوى لضوئه «يُوقَدُ مِنْ شَجَرِهِ مُبَارَكَةٌ» أى يشتعل ذلك السراج من دهن شجره مباركه «زَيْتُونَةٍ» أراد بالشجره المباركه شجره الزيتون لأن فيها أنواع المنافع فإن الزيت يسرج به و هو إدام و دهان و دباغ و يوقد بحطبه و ثقله و يغسل برماده الإبريسم و لا يحتاج فى استخراج دهنه إلى إعصار و قيل إنه خص الزيتون لأن دهنها أصفى و أضوأ و قيل لأنها أول شجره نبتت فى الدنيا بعد الطوفان و منبتها منزل الأنبياء و قيل لأنه بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم فلذلك سميت مباركه «لَا شَرْقِيَّةٍ وَ لَا غَرْبِيَّةٍ» أى لا يفى ء عليها ظل شرق و لا غرب فهى ضاحيه للشمس لا يظلمها جبل و لا شجر و لا كهف فزيتها يكون أصفر عن ابن عباس و الكلبي و عكرمه و قتاده فعلى هذا يكون المعنى أنها ليست بشرقيه لا تصيبها الشمس إذا هى غربت و لا هى غريبه لا تصيبها الشمس إذا طلعت بل هى شرقيه غريبه أخذت بحظها من الأمرين و قيل معناه إنها ليست من شجر الدنيا فتكون شرقيه أو غريبه عن الحسن و قيل معناه إنها ليست فى مقنوه لا تصيبها الشمس و لا هى بارزه للشمس لا يصيبها الظل بل يصيبها الشمس و الظل عن السدى و قيل ليست من شجر الشرق و لا من شجر الغرب لأن ما اختصاص بإحدى الجهتين كان أقل زيتا و أضعف ضوءا لكنها من شجر الشام و هى ما بين الشرق و الغرب عن ابن زيد «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ» من صفائه و فرط ضيائه «وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ» أى قبل أن تصيبه النار و تشتعل فيه و اختلف فى هذا المشبه و المشبه به على أقوال (أحدها) أنه مثل ضربه الله لنبيه محمد ص فالمشكاه صدره و الزجاجه قلبه و المصباح فيه النبوه لا شرقيه و لا غريبه أى لا يهوديه و لا نصرانيه توقد من شجره مباركه يعنى شجره النبوه و هى إبراهيم (عليه السلام) يكاد نور محمد ص يبين للناس و لو لم يتكلم به كما أن ذلك الزيت يكاد يضى ء و لو لم تمسسه نار أى تصبه النار عن كعب و جماعه من المفسرين و قد قيل أيضا أن المشكاه إبراهيم و الزجاجه إسماعيل و المصباح محمد ص كما سمي سراجا فى موضع آخر من شجره مباركه يعنى إبراهيم لأن أكثر الأنبياء من صلبه لا شرقيه و لا غريبه لا نصرانيه و لا يهوديه لأن النصرارى تصلى إلى المشرق و اليهود تصلى إلى المغرب يكاد زيتها يضى ء أى يكاد محاسن محمد ص تظهر قبل أن يوحى إليه

«نُورٌ عَلَى نُورٍ» أى نبي من نسل نبي عن محمد بن كعب وقيل إن المشكاه عبد المطلب و الزجاجة عبد الله و المصباح هو النبي ص لا شقيقه و لا غريبه بل مكيه لأن مكة وسط الدنيا عن الضحاک و

روى عن الرضا (عليه السلام) أنه قال نحن المشكاه فيها و المصباح محمد ص يهدى الله لولايتنا من أحب

و

فى كتاب التوحيد لأبى جعفر بن بابويه رحمه الله بالإسناد عن عيسى بن راشد عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) فى قوله «كَمِشْكَاهٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» قال نور العلم فى صدر النبي ص «المِصْبَاحُ فِي زُجَاجِهِ» الزجاجة صدر على (عليه السلام) صار علم النبي ص إلى صدر على علم النبي عليا «يُوقَدُ مِنْ شَجَرِهِ مُبَارَكِهِ» نور العلم «لا شَرْقِيَّهِ وَ لا غَرْبِيَّهِ» لا يهوديه و لا نصرانيه «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّهُ» وَ لَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ» قال يكاد العالم من آل محمد ص يتكلم بالعلم قبل أن يسأل «نُورٌ عَلَى نُورٍ» أى إمام مؤيد بنور العلم و الحكمه فى إثر إمام من آل محمد ص و ذلك من لدن آدم (عليه السلام) إلى أن تقوم الساعه فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله خلفاء فى أرضه و حججه على خلقه لا تخلو الأرض فى كل عصر من واحد منهم

يدل عليه قول أبى طالب فى رسول الله ص

أنت الأمين محمد قرم أغر مسود

لمسودين أظاهر كرموا و طاب المولد

أنت السعيد من السعود تكتفتك الأسعد

من لدن آدم لم يزل فينا وصى مرشد

و لقد عرفتك صادقاً و القول لا يتفند

ما زلت تنطق بالصواب و أنت طفل أمرد.

تحقيق هذه الجملة يقتضى أن الشجره المباركه المذكوره فى الآيه هى دوحه التقى و الرضوان و عتره الهدى و الإيمان شجره أصلها النبوه و فرعها الإمامه و أغصانها التنزيل و أوراقها التأويل و خدمها جبرائيل و ميكائيل (و ثانيها) أنه مثل ضربه الله للمؤمن و المشكاه نفسه و الزجاجة صدره و المصباح الإيمان و القرآن فى قلبه يوقد من شجره مباركه هى الإخلاص لله وحده لا شريك له فهى خضراء ناعمه كشجره التف بها الشجر فلا يصيبها الشمس على أى حال كانت لا إذا طلعت و لا إذا غربت و كذلك المؤمن قد احترز من أن يصيبه شىء من الفتر فهو بين أربع خلال إن أعطى شكر و إن ابتلى صبر و إن حكم عدل و إن قال صدق فهو فى سائر الناس كالرجل الحى يمشى بين القبور نور على نور و كلامه نور و علمه نور و مدخله نور و مخرجه نور و مصيره إلى الجنه نور يوم القيامه عن أبى بن كعب (و ثالثها) أنه مثل القرآن فى



قلب المؤمن فكما أن هذا المصباح يستضاء به و هو كما هو لا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به و يعمل به فالمصباح هو القرآن و الزجاجه قلب المؤمن و المشكاه لسانه و فمه و الشجره المباركه شجره الوحي «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ» يكاد حجج القرآن تتضح و إن لم تقرأ و قيل يكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن تفكر فيها و تدبرها و لو لم ينزل القرآن «نُورٌ عَلَى نُورٍ» يعنى أن القرآن نور مع سائر الأدله قبله فازدادوا به نورا على نور عن الحسن و ابن زيد و على هذا فيجوز أن يكون المراد ترتب الأدله فإن الدلائل يترتب بعضها على بعض و لا يكاد العاقل يستفيد منها إلا بمراعاة الترتيب فمن ذهب عن الترتيب فقد ذهب عن طريق الاستفاده و قال مجاهد ضوء نور السراج على ضوء الزيت على ضوء الزجاجه «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» أى يهدى الله لدينه و إيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفًا يختار عنده الإيمان إذا علم أن له لطفًا و قيل معناه يهدى الله لنبوته و ولايته من يشاء ممن يعلم أنه يصلح لذلك و يضرب الله الأمثال للناس تقريبا إلى الأفهام و تسهила لدرك المرام «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فيضع الأشياء و مواضعها «فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ» معناه هذه المشكاه فى بيوت هذه صفتها و هى المساجد فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و الجبائى و يعضده

قول النبى ص المساجد بيوت الله فى الأرض و هى تضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الأرض

ثم قيل إنها أربع مساجد لم بينها إلا نبى الكعبه بناها إبراهيم و إسماعيل و مسجد بيت المقدس بناه سليمان و مسجد المدينة و مسجد قبا بناهما رسول الله ص و

قيل هى بيوت الأنبياء و روى ذلك مرفوعا أنه سئل النبى ص لما قرأ الآيه أى بيوت هذه فقال بيوت الأنبياء فقام أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها يعنى بيت على و فاطمه قال نعم من أفاضلها

و يعضد هذا القول قوله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» وقوله رَحِمْتُ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فالإذن برفع بيوت الأنبياء و الأوصياء مطلق و المراد بالرفع التعظيم و رفع القدر من الأرجاس و التطهير من المعاصى و الأذناس و قيل المراد برفعها رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى «وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ» أى يتلى فيها كتابه عن ابن عباس و قيل تذكر فيها أسماءه الحسنى «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» أى يصلى له فيها بالبكور و العشايا عن ابن عباس و الحسن و الضحاك و قال ابن عباس كل تسبيح فى القرآن صلاه و قيل المراد بالتسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه و وصفه بالصفات التى يستحقها لذاته و أفعاله التى كلها حكمه و صواب ثم بين سبحانه المسبح فقال «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ» أى لا تشغلهم و لا تصرفهم «تِجَارَةً وَلَا يَتَّبِعُهُنَّ ذِكْرُ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ» أى إقامه الصلاه حذف الهاء لأنها عوض عن الواو فى أقوام فلما أضافه صار المضاف إليه عوضا عن الهاء و

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام) أنهم قوم إذا

حضرت الصلاة تركوا التجاره و انطلقوا إلى الصلاة و هم أعظم أجرا ممن يتجر.

«وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ» أى إخلاص الطاعه لله تعالى عن ابن عباس و قيل يريد الزكاه المفروضه عن الحسن «يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ» أراد يوم القيامه تتقلب فيه أحوال القلوب و الأبصار و تنتقل من حال إلى حال فتلفحها النار ثم تنضجها ثم تحرقها عن الجبائى و قيل تتقلب فيه القلوب بين الطمع فى النجاه و الخوف من الهلاك و تتقلب الأبصار يمنه و يسره من أين تؤتى كتبهم و أين يؤخذ بهم أم من قبل اليمين أم من قبل الشمال و قيل تتقلب القلوب ببلوغها الحناجر و الأبصار بالعمى بعد البصر و قيل معناه تنتقل القلوب عن الشك إلى اليقين و الإيمان و الأبصار عما كانت تراه غيا فتراه رشدا فمن كان شاكا فى دنياه أبصر فى آخرته و من كان عالما ازداد بصيره و علما فهو مثل قوله تعالى فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ عن البلخى «لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» أى يفعلون ذلك طلبا لمجازاه الله إياهم بأحسن ما عملوا و لتفضله عليهم بالزيادة على ما استحقوه بأعمالهم من فضله و كرمه «وَ اللَّهُ يَرْزُقُ» أى يعطى «مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» أى بغير مجازاه على عمل بل تفضلا منه سبحانه و الثواب لا يكون إلا بحساب و التفضل يكون بغير حساب.

## النظم

اتصلت الآيه الأولى بما قبلها اتصال المثل بالمثل لأنه تعالى لما بين وجوه المنافع و المصالح و علم الشرائع فيما سبق بين بعده أن منافع أهل السماوات و الأرض منه لأن اسم النور يطلق على ذلك كما تقدم بيانه و قيل إنها اتصلت بما قبلها اتصال العله بالمعلول فكأنه قال أنزلنا آيات بينات و مواعظ بالغات فهديناكم بها لأننا نهدي أهل السماوات و الأرض و اتصل قوله فى بيوت بقوله كمشكاه فيها مضباح على ما تقدم بيانه و قيل يتصل بيسبح و يكون فيها تكريرا على التوكيد و المعنى يسبح الله رجال فى بيوت أذن الله أن ترفع فيكون كقولك فى الدار قام زيد فيها.



## إشارة

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعِهِ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠)

## القراءة

قرأ ابن كثير في روايه البرزى سحاب بغير تنوين ظلمات بالجر و في روايه القواس و ابن فليح «سحاب» بالتنوين ظلمات بالجر و الباقون كلاهما بالرفع و التنوين.

## الحج

قال أبو علي قوله «أَوْ كَظُلُمَاتٍ» معناه أو كذى ظلمات و يدل على حذف المضاف قوله «إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا» فالضمير الذى أضيف إليه يده يعود إلى المضاف المحذوف و معنى ذى ظلمات أنه فى ظلمات و معنى «ظلماتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» ظلمه البحر و ظلمه الموج و ظلمه الموج الذى فى الموج و قوله خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ فإنه يجوز أن يكون ظلمه الرحم و ظلمه البطن و ظلمه المشيمه و قوله «فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ» ظلمه البحر و ظلمه بطن الحوت و ظلمه الليل و يجوز أن يكون الانتقام كان بالليل فهذه ظلمات و من قرأ «سحابٌ ظلماتٌ» فرغ ظلمات كان خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه ظلمات بعضها فوق بعض و من قرأ سحاب ظلمات جاز أن يكون تكريرا و بدلا من ظلمات الأولى و من قرأ سحاب ظلمات بإضافه سحاب إلى الظلمات فالظلمات هى الظلمات التى تقدم ذكرها فأضاف السحاب إلى الظلمات لاستقلال السحاب و ارتفاعه فى وقت كون هذه الظلمات كما تقول سحاب رحمه و سحاب مطر إذا ارتفع فى الوقت الذى يكون فيه الرحمه و المطر.

## اللغة

السراب شعاع يتخيل كالماء يجرى على الأرض نصف النهار حين يشتد الحر و الآل شعاع يرتفع بين السماء و الأرض كالماء ضحوه النهار و الآل يرفع الشخص الذى فيه و إنما قيل سراب لأنه ينسرب أى يجرى كالماء و قيعه جمع قاع و هو الواسع من الأرض المنبسطة و فيه يكون السراب و لجه البحر معظمه الذى يتراكب أمواجه فلا يرى ساحله و التج البحر التجاجا.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه مثل الكفار فقال «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ» التى يعملونها و يعتقدون أنها طاعات «كَسَرَابٍ بِقِيَعِهِ» أى كشعاع بأرض مستويه «يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً» أى يظنه العطشان ماء «حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا» أى حتى إذا انتهى إليه رأى أرضا لا ماء فيها و هو قوله «لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا» أى شيئا مما حسب و قدر فكذلك الكافر يحسب ما قدم من عمله نافعا و أن له عليه ثوابا و ليس له ثواب «وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ» قيل معناه و وجد



الله عند عمله فجازاه على كفره وهذا في الظاهر خبر عن الظمان والمراد به الخبر عن الكفار ولكن لما ضرب الظمان مثلاً للكفار جعل الخبر عنه كالخبر عنهم والمعنى وجد أمر الله ووجد جزاء الله وقيل معناه وجد الله عنده بالمرصاد فآتم له جزاءه «وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على أفعالهم في حاله واحده و

سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) كيف يحاسبهم في حاله واحده فقال كما يرزقهم في حاله واحده

وقيل إن المراد به عتبه بن ربيعه كان يلتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام عن مقاتل ثم ذكر مثلاً آخر لأعمالهم فقال «أَوْ كَظُلُمَاتٍ» أى أو أفعالهم مثل ظلمات «فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ» أى عظيم اللجة لا يرى ساحله وقيل هو العميق الذى يبعد عمقه عن ابن عباس «يَعِشَاهُ مَوْجٌ» أى يعلو ذلك البحر اللجى موج «مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ» أى فوق ذلك الموج موج «مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ» أى من فوق الموج سحب «ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» يعنى ظلمه البحر و ظلمه الموج و ظلمه السحاب والمعنى أن الكافر يعمل في حيره و لا يهتدى لرشده فهو من جهله و حيرته كمن هو في هذه الظلمات لأنه من عمله و كلامه و اعتقاده متقلب في ظلمات و روى عن أبى أنه قال إن الكافر يتقلب في خمس ظلمات كلامه ظلمه و عمله ظلمه و مدخله ظلمه و مخرجه ظلمه و مصيره يوم القيامة إلى ظلمه و هى النار «إِذَا أُخْرِجَ يَدُهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا» اختلف في معناه فقيل لا يراها و لا يقارب رؤيتها فهو نفى للرؤية و عن مقاربه الرؤية لأن دون هذه الظلمه لا يرى فيها عن الحسن و أكثر المفسرين و يدل عليه قول ذى الرمه

إذا غير الناي المحيين لم يكد على كل حال حب ميه يبرح

و يروى

رسيس الهوى من حب ميه يبرح

و قال آخر

" ما كدت أعرف إلا بعد إنكارى "

و قال الفراء كاد صله و المعنى أنه لم يرها و قيل لا يراها إلا بعد جهد و مشقه رؤيه تخيل لصورتها لأن حكم كاد إذا لم يدخل عليها حرف نفى أن تكون نافية و إذا دخلها دلت على أن يكون الأمر وقع بعد بطاء عن المبرد «وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ» أى من يجعل الله له نجاه و فرجا فما له من نجاه و قيل و من لم يجعل الله له نورا فى القيامة فما له من نور.

ص: ٢٣١

## إشارة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صِيَغَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَاحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيَصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبَ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)

لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٦)

## القراءة

قرأ أبو جعفر يذهب بالأبصار بضم الياء و كسر الهاء و الباقون «يَذْهَبُ».

## الحجج

من قرأ يذهب فالباء زائده و تقديره يذهب الأبصار و مثله قوله وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ و قول الهذلي

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نثيج

أى شربن ماء البحر قال ابن جنى إنما يزداد

اللام لتوكيد معنى الإضافة فى قوله

" يا بوس للحرب ضرارا لأقوام "

و إن شئت حملته على المعنى فكأنه قال يكاد سنا برقه يلوى بالأبصار أى يستأثر بالأبصار وقد ذكرنا اختلافهم فى قوله «حَلَقَ كُلَّ دَائِيَّةٍ» و الوجه فى سورة إبراهيم.

## اللغة

الإزجاء و الترجيه الدفع و السوق و زجا الخراج يزجو زجاء إذا انساق إلى أهله و تيسر جبايته و الركام المتراكم بعضه على بعض و الركمة الطين المجموع و الودق المطر ودقت السماء تدق ودقا إذا أمطرت قال الشاعر

فلا مزنه ودقت ودقها و لا أرض أقبل أبقالها

و الخلال جمع الخلل و هو الفرجه بين الشئين و البرد أصله من البرد خلاف الحر و سحاب برد أتى بالبرد و يقال سمي البرد لأنه يبرد وجه الأرض أى يقشره من بردت الشىء بالمبرد و السنا مقصورا الضوء و هو بالمد الرفعه.

## الإعراب

«صَيَّافَاتٍ» حال من «الطَّيْرُ» و «يُنزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ» من لا ابتداء الغايه لأن السماء مبدأ لإنزال المطر «مِنْ جِبَالٍ» من للتبعيض لأن البرد بعض الجبال التى فى السماء «مِنْ بَرْدٍ» من لتبيين الجنس لأن جنس الجبال جنس أبرد عن على بن عيسى و التحقيق أن قوله «مِنْ جِبَالٍ» بدل من قوله «مِنْ السَّمَاءِ» و قوله «فِيهَا» فى يتعلق بمحذوف و تقديره من جبال كائنه فى السماء فالجار و المجرور فى موضع الصفه لجبال تقديره من جبال سماويه و قوله «مِنْ بَرْدٍ» يتعلق بمحذوف آخر فى محل جر لأنه صفه بعد صفه تقديره من جبال سماويه برديه و مفعول «يُنزَّلُ» محذوف أى ينزل من جبال فى السماء من برد بردا كما يقال أخذت من المال شيئا و قوله «عَلَى بَطْنِهِ» فى موضع نصب على الحال و كذلك قوله «عَلَى رِجْلَيْنِ» و «عَلَى أَرْبَعٍ» و من الأولى و الثالثه بمعنى ما.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه الآيات التى جعلها نورا للعقلاء العارفين بالله و صفاته فقال «أَلَمْ تَرَ» أى ألم تعلم يا محمد لأن ما ذكر فى الآيه لا يرى بالأبصار و إنما يعلم بالأدله و الخطاب للنبي ص و المراد به جميع المكلفين «أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و التسبيح التنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه و لا يليق به أى ينزهه أهل السماوات و أهل الأرض بألسنتهم و قيل عنى به العقلاء و غيرهم و كنى عن الجميع بلفظه من تغليبا للعقلاء على غيرهم «وَ الطَّيْرُ» أى و يسبح له الطير «صَافَّاتٍ» أى واقفات فى الجو

مصطفات الأجنحة في الهواء و تسيحها ما يرى عليها من آثار الحدوث «كَلَّ قَدْ عَلِمَ صِيَلَاتُهُ وَ تَسِيحُهُ» معناه أن جميع ذلك قد علم الله تعالى دعاءه إلى توحيدته و تسيحه و تنزيهه و قيل إن الصلاة للإنسان و التسيح لكل شىء عن مجاهد و جماعه و قيل معناه كل واحد منهم قد علم صلاته و تسيحه أى صلاه نفسه و تسيح نفسه فيؤديه فى وقته فيكون الضمير فى علم الكل و فى الأول يعود الضمير إلى اسم الله تعالى و هو أجود لأن الأشياء كلها لا يعلم كيفيه دلالتها على الله و إنما يعلم الله تعالى ذلك «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ» أى عالم بأفعالهم فيجازيهم بحسبها «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و الملك المقدر الواسع لمن يملك السياسه و التدبير فملك السماوات و الأرض لا يصح إلا لله وحده لأنه القادر على الأجسام لا يقدر على خلقها غيره فالملك التام لا يصح إلا له سبحانه «وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» أى المرجع يوم القيامة ثم قال «أَلَمْ تَرَ» أى ألم تعلم «أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا» أى يسوقه سوقاً رفيقاً إلى حيث يريد «ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ» أى يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقه منه قطعه واحده «ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا» أى متراكماً متراكباً بعضه فوق بعض «فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ» أى ترى المطر و القطر يخرج من خلال السحاب أى مخارج القطر منه «وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ» أى و ينزل من جبال فى السماء تلك الجبال من برد بردا و السماء السحاب لأن كل ما علا مطبقاً فهو سماء و يجوز أن يكون البرد يجتمع فى السحاب كالجبال ثم ينزل منها عن البلخي و غيره و قيل معناه و ينزل من السماء مقدار جبال من برد كما يقول عندى بيتان من تبن أى قدر بيتين عن الفراء و قيل أراد السماء المعروفه فيها جبال من برد مخلوقه عن الحسن و الجبائى «فَيَصِيبُ بِهِ» أى بالبرد أى بضرره «مَنْ يَشَاءُ» فيهلك زرعه و ماله «وَ يَصِيرُ لَهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ» أى و يصرف ضرره عن من يشاء فيكون أصابته نقمه و صرفه نعمه «يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ» أى يقرب ضوء برق السحاب من أن يذهب بالبصر و يخطفه لشده لمعانه كما قال يكادُ العَبْرُقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ «يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ» أى يصرفهما فى اختلافهما و تعاقبهما و إدخال أحدهما فى الآخر «إِنَّ فِي ذَلِكَ» التقليل «لَعِبْرَةً» أى دلاله «لِلأُولَى الْأَبْصَارِ» أى لذوى العقول و البصائر «وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ» أى كل حيوان يدب على وجه الأرض و لا يدخل فيه الجن و الملائكه «مِنْ مَاءٍ» أى من نطفه و قيل عنى به الماء لأن أصل الخلق من الماء لأن الله خلق الماء و جعل بعضه ناراً فخلق الجن منها و بعضه ريحاً فخلق منه الملائكه و بعضه طيناً فخلق منه آدم (عليه السلام) فأصل الحيوان كله الماء و يدل عليه قوله وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ «فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ» كالحيه و الحوت و الدود «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ» كالإنس و الطير «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي

عَلَى أَرْبَعٍ» كالأنعام و الوحوش و السباع و لم يذكر ما يمشى على أكثر من أربع لأنه كالذى يمشى على أربع فى رأى العين فترك ذكره لأن العبره تكفى بذكر الأربع قال البلخى إن الفلاسفه تقول كل ما له قوائم كثيره فإن اعتماده إذا سعى على أربعه قوائم فقط و

قال أبو جعفر (عليه السلام) و منهم من يمشى على أكثر من ذلك

«يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» أى يخترع ما يشاء و ينشئه من الحيوان و غيره و قال المبرد قوله «كُلُّ دَابَّةٍ» للناس و غيرهم و إذا اختلط النوعان حمل الكلام على الأغلب فلذلك قال من لغير ما يعقل «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» يخلق هذه الأشياء لقدرته عليها باختلاف هذه الحيوانات مع اتفاق أصلها يدل على أن لها قادرا خالقا عالما حكيما «لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ» أى دلالات واضحات بينات «وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى من جمله تلك الدواب و عنى به المكلفين دون من ليس بمكلف و الصراط المستقيم الإيمان لأنه يؤدى إلى الجنه و قيل إن المراد يهدى فى الآخره إلى طريق الجنه.

[سوره النور (٢٤): الآيات ٤٧ الى ٥٢]

اشاره

وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ مَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَئِلُ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)

وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشِ اللَّهَ وَ يَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)

ص: ٢٣٥

## القراءه

قرأ أبو جعفر و قالون عن نافع و يعقوب و يتقه بكسر القاف و الهاء مكسوره مختلسه غير مشبعه و قرأ أبو عمرو و حمزه فى روايه العجلى و خلاد و أبو بكر فى روايه حماد و يحيى و يتقه بكسر القاف و سكون الهاء و قرأ حفص «وَيَتَّقُهُ» بسكون القاف و كسر الهاء غير مشبعه و الباقر يتقه بكسر القاف و الهاء مشبعه و

روى عن على (عليه السلام) أنه قرأ قول المؤمنين بالرفع

و هو قراءه الحسن بخلاف ابن أبى إسحاق و هو مثل قراءه من قرأ فما كان جواب قومه بالرفع و قد ذكرنا الوجه فيه و قرأ أبو جعفر وحده ليحكم بينهم بضم الياء و فتح الكاف فى الموضوعين و فى البقره و آل عمران مثل ذلك و قد ذكرناه هناك.

## الحجه

قال أبو على الوجه و يتقه موصوله بياء لأن ما قبل الهاء متحرك و من قرأ و يتقه لا يبلغ بها الياء فالوجه فيه أن الحركه غير لازمه قبل الهاء ألا- ترى أن الفعل إذا رفع دخلته الياء و من قرأ و يتقه بسكون الهاء فلأن ما يتبع هذه الهاء من الياء و الواو زياده فرد إلى الأصل و حذف ما يلحقه من الزياده و يقوى ذلك ما حكى عن سيبويه أنه سمع من يقول هذه أمه الله فى الوصل و الوقف و زعم أبو الحسن أن قوله

له أرقان

و نحوه لغه يجرونها فى الموصل مجراها فى الوقف فيحذفون منها كما حذفوا فى الوقف و حملها سيبويه على الضروره و أما قراءه حفص «وَيَتَّقُهُ» فوجهه أن تقه من يتقه مثل كتف فكما يسكن نحو كتف كذلك تسكن القاف من تقه و على هذا قول الشاعر

عجبت لمولود و ليس له أب و ذى ولد لم يلد له أبوان

و مثله

" فبات منتصبا و ما تكردسا "

فلما أسكن ما قبل الهاء لهذا التشبيه حرك الهاء بالكسر كما حرك الدال بالفتح فى لم يلد.

## اللغه

قال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعه يقال أذعن لى بحقى أى طاوعنى لما كنت ألتمسه منه و صار يسرع إليه و ناقه مدعان منقاد و الحيف الجور ينقص الحق و الفوز أخذ



قيل نزلت الآيات في رجل من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود حكومه فدعاه اليهودى إلى رسول الله ص و دعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف و

حكى البلخى أنه كانت بين على و عثمان منازعه في أرض اشتراها من على (عليه السلام) فخرجت فيها أحجار و أراد ردها بالعيب فلم يأخذها فقال بينى و بينك رسول الله ص فقال الحكم بن أبى العاص إن حاكمته إلى ابن عمه يحكم له فلا تحاكمه إليه فنزلت الآيات و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) أو قريب منه.

### المعنى

«وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ» أى صدقنا بتوحيد الله «وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا» هما فيما حكما «ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ» أى يعرض عن طاعتها طائفه منهم «مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ» أى من بعد قولهم آمنا «وَمَا أَوْلَيْكَ» الذين يدعون الإيمان ثم يعرضون عن حكم الله و رسوله «بِالْمُؤْمِنِينَ» و فى هذه الآيه دلالة على أن القول المجرد لا يكون إيمانا إذ لو كان ذلك كذلك لما صح النفى بعد الإثبات «وإذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ» أى إلى كتاب الله و حكمه و شريعته «وَرَسُولِهِ» أى و إلى حكم رسوله «لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ» الرسول و إنما أفرد بعد قوله «إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» لأن حكم الرسول يكون بأمر الله تعالى فحكم الله و رسوله واحد «إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ» عما يدعون إليه «وَأِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ» أى و إن علموا أن الحق يقع لهم «يَأْتُوا إِلَيْهِ» أى إلى النبى ص «مُتَدَعِنِينَ» مسرعين طائعين منقادين ثم قال سبحانه منكرًا عليهم «أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك في نبوتك و نفاق و هو استفهام يراد به التقرير لأنه أشد في الذم و التوبيخ أى هذا أمر قد ظهر حتى لا يحتاج فيه إلى البينه كما جاء فى نقيضه من المدح على طريق الاستفهام نحو قول جرير:

أ لستم خير من ركب المطايا و أندى العالمين بطون راح

«أَمْ أَزْتَابُوا» فى عدلك أى رأوا منك ما رابهم لأجله أمرك «أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أى يجور الله عليهم «وَرَسُولُهُ» أى و يميل رسوله فى الحكم و يظلمهم لأنه لا وجه فى الامتناع عن المجىء إلا أحد هذه الأوجه الثلاثة ثم أخبر سبحانه أنه ليس شىء من ذلك فقال «يَبْلُ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» نفوسهم و غيرهم و فى هذه الآيه دلالة على أن خوف الحيف من الله تعالى خلاف الدين و إذا كان كذلك فالقطع عليه أولى أن يكون خلافا للدين ثم

وصف سبحانه الصادقين في إيمانهم فقال «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» أى سمعنا قول النبي ص و أطعنا أمره و إن كان ذلك فيما يكرهونه و يضرهم عن ابن عباس و مقاتل و قيل معناه قبلنا هذا القول و أنفذنا له و أجبنا إلى حكم الله و رسوله «وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى الفائزون بالثواب الظافرون بالمراد و

روى عن أبي جعفر (عليه السلام) أن المعنى بالآيه أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوات

«وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» فيما أمره و نهاها عنه «وَ يَخْشَ اللَّهَ» أى و يخش عقاب الله فى ترك أوامره و ارتكاب نواهيه «وَ يَتَّقِهِ» أى و يتق عقابه بامثال أوامره و اجتناب نواهيه «فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» و قيل معناه و يخش الله فى ذنوبه التى عملها و يتقه فيما بعد.

النظم

قيل اتصلت الآيه الأولى بقوله وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ و يعود الضمير فى قوله وَ يَقُولُونَ إِلَيْهِمْ و إن كان يقع على بعضهم فكأنه قال و يقول جماعه من هؤلاء الناس آمننا عن أبى مسلم و قيل إنه لما تقدم ذكر المؤمن و الكافر عقبه سبحانه بذكر المنافق.

[سوره النور (٢٤): الآيات ٥٣ الى ٥٥]

اشاره

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَهُ مَعْرُوفَهُ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَ إِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤) وَ عَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)

ص: ٢٣٨

قرأ أبو بكر كما استخلف بضم التاء و الباقون بفتح التاء و قرأ ابن كثير و أبو بكر و يعقوب و سهل و لبيد منهم من الإبدال و الباقون بالتشديد من التبديل.

## الحجه

قال أبو علي الوجه في «كَمَا اسِيَ تَخْلَفَ» بفتح التاء و اللام لأن اسم الله قد تقدم ذكره و الضمير في «لَيْسَ تَخْلِفَنَّهُمْ» يعود إليه فكذلك في قوله «كَمَا اسِيَ تَخْلَفَ» و الوجه في استخلف أنه يراد به ما يراد باستخلف و التبديل و الإبدال بمعنى و قيل إن التبديل تغيير حال إلى حال أخرى يقال بدل صورته و الإبدال رفع الشئ ء بأن يجعل غيره مكانه قال

" عزل الأمير بالأمير المبدل "

. الإعراب

«وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» أصله و أقسموا بالله يجهدون الأيمان جهدا فحذف الفعل و أقيم مصدره مضافا إلى المفعول مقامه كقوله فَضَرَبَ الرَّقَابِ و حكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم طاعه مبتدأ و خبره محذوف و تقديره طاعه معروفه أولى بكم و أفضل لكم «لَيْسَ تَخْلِفَنَّهُمْ» جواب قسم يدل عليه قوله «وَعَدَ اللَّهُ» لأن وعده سبحانه كالقسم «يَعْبُدُونَنِي» يجوز أن يكون جملة مستأنفه على طريق الثناء عليهم و يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال.

## المعنى

و لما بين الله سبحانه كراهتهم لحكمه قالوا للنبي ص و الله لو أمرتنا بالخروج من ديارنا و أموالنا لفعلنا فقال الله سبحانه «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ» أى حلفوا بالله أغلظ أيمانهم و قدر طاقتهم أنك إن أمرتنا بالخروج فى غزواتك لخرجنا «قُلْ» لهم يا محمد «لَا تُقْسِمُوا» أى لا تحلفوا و تم الكلام «طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ» أى طاعه حسنه للنبي ص خالصه صادقاه أفضل و أحسن من قسمكم بما لا- تصدقون فحذف خبر المبتدأ للعلم به و قيل معناه ليكن منكم طاعه و القول المعروف هو المعروف صحته «إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى من طاعتكم بالقول و مخالفتكم بالفعل ثم أمرهم سبحانه بالطاعه فقال «قُلْ» لهم «أَطِيعُوا اللَّهَ» فيما أمركم به «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» فيما أتاكم به و احذروا المخالفه «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أى فإن تعرضوا عن طاعه الله و طاعه رسوله و الأصل تتولوا فحذف أحد التاءين «فَإِنَّمَا عَلَيْهِ» أى على الرسول «مَا حُمِّلَ» أى كلف و أمر من التبليغ و أداء الرساله «وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ» أى كلفتم من الطاعه و المتابعه «وَأِنْ تَطِيعُوا» أى و إن تطيعوا الرسول «تَهْتَدُوا» إلى الرشده و الصلاح و إلى طريق الجنه «وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» أى ليس عليه إلا أداء الرساله بيان الشريعة و ليس عليه الاهتداء و إنما ذلك عليكم و نفعه عائد إليكم و المبين البين الواضح «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» أى صدقوا بالله

و برسوله و بجميع ما يجب التصديق به «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى الطاعات الخالصة لله «لَيَسِّرَ تَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» أى ليجعلهم يخلفون من قبلهم و المعنى ليورثتهم أرض الكافر من العرب و العجم فيجعلهم سكانها و ملوكها «كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» قال مقاتل يعنى بنى إسرائيل إذ أهلك الله الجباريه بمصر و أورثهم أرضهم و ديارهم و أموالهم و عن أبى بن كعب قال لما قدم رسول الله ص و أصحابه المدينة و آوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحده و كانوا لا يبيتون إلا مع السلاح و لا يصبحون إلا فيه فقالوا ترون أنا نعيش حتى نبني آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت هذه الآيه و

عن المقداد بن الأسود عن رسول الله ص أنه قال لا يبقى على الأرض بيت مدر و لا وبر إلا أدخله الله تعالى كلمه الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل إما أن يعزهم الله فيجعلهم من أهلها و إما أن يذلهم فيدينون لها

و قيل إنه أراد بالأرض أرض مكه لأن المهاجرين كانوا يسألون ذلك «وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ» يعنى دين الإسلام الذى أمرهم أن يدينوا به و تمكينه أن يظهره على الدين كله كما

قال زويت لى الأرض فأريت مشارقها و مغاربها و سيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها

و قيل تمكينه بإعزاز أهله و إذلال أهل الشرك و تمكين أهله من إظهاره بعد أن كانوا يخفونه «وَلَيَسِّرَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ» أى و ليصيرنهم بعد أن كانوا خائفين بمكه آمنين بقوه الإسلام و انبساطه قال مقاتل و قد فعل الله ذلك بهم و بمن كان بعدهم من هذه الأمم مكن لهم فى الأرض و أبدلهم أمنا من بعد خوف و بسط لهم فى الأرض فقد أنجز وعده لهم و قيل معناه و ليبدلنهم من بعد خوفهم فى الدنيا أمنا فى الآخرة و يعضده ما

روى عن النبى ص أنه قال حاكيا عن الله سبحانه إنى لا أجمع على عبد واحد بين خوفين و لا بين آمنين إن خافى فى الدنيا آمنته فى الآخرة و إن أمننى فى الدنيا خوفته فى الآخرة

«يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» هذا استئناف كلام فى الثناء عليهم و معناه لا يخافون غيرى عن ابن عباس و قيل معناه لا يراءون بعبادتى أحدا و فى الآيه دلالة على صحه نبوه نبينا ص من جهة الإخبار عن غيب لا يعلم إلا بوحي من الله عز و جل «وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ» أى بعد هذه النعم «فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» ذكر الفسق بعد الكفر مع أن الكفر أعظم من الفسق لأن الفسق فى كل شىء هو الخروج إلى أكثره فالمعنى أولئك هم الخارجون إلى أقبح وجوه الكفر و أفحشه و قيل معناه من جحد تلك النعمة بعد إنعام الله تعالى بها فأولئك هم العصاة لله عن ابن عباس و اختلف فى الآيه فقول إنها وارده فى أصحاب النبى ص و قيل هى عامه فى أمه محمد ص عن ابن عباس و مجاهد و

المروى عن أهل البيت (عليه السلام) أنها فى المهدي من آل محمد ص

و

روى العياشى بإسناده عن على بن الحسين (عليه السلام) أنه قرأ الآيه و قال هم و الله شيعتنا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على

يدى



رجل منا و هو مهدي هذه الأمه و هو الذي قال رسول الله ص لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا و روى مثل ذلك عن أبي جعفر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام)

فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا و عملوا الصالحات النبي و أهل بيته صلوات الرحمن عليهم و تضمنت الآيه البشاره لهم بالاستخلاف و التمكين فى البلاد و ارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي (عليه السلام) منهم و يكون المراد بقوله «كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» هو أن جعل الصالح للخلاف خليفه مثل آدم و داود و سليمان (عليه السلام) و يدل على ذلك قوله «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ وَ قَوْلَهُ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا وَ عَلَى هَذَا إِجْمَاعُ الْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ وَ إِجْمَاعُهُمْ حِجْجَهُ

لقول النبي ص إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض و أيضا فإن التمكين فى الأرض على الإطلاق لم يتفق فيما مضى فهو منتظر لأن الله عز اسمه لا يخلف وعده.

## [سوره النور (٢٤): الآيات ٥٦ الى ٥٧]

### إشارة

وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا لَهُمُ النَّارُ وَ لَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)

### القراءة

قرأ ابن عامر و حمزه لا يحسبن بالياء و الباقون بالتاء.

### الحج

قال أبو على من قرأ بالياء جاز أن يكون فاعله أحد شيئين إما أن يكون تضمن ضميرا للنبي ص أى لا يحسبن النبي الذين كفروا معجزين فالذين فى موضع نصب بأنه المفعول الأول و معجزين المفعول الثانى و يجوز أن يكون فاعل الحسبان الذين كفروا و يكون المفعول الثانى محذوفا و تقديره لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين و من قرأ بالتاء ففاعل تحسبن المخاطب.

### المعنى

ثم أمر سبحانه بإقامه أمور الدين فقال «وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى قوموا بأدائها و إتمامها فى أوقاتها «وَ آتُوا الزَّكَاةَ» المفروضه «وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أى لترحموا جزاء على ذلك و تثابوا بالنعمة الجزيله ثم قال «لَا تَحْسَبَنَّ» يا محمد أو أيها السامع «الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ» أى سابقين فائتين فى الأرض يقال طلبته فأعجزنى أى فاتنى



و سبقنى أى لا يفوتوننى و من قرأ بالياء فمعناه لا يظن الكافرون أنهم يفوتوننى «وَأَوَاهُمْ النَّارُ» أى مستقرهم و مصيرهم النار «و لَبِئْسَ الْمَصِيرُ» أى بس المستقر و المأوى و إنما وصفها بذلك و إن كانت حكمه و صوابا من فعل الله تعالى لما ينال الصائر إليها من الشدائد و الآلام.

## [سوره النور (٢٤): الآيات ٥٨ الى ٦٠]

### إشاره

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ ظَوَائِفُكُمْ وَعَلَيْكُمْ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسِّرُوا تَأْذِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠)

### القراءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص ثلاث عورات بالنصب و الباقون بالرفع و فى الشواذ عن الأعمش عورات بفتح الواو و قرأ أبو جعفر و أبو عبد الله (عليه السلام) يضعن من ثيابهن و روى ذلك عن ابن عباس و سعيد بن جبیر.

### الحجه

قال أبو على من رفع كان خير المبتدأ محذوفا كأنه قال هذا ثلاث عورات فاجعل بعد التفصيل و من نصب جعله بدلا من قوله «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» فإن قلت فإن قوله «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»



زمان بدلاله أنه فسر بزمان و هو قوله «مَنْ قَبْلَ صِيْلَاهِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صِيْلَاهِ الْعِشَاءِ» و ليس العورات بزمان فكيف يصح و ليس هي هو قيل يكون ذلك على أن تضم الأوقات كأنه قال أوقات ثلاث عورات فلما حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعراب المضاف و العورات جمع عوره و حكم ما كان على فعله من الأسماء تحريك العين فى الجمع نحو جفنه و جفنت إلا أن عامه العرب كرهوا تحريك العين فيما كان عينه واوا أو ياء لما كان يلزم من الانقلاب إلى الألف فأسكنوا و قالوا عورات و بيضات إلا أن هذيانا حرخوا العين منها فقالوا عورات و لوزات و أنشد بعضهم:

أخو بيضات رائح متأوب رفيق بمسح المنكين سبوح

فحرك الياء من بيضات و الجيد عند النحويين الأول و من قرأ من ثيابهن فلأنه لا يوضع كل الثياب و إنما يوضع بعضها و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال هو الجلباب إلا أن تكون أمه فليس عليها جناح أن تضع خمارها.

## اللغة

التبرج إظهار المرأة عن محاسنها ما يجب عليها ستره و أصله الظهور و منه البرج البناء العالى لظهوره.

## المعنى

لما تقدم أحكام النساء و الرجال و من أبيع له الدخول على النساء استثنى سبحانه هاهنا أوقاتا من ذلك فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ بِتَأْذِنِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» معناه مروا عبيدكم و إماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا أرادوا الدخول إلى مواضع خلواتكم عن ابن عباس و قيل

أراد العبید خاصة عن ابن عمر و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ» من أحراركم و أراد به الصبى الذى يميز بين العوره و غيرها و قال الجبائى الاستئذان واجب على كل بالغ فى كل حال و على الأطفال فى هذه الأوقات الثلاثة بظاهر الآية ثلاث مرات أى فى ثلاث أوقات من ساعات الليل و النهار ثم فسرها فقال «مَنْ قَبْلَ صِيْلَاهِ الْفَجْرِ» و ذلك أن الإنسان ربما يبيت عريانا أو على حال لا يحب أن يراه غيره فى تلك الحال «وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ» يريد عند القائلة «وَ مِنْ بَعْدِ صِيْلَاهِ الْعِشَاءِ» الآخرة حين يأوى الرجل إلى امرأته و يخلو بها أمر الله بالاستئذان فى هذه الأوقات التى يتخلى الناس فيها و ينكشفون و فصلها ثم أجملها بعد التفصيل فقال

«ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ» أى هذه الأوقات ثلاث عورات لكم سمي سبحانه هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته قال السدي كان أناس من الصحابه يعجبهم أن يواقعوا نساءهم فى هذه الأوقات الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاه فأمرهم الله سبحانه أن يأمروا الغلمان والمملوكين أن يستأذنوا فى هذه الساعات الثلاث «لَيْسَ عَلَيْكُمْ» يعنى المؤمنين الأحرار «وَ لَا عَلَيْهِمْ» يعنى الخدم والغلمان «جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ» أى حرج فى أن لا يستأذنوا فى غير هذه الأوقات الثلاثه ثم بين المعنى فقال «طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ» أى هم خدمكم فلا يجدون بدا من دخولهم عليكم فى غير هذه الأوقات و يتعذر عليهم الاستئذان فى كل وقت كما قال سبحانه يُطَوِّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ أى يخدمهم و

قال النبى ص إنها من الطوافين عليكم و الطوافات جعل الحره بمنزله العبيد و الإماء

و قال مقاتل ينقلبون فيكم ليلا و نهارا «بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ» أى يطوف بعضهم و هم المماليك على بعض و هم الموالى «كَذَلِكَ» أى كما بين لكم ما تعبدكم به فى هذه الآيه «يُيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ» أى الدلالات على الأحكام «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» بما يصلحكم «حَكِيمٌ» فيما يفعله «وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ» يعنى من الأحرار «فَلْيَسْتَأْذِنُوا» أى فى جميع الأوقات «كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الأحرار الكبار الذين أمروا بالاستئذان على كل حال فى الدخول عليكم فالبالغ يستأذن فى كل الأوقات و الطفل و العبد يستأذن فى العورات الثلاث «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» مر معناه قال سعيد بن المسيب ليستأذن الرجل على أمه فإنما نزلت هذه الآيه فى ذلك «وَ الْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا» و هن المسنات من النساء اللاتى قعدن عن التزويج لأن لا يرغب فى تزويجهن و قيل هن اللاتى ارتفع حيضهن و قعدن عن ذلك اللاتى لا يطمعن فى النكاح أى لا يطمع فى جماعهن لكبرهن «فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ» يعنى الجلباب فوق الخمار عن ابن مسعود و سعيد بن جبير و قيل يعنى الخمار و الرداء عن جابر بن زيد و قيل ما فوق الخمار من المقانع و غيرها أبيض لهن القعود بين يدي الأجنب فى ثياب أبدانهن مكشوفه الوجه و اليد فالمراد بالثياب ما ذكرناه لا كل الثياب «غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ» أى غير قاصدات بوضع ثيابهن إظهار زينتهن بل يقصدن به التخفيف عن أنفسهن فإظهار الزينه فى القواعد و غيرهن محظور و أما الشابات فإنهن يمنعن من وضع الجلباب أو الخمار و يؤمرن بلبس أكثف الجلابيب لثلاث تصفهن ثيابهن و قد

روى عن النبى ص أنه قال للزوج ما تحت الدرع و للابن و الأخت ما فوق الدرع و لغير ذى محرم أربعه أثواب درع و خمار و جلباب و إزار

«وَ أَنْ يَشْتَعِفْنَ» أى و استعفاف القواعد و هو أن يظلمن العفه بلبس الجلابيب «حَيْرٌ لَهُنَّ» من وضعها و إن سقط الحرج عنهن فيه «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ»

لأقوالكم «عَلَيْمٌ» بما فى قلوبكم.

[سوره النور (٢٤): آيه ٦١]

اشاره

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ  
أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ  
خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ  
تَحِيَّهً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)

اللغه

الخرج الضيق من الحرجه و هى الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه و جمعها حرجات و حراج قال.

أيا حرجات الحى حين تحملوا بذى سلم لا جادكن ربيع

و حرج فلان إذا أثم و تخرج من كذا إذا تأثم من فعله و الأشتات المتفرقون و هو جمع شت.

الإعراب

«جَمِيعاً» نصب على الحال و كذلك «أَشْتَاتاً» و «تَحِيَّهً» منصوب لأنها مصدر سلموا لأن التحية بمعنى التسليم من عند الله صفه  
تحية.

المعنى

لما تقدم ذكر الاستيدان عقبه سبحانه بذكر رفع الحرج عن المؤمنين فى

ص: ٢٤٥

الانبساط بالأكل و الشرب فقال «لَيْسَ عَلَيَّ الْأَعْمَى حَرْجٌ» الذي كف بصره «وَلَا عَلَيَّ الْأَعْرَجُ» الذي يعرج من رجله أو أحدهما «حَرْجٌ وَلَا- عَلَيَّ الْمَرِيضُ» العليل «حَرْجٌ» أى إثم و اختلف فى تأويله على وجوه (أحدها) أن المعنى ليس عليكم فى مؤاكلتهم حرج لأنهم كانوا يتخرجون من ذلك و يقولون إن الأعمى لا يبصر فأكل جيد الطعام دونه و الأعرج لا يتمكن من الجلوس و المريض يضعف عن الأكل عن ابن عباس و الفراء و (ثانيها) أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم و كانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم و يقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا فكان أولئك يتخرجون من ذلك و يقولون لا ندخلها و هم غيب فنفى الله سبحانه الحرج عن الزمنى فى أكلهم من بيت أقاربهم أو من بيت من يدفع إليهم المفتاح إذا أخرج للغزو عن سعيد بن المسيب و الزهرى و (ثالثها) أن المعنى ليس على الأعمى و الأعرج و المريض ضيق و لا إثم فى ترك الجهاد و التخلف عنه و يكون قوله «وَلَا- عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ» كلاما مستأنفا فأول الكلام فى الجهاد و آخره فى الأكل عن ابن زيد و الحسن و الجبائى و (رابعها) أن العمى و العرج و المرضى كانوا يتزهون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس كانوا يتقذرون منهم و يكرهون مؤاكلتهم و كان أهل المدينة لا يخالطهم فى طعام أعمى و لا أعرج و لا مريض عن سعيد بن جبير و الضحاك و (خامسها) أن الزمنى و المرضى رخص الله سبحانه لهم فى الأكل من بيوت من سماهم فى الآية و ذلك أن قوما من أصحاب رسول الله ص كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم و أمهاتهم و قراباتهم فكان أهل الزمانه يتخرجون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه يطعمهم غير مالكيه عن مجاهد «وَلَا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ» أى و ليس عليكم حرج فى أنفسكم «أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ» أى بيوت عيالكم و أزواجكم و بيت المرأة كبيت الزوج و قيل معناه من بيوت أولادكم فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء لأن الأولاد كسبهم و أموالهم كأموالهم و يدل عليه

قوله ص أنت و مالك لأبيك

و

قوله ص إن أطيب ما يأكل المؤمن كسبه و إن ولده من كسبه

و لذلك لم يذكر الله بيوت الأبناء حين ذكر بيوت الآباء و الأقارب اكتفاء بهذا الذكر ثم ذكر بيوت الأقارب بعد الأولاد فقال «أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ» إلى قوله «أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ» و هذه الرخصة فى أكل مال القرابات و هم لا- يعلمون ذلك كالرخصة لمن دخل حائطا و هو جائع أن يصيب من ثمره أو مر فى سفره بغنم و هو عطشان أن يشرب من رسله توسعه منه على عباده و لطفاً لهم و رغبه بهم عن دناءه الأخلاق و ضيق العطن و قال الجبائى إن الآية منسوخه بقوله لا تَدْخُلُوا

ص: ٢٤٦

بَيُوتِ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَ

بقول النبي ص لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبه نفس منه

و

المروى عن أمه الهدى صلوات الله عليهم أنهم قالوا لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكر الله تعالى بغير إذنه قدر حاجتهم من غير إسراف

وقوله «أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ» معناه أو بيوت عبيدكم و ممالئكم و ذلك أن السيد يملك منزل عبده و المفاتيح هنا الخزائن لقوله وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ وَقِيلَ هِيَ الَّتِي يَفْتَحُ الْغَيْبَ بِهَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ عَنِي بِذَلِكَ وَ كِيلَ الرَّجُلِ وَ قِيمَهُ فِي ضِيعَتِهِ وَ مَاشِيَتِهِ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ حَائِطِهِ وَ يَشْرَبَ مِنْ لَبَنِ مَاشِيَتِهِ وَ قِيلَ إِذَا مَلَكَ الرَّجُلُ الْمِفْتَاحَ فَهُوَ خَازِنٌ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَطْعَمَ الشَّيْءَ الَّتِي يَسِيرُ عَنْ عِكْرَمَةَ وَ قِيلَ هُوَ الرَّجُلُ يُولِي طَعَامَ غَيْرِهِ يَقُومُ عَلَيْهِ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ عَنِ السَّدِيِّ «أَوْ صَدِيقِكُمْ» رَفَعَ الْحَرَجَ عَنِ الْأَكْلِ مِنْ بَيْتِ صَدِيقِهِ بَغَيْرِ إِذْنٍ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِأَنَّهُ تَطْيِبَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ وَ الصَّدِيقُ هُوَ الَّذِي صَدَقَكَ عَنْ مَوَدَّتِهِ وَ قِيلَ هُوَ الَّذِي يُوَافِقُ بَاطِنَهُ بِطَانِكَ كَمَا وَافَقَ ظَاهِرَهُ ظَاهِرَكَ وَ لَفْظُ الصَّدِيقِ يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَ عَلَى الْجَمْعِ قَالَ جَرِيرٌ:

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء و هن صديق

و قال الحسن و قتاده يجوز دخول الرجل بيت صديقه و التحرم بطعامه من غير استئذان في الأكل و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) لهو و الله الرجل يأتي بيت صديقه فيأكل طعامه بغير إذنه

و روى أن صديقا للربيع بن خثيم دخل منزله و أكل من طعامه فلما عاد الربيع إلى المنزل أخبرته جاريته بذلك فقال إن كنت صادقه فأنت حره «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا» أى مجتمعين أو متفرقين و ذكر فى تأويله وجوه (أحدها) أن حيا من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده وإنما لم يجد من يؤاكلة لم يأكل شيئا و ربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فأعلم الله سبحانه أن الرجل منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه عن قتاده و الضحاك و ابن جريج و (ثانيها) أن معناه لا بأس بأن يأكل الغنى مع الفقير فى بيته فإن الغنى كان يدخل على الفقير من ذوى قرابته أو صداقته فيدعوه إلى طعامه فيتخرج عن ابن عباس و (ثالثها) أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف تخرجوا أن يأكلوا إلا معه فأباح الله سبحانه الأكل على الانفراد و على الاجتماع عن أبي صالح و الأقوال متقاربه و الأولى الحمل على العموم «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» أى ليسلم بعضكم على بعض عن الحسن فيكون كقوله أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ وَقِيلَ مَعْنَاهُ فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِكُمْ وَ عِيَالِكُمْ عَنْ جَابِرٍ وَ قَتَادَةَ وَ الزَّهْرِيِّ وَ الضَّحَّاكِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا يَعْنِي الْمَسَاجِدَ فَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ فِيهَا

عن ابن عباس و الأولى حملة على العموم و قال إبراهيم إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا و على عباد الله الصالحين و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثم يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم

«تَحِيَّهٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» أى هذه تحية حاكم الله بها عن ابن عباس و قيل معناه علمها الله و شرعها لكم فإنهم كانوا يقولون عم صباحا ثم وصف التحية فقال «مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ» أى إذا ألزمتوها كثر خيركم و طاب أجركم و قيل مؤبده حسنه جميله عن ابن عباس و قيل إنما قال مباركه لأن معنى السلام عليكم حفظكم الله و سلمكم الله من الآفات فهو دعاء بالسلامه من آفات الدنيا و الآخرة و قال طيبه لما فيها من طيب العيش بالتواصل و قيل لما فيها من الأجر الجزيل و الثواب العظيم «كَذَلِكَ» أى كما بين لكم هذه الأحكام و الآداب «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ» أى الأدله على جميع ما يتعبدكم به «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أى لتعقلوا معالم دينكم.

[سوره النور (٢٤): الآيات ٦٢ الى ٦٤]

اشاره

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٢) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)

اللغه

التسلل الخروج فى خفيه يقال تسلل فلان من بين أصحابه إذا خرج من

ص: ٢٤٨

جملتهم و السله السرقة فى الخفيه و كذلك الإسلال و منه

الحديث لا أغلال و لا إسلال

و اللواذ أن يستتر بشىء مخافه من يراه و قيل اللواذ الاعتصام بالشىء بأن يدور معه حيث دار من قولهم لاذ به و قال الزجاج الملاوذه المخالفه هاهنا بدلاله قوله «فَلْيُحَذِّرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» و يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه و منه قوله وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ وَ خالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه.

## الإعراب

«لِتَوَازَّأ» مصدر وضع موضع الحال و التقدير يتسللون منكم ملاوذين «يُخَالِفُونَ عَنِ أَمْرِهِ» أى يخالفون الله عن أمره بمعنى يجاوزون أمره. و «يَوْمٌ يُزْجَعُونَ» يوم منصوب بالعطف على محذوف و هو ظرف زمان و التقدير ما أنتم تثبتون عليه الآن «وَ يَوْمٌ يُزْجَعُونَ إِلَيْهِ» خرج من الخطاب إلى الغيبه.

## المعنى

لما تقدم ذكر المعاشره مع الأقرباء و المسلمين بين سبحانه فى هذه الآيه كيفيه المعاشره مع النبى ص فقال «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى ليس المؤمنون على الحقيقه إلا الذين صدقوا بتوحيد الله و عدله و أقرؤا بصدق رسوله «وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ» أى مع رسوله «عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ» و هو الذى يقتضى الإجماع عليه و التعاون فيه من حضور حرب أو مشوره فى أمر أو صلاه جمعه أو ما أشبه ذلك «لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا» أى لم ينصرفوا عن الرسول أو عن ذلك الأمر إلا- بعد أن يطلبوا الأذن منه فى الانصراف «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ» يا محمد «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى فهم الذين يصدقون بالله و رسوله على الحقيقه دون الذين ينصرفون بلا استئذان «فَإِذَا سَأَلْتَهُمْ لَبِغْضٍ شَأْنِهِمْ» أى متى ما استأذنتك هؤلاء المؤمنون أن يذهبوا لبعض مهماتهم و حاجاتهم «فَأَذْنُ لِمَنْ شِئْتُمِنْهُمْ» خير سبحانه نبيه ص بين أن يأذن و أن لا- يأذن و هكذا حكم من قام مقامه من الأئمه «وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ» أى و اطلب المغفره لهم من الله بخروجهم من جمله من معك و استغفار النبى ص لهم هو دعاؤه لهم باللطف الذى تقع معه المغفره «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» للمؤمنين أى سائر لذنوبهم «رَحِيمٌ» بهم أى منعم عليهم ثم أمر سبحانه جميع المكلفين فقال «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» اختلف فى تأويله على وجوه (أحدها) أنه سبحانه علمهم تفخيم النبى ص فى مخاطبه و أعلمهم فضله فيه على سائر البريه و المعنى لا تقولوا له عند دعائه يا محمد أو يا ابن عبد الله و لكن قولوا يا رسول الله يا نبى الله فى لين و تواضع و خفض صوت عن ابن عباس و مجاهد و قتاده (و ثانيها) أنه نهى عن التعرض لدعاء رسوله عليهم فالمعنى احذروا دعاءه عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب مجاب بغير شك

و ليس كدعاء غيره عن ابن عباس فى روايه اخرى (و ثالثها) أن المعنى ليس الذى يأمركم به الرسول و يدعوكم إليه كما يدعو بعضكم بعضا لأن فى القعود عن أمره قعودا عن أمر الله تعالى عن أبى مسلم «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا» قال ابن عباس هو أن يلوذ بغيره فيهرب و ذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم خطبه النبى ص يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار من غير استئذان و فيه معنى التهديد بالمجازاه و قال مجاهد كانوا يتسللون فى الجهاد رجوعا عنه و قيل معناه يستترون و يستخفون تقيه و التجاء «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» حذرهم سبحانه عن مخالفه نبيه ص أى فليحذر الذين يعرضون عن أمر الله تعالى و إنما دخلت عن لهذا المعنى و قيل عن أمر النبى ص «أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ» أى بليه تظهر ما فى قلوبهم من النفاق و قيل عقوبه فى الدنيا «أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فى الآخرة و فى هذا دلالة على أن أوامر النبى ص على الإيجاب لأنها لو لم تكن كذلك لما حذر سبحانه عن مخالفته ثم عظم سبحانه نفسه بأن قال «أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى له التصرف فى جميع ذلك و لا يجوز لأحد الاعتراض عليه و لا مخالفه أمره فليس للعبد أن يخالف أمر ماله «قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» من الخيرات و المعاصى و من الإيمان و النفاق لا يخفى عليه شىء من أحوالكم «و يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ» يعنى يوم البعث يعلمه الله سبحانه متى هو «فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» من الخير و الشر و الطاعات و المعاصى «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمٌ» من أعمالهم و غيرها «عَلِيمٌ» معناه يردون إليه للجزاء فيجازى كلا على قدر عمله من الثواب و العقاب.



## (٢٥) سورة الفرقان مكيه و آياتها سبع و سبعون (٧٧)

### اشاره

### [توضيح]

مكيه كلها عن مجاهد و قتاده و قال ابن عباس إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينه من قوله «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» إلى قوله «عَفُورًا رَحِيمًا».

### عدد آياتها

و هي سبع و سبعون آيه بلا خلاف.

### فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة و هو يؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور و دخل الجنة بغير حساب

و

روى إسحاق بن عمار عن أبى الحسن الرضا (عليه السلام) قال يا بن عمار لا تدع قراءة تبارك الذى نزل الفرقان على عبده فإن من قرأها فى كل ليله لم يعذبه الله أبدا و لم يحاسبه و كان منزلته فى الفردوس الأعلى.

### تفسيرها

اتصلت هذه السوره بسوره النور اتصال النظير بالنظير فإن مختتم تلك السوره تضمن «إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و إنه بكل شىء عليم و مفتتح هذه السوره أن «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» سبحانه من قدير حكيم.

ص: ٢٥١

## إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤)

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦) وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْ لَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩)

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا (١٠)

## القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم نأكل منها بالنون و الباقون بالياء وقرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو بكر و يجعل لك بالرفع و الباقون بالجزم.

## الحج

من قرأ «يَأْكُلُ مِنْهَا» بالياء فإنه يعنى به النبي ص و من قرأ نأكل منها فكأنه أراد أنه تكون له المزية علينا فى الفضل بأكلنا من جنته و من قرأ «وَيَجْعَلُ لَكَ» بالجزم عطف على موضع جعل لأنه جزء الشرط قال الشاعر:

إني سلكت فإننى لك كاشح و على انتقاصك فى الحياه و أزدد

و من رفع قطعه مما قبله و استأنف.

## الإعراب

قال الزجاج التقدير جاءوا بظلم و زور فلما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب الفعل و أقول إنه يجوز جاءوا ظلما بمعنى أتوا ظلما قال طرفه:

على غير ذنب جئته غير أنني نشدت فلم أغفل حموله معبد

فمعنى جئته فعلته. «اكتبها» جملة فى موضع نصب على الحال من «أساطير الأولين» و قد مضمره و «أساطير» خبر مبتدأ محذوف و «يأكل الطعام» حال و العامل فيه ما تعلق به اللام فى قوله «ما لهذا الرسول» فىكون منصوبا بإضمار أن. «كيف ضربوا» كيف فى محل نصب على المصدر و التقدير ضرب أى ضربوا لك الأمثال و يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال من الواو فى ضربوا التقدير أنظر أ منكرين ضربوا لك الأمثال أم لا. «إن شاء جعل لك خيراً من ذلك» الشرط و الجزاء صلة الذى و «جئات» بدل من قوله «خيراً».

## المعنى

«تبارك» تفاعل من البركة معناه عظمت بركاته و كثرت عن ابن عباس و البركة و الكثرة من الخير و قيل معناه تقديس و جل بما لم يزل عليه من الصفات و لا يزال كذلك فلا يشاركه فيها غيره و أصله من بروك الطير فكأنه قال ثبت و دام فيما لم يزل و لا يزال عن جماعه من المفسرين و قيل معناه قام بكل بركة و جاء بكل بركة «الذى نزل الفرقان» أى القرآن الذى يفرق بين الحق و الباطل و الثواب و الخطأ فى أمور الدين بما فيه من الحث على أفعال الخير و الزجر عن القبائح و الشر «على عبده» محمد ص «ليكون» محمد ص بالقرآن «للعالمين» أى لجميع المكلفين من الإنس و الجن «نذيراً» أى مخوفاً بالعقاب و داعياً لهم إلى الرشاد ثم وصف سبحانه نفسه فقال «الذى له ملك السموات و الأرض و لم يتخذ ولداً» كما زعمت اليهود و النصارى و المشركون «و لم يكن له شريك فى الملك» يشاركه فيما خلق و يمنع عن مراده «و خلق كل شىء» مما يطلق عليه اسم المخلوق «فقدرة» تقديرًا على ما اقتضته الحكمة و التقدير تبين مقادير الأشياء للعباد فىكون معناه قدر الأشياء بأن كتبها فى الكتاب الذى كتبه الملائكة لطفًا لهم و قيل خلق كل شىء فقدرة طوله و عرضه و لونه و سائر صفاته و مده بقائه عن الحسن ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال «و اتخذوا من دونه» أى من دون الله «آلهة» من الأصنام و الأوثان وجهوا عبادتهم إليها ثم وصف آلهتهم بما ينبى أنها لا تستحق العبادة فقال «لا يخلقون شيئاً و هم يخلقون» أى و هى مخلوقه

مصنوعه «وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا» فيدفعونه عن أنفسهم «وَلَا نَفْعًا» فيجرونه إلى أنفسهم أى لا يقدرّون على دفع ضرر ولا على جر نفع «وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً» أى لا يستطيعون إمامته ولا إحياء «وَلَا نُشُورًا» ولا إعادته بعد الموت يقال أنشره الله فنشر فإن جميع ذلك يختص الله تعالى بالقدره عليه و المعنى فكيف يعبدون من لا يقدر على شىء من ذلك و يتركون عباده ربهم الذى يملك ذلك كله ثم أخبر سبحانه عن تكذيبهم بالقرآن فقال «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتِرَاءِ» أى ما هذا القرآن إلا- كذب افتراه محمد ص و اختلقه من تلقاء نفسه «وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ» قالوا أعان محمد ص على هذا القرآن عداس مولى حويطب بن عبد العزى و يسار غلام العلاء بن الحضرمى و حبر مولى عامر و كانوا من أهل الكتاب و قيل إنهم قالوا أعانه قوم اليهود عن مجاهد «فَقَدْ جَاءُ ظُلْمًا وَ زُورًا» أى فقد قالوا شركا و كذبا حين زعموا أن القرآن ليس من الله و متى قيل كيف اكتفى بهذا القدر فى جوابهم قلنا إنه لما تقدم التحدى و عجزهم عن الإتيان بمثله اكتفى هاهنا بالتنبيه على ذلك «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا» معناه و قالوا أيضا هذه أحاديث المتقدمين و ما سطروه فى كتبهم انتسخها و قيل استكتبها «فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيْلًا» أى تملى عليه طرفى نهاره حتى يحفظها و ينسخها و الأصيل العشى لأنه أصل الليل و أوله و فى هذا بيان مناقضتهم و كذبهم لأنهم قالوا افتراه ثم قالوا تملى عليه فقد افتراه غيره و قالوا أنه كتب و قد علموا أنه كان لا يحسن الكتابه فكيف كتب و لم يستكتب ثم قال سبحانه «قُلْ» يا محمد لهم تكذبا لقولهم «أَنْزَلَهُ» أى أنزل القرآن «الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ» أى الخفيات «فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» على ما اقتضاه علمه ببواطن الأمور لا على ما تقتضيه أهواء النفوس و الصدور «إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» حيث لم يعاجلهم بالعذاب بل أنعم عليهم بإرسال الرسول إليهم لتأكيد الحججه و قطع المعذره «وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ» كما نأكل «وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ» فى طلب المعاش كما نمشى «لَوْ لَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا» أى هلا أنزل إليه ملك فيكون معينا له على الإنذار و التخويف و هذا أيضا من مقالاتهم الفاسده لأن الملك لو كان معينا له على الرساله و مخوفا من ترك قبولها و لو فعل تعالى ذلك لأدى ذلك إلى استصغار كل واحد منهما من حيث إنه لم يقم بنفسه فى أداء الرساله و لأن الجنس إلى الجنس أميل و به أنس «أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ» يستغنى به عن طلب المعاش قال ابن عباس أو ينزل إليه مال من السماء «أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا» أى بستان يأكل من ثمارها و من قرأ بالنون فالمعنى نأكل نحن معه و نتبعه «وَقَالَ الظَّالِمُونَ» أى المشركون للمؤمنين «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا» أى ما تتبعون إلا رجلا مخدوعا مغلوبا على عقله و قد سبق تفسير

المسحور في بنى إسرائيل «انظر» يا محمد «كيف ضربوا لك الأمثال» أى الأشباه لأنهم قالوا تاره هو مسحور و تاره هو محتاج متروك حتى تمنوا له الكنز و تاره أنه ناقص عن القيام بالأمر «فضموا» بهذا عن الهدى و عن وجه الصواب و طريق الحق «فلا يشيطعون سبيلاً» لإلزامك الحجه من الوجوه المذكوره و قيل معناه لا- يستطيعون سبيلاً- إلى إبطال أمرك و قيل معناه لا يستطيعون سبيلاً- إلى الحق مع ردهم الدلائل و الحجج و اتباعهم التقليد و الألف و العاده «تبارك» أى تقديس «الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك» الذى اقترحوه من الكنز و البستان ثم فسر الذى هو خير مما اقترحوه فقال «جئات تجرى من تحتها الأنهار» ليكون أبلغ فى الزهو و أسرع فى نصح الثمار «و يجعل لك قُصوراً» أى و سيجعل لك قصورا فى كل بستان قصرا و القصور البيوت المبنيه المشيده المطوله عن مجاهد و أراد فى الآخره أى سيعطيك الله فى الآخره أكثر مما قالوا و قيل أراد به فى الدنيا لأن جبرائيل (عليه السلام) عرض عليه ذلك كله فاختر الزهد فى الدنيا.

## إشارة

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَاعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) قُلْ أَدْرَأَكُمُ خَيْرًا أَمْ جِنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَاصِرًا (١٥)

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (١٦) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) فَتَعَدَّ كَذْبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صِرْفًا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (١٩) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠)

## القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن كثير و حفص و يعقوب «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» بالياء و الباقون بالنون و قرأ ابن عامر فنقول بالنون و الباقون بالياء و قرأ أبو جعفر و زيد عن يعقوب

أن تتخذ بضم النون و فتح الخاء و هو قراءة زيد بن ثابت و أبي الدرداء و روى عن جعفر بن محمد (عليه السلام)

و زيد بن علي و الباقون «نَتَّخِذَ» بفتح النون و كسر الخاء و روى بعضهم عن ابن كثير فقد كذبوكم بما يقولون بالياء و القراء المشهوره بالتاء و قرأ حفص «فَمَا تَسْتَطِيعُونَ» بالتاء و الباقون بالياء و

روى عن علي (عليه السلام) و يمشون في الأسواق بضم الياء و فتح الشين المشدده.

## الحج

قال أبو علي حجه من قرأ «يَحْشُرُهُمْ» بالياء قوله «كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا» و يوم يحشرهم ربك و من قرأ نحشرهم بالنون «فَيَقُولُ» بالياء فعلى أنه أفرد بعد أن جمع كما أفرد بعد الجمع في قوله «وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ إِلَى قَوْلِهِ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا» و قراءه ابن عامر و يوم نحشرهم فنقول حسن لإجرائه المعطوف مجرى المعطوف عليه في لفظ الجمع قال ابن جني من قرأ أن تتخذ بضم النون فإن قوله «مِنْ أَوْلِيَاءَ» في موضع الحال أى ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك أولياء و دخلت من زائده لمكان النفي تقول اتخذت زيدا و كيلا فإن نفيت قلت ما اتخذت زيدا من وكيل و كذلك أعطيته درهما و ما أعطيته من درهم و هذا في المفعول به و أما قراءه الجماعه «أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ» فإن قوله «مِنْ أَوْلِيَاءَ» في موضع المفعول أى أولياء فهو كقولك ضربت رجلا فإن نفيت قلت ما ضربت من رجل و المعنى في قوله «مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ» لسنا ندعى استحقاق الولاء و لا العباده لنا و المعنى في قوله «فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ» بالتاء كذبوكم في قولكم أنهم شركاء و أنهم آلهه و ذلك في

قولهم تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ و من قرأ بما يقولون بالياء فالمعنى فقد كذبوكم أى ما كنتم تعبدون بقولهم و قولهم هو نحو ما قالوه فى قوله وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ و قوله فَالْقَوْلَ إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ و قوله فما يستطيعون بالياء معناه فما يستطيع الشركاء صرفا و لا نصرا لكم و من قرأ بالتاء فمعناه فما يستطيعون أنتم أيها المتخذون للشركاء من دونه صرفا

ص: ٢٥٦

و لا نصرا و من قرأ يمشون فمعناه يدعون إلى المشى و يحملهم حامل على المشى و جاء على فعل لتكثير فعلهم لأنهم جماعه.

## اللغة

السعير النار الملتهبه مأخوذه من إسعار النار و هو شده إيقادها أسعرتها إسعارا و سعرها الله تسعيرا و التغيظ الهيجان و الغليان و منه قيل لشده الغضب الغيظ و مقرنين مأخوذ من القرن و هو الحبل يشد فيه بعيران أو أبعره ثم يستعمل فى كل مجتمعين و الثبور الهلاك و ثبر الرجل فهو مثبور أهلك قال ابن الزبيرى:

إذ أجارى الشيطان فى سنن الغى و من مال ميله مثبور

و يقال ما خيرك عن هذا الأمر أى ما صرفك عنه فكان المشبور ممنوع من كل خير حتى هلك و البور الهلكى و هو جمع البائر و قيل هو مصدر لا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث قال ابن الزبيرى:

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

و أصل الباب من بارت السلعه تبور إذا كسدت فلا تشتري فكأنها بقيت و فسدت.

## الإعراب

«مَكَانًا» ظرف لألقى. «مُقَرَّرَيْنِ» نصب على الحال. «ثُبُورًا» مصدر فعل محذوف تقديره ثبر ثبورا. و «دَعَا» هنا بمعنى قالوا و «هُنَا-تَكَ» يحتمل أن يكون ظرف زمان و أن يكون ظرف مكان أى دعوا فى ذلك اليوم أو فى ذلك المكان. «كَانَتْ لَهُمْ جِزَاءً وَ مَصْرَبًا» فى موضع نصب على الحال من وعد و قد مضمه و ذو الحال الضمير المحذوف العائد من الصلة إلى الموصول. «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ» جملة أخرى فى موضع الحال من قوله «الْمُتَّقُونَ» «وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» مفعول أرسلنا محذوف تقديره و ما أرسلنا قبلك رسلا و يدل عليه قوله «مِنَ الْمُرْسَلِينَ» «إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ» إن مع اسمه و خبره مستثنى عن الرسل المحذوفه تقديره و ما أرسلنا قبلك رسلا إلا هم يأكلون الطعام و هذا كما يقال ما قدم علينا أمير إلا أنه مكرم لى و ليست كسره أن لأجل اللام فإن دخولها و خروجها واحد فى هذا الموضع و قيل ما فى الآيه كقول الشاعر:

ما أعطيانى و لا سألتهما إلا و إنى لحاجز كرمى.

## المعنى

ثم بين سبحانه سوء اعتقادهم و ما أعده لهم على قبيح فعالهم و مقالهم فقال «بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ» أى ما كذبوك لأنك تأكل الطعام و تمشى فى الأسواق بل لأنهم لم



يقروا بالبعث و النشور و الثواب و العقاب «وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا» أى نارا تتلظى ثم وصف ذلك السعير فقال «إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» أى من مسيره مائه عام عن السدى و الكلبى و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من مسيره سنه

و نسب الرؤيه إلى النار و إنما يرونها هم لأن ذلك أبلغ كأنها تراهم رؤيه الغضبان الذى يزفر غيظا و ذلك قوله «سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَ زَفِيرًا» و تغيظها تقطعها عند شده اضطرابها و زفيرها صوتها عند شده التهابها كالتهاب الرجل المغتاض و التغيظ لا يسمع و إنما يعلم بدلاله الحال عليه و قيل معناه سمعوا لها صوت تغيظ و غليان قال عبيد بن عمير أن جهنم لتزفر زفره لا يبقى نبى و لا ملك إلا- خر لوجهه و قيل التغيظ للنار و الزفير لأهلها كأنه يقول رأوا للنار تغيظا و سمعوا لأهلها زفيرا «وَ إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا» معناه و إذا ألقوا من النار فى مكان ضيق يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح عن أكثر المفسرين و فى الحديث

قال (عليه السلام) فى هذه الآيه و الذى نفسى بيده أنهم يستكروهن فى النار كما يستكره الوتد فى الحائط

«مُقَرَّنِينَ» أى مصفدين قرنت أيديهم إلى أعناقهم فى الأغلال و قيل قرنوا مع الشياطين فى السلاسل و الأغلال عن الجبائى «دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا» أى دعوا بالويل و الهلاك على أنفسهم كما يقول القائل و اثورا أى و اهلكاه و قيل و انصرفاه عن طاعه الله فتجيبهم الملائكه «لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَ ادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا» أى لا تدعوا و يلا واحدا و ادعوا و يلا كثيرا أى لا ينفعكم هذا و إن كثر منكم قال الزجاج معناه هلاككم أكبر من أن تدعوا مره واحده «قُلْ» يا محمد «أَ ذَلِكَ» يعنى ما ذكره من السعير «خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ» تلك الجنة «لَهُمْ جَزَاءٌ» على أعمالهم «وَ مَصِيرًا» أى مرجعا و مستقرا «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ» و يشتهون من المنافع و اللذات «خَالِدِينَ» مؤبدين لا يفنون فيها «كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا» قال ابن عباس معناه أن الله سبحانه وعد لهم الجزاء فسألوه الوفاء فوفى و قيل معناه أن الملائكه سألوا الله تعالى ذلك لهم فأجيبوا إلى مسألتهم و ذلك قولهم رَبَّنَا وَ ادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَ قِيلَ أَنَّهُمْ سَأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا الْجَنَّةَ بِالْإِذْنِ فَأَجَابَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى مَا سَأَلُوا وَ أَتَاهُمْ مَا طَلَبُوا «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» أى يجمعهم «وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعنى عيسى و عزيز و الملائكه عن مجاهد و قيل يعنى الأصنام عن بكرمه و الضحاك «فَيَقُولُ» الله تعالى لهؤلاء المعبودين «أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ» أى طريق الجنة و النجاه «قَالُوا» يعنى المعبودين من الملائكه و الإنس أو الأصنام إذا أحياهم الله و أنطقهم «سُبْحَانَكَ» تنزيها لك عن الشريك و عن أن يكون معبود سواك «مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ» أى ليس لنا أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من

دونهم وقيل معناه ما كان يجوز لنا وللعابدين و ما كان يحق لنا أن نأمر أحدا بأن يعبدنا ولا يعبدك فإننا لو أمرناهم بذلك لكننا واليناهم ونحن لا نوالى من يكفر بك و من قرأ نتخذ فمعناه ما كان يحق لنا أن نعبد (وَ لَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ) معناه ولكن طولت أعمارهم و أعمار آبائهم و متعتهم بالأموال و الأولاد بعد موت الرسل حتى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء و تركوه (وَ كَانُوا قَوْمًا بُورًا) أى هلكى فاسدين هذا تمام الحكاياه عن قول المعبودين من دون الله فيقول الله سبحانه عند تبرء المعبودين من عبدتهم «فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ» أى كذبكم المعبودون أيها المشركون «بِمَا تَقُولُونَ» أى بقولكم أنهم آلهة شركاء لله و من قرأ بالياء فالمعنى فقد كذبوكم بقولهم «سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا» الآية فما يستطيعون صرفا أى فما يستطيع المعبودون صرف العذاب عنكم «وَ لَا نَضِيرًا» لكم بدفع العذاب عنكم و من قرأ بالتاء فالمعنى فما تستطيعون أيها المتخذون الشركاء صرف العذاب عن أنفسكم و لا أن تنصروا أنفسكم بمنعها من العذاب (وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ) نفسه بالشرك و ارتكاب المعاصى «نَذِقْهُ» فى الآخرة «عَذَابًا كَبِيرًا» أى شديدا عظيما ثم رجع سبحانه إلى مخاطبه النبى ص فقال (وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ) يا محمد «مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنْهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ» قال الزجاج و هذا احتجاج عليهم فى قوله «ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق» أى فقل لهم كذلك كان من خلا من الرسل فكيف يكون محمد بدعا منهم «وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً» أى امتحانا و ابتلاء و هو افتتان الفقير بالغنى يقول لو شاء الله لجعلنى مثله غنيا و الأعمى بالبصير يقول لو شاء الله لجعلنى مثله بصيرا و كذلك السقيم بالصحيح عن الحسن و قيل هو ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا من موالينا و رذالنا فقال الله لهؤلاء الفقراء «أَ تَصْبِرُونَ» أيها الفقراء على الأذى و الاستهزاء (وَ كَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) إن صبرتم فاصبروا فأنزل الله فيهم إني جزيتهم اليوم بما صبروا عن مقاتل و قيل معناه أ تصبرون أيها الفقراء على فقركم و لا تفعلون ما يؤدى إلى مخالفتنا أ تصبرون أيها الأغنياء فتشكرون و لا تفعلون ما يؤدى إلى مخالفتنا (وَ كَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) أى عليما فيغنى من أوجبت الحكمة إغناؤه و يفقر من أوجبت الحكمة إفقاره و قيل بصيرا بمن يصبر و بمن يجزع عن ابن جريج.

## اشاره

وَ قَالَ الَّذِينَ لَا- يَؤُوجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُنُقًا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا- بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢) وَ قَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤) وَ يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥)

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَ كَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) وَ قَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠)

## القراءه

قرأ أهل الكوفه و أبو عمرو و تشقق خفيفه الشين هاهنا و فى سوره ق و الباقون «تَشَقَّقُ» مشدده الشين و قرأ ابن كثير نزل بنونين خفيفه الملائكه بالنصب و الباقون و «نُزِّلَ» بنون واحده و تشديد الزاى و فتح اللام و «الْمَلَائِكَةُ» بالرفع.

## الحجه

تشقق أصله تشقق فأدغم التاء فى الشين و التخفيف أكثر فى الكلام لأن الحذف أخف عليهم من الإدغام و من قرأ و نزل الملائكه تنزيلا فإن أنزل مثل نزل و مثله فى التنزيل وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا فجاء المصدر على فعل قال الشاعر

" و قد تطويت انطواء الخصب "

## اللغه

الرجاء ترقب الخير الذى يقوى فى النفس وقوعه و مثله الطمع و الأمل و اللقاء المصير إلى الشىء من غير حائل و العتو الخروج إلى أفحش الظلم و أصل الحجر الضيق

و سمي الحرام حجرا لضيقه بالنهاى عنه قال المتلمس:

حنت إلى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام ألا تلك الدهاريس

و منه حجر الكعبه لأنه لا يدخل عليه فى الطواف و إنما يطاف من ورائه لتضييقه بالنهاى عنه و الحجر العقل لما فيه من التضييق فى القبيح و الهباء غبار كالشعاع لا يمكن القبض عليه و فلان كناية عن واحد بعينه من الناس لأنه معرفه و قال ابن دريد عن أبى حاتم عن العرب أنهم كانوا عن كل مذكر بفلان و عن كل مؤنثه بفلانة فإذا كانوا عن البهائم أدخلوا عليه الألف و اللام فقالوا الفلان و الفلانة.

## الإعراب

«يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ» العامل فى «يَوْمَ» معنى قوله «لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ» فإنه يدل على يحزنون و «يَوْمَئِذٍ» توكيد ليوم يرون و لا- يجوز أن يكون «يَوْمَ يَرُونَ» منصوبا بلا- بشرى لأن ما يتصل بلا لم يعمل فيما قبلها و «حَجْرًا» منصوب لأنه مفعول ثانى لفعل مقدر و هو جعل الله عليكم الجنة حجرا محجورا. «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ» العامل فى يومئذ خير. «وَيَوْمَ تَشَقُّقُ» العامل فيه محذوف تقديره و اذكر يوم تشقق. «الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ» يومئذ من صله «الْمُلْكُ» الذى هو المصدر و «الْحَقُّ» صفة له و الجار و المجرور الذى هو «لِلرَّحْمَنِ» فى موضع خبر المبتدأ الذى هو «الْمُلْكُ» و يجوز أن يكون يومئذ ظرفا و هو بدل من «يَوْمَ تَشَقُّقُ» و يكون العامل فيهما الظرف الذى هو قوله «لِلرَّحْمَنِ» و أن تقدما عليه. «وَيَوْمَ يَعَضُّ» يجوز أن يكون العامل فيه اذكر و يجوز أن يكون معطوفا على ما قبله و. «يَقُولُ» جملة فى موضع الحال. «يَا لَيْتَنِي» المنادى محذوف و تقديره يا صاحبى ليتنى. و «يَا وَيْلَتَى» منادى مضاف أصله يا ويلتى تعالى فإنه وقتك فأبدل من الكسره فتحه و من الياء ألفا لثقل الكسره و الياء و خفه الفتحه و الألف.

## النزول

قال ابن عباس نزل قوله «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ» فى عقبه بن أبى معيط و أبى بن خلف و كانا متخالين و ذلك أن عقبه كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا إليه أشرف قومه و كان يكثر مجالسه الرسول فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاما و دعا الناس

فدعا رسول الله ص إلى طعامه فلما قربوا الطعام قال رسول الله ص ما أنا بأكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله فقال عقبه أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله و بلغ ذلك أبى بن خلف فقال صبأت يا عقبه قال لا و الله ما صبأت و لكن دخل على رجل فأبى أن يطعم من طعامى إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتى و لم يطعم فشهدت له فطعم فقال أبى ما كنت براص عنك أبدا حتى تأتيه فتبزيق فى وجهه ففعل ذلك عقبه و ارتد و أخذ رحم دابه فألقاها بين كتفيه فقال النبى ص لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر صبيرا و أما أبى بن خلف فقتله النبى ص يوم أحد بيده فى المبارزه و قال الضحاك لما بزق عقبه فى وجه رسول الله ص عاد بزاقه فى وجهه فأحرق خديه و كان أثر ذلك فيه حتى مات و قيل نزلت فى كل كافر أو ظالم تبع غيره فى الكفر أو الظلم و ترك متابعه أمر الله تعالى و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) ليس رجل من قريش إلا و قد نزلت فيه آية أو آيتان تقوده إلى جنه أو تسوقه إلى نار تجرى فيمن بعده إن خيرا فخييرا و إن شرا فشرا.

## المعنى

ثم حكى سبحانه عن حال الكفار بقوله «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا» أى لا يأملون لقاء جزائنا و هذا عبارته عن إنكارهم البعث و المعاد و قيل معناه لا يخافون فهى لغه تهامه و هذيل يضعون الرجاء موضع الخوف إذا كان معه جحد لأن من رجا شيئا خاف فوته فإنه إذا لم يخف كان يقينا و من خاف شيئا رجا الخلاص منه فوضع أحدهما موضع الآخر «لَوْ لَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ» أى هلا أنزل الملائكة ليخبرونا بأن محمد نبى «أَوْ نَرَى رَبَّنَا» فيخبرنا بذلك و يأمرنا باتباعه و تصديقه قال الجبائى و هذا يدل على أنهم كانوا مجسمه فلذلك جوزوا الرؤيه على الله ثم أقسم الله عز اسمه فقال «لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا» بهذا القول «فِي أَنْفُسِهِمْ» أى طلبوا الكبر و التجبر بغير حق «وَعَتَوْا» بذلك أى طغوا و عاندوا «عُتُوًّا كَبِيرًا» أى طغيانا و عنادا عظيما و تمردوا فى رد أمر الله تعالى غايه التمرد ثم أعلم سبحانه أن الوقت الذى يرون فيه الملائكه هو يوم القيامة و إن الله تعالى قد حرمهم البشرى فى ذلك اليوم فقال «يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ» يعنى يوم القيامة «بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ» أى لا بشاره لهم بالجنه و الثواب قال الزجاج و المجرمون الذين أجرموا الذنوب و هم فى هذا الموضع الذين اجترموا الكفر بالله عز و جل «وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا» أى و يقول

الملائكة لهم حراما محرما عليكم سماع البشرى عن قتاده و الضحاك و قيل معناه و يقول المجرمون للملائكة كما كانوا يقولون فى الدنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل حجرا محجورا دماؤنا عن مجاهد و ابن جريج قال الخليل كان الرجل يرى الرجل الذى يخاف منه القتل فى الجاهلية فى الأشهر الحرم فيقول حجرا أى حرام عليك حرمتى فى هذا الشهر فلا يبدأه بشر فإذا كان يوم القيامة رأوا الملائكة فقالوا ذلك ظنا منهم أنه ينفعهم و قيل معناه يقول الملائكة حراما محرما أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله عن عطا عن ابن عباس و قيل يقولون حجرا محجورا عليكم أن تتعودوا فلا معاذ لكم «وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ» أى قصدنا و عمدنا كما فى قول الشاعر:

و قدم الخوارج الضلال إلى عباد ربهم فقالوا

إن دماءكم لنا حلال

و فى هذا بلاغه عجيبة لأن التقدير قصدنا إليه قصد القادم على ما يكرهه مما لم يكن رآه قبل فيغيره و أراد به العمل الذى عمله الكفار فى الدنيا مما رجوا به النفع و الأجر و طلبوا به الثواب و البر نحو إنصافهم لمن يعاملهم و نصرهم للمظلوم و اعتاقهم و صدقاتهم و ما كانوا يتقربون به إلى الأصنام «فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا» و هو الغبار يدخل الكوه من شعاع الشمس عن الحسن و مجاهد و عكرمه و قيل هو رهبج الدواب عن ابن زيد و قيل هو ما تسفيه الرياح و تذريره من التراب عن قتاده و سعيد بن جبير و قيل هو الماء المهراق عن ابن عباس و المنتور المتفرق و هذا مثل و المعنى تذهب أعمالهم باطلا- فلم ينتفعوا بها من حيث عملوها لغير الله ثم ذكر سبحانه فضل أهل الجنة على أهل النار فقال «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ» يعنى يوم القيامة «خَيْرٌ مُّسَدِّقًا» أى أفضل منزلا فى الجنة «وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا» أى موضع قائله قال الأزهرى القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر و إن لم يكن مع ذلك نوم و الدليل على ذلك أن الجنة لا- نوم فيها و قال ابن عباس و ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة و أهل النار فى النار قال البلخى معنى خير و أحسن هنا أنه خير فى نفسه و حسن فى نفسه لا بمعنى أنه أفعل من غيره كما فى قوله وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ أى هو هين عليه و كما يقال الله أكبر لا بمعنى أنه أكبر من شىء غيره «وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ» عطف على قوله «يَوْمَ يَرَوْنَ» المعنى تتشقق السماء و عليها غمام كما يقال ركب الأمير بسلاحه و خرج بشيابه أى و عليه سلاحه و ثيابه عن أبى على الفارسى و قيل تتشقق السماء

عن الغمام الأبيض عن الفراء وإنما تتشقق السماء لنزول الملائكة وهو قوله «وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا» وقال ابن عباس تتشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس ثم تتشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا من الإنس والجن ثم كذلك حتى تتشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها «الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ» أى الملك الذى هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة ويزول ملك سائر الملوك فيه وقيل إن الملك ثلاثه أضرب ملك عظمه وهو لله تعالى وحده وملك ديانته وهو بتملكك الله تعالى وملك جبريه وهو بالغلبه «وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا» أعسر عليهم ذلك اليوم لشدته ومشقته ويهون على المؤمنين كأدنى صلاة صلواها فى دار الدنيا وفى هذا بشاره للمؤمنين حيث خص بشده ذلك اليوم الكافرين «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ» ندما وأسفا وقيل هو عقبه بن أبى معيط بن أميه بن عبد شمس على ما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل هو عام فى كل ظالم نادى يوم القيامة وكل خليل يخال غيره فى غير ذات الله قال عطاء يأكل يديه حتى تذهب إلى المرفقين ثم تنبتان ولا يزال هكذا كلما نبت يده أكلها ندماه على ما فعل «يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا» أى ليتنى اتبعت محمدا ص واتخذت معه سبيلا إلى الهدى «يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا» يعنى أيبا «خَلِيلًا» وقيل أراد به الشيطان عن مجاهد وإن قلنا إن المراد بالظالم هنا جنس الظلمه فالمراد به كل خليل يضل عن الدين ولو قال لما اتخذ فرعون وهامان وإبليس وجميع المضلين لطلال فقال فلانا حتى يتناول كل خليل مضل عن الدين «لَقَدْ أَضَلَّنِي» أى صرفنى وردنى «عَنِ الذِّكْرِ» أى عن القرآن والإيمان به «بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي» مع الرسول وتم الكلام هنا ثم قال الله «وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا» لأنه يتبرأ منه فى الآخرة ويسلمه إلى الهلاك ولا يعنى عنه شيئا «وَ قَالَ الرَّسُولُ» يعنى محمدا ص يشكو قومه «يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» يعنى هجروا القرآن وهجرونى وكذبونى عن ابن عباس والمعنى جعلوه متروكا لا يسمعونه ولا يتفهمونه وقيل إن قوله «وَ قَالَ الرَّسُولُ» معناه ويقول كما فى قول الشاعر:

مثل العصافير أحلاما ومقدره لو يوزنون بزف الريش ما وزنوا

أى ما يزنون.

ص: ٢٦٤

## إشارة

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً  
وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) الَّذِينَ يُحْشِرُونَ  
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُورَتْ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥)

فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا هُمُ لِلنَّاسِ آيَةً وَ  
أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا  
تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءًا فَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ نُشُورًا (٤٠)

## القراءه

في الشواذ قراءه مسلم بن محارب فدمرناهم تدميرا على التأكيد بالنون الثقيله و روى ذلك عن على (عليه السلام)

و عنه فدمرناهم

و هذا كأنه أمر لموسى و هارون أن يدمراهم.

## اللغه

العدو المتباعده عن النصره للبغضه من عدا يعدو إذا باعد خطوه و عدا عليه باعد خطوه للإيقاع به و تعدى فى فعله إذا أبعد فى  
الخروج عن الحق و منه عدوتا الوادى

ص: ٢٦٥



لأنهما بعده و نهايته و الترتيل التبيين فى تثبيت و ترسل و ثغر رتل و رتل بفتح التاء و سكونها إذا كان مفلجاً لا لصص فيه التدمير الإهلاك كلاً لأمر عجيب و منه التنكيل يقال دمر على فلان إذا هجم عليه بالمكروه و الرس و البثر التى لم تطو بحجاره و لا غيرها و التتير الإهلاك و الاسم من التبار و منه قيل التبر لقطع الذهب.

## الإعراب

قال الزجاج «هادياً وَ نَصِيحاً» منصوب على وجهين (أحدهما) الحال أى كفى ربك فى حال الهدايه و النصر (و الآخر) أن يكون منصوباً على التمييز أى كفى ربك من الهداه و النصار. «جُمْلَةً» نصب على الحال معناه مجموعاً و «أَحْسَنَ» مجرور بالعطف على الحق.

«على وَجْهِهِمْ» فى موضع نصب على الحال و تقديره يحشرون مكبوين «وَ قَوْمَ نُوحٍ» منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر تقديره أغرقنا قوم نوح و العامل فى لما أغرقناهم «وَ عَاداً وَ ثَمُودَ» و ما بعد ذلك عطف على الهاء و الميم فى قوله «وَ جَعَلْنَاهُمْ» و يجوز أن يكون عطفاً على معنى «وَ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً» و يكون تقديره وعدنا للظالمين بالعذاب و وعدنا عاداً و كلا منصوب بفعل مضمر الذى ظهر تفسيره. المعنى و أنذرنا كلا- ضربنا له الأمثال و تبرنا كلا. «مَطَرُ السَّوَاءِ» منصوب لأنه مصدر أمطرت تقديره أمطار السوء.

## المعنى

ثم عزى الله سبحانه نبيه بقوله «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» أى و كما جعلنا لك عدواً من مشركى قومك جعلنا لكل نبي عدواً من كفار قومه عن ابن عباس و المعنى فى جعله إياهم عدواً لأنبيائه أنه تعالى أمر الأنبياء (عليه السلام) أن يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى و ترك ما ألفوه من دينهم و دين آبائهم و إلى ترك عباده الأصنام و ذمها و كانت هذه أسباباً داعية إلى العداوة فإذا أمرهم بها فقد جعلهم عدواً لهم «وَ كَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَ نَصِيحاً» أى حسبك بالله هادياً إلى الحق و ناصرراً لأوليائه فى الدنيا و الآخرة على أعدائهم و قيل هادياً للأنبياء إلى التحرز عن عداوة المجرمين بالاعتصام بحبله «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً» معناه و قال الكفار لرسول الله ص هلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراه و الإنجيل و الزبور جملة واحدة قال الله تعالى «كَذَلِكَ» أى نزلناه كذلك متفرقاً «لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ» أى لنقوى به قلبك فتزداد بصيره و ذلك أنه إذا كان يأتيه الوحى متجدداً فى كل حادثه و كل أمر كان ذلك أقوى لقلبه و أزيد فى بصيرته و قيل إنما أنزلت الكتب جملة واحدة لأنها نزلت على الأنبياء يكتبون و يقرءون فنزلت عليهم مكتوبه و القرآن إنما نزل على نبي أمى

لا- يكتب ولا يقرأ ولذلك نزل متفرقا وأيضا فإن في القرآن الناسخ والمنسوخ وفيه ما هو جواب لمن سأله عن أمور وفيه ما هو إنكار لما كان وفيه ما هو حكاية شيء جرى فاقتضت حكمه إنزاله متفرقا «وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا» أي بيناه تبينا و رسلناه ترسيلا بعضه في إثر بعض عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل فصلناه تفصيلا عن السدى و قيل فرقناه تفريقا عن النخعي

و روى أن النبي ص قال يا ابن عباس إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلا قال و ما الترتيل قال بينه تبينا و لا تنثره نثر الدقل و لا تهذه هذ الشعر قفوا عند عجائبه و حرخوا به القلوب و لا يكونن هم أحدكم آخر السوره

«وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ» أي و لا يأتيك المشركون بمثل يضربونه لك في إبطال أمرك و مخاصمتك «إِلَّا جِنَّاتِكِ بِالْحَقِّ» الذي يبطله و يدحضه «وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» أي و بأحسن تفسير مما أتوا به من المثل أي بيانا و كشافا «الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ» أي يسحبون على وجوههم إلى النار و هم كفار مكة و ذلك أنهم قالوا لمحمد ص و أصحابه هم شر خلق الله فقال الله سبحانه «أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا» أي منزلا و مصيرا «وَأَضَلُّ سَبِيلًا» أي دينا و طريقا من المؤمنين و

روى أنس أن رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخارى في الصحيح

ثم ذكر سبحانه حديث الأنبياء و أممهم تسليه للنبي فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» يعنى التوراه «وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا» أي معينا يعينه على تبليغ الرساله و يحتمل عنه بعض أئقاله «فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا» يعنى فرعون و قومه و فى الكلام حذف أي فذهبا إليهم فلم يقبلوا منهما و جحدوا نبوتهما «فَدَمَّرْنَاهُمَا تَدْمِيرًا» أي أهلكناهم إهلاكا بأمر فيه أعجوبه «وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ» أي و أغرقنا قوم نوح بالطوفان و هو مجىء السماء بماء منهمر و تفجير الأرض عيونا حتى التقى الماء على أمر قد قدر قال الزجاج من كذب نبيا فقد كذب بجميع الأنبياء «وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً» أي عبره و عظه «وَأَعْتَدْنَا» أي و هيأنا «لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا» سوى ما حل بهم فى الدنيا «وَأَعَدْنَا» أي و أهلكنا عادا و ثمود «وَأَصْحَابَ الرُّسِّ» و هو بئر رسوا فيها نبيهم أي القوه فيها عن عكرمه و قيل إنهم كانوا أصحاب مواش و لهم بئر يقعدون عليها و كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبا فكذبوه فانهار البئر و انخسفت بهم الأرض فهلكوا عن وهب و قيل الرس قريه باليمامه يقال لها فلج قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عن قتاده و قيل كان لهم نبي يسمى حنظله فقتلوه فأهلكوا عن سعيد بن جبير و الكلبي و قيل هم أصحاب رس و الرس بئر بأنطاكيه قتلوا فيها حبيبا النجار فنسبوا إليها عن كعب و مقاتل

وقيل

ص: ٢٦٧

أصحاب الرس كان نساؤهم سحاقيات عن أبي عبد الله (عليه السلام)

قرونا بين ذلك كثيرا أى و أهلكنا أيضا قرونا كثيرا بين عاد و أصحاب الرس على تكذيبهم و قيل بين نوح و أصحاب الرس و القرن سبعون سنه و قيل أربعون سنه عن إبراهيم «وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ» أى و كلا بينا لهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا عن مقاتل و قيل معناه بينا لهم الأحكام فى الدين و الدنيا «وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا» أى و كلا أهلكنا إهلاكا على تكذيبهم و جحودهم قال الزجاج كل شىء كسرتة و فتنه فقد تبرته «وَلَقَدْ أَتَوْا» يعنى كفار مكة «عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرًا سَوِيًّا» يعنى قريه قوم لوط أمطروا بالحجاره «أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها» فى أسفارهم إذا مروا بها فيخافوا و يعتبروا «بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا» يعنى بل رأوها و إنما لم يعتبروا بها لأنهم كانوا لا يخافون البعث و قيل لا يأملون ثوبا و لا يؤمنون بالنشأه الثانيه فركبوا المعاصى.

## [سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٤١ الى ٥٠]

### إشاره

وَ إِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْ لَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَيْوَاهُ أَفَأَنْتَ تُكُونُ عَلَيْهِ وَ كَيْلًا (٤٣) أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَشْعُرُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَيَّدَ الظِّلَّ وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥)

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَأْسًا وَ النَّوْمَ سُبَاتًا وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُنحِيَهُ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَ نُنشِئُ بِهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَ أَنْاسِيًّا كَثِيرًا (٤٩) وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠)

قرأ البرجمى نسقيه بفتح النون و الباقون «نَسِيقِيَهُ» بضم النون و فى الشواذ قراءه الأعرج من اتخذ الألاهه هواه و قراءه ابن السميع الرياح بشرى.

## الحجه

قد مضى الفرق بين نسقى و نسقى فيما تقدم الألاهه الشمس و قيل آلهه بالضم غير مصروفه و أنشد

تروحنا من اللعباء عصرا فأعجلنا الألاهه أن تصبا

و يروى و أعجلنا الإلاهه و من قرأ و ألهتك فمعناه و عبادتك و قد يجوز أن يكون أراد هذه المعرفه فأضافها إليه لعبادته لها فيكون كقولك و يذرك و شمسك أى و الشمس التى تعبدها و من قرأ بشرى فهو مصدر وضع موضع الحال أى مبشره كقولهم هلم جرا أى جارا أو منجرا و يأتينك سعيا و قد ذكرنا الاختلاف بين القراء فيه و ما لهم من الاحتجاج فى كل وجه منه فى سوره الأعراف و ذكرنا اختلافهم فى «لِيَدَّكَّرُوا» فى سوره بنى إسرائيل.

## اللغه

القبض جمع الأجزاء المنبسطة و اليسير السهل القريب و اليسير أيضا نقيض العسير و أيسر الرجل ملك من المال ما تيسر به الأمور عليه و قيل اليد اليسرى لأنه تيسر بها العمل مع اليمنى و تياسر أخذ فى جهه اليد اليسرى و السبات قطع العمل و منه سبت رأسه يسبته سبتا إذا حلقة و منه يوم السبت و هو يوم قطع العمل و النشر خلاف الطى و أناسى جمع إنسان جعلت الياء عوضا عن النون و قد قالوا أيضا أناسين و قد يجوز أيضا أن يكون جمع إنسى فيكون مثل كرسى و كراسى.

## الإعراب

«أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» العائد من الصلته إلى الموصول محذوف لطول الكلام أى بعثه الله «رَسُولًا» منصوب على الحال من الهاء المحذوفه و «إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا» إن مخففه و اسمه محذوف تقديره أنه كاد و هو ضمير الأمر و الشأن و اللام فى «لِيُضِلَّنَا» لام التأكيد التى تقع فى خبر إن «كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ» كيف فى محل نصب على الحال من الضمير المستكن فى مد و التقدير أ مبدعا مد الظل أم لا و يجوز أن يكون فى موضع المصدر و التقدير أى مد مد الظل و قال الزجاج الأجود أن يكون «أَلَمْ تَرَ» من رؤيه القلب و يجوز أن يكون من رؤيه العين

و «بُشْرًا» نصب على الحال فى الوجوه كلها من الرياح و العامل فيه «أُرْسِلَ». «مِمَّا خَلَقْنَا» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال.

## المعنى

ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين وصفهم فيما تقدم فقال «وَ إِذَا رَأَوْكَ» أى و إذا شاهدوك يا محمد «إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا» أى ما يتخذونك إلا مهزوا به و المعنى أنهم يستهزءون بك و يستصغرونك و يقولون على وجه السخريه «أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» أى بعثه الله إلينا رسولا «إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا» قال ابن عباس معناه لقد كاد يصرفنا عن عباده آلهتنا و تأويله قد قارب أن يأخذ بنا فى غير جهه عباده آلهتنا على وجه يؤدى إلى هلاكنا فإن الإضلال الأخذ بالشىء إلى طريق الهلاك «لَوْ لَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا» أى على عبادتها لأزلنا عن ذلك و حذف الجواب لدلاله الكلام عليه فقال سبحانه متوعدا لهم «وَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ» الذى ينزل بهم فى الآخره عيانا «مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا» أى من أخطأ طريقا عن الهدى أ هم أم المؤمنون ثم عجب سبحانه نبيه ص من نهايه جهلهم فقال «أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» أى من جعل إلهه ما يهواه و هو غايه الجهل و كان الرجل من المشركين يعبد الحجر و الصنم فإذا رأى أحسن منه رمى به و أخذ يعبد الآخر عن سعيد بن جبير و قيل معناه أ رأيت من ترك عباده خالقه و إلهه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندك عن عطاء عن ابن عباس و قيل من أطاع هواه و اتبعه فهو كالإله له و ترك الحق عن القتيبي «أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَ كَيْلًا» أى أفأنت كفيل حافظ يحفظه من اتباع هواه و عباده ما يهواه من دون الله أى لست كذلك و قيل معناه أ تقدر أنت يا محمد أن تهديه إذا لم يتدبر و لم يتفكر أى لا تقدر على ذلك لأن الوكيل هو الكافى للشىء و لا- يكون كذلك إلا- و هو قادر عليه ثم قال للنبي ص «أَمْ تَحْسَبُ» يا محمد «أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَشْرِكُونَ» ما تقوله سماع طالب للأفهام «أَوْ يَعْقِلُونَ» ما تقوله لهم و تقرأ عليهم و ما يعاينونه من المعجزات و الحجج أى لا تظن ذلك «إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ» أى ما هم إلا كالبهائم التى تسمع النداء و لا تعقل «بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» من الأنعام لأنهم مكنوا من المعرفه فلم يعرفوا و الأنعام لم يمكنوا منها و لأين الأنعام ألهمت منافعها و مضارها فهى لا تفعل ما يضرها و هؤلاء عرفوا طريق الهلاك و النجاه و سعوا فى هلاك أنفسهم و تجنبوا سبيل نجاتهم فهم أضل منها ثم نبه سبحانه على النظر فيما يدل على وحدانيته و كمال قدرته فقال «أَلَمْ تَرَ» الخطاب للنبي ص و المراد به سائر المكلفين «إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَيِّدَ الظِّلِّ» أى أ لم تر إلى فعل ربك ثم حذف المضاف عن مقاتل و قيل معناه أ لم تعلم فيكون من رؤيه القلب عن الزجاج و ذكر أن هذا على القلب و تقديره أ لم تر إلى الظل كيف مده ربك يعنى الظل من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس عن ابن عباس و الضحاك

و سعيد بن جبير و جعله ممدودا لأنه لا شمس معه كما قيل فى ظل الجنه ممدودا إذا لم تكن معه الشمس و قال أبو عبيده الظل ما نسخته الشمس و هو بالغداه و الفى ء من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوعها فيكون الظل بالليل لأنه ظل الأرض عن الجبائى و البلخى «و لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا» أى مقيما دائما لا يزول و لا تنسخه الشمس يقال فلان يسكن بلد كذا إذا أقام به فهو مثل قوله سبحانه قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرِيحًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ آيَه فى المعنى و فى هذا إشاره إلى أنه قادر على تسكين الشمس حتى يبقى الظل ممدودا بخلاف ما يقوله الفلاسفه «ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ» أى على الظل «دَلِيلًا» قال ابن عباس تدل الشمس على الظل بمعنى أنه لو لا الشمس لما عرف الظل و لو لا النور لما عرفت الظلمه و كل الأشياء تعرف بأضدادها و قيل معناه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يذاهبها إياه عند مجيئها عن ابن زيد و قيل لأن الظل يتبع الشمس فى طوله و قصره كما يتبع السائر الدليل فإذا ارتفعت الشمس قصر الظل و إذا انحطت الشمس طال الظل و قيل إن على هنا بمعنى مع فالمعنى ثم جعلنا الشمس مع الظل دليلا على وحدانيتنا «ثُمَّ قَبَضْنَا» إِيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا» أى قبضنا الظل بارتفاع الشمس لأن الشمس كلما تعلقو ينقص الظل فجعل سبحانه ذلك قبضا و أخير أن ذلك يسير بمعنى أنه سهل عليه لا يعجزه قال الكلبي إذا طلعت الشمس قبض الله الظل قبضا خفيا و المعنى ثم جمعنا أجزاء الظل المنبسط بتسليط الشمس عليه حتى ننسخها شيئا فشيئا و قيل معناه ثم قبضنا الظل بغروب الشمس إلينا أى إلى الموضوع الذى حكمنا بكون الظل فيه.

قبضا يسيرا أى خفيا و إنما قيل ذلك لأن الظل لا يذهب بغروب الشمس دفعه بل يذهب جزءا فجزأ بحدوث الظلام فكلما حدث جزء من الظلام نقص جزء من الظل «و هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا» أى غطاء ساترا للأشياء بالظلام كاللباس الذى يشتمل على لابسه فالله سبحانه ألبسنا الليل و غشانا به لنسكن و نستريح من كد الأعمال كما قال فى موضع آخر لَتَشْكُنُوا فِيهِ «و النَّوْمَ سُبَاتًا» أى راحه لأبدانكم و قطعنا لأعمالكم قال الزجاج السبات أن ينقطع عن الحركة و الروح فى بدنه «و جَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا» لانتشار الروح باليقظه فيه مأخوذ من نشور البعث و قيل لأن الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم و معاشهم فيكون النشور هنا بمعنى التفرق لابتغاء الرزق عن ابن عباس «و هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» مضى الكلام فيه فى سوره الأعراف «و أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا» أى طاهرا فى نفسه و مطهرا لغيره مزيلا للأحداث و النجاسات «لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا» قد مات بالجدب و أراد بالبلده البلد أو المكان فلذلك قال ميتا بالتذكير و المعنى لنحى بالمطر بلده ليس فيها نبت قال ابن عباس لنخرج به النبات و الثمار «و نُشَفِّيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا» أى و لنسقى من ذلك

الماء أنعاما جمه أو نجعله سقيا لأنعام «وَأَناسِيَّ كَثِيرًا» أى أناسا كثيره «وَلَقَدْ صَدَّرَفْنَا» أى صرفنا المطر بينهم يدور فى جهات الأرض و قيل قسمناه بينهم يعنى المطر فلا يدوم على مكان فيهلك و لا ينقطع عن مكان فيهلك و يزيد لقوم و ينقص لآخرين على حسب المصلحه «لِيَذْكُرُوا» أى ليتفكروا و يستدلوا به على سعه مقدورنا و لأنه لا يستحق العباده غيرنا «فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا» أى جحودا لما عددناه من النعم و إنكارا فيقولون مطرنا بنوء كذا و كذا عن عكرمه و قيل فأبوا إلا- كفورا بالبعث و النشور.

## [سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٥١ الى ٦٠]

### إشاره

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تَطْعُمُ الْكَافِرِينَ وَ جَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) وَ هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣) وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا وَ كَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَا يَضُرُّهُمْ وَ كَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥)

وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧) وَ تَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَ كَفَىٰ بِهِ بِمُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسِئَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَ مَا الرَّحْمَنُ أَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَ زَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠)

## القراءه

قرأ حمزه و الكسائي لما يأمرنا بالياء و الباقون بالتاء.

## الحجه

قال أبو علي من قرأ بالتاء قال إنهم تلقوا أمر النبي ص إياهم بالرد و زادهم أمره إياهم بالسجود نفورا عما أمروا به و من قرأ بالياء فالمعنى أن نسجد لما يأمرنا محمد بالسجود على وجه الإنكار منهم لذلك و لا يكون أن نسجد لما يأمرنا الرحمن بالسجود له لأنهم أنكروا الرحمن تعالى بقولهم وَ مَا الرَّحْمَنُ و أقول إذا جعلت ما بمعنى الذى على ما ذكره فالتقدير أن نسجد لما يأمرنا بالسجود له و ترتيب الحذف فيه على الوجه الذى تقدم بيانه فى قوله سبحانه فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ فلا وجه لإعادته و إن جعلت ما مصدرية فإنك لا تحتاج إلى حذف شىء و يكون تقديره أن نسجد لأمره أو لأمره.

## اللغه

أصل المرج الخلط و منه أمر مريج أى مختلط و

فى الحديث مرجت عهودهم

أى اختلقت و مرجت الدابه و أمرجتها إذا خليتها ترعى و عذب الماء عذوبه فهو عذب و الفرات أعذب المياه يقال فرت الماء يفرت فروته فهو فرات إذا عذب و الملح الأجاج الشديد الملوحة و النسب ما يرجع إلى ولاده قريبه و الصهر خلطه تشبه النسب القرابه و المصاهره فى النكاح المقاربه و

فى الحديث كان يؤسس مسجد قبا فيصهر الحجر العظيم إلى بطنه

أى يدنيه يقال صهره و أصهره.

## الإعراب

«هذا عَيْذٌ فُرَاتٌ» مبتدأ و خبر فى موضع نصب على الحال و كذلك قوله «وَ هَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ» بالعطف عليه و ذو الحال أحد البحرين «مُبَشَّرًا وَ نَذِيرًا» نصب على الحال «مَنْ شَاءَ» نصب على الاستثناء و المستثنى منه الكاف و الميم فى أسألكم و «أَنْ يَتَّخِذَ» فى موضع نصب بأنه مفعول شاء «الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» فى موضع جر تقديره و توكل على الحى الذى لا يموت خالق السماوات و الأرض و يحتمل أن يكون فى موضع نصب أو رفع على المدح و الثناء على تقدير أعنى الذى خلق أو هو الذى خلق و «الرَّحْمَنُ» بالرفع القراءه و ورد عن بعضهم فى الشواذ بالجر ففى الرفع وجوه (أحدها) الابتداء و خبره «فَسَيَلُ بِهِ» عن الزجاج و فيه نظر لأن الفاء إنما يجوز فى خبر ما فيه الألف و اللام إذا جاز فيه معنى الشرط و لا يصح ذلك هنا (و الثانى) أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو الرحمن (و الثالث) أن يكون بدلا من الضمير المستكن فى استوى (و الرابع) أن يكون فاعل استوى و أما الجر فعلى أن يكون صفة و تقديره و توكل على الحى الخالق الرحمن و نفورا مفعول ثان لزيد.





«وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا» يندرهم و لكن بعثناك يا محمد إلى القرى كلها رسولا لعظيم منزلتك لدينا و النذير هو الداعى إلى ما يؤمن معه الخوف من العقاب و قيل إنه إخبار عن قدرته سبحانه و المعنى لو شئنا لقسمنا بينهم النذر كما قسمنا لأمطار بينهم و لكننا نفعل ما هو الأصلح لهم و الأعود عليهم فى دينهم و دنياهم فبعثناك إليهم كإله «فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ» فيما يدعونك إليه من المداهنة و الإجابة إلى ما يريدون «وَجَاهِدْهُمْ» فى الله «بِهِ» أى بالقرآن عن ابن عباس «جِهَادًا كَبِيرًا» أى تاما شديدا و فى هذا دلالة على أن من أجل الجهاد و أعظمه منزله عند الله سبحانه جهاد المتكلمين فى حل شبه المبطلين و أعداء الدين و يمكن أن يتأول عليه

قوله رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر

«وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ» أى أرسلهما فى مجاريهما و خلاهما كما يرسل الخيل فى المرح و هما يلتقيان فلا يختلط الملح بالعذب و لا العذب بالملح و هو قوله «هذا» يعنى أحد البحرين «عَذْبٌ فُرَاتٌ» أى طيب شديد الطيب «وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ» شديد الملوحة و قيل الفرات البارد و الأجاج الحار و قيل الأجاج المر عن قتاده «وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا» أى حجابا و حاجزا من قدره الله تعالى يمنعها من الاختلاط «وَحِجْرًا مَّحْجُورًا» أى حراما محرما أن يفسد الملح العذب «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا» أى خلق من النطفة إنسانا و قيل أراد به آدم (عليه السلام) فإنه خلق من التراب الذى خلق من الماء و قيل أراد به أولاد آدم فإنهم المخلوقون من الماء «فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا» أى فجعله ذا نسب و صهر و الصهر حرمة الختونه و قيل النسب الذى لا يحل نكاحه و الصهر النسب الذى يحل نكاحه كبنات العم و الخال عن الفراء و قيل النسب سبعة أصناف و الصهر خمسة ذكرهم الله فى قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» عن قتاده و الضحاك و قد تقدم بيانه فى سورة النساء و قيل النسب البنون و الصهر البنات اللاتى يستفيد الإنسان بهن الأصهار فكأنه قال فجعل منه البنين و البنات و قال ابن سيرين نزلت فى النبى ص و على بن أبى طالب زوج فاطمه (عليه السلام) عليا (عليه السلام) فهو ابن عمه و زوج ابنته فكان نسبا و صهرا «وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا» أى قادرا على ما أراد ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ» من الأصنام و الأوثان «وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا» الظهير العون و المعين أى معينا للشيطان على ربه بالمعاصى عن الحسن و مجاهد و قال الزجاج لأنه يتابع الشيطان و يعاونه على معصية الله فإن عبادتهم الأصنام معاونه للشيطان و قيل ظهيرا أى هينا كالمطرح من قولهم ظهر فلان بحاجته إذا جعلها خلف ظهره فلم يلتفت إليها و استهان بها و الظهير بمعنى المظهر و هو المتروك المستخف به و منه قوله «وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا» و الأول أوجه و قالوا عنى بالكافر أبا جهل «وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ «إِلَّا مُبَشِّرًا» بِالْجَنَّةِ «وَنَذِيرًا» مِنَ النَّارِ وَقَدْ سَبَقَ مَعْنَاهُ «قُلْ» يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ «مَا أَشَيْتُمْ لَكُمْ عَلَيْهِ» أَيْ عَلَى الْقُرْآنِ وَتَبْلِيغِ الْوَحْيِ «مَنْ أُجْرٍ» تَعْطُونِيهِ «إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» يَنْفَاقُهُ مَالَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ وَ الْمَعْنَىٰ إِنِّي لَا- أَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي أَجْرًا وَ لَكِنِّي لَا- أَمْنَعُ مِنْ إِنْفَاقِ الْمَالِ فِي طَلْبِ مَرْضَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَلْ أَرْغَبُ فِيهِ وَ أَحْتِ عَلَيْهِ وَ فِي هَذَا تَأْكِيدَ لَصَدَقِهِ لِأَنَّهُ لَوْ طَلَبَ عَلَىٰ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَجْرًا لَقَالُوا إِنَّمَا يَطْلُبُ أَمْوَالَنَا «وَ تَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا- يَمُوتُ» أَيْ فَوْضَ أَمْوَالِكَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَنْتَقِمُ لَكَ وَ لَوْ بَعْدَ حِينٍ فَإِنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ فَلَنْ يَفُوتَهُ الْإِنْتِقَامُ «وَ سَيَبْخُ بِحَمْدِهِ» أَيْ أَحْمَدُهُ مِنْهَا لَهُ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ فِي صِفَاتِهِ بِأَنَّ تَقُولَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ نِعْمِهِ وَ إِحْسَانِهِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَكْفِي نِعْمَهُ فِي عَظِيمِ الْمَنْزَلَةِ وَ عِلَّةِ الْمَرْتَبَةِ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ وَ أَعْبَدَهُ وَ صَلَّ لَهُ شُكْرًا مِنْكَ لَهُ عَلَىٰ نِعْمِهِ «وَ كَفَىٰ بِهِ بَعْدُ نُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا» أَيْ عَلِيمًا فِيحَاسِبُهُمْ وَ يَجَازِيهِمْ بِهَا فَحَقِيقٌ بِهِمْ أَنْ يَخَافُوهُ وَ يَرِيقُوهُ «الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا» أَيْ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الصَّنْفَيْنِ «فِي سِتِّتِهِ أَيَّامٌ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ» قَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ «فَسَيَلُّ بِهِ خَيْرًا» اخْتَلَفَ فِي تَأْوِيلِهِ فَقِيلَ إِنْ الْمَعْنَىٰ فَاسْأَلْ عَنْهُ خَيْرًا وَ الْبَاءُ بِمَعْنَىٰ عَنْ وَ الْخَيْرُ هَاهُنَا هُوَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ وَ أَنْشَدَ فِي قِيَامِ الْبَاءِ مَقَامَ عَنْ قَوْلِ عُلُقَمَةَ بْنِ عَبْدِ

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي خَيْرٌ بِإِغْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٌ

يُرَدُّ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ وَجَدْنَهُ وَ شَرَّخَ الشَّبَابَ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَ دَهْنٌ نَصِيبٌ

وَ قَوْلُ الْأَخْطَلِ

دَعِ الْمَعْمَرَ لَا تَسْأَلْ بِمِصْرَعِهِ وَ أَسْأَلْ بِمِصْقَلِهِ الْبَكْرِي مَا فَعَلَا

وَ قِيلَ إِنْ الْخَيْرُ هُنَا مُحَمَّدٌ ص وَ الْمَعْنَىٰ لِيَسْأَلَ كُلُّ مَنْكُمُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَىٰ مُحَمَّدًا فَإِنَّ الْخَيْرَ الْعَارِفُ بِهِ قِيلَ إِنْ الْبَاءُ عَلَىٰ أَصْلِهَا وَ الْمَعْنَىٰ فَاسْأَلْ بِسُؤَالِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ خَيْرًا يَخْبِرُكَ بِالْحَقِّ فِي صِفَتِهِ وَ دَلَّ قَوْلُهُ «فَسَيَلُّ» عَلَى السُّؤَالِ كَمَا قَالَتِ الْعَرَبُ مِنْ كَذِبٍ كَانَ شَرًّا لَهُ أَيْ كَانَ الْكُذْبُ شَرًّا لَهُ وَ دَلَّ عَلَيْهِ كُذْبُ وَ قَدْ مَرَّ ذِكْرُ أَمْثَالِهِ وَ قِيلَ إِنْ الْبَاءُ فِيهِ مِثْلُ الْبَاءِ فِي قَوْلِكَ لَقِيتَ بَغْلَانًا لَيْثًا إِذَا وَصَفْتَ شَجَاعَتَهُ وَ لَقِيتَ بِهِ غِيثًا إِذَا وَصَفْتَ سَمَاحَتَهُ وَ الْمَعْنَىٰ أَنْكَ إِذَا رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ

الشيء المشبه به والمعنى فاسأله عنه فإنه لخبير به و

روى أن اليهود حكوا عن ابتداء خلق الأشياء بخلاف ما أخبر الله تعالى عنه فقال سبحانه «فَسْتَلِّ بِهِ خَيْرًا»

قال نفطويه أى سلنى عنه فإنك تسأل بسؤالك خبيراً «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» أى لهؤلاء المشركين «اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ» أى و أى شىء الرحمن والمعنى أنا لا نعرف الرحمن قال الزجاج الرحمن اسم من أسماء الله عز اسمه مذكور فى الكتب الأولى ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله ف قيل لهم إنه من أسماء الله ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التى لا غاية بعدها فى الرحمة لأن فعلا من أبنيه المبالغه تقول رجل ريان و عطشان فى النهايه من الرى و العطش و فرحان و جدلان إذا كان فى النهايه من الفرح و الجدل «أَنْ نَسْجُدَ لِمَا تَأْمُرُنَا» مر تفسيره «وَ زَادَهُمْ نُفُورًا» أى زادهم ذكر الرحمن تباعدا من الإيمان عن مقاتل و المعنى أنهم ازدادوا عند ذلك نفورا عن الحق و قبول قول النبى ص.

### النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها أن فيها إخبار أنه سبحانه أفردته بالإرسال مراعاة لحسن التدبير فى تمييزه بالإكرام و الإجلال لعلمه بما فيه من الخلال الموجه فى الحكمة إرساله إلى الخلق على غاية الكمال فعلى هذا يتعلق بقوله «لَقَدْ صَرَّفْنَا بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا» ثم ذكر من التصريف للآيات بقوله «هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ وُحْدَانِيَّتِهِ وَ كَمَالِ قُدْرَتِهِ» ثم عجب سبحانه من إعراضهم عن الآيات مع وضوحها و ظهورها و مقابلتهم لنعمه بالكفران بقوله «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» الآيه ثم بين أنه أراد بتصريف الآيات الخير و الإحسان بقوله «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ» الآيه ثم بين أنه لا يسألهم عليه أجرا لثلاثا ينفروا عنه ثم بين سبحانه أنه كما لا يسألهم أجرا أنه يتوكل عليه فى أمره و يفوض إليه علم المصالح فيما كلفه ثم هدد سبحانه عباده بقوله «وَ كَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِهِ عِبَادَةً خَيْرًا» فإنه إذا لم يذهب عليه ذنوبهم لا يذهب عليه جزاؤهم.

## إشاره

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٤١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٤٢) وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٤٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٤٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٤٥)

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٤٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٤٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٤٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٤٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)

## القرءاء

قرأ أهل الكوفه غير عاصم سرجا بضمسين من غير ألف و الباقون «سِرَاجًا» وقرأ حمزه و خلف أن يذكر خفيفا و الباقون يذكر بتشديدتين وقرأ أهل المدينه و ابن عامر يفتروا بضم الياء وقرأ أهل الكوفه بفتح الياء وضم التاء وقرأ أهل البصره و ابن كثير بفتح الياء و كسر التاء وقرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب و سهل يضعف له العذاب بالتشديد و الجزم و «يَخْلُدُ» بالجزم وقرأ ابن عامر يضعف بالتشديد و الرفع و يخلد بالرفع وقرأ أبو بكر يضعف بالألف و الرفع و يخلد بالرفع وقرأ نافع و أبو عمرو و أهل الكوفه إلا- أبا بكر «يُضَاعَفُ» بالألف و الجزم و «يَخْلُدُ» بالجزم وقرأ ابن كثير و حفص فيهي مهانا بإشباع كسره الهاء و ذلك مذهب ابن كثير في جميع القرآن و وافقه حفص في هذا الموضع فقط وقرأ يبدل الله بسكون الباء البرجمي عن أبي بكر مختلفا عنه و الباقون بالتشديد.

## الحجه

من قرأ «سِرَاجًا» فحجته قوله «وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا» و من قرأ سرجا فحجته قوله «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ» فشبهت الكواكب بالمصابيح كما شبهت المصابيح بالكواكب في قوله الزُّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ و إنما المصباح الزجاجه في المعنى و قد سبق

القول فى يذكر و يذكر فىما مضى و الإقتار خلاف الإيسار قال الشاعر:

لكم مسجد الله المزوران و الحصى لكم قبصه من بين أثرى و أقترا

تقديره من بين رجل أثرى و رجل أقترا فأقام الصفه مقام الموصوف و مثله فى التنزيل وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى قَبِيلٍ مَرَدُوا مِثْلَ قَوْلِهِ وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبُرْقَ وَ أَمَا قَتْرَ يَقْتَرُ وَ يَقْتَرُ فَمِثْلَ عَكَفٍ يَعْكُفُ وَ يَعْكُفُ وَ عَرَشٍ يَعْرِشُ وَ يَعْرِشُ فَمَنْ ضَمَّ الْيَاءَ أَرَادَ لَمْ يَقْتَرُوا فِى إِنْفَاقِهِمْ لِأَنَّ الْمَسْرُوفَ مَشْرُوفٌ عَلَى الْإِقْتَارِ وَ مِنْ فَتْحِ الْيَاءِ فَالْمَعْنَى لَمْ يَضِيقُوا فِى الْإِنْفَاقِ وَ مِنْ قَرَأَ يَضَاعَفُ بِالْجَزْمِ جَعَلَهُ بَدَلًا مِنَ الْفِعْلِ الَّذِى هُوَ جِزَاءُ الشَّرْطِ وَ هُوَ قَوْلُهُ «يَلْقَى أَثَامًا» وَ ذَلِكَ أَنْ تَضَعِيفَ الْعَذَابِ هُوَ لَقِيَ جِزَاءَ الْأَثَامِ فِى الْمَعْنَى وَ مِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ

إن يجبنوا أو يغدروا أو ييخلوا لا يحفلوا يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

فغدوهم مرجلين فى المعنى ترك الاحتفال و قد أبدل من الشرط كما أبدل من الجزاء و ذلك فى قول الشاعر

متى تأتينا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا و نارا تأججا

فأبدل تلمم من تأتينا لأن الإلمام إتيان فى المعنى قال أبو على و مثل حذف الجزاء الذى هو مضاف فى المعنى فى قوله «يَلْقَى أَثَامًا» أى جزاء أثم قوله تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَقَعَ بِهِمُ الْمَعْنَى مِنْ جِزَاءِ مَا كَسَبُوا وَ قَالَ أَبُو عبيده «يَلْقَى أَثَامًا» أى عقوبه و أنشد لمسافع الليثى

جزى الله ابن عروه حيث أمسى عقوقا و العقوق له أثم

قال و ابن عروه رجل من ليث كان دل عليهم ملكا من غسان فأغار عليهم قال أبو على و يمكن أن يكون هذا من قول بشر:

فكان مقامنا ندعو عليهم بأسفل ذى المجاز له أثم

و من رفع يضاعف و يخلد قطعه عما قبله و استأنف و أما يضاعف و يضعف فهما فى المعنى سواء و كذلك و يبدل و يبدل.

## اللغة

قال أبو عبيده الخلفه كل شىء بعد شىء الليل خلفه النهار و النهار خلفه الليل لأن أحدهما يخلف الآخر قال زهير

بها العين و الأرام يمشين خلفه و أطلاؤها ينهضن من كل مجثم

و الهون مصدر إلهين فى السكينه و الوقار و الغرام أشد العذاب و هو اللازم الملح و منه الغريم لملازمته و إلحاحه و فلان مغرم بالنساء أى ملازم لهن لا يصبر عنهن قال بشر بن أبى حازم:

و يوم النصار و يوم الجفار كانا عذابا و كانا غراما

و قال آخر:

إن يعاقب يكن غراما و إن يعط جزيلاً فإنه لا يبالى

. الإعراب

«الَّذِينَ يَمُشُونَ» خبر المبتدأ الذى هو «عِبَادُ الرَّحْمَنِ» و يجوز أن يكون خبره «أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ» و يكون «الَّذِينَ يَمُشُونَ» صفة العباد و «هُؤُنَا» فى موضع الحال و «سَلَامًا» نصب على المصدر بفعل محذوف و تقديره فتسلم منكم سلاما لا نجاهلكم كأنهم قالوا تسلمنا منكم. و «مُسْتَقْرًا وَ مُقَامًا» منصوبان على التمييز و المخصوص بالذم محذوف و تقديره ساءت مستقرا جهنم «وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا» أى كان الإنفاق ذا قوام بين الإسراف و الإقتار فقله «بَيْنَ ذَلِكَ» تبين لقوام و إن شئت علقته بنفس كان و إن شئت علقته بخبر كان أى ثابتا بين ذلك فيكون خبرا بعد خبر.

## المعنى

ثم مدح سبحانه نفسه بأن قال «تَبَارَكَ» و قد مر معناه فى أول السوره

ص: ٢٧٩

«الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا» يريد منازل النجوم السبعة السيارة التي هي زحل و المشتري و المريخ و الشمس و الزهره و عطارد و القمر و هي اثنا عشر برجاً الحمل و الثور و الجوزاء و السرطان و الأسد و السنبلة و الميزان و العقرب و القوس و الجدى و الدلو و الحوت و قيل هي النجوم الكبار عن الحسن و مجاهد و قتاده و سميت بروجاً لظهورها «وَ جَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا» يعنى الشمس و من قرأ سرجاً أراد الشمس و الكواكب معها «وَ قَمَرًا مُنِيرًا» أى مضيئاً بالليل إذا لم تكن شمس «وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً» أى يخلف كل واحد منهما صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار و من فاته عمل النهار استدركه بالليل و هو قوله «لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ» عن عمر بن الخطاب و ابن عباس و الحسن و

روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال تقضى صلاة النهار بالليل و صلاة الليل بالنهار

و قيل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل أحدهما أسود و الآخر أبيض عن مجاهد «لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ» أى يتفكر و يستدل بذلك على أن لهما مدبراً و مصرفاً لا يشبههما و لا يشبهانه فيوجه العباده إليه «أَوْ أَرَادَ سُكُورًا» يقال شكر يشكر شكراً و شكوراً أى أراد شكر نعمه ربه عليه فيهما و على القول الأول فمعناه أو أراد النافله بعد أداء الفريضة «وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ» يريد أفاضل عباده و هذه إضافه التخصيص و التشريف كما يقال ابنى من يطيعنى أى ابنى الذى أنا عنه راض و يكون توبيخاً لأولاده الذين لا يطيعونه «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ» أى بالسكينة و الوقار و الطاعة غير أشرين و لا مرحين و لا متكبرين و لا مفسدين عن ابن عباس و مجاهد

و قال أبو عبد الله (عليه السلام) هو الرجل يمشى بسجيته التى جبل عليها لا يتكلف و لا يتبختر

و قيل معناه حلماء علماء لا يجهلون و إن جهل عليهم عن الحسن و قيل أعفاء أتقياء عن الضحاك «وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ» بما يكرهونه أو يثقل عليهم «قَالُوا» فى جوابه «سَلَامًا» أى سداداً من القول لا- يقابلونهم بمثل قولهم من الفحش عن مجاهد و قيل سلاماً أى قولاً يسلمون فيه من الإثم أو سلموا عليهم دليله قوله «وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» و قال قتاده كانوا لا يجاهلون أهل الجهل و قال ابن عباس لا يجهلون مع من يجهل قال الحسن هذه صفه نهارهم إذا انتشروا فى الناس و ليلهم خير ليل إذا خلوا فيما بينهم و بين ربهم يراوحن بين أطوافهم و هو قوله «وَ الَّذِينَ يَبْتَئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَ قِيَامًا» قال الزجاج كل من أدركه الليل فقد بات نام أو لم ينم و المعنى يبتئون لربهم بالليل فى الصلاه ساجدين و قائمين طالبين لثواب ربهم فيكونون سجداً فى مواضع السجود و قياماً فى مواضع القيام «وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا» أى يدعون بهذا القول و غراماً أى لازماً ملحاً دائماً غير مفارق «إِنَّهَا سَاءَتْ



مُسْتَقْرًا وَمُقَامًا» أى إن جهنم بنس موضع قرار وإقامه هي «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا» و اختلف فى معنى الإسراف فقيل هو النفقه فى المعاصى و الإقتار الإمساك عن حق الله تعالى عن ابن عباس و قتاده و قيل السرف مجاوزه الحد فى النفقه و الإقتار التقصير عما لا بد منه عن إبراهيم النخعى و

روى عن معاذ أنه قال سألت رسول الله ص عن ذلك فقال من أعطى فى غير حق فقد أسرف و من منع عن حق فقد قتر

و

روى عن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة أنه قال ليس فى المأكول و المشروب سرف و إن كثر

«وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا» أى و كان إنفاقهم بين الإسراف و الإقتار لا إسرافا يدخلون به فى حد التبذير و لا تضيقا يصيرون به فى حد المانع لما يجب و هذا هو المحمود و القوام من العيش ما أقامك و أغناك و قيل القوام بالفتح و هو العدل و الاستقامه و بالكسر ما يقوم به الأمر و يستقر عن تغلب و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) القوام هو الوسط

و

قال (عليه السلام) أربعة لا يستجاب لهم دعوه رجل فاتح فاه جالس فى بيته فيقول يا رب ارزقنى فيقول له ألم آمرك بالطلب و رجل كانت له امرأه يدعو عليها يقول يا رب أرحنى منها فيقول ألم أجعل أمرها بيدك و رجل كان له مال فأفسده فيقول يا رب ارزقنى فيقول ألم آمرك بالاعتقاد و رجل كان له مال فأدانه بغير بينه فيقول ألم آمرك بالشهاده

«وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» أى لا يجعلون لله سبحانه شريكا بل يوجهون عبادتهم إليه وحده «وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ» أى حرم الله قتلها «إِلَّا بِالْحَقِّ» و النفس المحرم قتلها نفس المسلم و المعاهد و المستثناه قتلها نفس الحربى و من يجب قتلها على وجه القود و الارتداد أو للزنا بعد الإحصان و للسعى فى الأرض بالفساد «وَلَا يَزْنُونَ» و الزنا هو الفجور بالمرأه فى الفرج و فى هذا دلالة على أن أعظم الذنوب بعد الشرك القتل و الزنا و

روى البخارى و مسلم فى صحيحيهما بالإسناد عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله ص أى الذنب أعظم قال إن تجعل الله ندا و هو خلقك قال قلت ثم أى قال إن تقتل ولدك مخافه أن يطعم معك قال قلت ثم أى قال إن ترانى حليله جارك فأنزل الله تصديقها «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» الآية

«وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» قال مقاتل هذه الخصال جميعا «يَلْقَ أَثَامًا» أى عقوبه و جزاء لما فعل قال الفراء أثمه الله يأثمه إثمًا و أثامًا أى جزاء جزاء الإثم و قال الشاعر:

و هل يأثمنى الله فى أن ذكرتها و عللت أصحابى بها ليله النفر



وقيل إن أثاما اسم واد في جهنم عن عبد الله بن عمر و قتاده و مجاهد و عكرمه ثم فسر سبحانه لقي الآثام بقوله «يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يريد سبحانه مضاعفه أجزاء العذاب لا- مضاعفه الاستحقاق لأنه تعالى لا- يجوز أن يعاقب بأكثر من الاستحقاق لأن ذلك ظلم و هو منفي عنه و قيل معناه أنه يستحق على كل معصيه منها عقوبه فيضاعف عليه العقاب و قيل المضاعفه عذاب الدنيا و عذاب الآخرة عن قتاده «وَ يَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا» أى و يدوم فى العذاب مستحقا به و إنما قال ذلك لأنه عز اسمه قد يوصل الآلام إلى بعض المكلفين لا على وجه الاستخفاف و الإهانه فيبين أنه يوصل العقاب إليهم على وجه الإهانه ثم استثنى من جملتهم التائب بقوله «إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» قال قتاده إلا من تاب من ذنبه و آمن بربه و عمل عملا- صالحا فيما بينه و بين ربه قال و التبديل فى الدنيا طاعه الله بعد عصيانه و ذكر الله بعد نسيانه و الخير يعمله بعد الشر و قيل يبذلهم الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الأعمال فى الإسلام بالشرك إيمانا و بقتل المؤمنين قتل المشركين و بالزنا عفه و إحسانا عن ابن عباس و مجاهد و السدى و قيل إن معناه أن يمحو السيئه عن العبد و يثبت له بدلها الحسنه عن سعيد بن المسيب و مكحول و عمرو بن ميمون و احتجوا بالحديث الذى

رواه مسلم فى الصحيح مرفوعا إلى أبى ذر قال قال رسول الله ص يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه و نحوا عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا و كذا و كذا و هو مقر لا ينكر و هو مشفق من الكبائر فيقال أعطوه مكان كل سيئه عملها حسنه فيقول أن لى ذنوبا ما أراها هاهنا قال و لقد رأيت رسول الله ص ضحك حتى بدت نواجذه

«وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا» أى ساترا لمعاصي عباده «رَحِيمًا» أى منعما عليهم بالرحمه الفضل.

## إشارة

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥)

خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)

## القراءة

قرأ أبو عمرو و أهل الكوفة غير حفص و ذريتنا و الباقر «ذُرِّيَّاتِنَا» على الجمع و قرأ يلقون بفتح الياء و التخفيف أهل الكوفة غير حفص و الباقر «يُلَقَّوْنَ» بضم الياء و التشديد و

فى قراءه أهل البيت (عليه السلام) و اجعل لنا من المتقين إماما

و القراءه المشهوره «وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» و فى قراءه ابن عباس و ابن الزبير فقد كذب الكافرون.

## الحج

قال أبو على الذريه تكون واحده و تكون جمعا فمن قرأ و ذريتنا على الإفراد فإنه أراد به الجمع فاستغنى عن جمعه لما كان جمعا و من جمع فكما يجمع هذه الأسماء التى تدل على الجمع نحو قوم و أقوام و جاء

فى الحديث صواحيبات يوسف

و حجه من قرأ «و يُلَقَّوْنَ» قوله و لَقَّاهُمْ نَضْرَةً و سُرُورًا و حجه من خفف فَسَوْفَ يُلَقَّوْنَ عَيْيًا و من قرأ فقد كذب الكافرون ترك لفظ الحضور إلى الغيبه أ لا ترى أن قبله «قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ».

## اللغة

القره مصدر يقال قرت عينه قره و يكون من القور و هو برد العين عند السرور و يكون أيضا من استقرارها عند السرور و قوله إماما مصدر من أم فلان فلانا إماما كما قيل قام قياما و صام صياما و لذلك وحده هنا من جمع إماما فقال أئمه فلأنه قد كثر فى معنى الصفه و قيل إنه إنما وحده لأنه جاء على الجواب كقول القائل من أميركم فيقول المجيب هؤلاء أميرنا قال الشاعر.

يا عاذلاتى لا تردن ملامتى إن العواذل لسن لى بأمير

و قيل إنما وحده لأن المعنى و اجعل كل واحد منا إماما فأجمل فالمعنى معنى التفصيل و قال الزجاج تأويل «ما يَعْبُؤُا بِكُمْ» أى

وزن يكون لكم عنده كما يقال ما عبأت بفلان أى ما كان له عندى وزن و لا قدر و أصل العب ء فى اللغة الثقل و قيل أصله من تهيئه الشى ء يقال عبئت الطيب أعبؤ عبا إذا هيأته قال الشاعر يصف أسدا

ص: ٢٨٣

أى تهيئه و عبأت الجيش بالتشديد و التخفيف إذا هيأته و ما أعبؤ به أى لا أهيبئ به أمرا.

## المعنى

ثم قال سبحانه «وَمَنْ تَابَ» أى أفلح عن معاصيه و ندم عليها «وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا» أى يرجع إليه مرجعا عظيما جميلا- و فرق على بن عيسى بين التوبه إلى الله و التوبه من القبيح لقبحه بأن التوبه إلى الله تقتضى طلب ثوابه و ليس كذلك التوبه من القبيح لقبحه فعلى هذا يكون المعنى من عزم على التوبه من المعاصى فإنه ينبغي أن يوجه توبته إلى الله بالقصد إلى طلب جزائه و رضائه عنه فإنه يرجع إلى الله فيكافيه و قيل معناه من تاب و عمل صالحا فقد انقطع إلى الله فاعرفوا ذلك له فإن من انقطع إلى خدمه بعض الملوك فقد أحرز شرفا فكيف المنقطع إلى الله سبحانه ثم عاد سبحانه إلى وصف عباده المخلصين فقال «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ» أى لا- يحضرون مجالس الباطل و يدخل فيه مجالس الغناء و الفحش و الخنا و قيل الزور الشرك عن الضحاك قال الزجاج الزور فى اللغه الكذب و لا كذب فوق الشرك بالله و قيل الزور أعياد أهل الذمه كالسعانيين و غيرها عن محمد بن سيرين و

قيل هو الغناء عن مجاهد و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل يعنى شهاده الزور عن على بن أبى طلحه فيكون المراد أنهم لا- يشهدون شهاده الزور فحذف المضاف و كان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلده و يسخم وجهه و يطوف به فى السوق و أصل الزور تمويه الباطل بما يوهم أنه حق «و إذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا» و اللغو المعاصى كلها أى مروا به مر الكرماء الذين لا يرضون باللغو لأنهم يجلون عن الدخول فيه و الاختلاط بأهله عن الحسن و الكلبي و التقدير إذا مروا بأهل اللغو و ذوى اللغو مروا منزهين أنفسهم معرضين عنهم فلم يجاروهم فيه و لم يخوضوا معهم فى ذلك فهذه صفه الكرام يقال تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه و أكرم نفسه عنه و قيل مروهم كراما هو أن يمروا بمن يسبهم فيصفحون عنه و بمن يستعين بهم على حق فيعينونه و

قيل هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنوا عنه عن أبى جعفر (عليه السلام)

و مجاهد و أصل اللغو هو الفعل الذى لا فائده فيه و لهذا يقال للكلمه التى لا تفيد لغو و ليس المراد به القبيح فإن فعل الساهى و النائم لغو و ليس بحسن و لا قبيح إلا ما يتعدى إلى الغير على الخلاف فيه «وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا

بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا» أى إذا عطاوا بالقرآن والأدله التى نصبها الله لهم نظروا فيها و تفكروا فى مقتضاها و لم يقفوا عليها صما كأنهم لم يسمعوها و عميانا كأنهم لم يروها لكنهم سمعوها و أبصروها و انتفعوا بها و تدبروا لها قال الحسن كم من قارئ يقرؤها فخر عليها أصم و أعمى و قال الأَخفش «لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا» أى لم يقيموا و قال ابن قتيبه لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها و عمى لم يروها «وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ» أى اجعل أزواجنا و ذرياتنا قره أعين بأن نراهم يطيعون الله عن الحسن و قيل معناه ارزقنا من أزواجنا أولادا و من ذريتنا أعقابا قره أعين أى أهل طاعه تقر بهم أعيننا فى الدنيا بالصالح و فى الآخرة بالجنة «وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» أى اجعلنا ممن يقتدى بنا المتقون طلبوا العز بالتقوى لا بالدنيا و قيل معناه اجعلنا نأتم بمن قبلنا حتى يأتى أى يقتدى بنا من بعدنا و على هذا فيجوز أن يكون اللام فى اللفظ فى المتقين و فى المعنى فى نا و التقدير و اجعل المتقين لنا إماما و مثله قول الشاعر

" كأننا رعن قف يرفع الآلا "

و التقدير يرفعه الآل ثم أخبر سبحانه عن جميع هذه الأوصاف فقال «أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ» أى يثابون الدرجة الرفيعة فى الجنة «بِمَا صَبَرُوا» على أمر ربهم و طاعه نبهم و على مشاق الدنيا و صعوبه التكليف و قيل هى غرف الزبرجد و الدر و الياقوت عن عطا و الغرفه فى الأصل بناء فوق بناء و قيل الغرفه اسم لأعلى منازل الجنة و أفضلها كما أنها فى الدنيا أعلى المساكن «وَ يُلْقُونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَ سَلَامًا» أى تتلقاهم الملائكة فيها بالتحية و هى كل قول يسر به الإنسان و بالسلام بشاره لهم بعظيم الثواب و قيل التحية الملك العظيم و السلام جميع أنواع السلامه و قيل التحية البقاء الدائم و قال الكلبي يحيى بعضهم بعضا بالسلام و يرسل إليهم الرب بالسلام «خَالِدِينَ» أى مقيمين «فِيهَا» من غير موت و لا- زوال «حَسْبَتْ» الغرفه «مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا» أى موضع قرار و استقامه «قُلْ» يا محمد «مَا يَعْجُبُكُمْ بِكُمْ رَبِّي» أى ما يصنع بكم ربى عن مجاهد و ابن زيد و قيل ما يبالي بكم ربى عن أبى عمرو بن العلاء و ما لا- يعبأ به فوجوده و عدمه سواء «لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ» أى لو لا دعاؤه إياكم إلى الدين و الإسلام عن ابن عباس فيكون المصدر مضافا إلى المفعول و المعنى قل للمشركين ما يفعل بكم ربى أى أى نفع له فيكم و أى ضرر يعود إليه من عدمكم و أى قدر لكم عند الله حتى يدعوكم إلى الإيمان لكن الواجب فى الحكمة دعاؤكم إلى الدين و إرسال الرسول و قد فعل و قيل معناه لو لا عبادتكم له و إيمانكم به و توحيدكم إياه عن الكلبي و مقاتل و الزجاج فيكون الدعاء بمعنى

العباده و فى هذا دلالة على أن من لا يعبد الله و لا يطيعه فلا وزن له عند الله و قيل معناه ما يعبأ بعذابكم ربي لو لا دعاء بعضكم بعضا إلى الشرك و الشر عن البلخي و دليله ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ الْآيَةَ و قيل معناه لو لا دعاؤكم له إذا مسكم ضر أو أصابكم سوء رغبه له و خضوعا له و

روى العياشى بإسناده عن يزيد بن معاوية العجلي قال قلت لأبي جعفر (عليه السلام) كثره القراءة أفضل أم كثره الدعاء أفضل قال كثره الدعاء أفضل و قرأ هذه الآية

«فَقَدْ كَذَّبْتُمْ» الخطاب لأهل مكة أى أن الله دعاكم بالرسول إلى توحيدهِ و عبادته فقد كذبتُم يا معاشر الكفار الرسول «فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا» أى فسوف يكون عقابه لتكذيبكم إياه لازما لكم قال صخر الغي:

فأما ينجوا من حتف أرضى فقد لقا حتوفهما لازما

أى أنه واقع لا- محاله قال الزجاج تأويله فسوف يكون تكذيبكم لازما يلزمكم فلا تعطون التوبه و تلزمكم به العقوبه و قال أبو عبيده لازما فيصلا و قيل فى تفسير اللزام أنه القتل يوم بدر عن ابن مسعود و أبى بن كعب و قيل هو عذاب الآخرة و قال أبو ذؤيب فى اللزام:

ففاجأه بعاديه لزام كما يتفجر الحوض اللقيف

فلزام معناه كثيره يلزم بعضها بعضا و لقيف متساقط متهدم و بالله التوفيق.



## (٢٦) سورة الشعراء مكيه و آياتها سبع و عشرون و مائتان (٢٢٧)

### اشاره

### [توضيح]

مكيه كلها غير قوله «وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ» الآيات إلى آخر السوره فإنها نزلت بالمدينه.

### عدد آياتها

مائتان و سبع و عشرون آيه كوفي و شامى و المدنى الأول و ست فى الباقيين

### اختلافها

أربع آيات «طسم» كوفي «فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» غير الكوفي «مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ» غير البصرى و «مَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ» عراقى شامى و المدنى الأول

### فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سوره الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح (عليه السلام) و كذب به و هود و شعيب و صالح و إبراهيم (عليه السلام) و بعدد من كذب بعيسى (عليه السلام) و صدق بمحمد ص

و عن ابن عباس قال قال رسول الله ص أعطيت سوره التى يذكر فيها البقره من الذكر الأول و أعطيت طه و طواسين من ألواح موسى و أعطيت فواتح القرآن و خواتيم السوره التى يذكر فيها البقره من تحت العرش و أعطيت المفصله نافله

و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ الطواسين الثلاث فى ليله الجمعة كان من أولياء الله و فى جواره و كنفه و أسكنه الله فى جنه عدن وسط الجنه مع النبيين و المرسلين و الوصيين الراشدين و لم يصبه فى الدنيا بؤس أبدا و أعطى فى الآخرة من الأجر الجنه حتى يرضى و فوق رضاه و زوجه الله مائه حوراء من الحور العين

### تفسيرها

ذكر الله سبحانه فى مختتم سوره الفرقان تكذيبهم بالكتاب و ذكر فى مفتتح هذه السوره وصف الكتاب فقال:

## إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم (١) تَلَعَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِيكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنَّ نَشَأَ نُزُلٍ عَلَيَّهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤)

وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ (٦) أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْمَازُجِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)

## القراءه

قرأ أهل الكوفه غير الأعشى و البرجمي و حفص «طسم» و يس و حم بالإماله و الباقون بالفتح و التفخيم و ابن كثير أشد فتحا و تفخيما و كذلك عاصم ثم يعقوب و الآخرون لا يفتحون فتحا شديدا و قرأ أبو جعفر و حمزه بإظهار النون من سين عند الميم و الآخرون يدغمون.

## الحجه

قال أبو على تبيين النون هو الوجه لأن حروف الهجاء فى تقدير الانفصال و الانقطاع مما بعدها فإذا كان كذلك و جب تبيين النون لأنها إنما تخفى إذا اتصلت بحرف من حروف الفم فإذا لم تتصل بها لم يكن شىء يوجب إخفاءها و وجه إخفاءها مع هذه الحروف أن همزه الوصل قد وصلت و لم تقطع و همزه الوصل إنما تذهب فى الدرجه فلما سقطت همزه الوصل و هى لا تسقط إلا فى الدرجه مع هذه الحروف فى ألف لام ميم الله كذلك لا يبين النون و يقدر فيها الاتصال بما قبلها و لا يقدر الانفصال.

## الإعراب

«أَلَّا يَكُونُوا» فى محل نصب بأنه مفعول له و التقدير لأن لا يكونوا أو بأن

لا- يكونوا «فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ» فى موضع جزم عطفًا على تنزل «مِنْ ذِكْرٍ» فى محل رفع و من مزیده و كم فى موضع نصب بأنه مفعول أنبتنا و «أُنْبِتْنَا» فى موضع نصب على الحال و قد مضمره و التقدير مثبتا.

## المعنى

«طسم» قد بينا معانى هذه الحروف المقطعه فى أول البقره فلا- معنى لإعادته و قال مجاهد و الضحاك إن «طسم» و طس من أسماء القرآن و قال ابن عباس فى روايه الوالبى طسم قسم و هو من أسماء الله عز و جل و قال القرظى أقسم الله بطوله و سنائه و ملكه و

روى عن ابن الحنفية عن على (عليه السلام) عن النبي ص لما نزلت «طسم» قال الطاء طور سيناء و سين الإسكندرية و الميم مكه

و قيل الطاء شجره طوبى و السين سدره المنتهى و الميم محمد المصطفى ص «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» أشار بتلك إلى ما ليس بحاضر لكنه متوقع فهو كالحاضر لحضور المعنى فى النفس و التقدير تلك الآيات التى وعدتم بها هى آيات الكتاب أى القرآن و المبين الذى يبين الحق من الباطل «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» أى لعلك مهلك نفسك و قاتل نفسك بأن لا- يكونوا مؤمنين و بأن يقيموا على الكفر إنما قال ذلك سبحانه تسليه لنبيه ص و تخفيفا عنه بعض ما كان يصيبه من الاغتمام لذلك «إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً» أى دلالة و علامه تلجئهم و تضطرهم إلى الإيمان «فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا» أى لتلك الآية «خَاضِعِينَ» منقادين و قيل فى ذلك وجوه (أحدها) إن المراد فضل أصحاب الأعناق لها خاضعين فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه لدلالة الكلام عليه (و ثانيها) أنه جعل الفعل أولا للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون (و ثالثها) إن الخضوع مردود إلى المضمرة الذى أضيف الأعناق إليه عن الأخفش و المبرد و أبى عبيده و أنشدوا قول جرير:

أرى مر السنين أخذن منى كما أخذ السرار من الهلال

(و رابعها) إن المراد بالأعناق الرؤساء و الجماعات يقال جاءنى عنق من الناس أى جماعه (و خامسها) إنه لما وصف الأعناق بصفه ما يعقل نسب إليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر:

تمزرتها و الديك يدعو صياحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

و روى نادى صياحه و ذكر أبو حمزه الثمالى فى هذه الآية أنها صوت يسمع من السماء فى النصف من شهر رمضان و تخرج له العواتق من البيوت و قال ابن عباس نزلت فىنا و فى بنى أمية قال سيكون لنا عليهم الدوله فتخضع لنا أعناقهم بعد صعوبتها و تلين «و ما يأتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخْبَرٌ إِلَّا مَا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ» أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار أنه لا يأتِيهِمْ ذكر من الرحمن محدث أى جديد يعنى القرآن كما قال إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون و قال إن هو إلا ذكر إلا أعرضوا عن الذكر و لم يتدبروا فيه «فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ» فيما بعد يعنى يوم القيامة «أَنْبَأُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» و هى مفسره فى سورة الأنعام «أَ و لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» معناه من كل نوع معه قرينه «كَرِيمٍ» أى حسن و قيل نافع محمود مما يحتاج إليه و قيل من كل صنف يكرم على أهله و قيل كريم مما يأكل الناس و الأنعام عن مجاهد و قال الشعبى الناس نبات الأرض كما قال سبحانه وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا فَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَهُوَ كَرِيمٌ و من دخل النار فهو لئيم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» أى لدلاله على وحدانيتنا و كمال قدرتنا «وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» أى لا يصدقون بذلك و لا يعترفون به عنادا و تقليدا لأسلافهم و هربا من مشقه التكليف قال سيبويه كان هنا مزيده و مجازه و ما أكثرهم مؤمنين «وَ إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «لَهُوَ الْعَزِيزُ» أى القادر و الذى لا يعجز و الغالب الذى لا يغلب «الرَّحِيمُ» أى المنعم على عباده بأنواع النعم.

## إشارة

وَ إِذِ نادى رَبُّكَ مُوسَىٰ اَنْ ائتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ اَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ اِنِّىْ اَخَافُ اَنْ يُكذِّبُوْنِ (١٢) وَ يَضِيقُ صَدْرِىْ وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِىْ فَاَرْسِلْ اِلَىْ هَارُوْنَ (١٣) وَ لَهُمْ عَلٰى ذَنْبٍ فَاَخَافُ اَنْ يَقْتُلُوْنِ (١٤)

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا اِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَاْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُوْلَا اِنَّا رَسُوْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) اَنْ اَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيْ اِسْرَائِيْلَ (١٧) قَالَ اَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيْدًا وَ لَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِيْنَ (١٨) وَ فَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِيْ فَعَلْتَ وَ اَنْتَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ (١٩)

قَالَ فَعَلْتُهَا اِذَا وَ اَنَا مِنَ الصّٰلِحِيْنَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِيْ رَبِّىْ حُكْمًا وَ جَعَلَنِىْ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ (٢١) وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلٰى اَنْ عَبَدْتَ بَنِيْ اِسْرَائِيْلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَ الْمَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا اِنْ كُنْتُمْ مُّوْقِنِيْنَ (٢٤)

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ اَلَا تَسْتَمْعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْاَوَّلِيْنَ (٢٦) قَالَ اِنَّ رَسُوْلَكُمْ الَّذِىْ اَرْسِلَ اِلَيْكُمْ لَمَجْنُوْنٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَا بَيْنَهُمَا اِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَيْنِ اتَّخَذْتَ اِلٰهًا غَيْرِىْ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُوْنِيْنَ (٢٩)

قَالَ اَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِيْنٍ (٣٠)

## القراءة

قرأ يعقوب و يضيقي و لا ينطلق بالنصب فيهما و الباقون بالرفع و فى الشواذ قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار و حماد بن سلمه أ لا تتقون بالتاء و قراءه الشعبى و فعلت فعلتك.

## الحج

من قرأ «يَضِيقُ» «وَ لَا يَنْطَلِقُ» بالرفع عطف على «أَخَافُ» و من قرأ بالنصب عطف على «أَنْ يُكذِّبُونَ» أى أخاف أن يكذبون و أن يضيقي صدرى و لا ينطلق لسانى و من قرأ أ لا تتقون بالتاء فهو على إضمار القول أى فقل لهم أ لا تتقون و من قرأ فعلتك بكسر الفاء فهى مثل الركبه و الجلسه تكون كناية عن الحال التى يكون عليها و قد يكون المصدر على هذه الزنه تقول نشدته بالله نشده.

## الإعراب

قال الزجاج موضع إذ نصب على معنى و اتل عليهم هذه القصة فيما تتلو و الدليل عليه قوله عطفًا على هذه القصة «وَ اتلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اِبْرٰهِيْمَ اَنْ اَتَتْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»

موضعه نصب بأنه مفعول نادى أى ناداه بهذه الكلمه رسول رب العالمين واحد فى معنى الجمع كقوله فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي و يجوز أن يكون كل واحد منهما رسولا- «أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» فى موضع رفع لأنه بدل من نعمه تقديره و تلك نعمه تعبيدك بنى إسرائيل و تركك إياى غير عبد و يجوز أن يكون فى موضع نصب بأنه مفعول له أى إنما صارت نعمه لأن عبدت بنى إسرائيل و المعنى لو لم تفعل ما فعلت لكفلى أهلى و لم يلغونى فى اليم فإنما صارت نعمه لما فعلت من البلاء. فما ذا تَأْمُرُونَ يجوز أن يكون ما فى موضع رفع بالابتداء و ذا بمعنى الذى على تقدير فأى شىء الذى تأمرونه و يجوز أن يكون فى موضع نصب بأنه مفعول تأمرون و يكون مع ذا بمنزله اسم واحد و تقديره أى شىء تأمرون.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه أقايص رسله تسليه للرسول ص و تحريضا له على الصبر ثقه بنزول النصر و ابتداء بقصه موسى و فرعون فقال «وَ إِذْ نَادَى رَبُّكَ» أى و اذكر يا محمد و اتل عليهم الوقت الذى نادى فيه ربك الذى خلقك «مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» هذا أمر بعد النداء و تقديره قال له يا موسى إن أت القوم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى و ظلموا بنى إسرائيل بأن ساموهم سوء العذاب ثم بين القوم الموصوفين بهذه الصفه فقال «قَوْمَ فِرْعَوْنَ» و هو عطف بيان «أَلَا- يَتَّقُونَ» إنما قاله بالياء لأنه على الحكايه و معناه أ ما أن لهم أن يتقوا و يصرفوا عن أنفسهم عقوبه الله بطاعته و التقوى مجانبه القبائح بفعل المحاسن و أصله صرف الأمر بحاجز بين الصارف و بينه «قال» موسى «رَبِّ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» بالرساله و لا يقبلوا منى و الخوف انزعاج النفس بتوقيع الضر و نقيضه الأمن و هو سكون النفس إلى خلوص النفع «وَ يَضْحِكُ صَيْدْرِى» بتكذيبهم إياى «وَ لَا يُنْطَلِقُ لِسَانِى» أى لا ينبعث بالكلام للعقده التى كانت فيه و قد مر بيانها و قد يتعذر ذلك لآفه فى اللسان و قد يتعذر لضيق الصدر و غروب المعانى التى تطلب للكلام «فَأَرْسَلْ إِلَى هَارُونَ» أخى يعنى ليعاوننى كما يقال إذا نزلت بنا نازله أرسلنا إليك أى لتعيننا و إنما طلب المعاونه حرصا على القيام بالطاعه و قال الجبائى لم يسأل موسى (عليه السلام) ذلك إلا بعد أن أذن الله له فى ذلك لأن الأنبياء لا يسألون الله إلا ما يؤذن لهم فى مسألته «وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ» يعنى قتل القبطى الذى قتله موسى (عليه السلام) أى لهم على دعوى ذنب «فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» خاف أن يقتلوه بتلك النفس لا- لإبلاغ الرساله فإنه علم أن الله تعالى إذا بعث رسولا تكفل بمعونه على تبليغ رسالته «قال» الله «كَلَّا» و هو زجر أى لا- يكون ذلك و لن يقتلوك به فإنى لا أسلطهم عليك «فَأَذْهَبَا» أنت و أخوك و حذف ذكر هارون و إجابته موسى إلى ما اقترحه من إرساله معه إلى فرعون لدلاله قوله «فَأَذْهَبَا» عليه «بِآيَاتِنَا» أى بدلالاتنا و معجزاتنا

التي خصصنا كما بها «إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ» أي نحن نحفظكم و نحن سامعون ما يجرى بينكم و مستمع هنا فى موضع سامع لأن الاستماع طلب السمع بالإصغاء إليه و ذلك لا يجوز عليه سبحانه و إنما أتى بهذه اللفظه لأنه أبلغ فى الصفه و أكد و هو قوله «إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمِعُ وَ أَرَى» و إنما قال أنا معكم لأنه أجراهما مجرى الجماعه «فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أرسلنا الله إليك لندعوك إلى عبادته و ترك الإشراك به و لم يقل رسولا لأن العالمين لأن الرسول قد يكون فى معنى الجمع قال الهذلى:

ألكنى إليها و خير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر

أى غير الرسل و قيل إن الرسول بمعنى الرساله كما فى قوله:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر و لا أرسلتهم برسول

أى برساله و قال العباس بن مرداس:

ألا من مبلغ عنى خفافا رسولا بيت أهلك منتهاها

فأنث الرسول تأنيث الرساله و قد يقع المصدر موقع الصفه كما تقع المصدر فيكون مجازه أنا ذوا رساله رب العالمين «أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى أمرك الله بأن أرسلهم و أطلقهم من الاستعباد و خل عنهم و فى الكلام حذف تقديره أنهما أتيا فرعون و بلغا الرساله على ما أمرهما الله تعالى به «قَالَ» فرعون لموسى «أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا» و التريبه تشبيه الشىء ء حالا بعد حال معناه أ لم تكن فينا صبيا صغيرا فربيناك «وَلَكَبْتُ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِتِينَ» أى أقيمت سنين كثيره عندنا و هى ثمانى عشره سنه عن ابن عباس و قيل ثلاثين سنه عن مقاتل و قيل أربعين سنه عن الكلبي و إنما قال ذلك امتنانا عليه بإحسانه إليه و قيل أنه أظهر لؤمه حيث ذكر صنائعه «وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ» يعنى قتل القبطى «وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» لنعمتنا و حق تربيتنا عن ابن عباس و عطاء و مقاتل و قيل معناه و أنت من الكافرين بالهكك إذ كنت معناه على ديننا الذى تعيب و تقول إنه كفر عن الحسن و السدى «قَالَ» موسى «فَعَلْتُهَا إِذَا وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» أى فعلت هذه الفعله و أنا من الجاهلين لم أعلم بأنها تبلغ القتل و قيل معناه من الناسين عن ابن زيد و قيل من الضالين عن العلم بأن ذلك يؤدى إلى قتله عن الجبائى و قيل من الضالين عن طريق الصواب لأنى ما تعمدته و إنما وقع منى خطأ كمن يرمى طائرا فيصيب إنسانا و قيل من الضالين عن النبوه أى لم يوح إلى تحريم قتله

«فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ» أى ذهبت من بينكم حذرا على نفسى إلى مدين لما خفتكم أن تقتلونى بمن قتلته «فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا» أى نبوه و قيل إن الحكم العلم بما تدعو إليه الحكمة و هو الذى وهبه الله تعالى لموسى من التوراه و العلم بالحلال و الحرام و سائر الأحكام «وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُزْسَلِينَ» أى نبيا من جملة الأنبياء «وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ» يقال عبده و أعبده إذا اتخذه عبدا و قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن فيه اعترافا بأن تربيته له كانت نعمه منه على موسى و إنكارا للنعمه فى ترك استعباده و يكون ألف التوييح مضمرا فيه فكأنه يقول أو تلك نعمه تمنها على إن عبدت بنى إسرائيل و لم تعبدنى (و ثانيها) إنه إنكار للمنه أصلا و معناه أ تمن على بأن رببته مع استعبادك قومى هذه ليست بنعمه يريد أن اتخذك بنى إسرائيل الذين هم قومى عبدا أحبط نعمتك التى تمن بها على (و ثالثها) إن معناه إنك لو كنت لا تستعبد بنى إسرائيل و لا تقتل أبناءهم لكنت أمة مستغنيه عن قذفى فى اليم فكأنك تمن على بما كان بلاؤك سببا له عن الزجاج و زاد الأزهرى لهذا بيانا فقال إن فرعون لما قال لموسى (عليه السلام) أ لم نربك فينا وليدا فاعتد عليه بأن رباه وليدا منذ ولد إلى أن كبر فكان من جواب موسى (عليه السلام) له تلك نعمه تعتد بها على لأنك عبدت بنى إسرائيل و لو لم تعبدهم لكفلى أهلى فلم يلقونى فى اليم فإنما صارت لك على نعمه لما أقدمت عليه مما حظره الله عليك (و رابعها) إن فيه بيان أنه ليس لفرعون عليه نعمه لأن الذى تولى تربيته أمه و غيرها من بنى إسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم فيكون معناه أنك تمن على بأن استعبدت بنى إسرائيل حتى ربونى و حفظونى عن الجبائى «قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ» أى أى جنس رب العالمين الذى تدعونى إلى عبادته «قَالَ» موسى فى جوابه «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى مبدعهما و منشئهما و خالقهما «وَ مَا بَيْنَهُمَا» من الحيوان و الجماد و النبات «إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ» بأن الرب من كان بهذه الصفه أو موقنين بأن هذه الأشياء محدثه و ليست من فعلكم و المحدث لا بد له من محدث و لم يشتغل موسى لجواب ما سأله فرعون لأن الله تعالى ليس بذى جنس بل اشتغل ببيان ربوبيته و صفاته و بيان الحججه الداله عليه من خلقه الذى يعجز المخلوقون عن مثله «قَالَ» فرعون «لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ» يريد ألا تستمعون مقاله موسى عن ابن عباس و قيل معناه أ لا تصغون إليه و تفهمون ما يقوله معجبا من قوله و إنما عجب فرعون من حوله من جوابه لأنه طلب منه أى أجناس الأجسام هو جهلا منه بالتوحيد لأنه لو كان كأحد أجناس الأجسام لكان محدثا كسائر الأجسام التى هى من جنسه لحلول الحوادث فيه و دله موسى على الله بدلاله أفعاله التى بها يجب أن يستدل عليه تعالى فقال فرعون انظروا إلى هذا أسأله عن شىء فيجيب عن غيره فجرى موسى (عليه السلام) على عادته



فى الرفق و تأكيد الحجة و تكريرها «قال رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» و إنما ذكره تأييدا لما قبله و توكيدا له فإن فرعون كان يدعى الربوبية على أهل عصره دون من قبله فبين إن المستحق للربوبية من هو رب أهل كل عصر و مالك تدبيرهم فعند ذلك «قال» فرعون إذ لم يقدر على جواب لكلام موسى (عليه السلام) يموه عليهم «إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» لأننى أسأله عن ماهية رب العالمين فيجيبنى عن غير ذلك كما يفعل المجنون فعند ذلك لم يشتغل موسى (عليه السلام) بالجواب عما نسبه إليه من الجنون و لكن اشتغل بتأكيد الحجة و الزيادة فى الإبانة بأن «قال رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» ذلك و تدبرونه و قيل إن كنتم تعلمون أنه إنما يستحق العبادة من كان بهذه الصفة فلما طال على فرعون الاحتجاج من موسى «قال» مهتدا له «لَئِنْ أَخَذْتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ» أى من المحبوسين قالوا و كان إذا سجن أحدا لم يخرج حتى يموت فلما توعد بالسنن «قال أَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ» معناه أ تسجننى و لو جئتك بأمر ظاهر تعرف به صدقى و كذبك و حجه ظاهره تدل على نبوتى.

إشارة

قَالَ فَآتَ بِهِ إِِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)

قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَا تُوَكُّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ (٤٠)

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعَزَّةٍ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥)

فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَ لَأَصْلَبُنَّكُمُ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠)

المعنى

«قال» فرعون لموسى «فَأَتَتْ بِهِ إِِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» أى هات ما ادعيت من المعجزات إن كنت صادقاً «فَأَلْقَى» حينئذ موسى «عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ» أى حيه عظيمه و قيل الثعبان المذكور من الحيات «مُبِينٌ» ثعبان لا-شبهه فيه «وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ» أى و أخرج يده من كفه أو جيبه على ما روى فإذا هى بيضاء بياضاً نورياً كالشمس فى إشراقها للناظرين إليها «قال» فرعون «لِلْمَلَأِ» الأشراف من قومه «حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ» بالاسحر و الحيل «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ» و دياركم و يتغلب عليها «بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ» فى بابيه و إنما شاور قومه فى ذلك مع أنه كان يقول لهم أنه إله لأنه يجوز أن يكون ذهب عليه و على قومه إن الإله لا-يجوز أن يشاور غيره كما ذهب عليهم أن الإله لا-يجوز أن يكون جسماً محتاجاً فاعتقدوا إلهيته مع ظهور حاجته «قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ» قد مر تفسيره و اختلاف القراء فيه فى سورة الأعراف «وَ ابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ» يحشرون الناس من جميع البلدان «يَا تُوَكُّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ» و فى الكلام حذف تقديره أنه أنفذ الحاشرين فى البلدان فحشروهم «فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» أى لوقت يوم بعينه اختاروه و عينوه و هو يوم عيدهم يوم الزينه «وَقِيلَ لِلنَّاسِ» أى لأهل مصر «هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ» لموسى و أخيه «فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ» و حضروا بين يدى فرعون «قَالُوا» له «أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ» أى هل لنا أجره و جزاء على غلبتنا إياه إن نحن غلبناه «قال» فرعون

«نَعَمْ» لكم على ذلك الأجر الجزيل «وَإِنَّكُمْ» مع ما تعطون من الجزاء والأجر «إِذَا لِمَنِ الْمُقَرَّبِينَ» و المقرب المدنى من مجلس الكرامه «قَالَ لَهُمْ» أى للسحره «مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ» هذا بصورة الأمر و المراد به التحدى «فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَ عَصَاهُمْ» أى طرحوا ما كان معهم من الحبال و العصى «وَ قَالُوا بِعِزَّةِ رَبِّنا فَزَعَوْنا إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ» و العزه القوه التى يمتنع بها من لحاق ضميم لعلو منزلتها و هذا القول قسم منهم و إن كان غير مبرور «فَأَلْقَى» عند ذلك «مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ» أى أن العصا تتناول جميع ما موهوا به فى أوجز مده من الزمان «فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ» لما بهرهم ما أظهره موسى (عليه السلام) من قلب العصا حيه و تلقفها جميع ما أتعبوا به نفوسهم فيه و علموا إن ذلك من عند الله إذ أحد من البشر لا يقدر عليه «قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ» فعند ذلك «قَالَ» فرعون مهددا لهم «آمَنْتُمْ» أى صدقتم له فيما يدعو إليه «قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» أى أنا فى تصديقه «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ» أى أستاذكم و عالمكم «الَّذِى عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» فيما بعد ما أفعله بكم عقوبه لكم على تصديقكم إياه ثم فسر ذلك بقوله «لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ» يعنى قطع اليد من جانب و الرجل من الجانب الآخر كقطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى «وَ لَأَصْلَبُنَّكُمُ أَجْمَعِينَ» مع ذلك على الجذوع و لا أترك أحدا منكم لا تناله عقوبتى «قَالُوا» فى جوابه عن ذلك «لا ضير» أى لا ضرر علينا فيما تفعله يقال ضاره يضيره ضيرا و ضره يضره ضررا «إِنَّا إِلَى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ» أى إلى ثواب ربنا راجعون فيجازينا على إيماننا و صبرنا بالنعيم الدائم الذى لا ينقضى و لا يضرنا قطعك و صلبك فإنه ألم ساعه عن قريب ينقضى قال الحسن لم يصل فرعون إلى قتل واحد منهم و لا قطعاه و قيل إن أول من قطع الأيدي و الأرجل فرعون.

## [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٥١ الى ٦٨]

### إشارة

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١) وَ أَوْحينا إلى موسى أَنْ أَسِرْ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلْنا فِرْعَوْنَ فى الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَ إِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥)

وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حادِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجناهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَ عُيُونِ (٥٧) وَ كُنُوزِ وَ مَقامِ كَرِيمِ (٥٨) كَذَلِكَ وَ أَوْرثناها بَنى إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠)

فَلَمَّا تَرَأى الْجَمْعانِ قالَ أَصِحابُ موسى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١) قالَ كَلَّا إِنَّ مَعى رَبِّى سَیْيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحينا إلى موسى أَنْ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَ أَرْسَلنا ثُمَّ الْآخِرِينَ (٦٤) وَ أَنْجينا موسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥)

ثُمَّ أَعْرَقنا الْآخِرِينَ (٦٦) إِنَّ فى ذلِكَ لآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨)

قرأ ابن عامر و أهل الكوفه حاذرون بالألف و الباقون بغير ألف و قرأ فاتبعوهم موصوله الألف مشدده التاء زيد عن يعقوب و قرأ الباقون «فَاتَّبَعُوهُمْ» بقطع الألف و سكون التاء و قرأ حمزه و نصير عن الكسائي و خلف تراء الجمعان بكسر الراء و الباقون بفتحها و فى الشواذ قراءه أبان بن تغلب إن كنا أول المؤمنين بكسر الهمزه من أن و قراءه ابن أبى عامر حاذرون بالبدال غير المعجمه و قراءه الأعرج و عبيد بن عمير إنا لمدركون بتشديد الدال و قراءه عبد الله بن الحرث و أزلقنا بالقاف.

## الحجه

قال أبو على قال أبو عبيده رجل حذر و حذر و حاذر قال ابن أحمري:

هل ينسأن يومى إلى غيره أنى حوالى و أنى حذر

حوالى أى ذو حيله و قال العباس بن مرداس:

و إنى حاذر أنمى سلاحى إلى أوصال ذيال منيع

و وجه إماله الحركه على الراء من تراءى أن قياسه أن يكون تراءى فى الموقف مثال تراعى فأمال فتحه الراء لإماله فتحه الهمزه التى أميلت ليميل الألف نحو الياء كما قالوا رأى

أمالوا فتحه الراء لإماله فتحه الهمزه فإن قيل فإذا وصل وقيل تراه الجمعان فهلا لم يجوز إماله الفتحه التى على الراء لأنه إذا كان إمالتها لإماله فتحه الهمزه و ما يوجب إماله الفتحه فقد سقط و هو الألف المنقلبه من الياء التى سقطت لالتقاء الساكنين فإذا سقطت لم يجوز إماله فتحه الهمزه فإذا لم يجوز إماله فتحه الهمزه وجب أن لا- يجوز إماله فتحه الراء فليل إن إماله فتحه الراء فى تراءى جائزه فى الوصل مع سقوط الألف من تفاعل لالتقاء الساكنين و ما سقط الألف عن تفاعل لالتقاء الساكنين فهو عندهم فى حكم الثابت يدل على ذلك قولهم

" و لا ذاكر الله إلا قليلا "

فنصب مع سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كما ينصب إذا ثبت و زعم أبو الحسن أنه قد قرأ فى القُتلى الحُرُّ بإماله فتحه اللام مع سقوط الألف و قال ابن جنى قوله إن كنا أول المؤمنين من الكلام الذى يعتاده المستظهر المدل بما عنده يقول الرجل لصاحبه أنا أحفظه عليك إن كنت وافيا و لن يضع لك جميل عندى إن كنت شاكرا أى فكما تعلم إن هذا معروف من حالى فثق بوفائى و شكرى و مثله بيت كتاب سيبويه:

أ تغضب أن أذنا قتيبه حزتا جهارا و لم تغضب لقتل ابن حازم

فشرط بذلك و قد كان و وقع قبل ذلك و قد جاء به أبو تمام فقال:

و مكارما عتق النجار تليده إن كان هضب عمايتين تليدا

أى كما كان هضب عمايتين تليدا فكذلك هذه المكارم و أما قوله حادرون فالحادر القوى الشديد و منه الحادره الشاعره و حدر الرجل إذا قوى جسمه و امتلأ لحما و شحما قال الأعشى:

و عسير أدماء حادره العين خنوف غير أنه شمالال

و يقال أدركت الشىء و أدركته بمعنى و من قرأ «و أزلَّفْنَا» بالفاء فالآخرون موسى و أصحابه و من قرأ بالقاف فالآخرون فرعون و أصحابه أى أهلكناهم.

## اللغة

سرى و أسرى لغتان و قد فرق بينهما و الشردمه العصبه الباقية من عصب كثيره

و شردمه كل شىء بقيته القليله قال الراجز:

جاه الشتاء و قميصى أخلاق شراذم يضحك منها التواق

و الفرق بين الحذر و الحاذر أن الحاذر الفاعل للحذر و الحذر المطبوع على الحذر و الكنوز الأموال المخباه فى مواضع غامضه من الأرض بعضها على بعض و منه كناز التمر و غيره مما يعبأ بعرضه على بعض و المقام الموضع الذى يقام فيه و الكريم الحقيق بإعطاء الخير الجزيل و هى صفه تعظيم فى المدح و اتباع فلان فلانا و تبعه إذا اقتفى أثره و الإشراق الدخول فى وقت شروق الشمس و يقال شرقت الشمس إذا طلعت و أشرقت إذا أضاءت و صفت و أشرقنا دخلنا فى الشروق و تراءا الجمعان أى تقابلا بحيث يرى كل منهما صاحبه و يقال تراءى نارا هما إذا تقابلا و إنما جاز تشبيه الجمع لأنه يقع عليه صفه التوحيد فتقول هذا جمع واحد كما تقول جمله واحده و الإدراك اللحاق يقال أدرك قتاده الحسن أى لحقه و أدرك الزرع أى لحق ببلوغه و أدرك الغلام أى بلغ و أدركت القدر نضجت و الطود الجبل قال الأسود بن يعفر:

حلوا بانقره يجيش عليهم ماء الفرات يجىء من أطواد

و الازدلاف الإدناء و التقريب و منه المزدلفه أبو عبيده أزلفنا جمعنا و ليله المزدلفه ليله جمع قال الشاعر:

و كل يوم مضى أو ليله سلفت فيها النفوس إلى الآجال تزدلف

و الآخر بفتح الخاء الثانى من قسمى أحد يقال نجى الله أحدهما و أهلك الآخر و بكسر الخاء هو الثانى من قسمى الأول يقال نجى الأول و هلك الآخر.

## المعنى

ثم أخبر سبحانه عن السحره أنهم قالوا لفرعون حين آمنوا «إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا» أى ما فعلناه من السحر و غيره «أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ» أى لأننا كنا أول من صدق موسى و أقر بنبوته و بما دعانا إليه من التوحيد و نفى التشبيه و قيل أنهم أول من آمن عند تلك الآيه أو أول من آمن من آل فرعون لأن بنى إسرائيل كانوا آمنوا به «وَأَوْحَيْنَا

إلى موسى أَنْ أُسِيرَ بِعِبَادِي» سبق تفسيره فى سورة طه «إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ» بتبعكم فرعون و جنوده ليحولوا بينكم و بين الخروج من أرض مصر «فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمِيدَانِ حَاشِرِينَ» يحشرون إليه الناس و يجمعون له الجيوش ليقبضوا على موسى و قومه لما ساروا بأمر الله عز و جل فلما حضروا عنده قال لهم «إِنَّ هَؤُلَاءِ» يعنى أصحاب موسى «لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ» أى عصابه من الناس قليلة قال الفراء يقال عصبه قليلة و قليلون و كثيره و كثيرون قال المفسرون و كان الشرذمه الذين قللهم فرعون ستمائه ألف و لا يحصى عدد أصحاب فرعون «وَ إِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ» يقال غاظه و اغتاظه و غيظه إذا أغضبه أى أنهم غاظونا لمخالفتهم إيانا فى الدين ثم لخروجهم من أرضنا على كره منا و ذهابهم بالحلى الذى استعاروها و خلوصهم من استعبادنا «وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ» أى خائفون شرهم و حاذرون أى مؤدون مقوون أى ذوو أداه و قوه مستعدون شاكون فى السلاح و قال الزجاج الحاذر المستعد و الحذر المتيقظ ثم أخبر سبحانه عن كيفية إهلاهم بقوله «فَأَخْرَجْنَاهُمْ» يعنى آل فرعون «مِنْ جَنَاتٍ» أى بساتين «وَ عُيُونٍ» جاريه فيها «وَ كُنُوزٍ» أى أموال مخبأه و خزائن و دفائن «وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ» أى منابر يخطب عليها الخطباء عن ابن عباس و قيل هو مجالس الأمراء و الرؤساء التى كان يحف بها الأتباع فيأتمرون بأمرهم و قيل المنازل الحسان التى كانوا مقيمين فيها فى كرامه و قيل يريد مرابط الحيل لتفرد الرؤساء بارتباطها عده و زينه فصار مقامها أكرم مقام متروك «كَذَلِكَ» أى كما وصفنا لك أخبارهم «وَ أَوْزَنَّا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ» و ذلك إن الله سبحانه رد بنى إسرائيل إلى مصر بعد ما أغرق فرعون و قومه و أعطاهم جميع ما كان لفرعون و قومه من الأموال و العقار و المساكن و الديار «فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ» يعنى قوم فرعون أدركوا موسى و أصحابه حين شرقت الشمس و ظهر ضوءها و ذلك قوله «فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ» أى تقابلا- بحيث يرى كل فريق صاحبه «قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ» أى سيدركنا جمع فرعون و لا طاقه لنا بهم «قَالَ» موسى ثقه بنصر الله تعالى «كَلَّا» لن يدركونا و لا يكون ما تظنون فانتهوا عن هذا القول «إِنَّ مَعِيَ رَبِّي» بنصره «سَيَهْدِينِ» أى سيرشدنى إلى طريق النجاه و قيل سيكفينى عن السدى «فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ» و هو نهر النيل ما بين إبله و مصر و قيل هو بحر قلزم ما بين اليمن و مكه إلى مصر و فيه حذف أى فضرب «فَمَا نَفَلَقْ» أى فانشق البحر و ظهر فيه اثنا عشر طريقا و قام الماء عن يمين الطريق و يساره كالجبل العظيم و ذلك قوله «فَكَانَ كُلُّ فُوقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ» أى فكان كل قطعه من البحر كالجبل العظيم و الفرق الاسم لما انفرق و الفرق مصدر «وَ أَرْزَلْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ» أى قربنا إلى البحر فرعون و قومه حتى أغرقناهم عن

ابن عباس و قتاده و قيل معناه جمعنا فى البحر فرعون و قومه عن أبى عبيده و قيل معناه و قربناهم إلى المنيه لمجىء وقت هلاكهم «وَ أَنْجَيْنَا مُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ» يعنى بنى إسرائيل أنجينا جميعهم من الغرق و الهلاك «ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ» فرعون و جنوده «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» معناه إن فى فرق البحر و إنجاء موسى و قومه و إغراق فرعون و قومه لدلاله واضحه على توحيد الله و صفاته التى لا يشاركه فيها غيره «وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه أنهم مع هذا السلطان الظاهر و البرهان الباهر و المعجز القاهر ما آمن أكثرهم فلا تستوحش يا محمد من قعود قومك عن الحق الذى تأتيتهم به و تدلهم عليه فقد جروا على عادة أسلافهم فى إنكار الحق و قبول الباطل «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ» فى سلطانه «الرَّحِيمُ» بخلقه و قيل العزيز فى انتقامه من أعدائه الرحيم فى إنجائه من الهلاك لأوليائه و قيل أنه لم يؤمن من أهل مصر غير آسياه امرأه فرعون و مؤمن آل فرعون و مريم التى دلت على عظام يوسف.



إشارة

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَافِيينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣)

قَالُوا بَلْ وَحَدِّثْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨)

وَ الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِيَنِي (٧٩) وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَ الَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَعْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَ الْخِيفَتِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)

وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَ اجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَ اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يُنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ (٨٨)

إِلَّا- مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَ أُرْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَ بَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣)

فَكَبكبُوا فِيهَا هُمْ وَ الْغَاوُونَ (٩٤) وَ جُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨)

وَ مَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٣)

وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤)

اللغة

الأقدم الموجود قبل غيره و مثله الأول و الأسبق و القدم وجود الشيء لا إلى أول و التبريز الإظهار يقال أبرزه و برزه فبرز يبرز بروزا و الغاوى العامل بما يوجب الخيبة من الثواب كبكبوا أصله كببوا إلا- أنه ضوعف بتكرير الفاء أى دهدهوا و طرح فيها بعضهم على بعض جماعه جماعه و الحميم القريب الذى توده و يودك.

الإعراب

«هَلْ يَسْمَعُونَكَ» أصله أن يتعدى إلى ما كان صوتا مسموعا تقول سمعت كلامك فإن وقع على جوهر تعدى إلى مفعولين و لا يكون الثانى منهما إلا صوتا كقولك سمعت زيدا يقرأ و لا يجوز سمعت زيدا يقوم لأن القيام لا يكون مسموعا و قوله «هَلْ

يَسْمَعُونَكُمْ إِذِ تَدْعُونَ» على حذف المضاف و التقدير هل يسمعون دعاءكم فحذف المضاف

ص: ٣٠٣

و دل عليه قوله «إِذْ تَدْعُونَ». «إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ» استثناء منقطع و يجوز أن يكون غير منقطع على تقدير فإن جميع ما عبدتم عدو لى إلا رب العالمين و قد عبدوا مع الله تعالى الأصنام. «إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ» الموصول و الصله فى محل نصب على البدل من مفعول ينفع المحذوف تقديره يوم لا ينفع أحدا مال و لا بنون إلا من أتى الله و يجوز أيضا أن يكون منصوبا على الاستثناء. «هُمْ فِيهَا» مبتدأ و خبر. «يَخْتَصِمُونَ» فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون يختصمون خبر المبتدأ و فيها يتعلق به فيكون منصوبا بإضمار أن فى جواب التمنى.

## المعنى

ثم قال سبحانه «وَ أَتْلُ عَلَيْهِمْ» يا محمد «نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ» أى خبر إبراهيم فإنه شجره الأنبياء و به افتخار العرب و فيه تسليه لك و عظه لقومك «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ» على وجه الإنكار عليهم «مَا تَعْبُدُونَ» أى أى شىء تعبدون من دون الله «قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ» أى فنظل لها مصلين عن ابن عباس و قيل معناه فنقيم على عبادتها مداومين «قَالَ» إبراهيم «هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ» أى هل يسمعون دعاءكم «إِذْ تَدْعُونَ» معناه هل يستجيبون دعاءكم إذا دعوتموهم «أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ» إذا عبدتموهم «أَوْ يَضُرُّونَ» إن تركتم عبادتها و فى هذا بيان إن الدين إنما يثبت بالحجه و لو لا ذلك لم يحاجهم إبراهيم (عليه السلام) هذا الحجاج «قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ» و هذا إخبار عن تقليدهم آباءهم فى عباده الأصنام «قَالَ» إبراهيم (عليه السلام) منكر عليهم التقليد «أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ» أى الذى كنتم تعبدونه من الأصنام «أَنْتُمْ» الآن «وَ آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ» أى المتقدمون أى و الذين كان آباؤكم يعبدونهم و إنما دخل لفظه كان لأنه جمع بين الحال و الماضى «فَأِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي» معناه إن عباده الأصنام مع الأصنام عدو لى إلا أنه غلب ما يعقل و قيل أنه يعنى الأصنام و إنما قال فإنهم فجمعها جمع العقلاء لما وصفها بالعداوه التى لا تكون إلا من العقلاء و جعل الأصنام كالعدو فى الضرر من جهه عبادتها و يجوز أن يكون قال فإنهم لأنه كان منهم من يعبد الله مع عبادته الأصنام فغلب ما يعقل و لذلك استثنى فقال «إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ» استثناء من جميع المعبودين قال الفراء أنه من المقلوب و المعنى فإنى عدو لهم و من عاديته فقد عاداك ثم وصف رب العالمين فقال «الَّذِى خَلَقَنِي» و أخرجنى من العدم إلى الوجود «فَهُوَ يَهْدِينِ» أى يرشدنى إلى ما فيه نجاتى و قيل الذى خلقنى لطاعته فهو يهدىنى إلى جنته «وَ الَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَشْفِقُنِي وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» معناه أنه يرزقنى ما أتغذى به و يفعل ما يصح بدنى «وَ الَّذِى يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ» أى يميتنى بعد أن كنت حيا و يحيينى يوم القيامة بعد أن أكون ميتا «وَ الَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» أى يوم الجزاء و إنما قال ذلك على سبيل الانقطاع منه إلى الله تعالى لا على سبيل أن له خطيئه

يحتاج إلى أن يغفر له يوم القيامة لأن عندنا لا يجوز أن يقع من الأنبياء شىء من القبائح وعند جميع أهل العدل وإن جوزوا عليهم الصغائر فإنها تقع عندهم محبته مكفرة فليس شىء منها غير مغفور فيحتاج إلى أن يغفر يوم القيامة وقيل معناه أطمع أن يغفر لمن يشفعني فيه فأضافه إلى نفسه كقوله سبحانه لنبيه ص لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَإِنَّمَا قَالَ وَإِذَا مَرِضْتُ فَأُضَافُ الْمَرَضَ إِلَى نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ اسْتِعْمَالًا لِحَسَنِ الْأَدَبِ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ شُكْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَ لَوْ كَانَ الْمَقْصُودَ بَيَانِ الْقُدْرَةِ لِأَضَافَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَ نَظِيرُهُ قَوْلُ الْخَضِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ثُمَّ قَالَ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَإِنَّمَا حَذَفَ الْبَاءَاتِ لِأَنَّهُ رَعِوسُ الْآيَاتِ وَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِنَّمَا صَدَرَ عَلَى وَجْهِ الْاِحْتِجَاجِ عَلَى قَوْمِهِ وَ الْإِخْبَارِ بِأَنَّهُ لَا يَصْلِحُ لِلإِلَهِيَّةِ إِلَّا- مِنْ فِعْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ ثُمَّ حَكَى اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَهُ وَ قَالَ «رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا» وَ الْحُكْمُ بَيَانُ الشَّيْءِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْحُكْمَةُ وَ قِيلَ إِنَّهُ الْعِلْمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَعْنِي عِلْمًا إِلَى عِلْمٍ وَ فِقْهًا إِلَى فِقْهِ وَ قِيلَ إِنَّهُ النَّبِيُّ عَنْ الْكَلْبِيِّ «وَ أَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ» أَيْ بِمَنْ قَبْلِي مِنَ النَّبِيِّينَ فِي الدَّرَجَةِ وَ الْمَنْزِلَةِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَفْعَلْ بِي مِنَ اللَّطْفِ مَا يُؤَدِّينِي إِلَى الصَّلَاحِ وَ الْاجْتِمَاعِ مَعَ النَّبِيِّينَ فِي الثَّوَابِ وَ فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى عَظَمِ شَأْنِ الصَّلَاحِ وَ هُوَ الْاسْتِقَامَةُ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَ دَعَا إِلَيْهِ «وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» أَيْ ثَنَاءً حَسَنًا فِي آخِرِ الْأُمَمِ وَ ذَكَرًا جَمِيلًا وَ قَبُولًا عَامًا فِي الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دَعَا فُكُلِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ يَثْنُونَ عَلَيْهِ وَ يَقْرُونَ بِنَبِيِّهِ وَ الْعَرَبُ تَضَعُ اللِّسَانَ مَوْضِعَ الْقَوْلِ عَلَى الْاسْتِعَارَةِ لِأَنَّ الْقَوْلَ يَكُونُ بِهَا وَ كَذَلِكَ يَسْمُونَ اللَّغَةَ لِسَانًا قَالَ الْأَعْمَشِيُّ بِأَهْلِهِ:

إِنِّي أَتَنَّى لِسَانًا لَا أُسْرُ بِهَا مِنْ عَلْوٍ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَ لَا سَخَرَ

وَ قِيلَ إِنْ مَعْنَاهُ وَ اجْعَلْ لِي وَلَدًا صِدْقًا فِي آخِرِ الْأُمَمِ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَ يَقُومُ بِالْحَقِّ وَ هُوَ مُحَمَّدٌ ص «وَ اجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ» أَيْ مِنَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ «وَ اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ» أَيْ مِنَ الْذَاهِبِينَ عَنِ الصَّوَابِ فِي اعْتِقَادِهِ وَ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ ضَالٌّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ كَافِرًا كَفَرَ جَهَالَةً لَا- كَفَرَ عِنَادًا وَ قَدْ ذَكَرْنَا الْوَجْهَ فِي اسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ «وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ» أَيْ لَا تَفْضَحْنِي وَ لَا تَعِيرْنِي بِذَنْبِ يَوْمِ تَحْشُرِ الْخَلَائِقِ وَ هَذَا الدَّعَاءُ كَانَ مِنْهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى وَجْهِ الْاِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَّا أَنَّ الْقِيَامَةَ لَا يَجُوزُ وَقُوعُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِأَنَّ قَالَ «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ» أَيْ لَا يَنْفَعُ الْمَالُ وَ الْبَنُونَ أَحَدًا إِذْ لَا يَتَهَيَّأُ لِلذِّمَالِ أَنَّ يَفْتَدِيَ مِنْ شِدَائِدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ

به ولا يتحمل من صاحب البنين بنوه شيئا من معاصيه «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» من الشرك و الشك عن الحسن و مجاهد و قيل سليم من الفساد و المعاصى و إنما خص القلب بالسلامه لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد من حيث أن الفساد بالجارحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال هو القلب الذى سلم من حب الدنيا

و يؤيده

قول النبى ص حب الدنيا رأس كل خطيئه

«وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ» أى قربت لهم ليدخلوها «وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» أى أظهرت و كشف الغطاء عنها للضالين عن طريق الحق و الصواب «وَقِيلَ لَهُمْ» فى ذلك اليوم على وجه التوبيخ «أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» من الأصنام و الأوثان و غيرهما و إنما وبخوا بلفظ الاستفهام لأنه لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم «هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ» بدفع العذاب عنكم فى ذلك اليوم «أَوْ يَنْتَصِرُونَ» لكم إذا عوقبتهم و قيل ينتصرون أى يمتنعون من العذاب «فَكَبَّكِبُوا فِيهَا» أى جمعوا و طرح بعضهم على بعض عن ابن عباس و قيل نكسوا فيها على رءوسهم عن السدى «هُمْ» يعنى الآلهة التى تعبدونها «وَالْغَاوُونَ» أى و العابدون و المعنى اجتمع المعبودون من دون الله و العابدون لها فى النار «وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ» أى و كبكب معهم جنود إبليس يريد من اتبعه من ولده و ولد آدم «قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ» أى قال هؤلاء و هم فى النار يخاصم بعضهم بعضا «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» و إن هذه هى المخففة من الثقيلة أى إنا كنا فى ضلال و معناه لقد كنا فى ضلال عن الحق بين و ذهب عن الصواب ظاهر إذ سويتناكم بالله و عدلناكم به فى توجيه العباده إليكم «وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ» أى إلا أولونا الذين اقتدينا بهم عن الكلبى و قيل إلا الشياطين عن مقاتل و قيل الكافرون الذين دعونا إلى الضلال ثم أظهروا الحسره فقالوا «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ» يشفعون لنا و يسألون فى أمرنا «وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ» أى ذى قرابه بهمه أمرنا و المعنى ما لنا من شفيع من الأبعاد و لا صديق من الأقارب و ذلك حين يشفع الملائكة و النبيون و المؤمنون و

فى الخبر المأثور عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ص يقول إن الرجل يقول فى الجنة ما فعل صديقى فلان و صديقه فى الجحيم فيقول الله تعالى أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقى فى النار فما لنا من شافعين و لا صديق حميم

و

روى العياشى بالإسناد عن حمران بن أعين عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال و الله لنشفعن لشيعتنا و الله لنشفعن لشيعتنا حتى يقول الناس «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ» إلى قوله «فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»

و

فى روايه أخرى حتى يقول عدونا

و عن أبان بن تغلب قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول إن المؤمن ليشفع يوم القيامة



لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول و يرفع سبابته يا رب خويدمى كان يقينى الحر و البرد فيشفع فيه

و فى خبر آخر عن أبى جعفر (عليه السلام) قال أن المؤمن ليشفع لجاره و ما له حسنه فيقول يا رب جارى كان يكف عنى الأذى فيشفع فيه و إن أدنى المؤمنين شفاعه ليشفع لثلاثين إنسانا

ثم قالوا «فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً» أى رجعه إلى الدنيا «فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» المصدقين فتحل لنا الشفاعه «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فيما قصصناه «لَمَّآيَةً» أى دلالة لمن نظر فيها و اعتبر بها «وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» فيها تسليه للنبي ص و إعلام له بأن الشر قديم «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» مضى معناه.

## [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٠٥ الى ١٢٢]

### اشاره

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا- تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٠٨) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩)

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١١٠) قَالُوا أَ تُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ (١١١) قَالَ وَ مَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤)

إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحًا وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَانْجِنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩)

ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)

قرأ يعقوب و أتباعك و هو قراءه ابن مسعود و الضحاك و ابن السميعف و الفراء و الباقون «وَأَتَّبَعَكَ».

## الحجه

يحتمل قوله و أتباعك و جهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ و «الْأَرْدُلُونَ» خبره و المعنى لما ذا تؤمن لك و إنما أتباعك الأردلون (و الآخر) أن يكون معطوفا على الضمير فى «أَتُؤْمِنُ» أى أ تؤمن نحن و أتباعك و «الْأَرْدُلُونَ» صفة للأتباع و جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد لما وقع هناك من الفصل و هو قوله «لَكَ» فصار طول الكلام به كالعرض من توكيد الضمير بقوله نحن و المعنى أ تؤمن لك و أتباعك الأردلون فنعد فى عدادهم.

## اللغه

الأردلون و الأراذل السفله و أوضاع الناس و الرذل الوضيع و الرذيله نقيض الفضيله و الطرد إبعاد الشئ ء على وجه التنفير طرده يطرده و أطرده جعله طريدا و أطرد فى الباب استمر فى الذهاب كالطريد و الرجم الرمى بالحجاره و لا يقال للرمى بالقوس رجم و يسمى المشتوم مرجوما لأنه يرمى بما يذم و الانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزه إلى ما وقع عنه النهى و أصل النهايه بلوغ الحد و النهى الغدير لانتهاء الماء إليه و الفتح الحكم و الفتح الحاكم لأنه يفتح على وجه الأمر بالحكم الفصل قال الشاعر:

أ لا أبلغ بنى أعياء رسولا فإنى عن فتاحتكم غنى

و الفلك السفن يقع على الواحد و الجمع و المشحون من شحنه يشحنه شحنا إذا ملاء بما يسد خلله و شحن الثغر بالرجال و منه الشحنه.

## الإعراب

«ما عَلِمَى» ما حرف نفى و «عَلِمَى» مبتدأ و تقديره ما علمى ثبت أو حصل بما كانوا يعملون.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث نوح (عليه السلام) فقال «كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ» دخلت التاء فى كذبت و القوم مذكر لأن المراد بالقوم الجماعه أى كذبت جماعه نوح المرسلين لأن من كذب رسولا واحدا من رسل الله فقد كذب الجماعه لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل

و قال أبو جعفر (عليه السلام) يعنى بالمرسلين نوحا و الأنبياء الذين كانوا بينه و بين آدم (عليه السلام)

«إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ» أى فى النسب لا فى الدين «أَ لَا تَتَّقُونَ» عذاب الله تعالى فى تكذيبى و مخالفتى «إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» على الرساله فيما بينى و بين ربكم «فَاتَّقُوا اللَّهَ» بطاعته و عبادته «وَ أَطِيعُونِ» فيما أمركم به من الإيمان و التوحيد «وَ مَا أَسِئَلُكُمْ



عَلَيْهِ» أَى عَلَى الدِّعَاءِ إِلَى التَّوْحِيدِ «مِنْ أَجْرٍ» مِنْ مَزِيدِهِ «إِنْ أُجْرِيَ» مَا

ص: ٣٠٨

جزائى و ثوابى «إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ» و خالق الخلائق أجمعين ثم كرر عليهم قوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا» لاختلاف المعنى لأن التقدير فاتقوا الله و أطيعوا لآنى رسول أمين و اتقوا الله و أطيعوا لآنى لا- أسألکم عليه أجرا فتخافوا تلف أموالکم به و کل واحد من هذين المعنيين يقوى الداعى إلى قبول قول الغير و يبعد عن التهمه «قَالُوا أ نُّؤْمِنُ لَكَ» أى نصدقك فيما تقول «وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ» أى و قد اتبعك سفله الناس و أراذلهم و خساسهم عن قتاده و قيل يعنون المساكين الذين ليس لهم مال و لا عز عن عطا و قيل يعنون الحاكه و الأساكفه عن الضحاک و علقمه و المعنى إن أتباعك أراذلنا و فقراؤنا و أصحاب الأعمال الدنيه و المهن الخسيسه فلو اتبعناك لصرنا مثلهم و معدودين فى جملتهم و هذا جهل منهم لأنه ليس فى إيمان الأردلين به ما يوجب تكذيبه فإن الرذل إذا أطاع سلطانه استحق التقرب عنده دون الشريف العاصى «قَالَ وَ مَا عَلِمَى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى ما أعلم أعمالهم و صنائعهم و لم أكلف ذلك و إنما كلفت أن أدعوهم إلى الله و قد أجابونى إليه «إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ» أى ليس حسابهم إلا على ربي الذى خلقنى و خلقهم لو تعلمون ذلك ما عبتوهم بصنائعهم «وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» أى ما أنا بالذى لا يقبل الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأردلون لآنى لست إلا نذيرا مخوفا من معصيه الله داعيا إلى طاعته مبينا لها «قَالُوا» له عند ذلك «لَيْتَنَّا لَمُنَّا بِتَنبِيهِ نُوْحٍ» أى إن لم ترجع عما تقوله و تدعو إليه «لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ» بالحجاره عن قتاده و قيل من المرجومين بالشم عن الضحاک «قَالَ» نوح «رَبِّ إِنِّ قَوْمِى كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِى وَ بَيْنَهُمْ فَتْحًا» أى فاقض بيننا قضاء بالعذاب لأنه قال «وَ نَجِّنِى وَ مَنْ مَعِى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى من ذلك العذاب «فَأَنجَيْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْجُونِ» أى فخلصناه و من معه من المؤمنين فى السفينه المملوءه من الناس و غيرهم من الحيوانات «ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ» أى بعد نجاه نوح و من معه «الْبَاقِينَ» أى الخارجين عن السفينه الكافرين به «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» واضحه على توحيد الله «وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» و ليس هذا بتكرار و إنما كل واحد فى قصه على حده فهذا ذكر آيه فى قصه نوح و ما كان من شأنه بعد ذكر آيه مما كان فى قصه إبراهيم و ذكر آيه أخرى فى قصه موسى و فرعون فبين أنه ذكر كلا من ذلك لما فيه من الآيه الباهره «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ» فى إهلاك قوم نوح بالغرق «الرَّحِيمُ» فى إنجائه نوحا و من معه فى الفلك.

## إشاره

كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٢٦) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)

أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَ تَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَ إِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٣١) وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢)

أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَيْنِينَ (١٣٣) وَ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧)

وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَ إِنْ رَبِّكَ لَهَيُّوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠)

## القراءه

قرأ ابن كثير و أهل البصره و أبو جعفر و الكسائي خلق الأولين بفتح الخاء و الباقون بضم الخاء و اللام و فى الشواذ قراءه قتاده تخلدون بضم التاء و كسر اللام.

## الحججه

قال أبو على خلق الأولين عادتهم و خلق الأولين اختلافهم و كذبهم مثل قوله وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا وَ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ وَ خلد الشىء إذا بقى و أخلدته و خلدته و أخلد إلى كذا إذا أقام عليه و لزمه و قيل أخلد الرجل إذا أبطأ عنه الشيب.

## اللغه

الريح الارتفاع من الأرض و جمعه أرياع و ريعه قال ذو الرمه:

طراق الخوافى مشرف فوق ريعه ندى ليله فى ريشه يترقق

ومنه الريع فى الطعام و هو ارتفاعه بالزيادة و النماء و قال أبو عبيده الريع الطريق بين الجبلين فى الارتفاع و قيل هو الفج الواسع و المصانع مأخذ الماء جمع مصنع قال أبو عبيده كل بناء مصنعه و قال قتاده و مجاهد المصانع هى القصور و الحصون و البطش العسف قتلا بالسيف و ضربا بالسوط و الجبار العالى على غيره بعظيم سلطانه و هو فى صفه الله سبحانه مدح و فى صفه غيره ذم لأن معناه فى العبد أنه يتكلف الجبريه.

## المعنى

ثم أخبر سبحانه عن عاد فقال «كَذَّبَتْ عادُ الْمُرْسَلِينَ» و التأنيث لمعنى القبيله لأنه أراد بعاد القبيله «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ» فى النسب «هُودٌ أَلَا- تَتَّقُونَ» الله باجتنااب معاصيه «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» إلى قوله «رَبِّ الْعَالَمِينَ» مر تفسيره «أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ» أى بكل مكان مرتفع و قيل بكل شرف عن ابن عباس و قيل بكل طريق عن الكلبي و الضحاك «آيَهُ تَعْبَثُونَ» أى بناء لا تحتاجون إليه لسكناكم و إنما تريدون العبث بذلك و اللعب و اللهو كأنه جعل بناهم ما يستغنون عنه عبثا منعم عن ابن عباس فى روايه عطا و يؤيده

الخبر المأثور عن أنس بن مالك إن رسول الله ص خرج فرأى قبه مشرفه فقال ما هذه قال له أصحابه هذا لرجل من الأنصار فمكث حتى إذا جاء صاحبها فسلم فى الناس أعرض عنه و صنع ذلك به مرارا حتى عرف الرجل الغضب و الإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه و قال و الله إنى لأنكر نظر رسول الله ص ما أدرى ما حدث فى و ما صنعت قالوا خرج رسول الله ص فرأى قبته فقال لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسواها بالأرض فخرج رسول الله ص ذات يوم فلم ير القبه فقال ما فعلت القبه التى كانت هاهنا قالوا شكنا إلبنا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال إن لكل بناء يبنى و بال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه

و قيل معناه أنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعه ليشرفوا على الماره و السائله فيسخرها منهم و يبعثوا بهم عن الكلبي و الضحاك و قيل إن هذا فى بنان الحمام أنكر هود عليهم اتخاذهم بروجاً للحمام عبثا عن سعيد بن جبير و مجاهد «وَ تَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ» أى حصونا و قصورا مشيده عن مجاهد و قيل مأخذا للماء تحت الأرض عن قتاده «لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» كأنكم تخذون فيها فلا تموتون فإن هذه الأبنيه بناء من يطمع فى الخلود قال الزجاج معناه تتخذون مباني للخلود لا تتفكرون فى الموت «وَ إِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ» البطش الأخذ باليد أى إذا بطشتم بأحد تريدون إنزال عقوبه به عاقبتموه عقوبه من يريد التجبر بار تكاب العظام كما قال إن تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض و قيل معناه و إذا عاقبتم قتلتم فمعنى الجبار القتال على الغضب بغير حق «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا» مر معناه «وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ» أى

أعطاكم ما تعلمون من الخير. و الأمداد اتباع الثاني ما قبله شيئاً بعد شىء على انتظام و هؤلاء أمدوا بأنواع من النعم و هو قوله «أَمِيدُكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَيْنِينَ وَ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ» فأعطاهم رزقهم على إدرار «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ» إن عصيتموني «عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» يريد يوم القيامة وصفه بالعظم لما فيه من الأهوال العظيمة «قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ» أى أ نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا عن الكلبى والمعنى أنا لا نقبل ما تدعوننا إليه على كل حال أ وعظت أم سكت أى حصول الوعظ منك و ارتفاعه مستويان عندنا ثم قالوا «إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ» أى ما هذا الذى جئنا به إلا كذب الأولين الذين ادعوا النبوه و لم يكونوا أنبياء و أنت مثلهم و من قرأ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ بضم الخاء فالمعنى ما هذا الذى نحن عليه من تشييد الأبنيه و اتخاذ المصانع و البطش الشديد إلا عاده الأولين من قبلنا و قيل معناه ما هذا الذى نحن فيه إلا عاده الأولين فى أنهم كانوا يحيون و يموتون و لا بعث و لا حساب و قيل معناه ما الذى تدعيه من النبوه و الرساله إلا عاده الأولين «وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ» على ما تدعيه لا فى الدنيا و لا بعد الموت «فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ» بعذاب الاستئصال «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» قد مر تفسيره.

## اشاره

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ أَلَا- تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٤٤) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥)

أَتَتْكُمْ قَوْمًا مِنْ هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (١٤٧) وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلَعَتْ هَضَبَيْمٍ (١٤٨) وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٥٠)

وَ لَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ (١٥٥)

وَ لَا تَمَسُّوْهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَ إِنْ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩)

## القراءه

قرأ أهل الكوفه و الشام فارهين بالألف و الباقون «فرهين» بغير الألف.

## الحججه

قال الزجاج فرهين أشرين مرحين و فرهين حاذقين أبو عبيده قال قد جاء فرهين فى معنى فرهين و أنشد:

لا أستكين إذا ما أزمه أزمتم لن ترانى بخير فاره اللبب

أى مرح اللبب.

## اللغه

الهضم اللطيف فى جسمه و منه هضمه الحشا أى لطيفه الحشا و منه هضمه حقه أى نقصه لأنه لطف جسمه بنقصه و منه هضم الطعام إذا لطف و استحال إلى مشاكله البدن و المسحر الذى قد سحر مره بعد أخرى و هو أن يكون ممن له سحر أى رثه و منه قولهم انتفخ سحره قال لبيد

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

أى المعلل بالطعام و الشراب على أمر يخفى كخفاء السحر و الشرب الحظ من الماء قال

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامه فى غصون ذات أو قال

أى لم يمنع حظها من الماء و السوء الضر الذى يشعر به صاحبه لأنه يسوؤه وقوعه

ص: ٣١٣

و العقر قطع شىء من بدن الحى فإذا كثر انتفت معه الحياه و إذا قل لم ينتف.

## المعنى

ثم أخبر سبحانه عن ثمود فقال «كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ» و هو مفسر فى هذه السوره إلى قوله «أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ» معناه أ تظنون أنكم تتركون فيما أعطاكم الله من الخير فى هذه الدنيا آمنين من الموت و العذاب و هذا إخبار بأن ما هم فيه من النعم لا- يبقى عليهم و أنها ستزول عنهم ثم عدد نعمهم التى كانوا فيها فقال «فِي جَنَّاتٍ» أى بساتين يسترها الشجر «وَعُيُونٍ» جاريه «وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ» الطلع الكفرى مشتق من الطلوع لأنه يطلع من النخل و الهضيم اليناع النضيج عن ابن عباس و قيل هو الرطب اللين عن عكرمه و قيل هو الضامر بدخول بعضه فى بعض عن الضحاك و قيل هو الذى إذا مس تفتت عن مجاهد و قيل هو الذى ليس فيه نوى عن الحسن «وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ» أى حاذقين بنحتها من فره الرجل فراهه فهو فاره و فرهين أشيرين بطرين عن ابن عباس «فَاتَّقُوا اللَّهَ» فى مخالفته «وَأَطِيعُوا» فيما أمركم به «وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ» يعنى الرؤساء منهم و هم تسعه رهط من ثمود الذين عقروا الناقه ثم وصفهم فقال «الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ قَالُوا» فى جوابه «إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» قد أصبت بسحر ففسد عقلك فصرت لا تدرى ما تقول و هو بمعنى المسحورين و المراد سحرت مره بعد أخرى و قيل معناه من المخدوعين و قيل من المخلوقين المعللين بالطعام و الشراب عن ابن عباس و قيل معناه أنت مخلوق مثلنا لك سحر أى رئه تأكل و تشرب فلم صرت أولى منا بالنبوه «مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا» أى آدمى مثلنا «فَأْتِ بِآيَةٍ» أى بمعجزه تدل على صدقك «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» قال هذه ناقه و هى الناقه التى أخرجها الله تعالى من الصخره عشراء ترغو على ما اقترحوه «لَهَا شَرِبٌ وَ لَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ» أى لها حظ من الماء لا تزاخموها فيه و لكم حظ لا تزاخمكم فيه و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال إن أول عين نبعت فى الأرض هى التى فجرها الله لصالح فقال لها شرب و لكم شرب يوم معلوم

«وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ» هذا مع ما بعده مفسر فى سوره الأعراف و القصه مشروحه هناك.



## إشاره

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ (١٦٣) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤)

أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَ تَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيِّنَاتٍ لَكُمْ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩)

فَنَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤)

وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)

## اللغه

العادى و الظالم و الجائر نظائر و هو من العدوان و أصله من العدو و الذى هو الإسراع فى السعى و القالى المبغض يقال قلاه يقلبه قلى أبغضه الغابر الباقي فى قله كالتراب الذى يذهب بالكنس و يبقى غباره و الغبر البقيه من اللبن فى الأخلاف قال الحرث بن حلز:

لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج

و التدمير الإهلاك بأهول الأمور.

## المعنى

ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط فقال «كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ» و قد فسرناه إلى قوله «أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ» أى تصيبون الذكور من جملة الخلائق «وَ تَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» أى و تتركون ما خلقه الله لكم من الأزواج و النساء و الزوجه هى التى وقع عليه العقد بالنكاح الصحيح يقال لها زوجه و زوج قال سبحانه

اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ» أى ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام و الطاعة إلى المعصية «قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ» و ترجع عما تقوله و لم تمتنع عن دعوتنا و تقييح أفعالنا «لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ» عن بلدنا «قَالَ» لوط لهم عند ذلك «إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ» أى من المبغضين الكارهين ثم دعا ربه فقال «رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ» أى من عاقبه ما يعملونه و هو العذاب النازل بهم و أجاب الله سبحانه دعاءه قال «فَنَجِّينَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ» يعنى من العذاب الذى وقع بهم و يجوز أن يكون أراد نجيناه و أهله من نفس عملهم و تكون النجاه من العذاب النازل بهم تبعا لذلك و الأول أوضح و يدل عليه قوله «إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ» و أراد بالعجوز امرأته لأنها كانت تدل أهل الفساد على أضيافه فكانت من الباقين فى العذاب و هلكت فيما بعده مع من خرج من القرية بما أمطره الله من الحجارة «ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ» أهلكتناهم بالخسف و قيل بالائتفاك و هو الانقلاب ثم أمطر على من كان غائبا منهم عن القرية الحجارة من السماء و هو قوله «وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ» أى بئس و اشتد مطر الكافرين مطرهم و ما بعده مفسر قبل.

## إشارة

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ (١٧٩) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠)

أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَ زِنُوا بِالْقَدَسِ الرِّسَالِ الْمُسَيِّئِينَ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّ الْأُولِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥)

وَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ إِنْ نَطُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠)

وَ إِنْ رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)

## القراءة

قرأ أهل الحجاز و الشام ليكه بالنصب غير مهموز هاهنا و في ص و الباقون «الأيكة» بإثبات الهمزة و الجر في الموضعين.

## الحج

قال أبو على الأيكة تعريف أيكه فإذا خففت الهمزة حذفتها و ألقيت حركتها على اللام فقلت اليكه كما قالوا الحمر و من قال لحمر قال ليكه و قول من قال أصحاب ليكه بفتح التاء مشكل لأنه فتح مع لحاق لام المعرفه الكلمه و هذا في الامتناع كقول من قال بلحمر فيفتح و إنما يخرج هذا على أن المعنى قد سمي بكلمه تكون اللام فيها فاء و لم أسمع بها و قال الزجاج جاء في التفسير أن اسم المدينه التي أرسل إليها شعيب كان ليكه.

## اللغة

الأيكة الغيضة ذات الشجر الملتف و الجمع الأيكة قال

تجلو بقادمتي حمامه أيكه بردا أسف لثاته بالإثمد

المخسر المعرض للخسران في رأس المال بالنقصان أخسر يخسر إفسارا إذا جعله يخسر في ماله و نقيضه أربحه و الجبله الخليقه التي طبع عليها الشىء بكسر الجيم و الباء و قيل أيضا بضمها و يسقطون الهاء أيضا قال أبو ذؤيب

منايا يقربن الحتوف لأهلها جهارا و يستمتعن بالأنس الجبل

وقال آخر

والموت أعظم حادث مما يمر على الجبله

. المعنى

ثم أخبر سبحانه عن شعيب فقال «كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ» وهم

ص: ٣١٧

أهل مدين عن ابن عباس وقيل أنهم غيرهم عن قتاده وقال إن الله سبحانه أرسل شعيباً إلى أمّتين «إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ» و لم يقل أخوهم لأنه لم يكن من نسبهم و كان من أهل مدين فلذلك قال فى ذلك الموضوع وَ إِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا «أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» مفسر فيما قبل إلى قوله «رَبِّ الْعَالَمِينَ» و إنما حكى الله سبحانه دعوه كل نبى بصيغه واحده و لفظ واحد إشعاراً بأن الحق الذى تأتى به الرسل و يدعون إليه واحد من اتقاء الله تعالى و اجتناب معاصيه و الإخلاص فى عبادته و طاعه رسله و أن أنبياء الله تعالى لا يكونون إلا أمناء الله فى عباده فإنه لا يجوز على واحد منهم أن يأخذ الأجره على رسالته لما فى ذلك من التنفير عن قبولهم ثم قال «أَوْفُوا الْكَيْلَ» أى أعطوا الكيل و افياء غير ناقص و يدخل الوفاء فى الكيل و الوزن و الذرع و العدد «وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ» أى من الناقصين للكيل و الوزن «وَ زِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْطِ الْمُسْتَقِيمِ» أى بالعدل الذى لا حيف فيه يعنى زنوا وزنا يجمع الإيفاء و الاستيفاء و ذكرنا الأقوال فى القسطاس فى سوره بنى إسرائيل «وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» أى و لا تنقصوا الناس حقوقهم و لا تمنعوها «وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» أى و لا تسعوا فى الأرض بالفساد و العثى أشد الفساد و الخراب عن أبى عبيده «وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ» أى أوجدكم بعد العدم «وَ الْجِبَلَةَ» أى الخليقه «الْمَأُولِينَ» يعنى و خلق الأمم المتقدمين «قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسِيحِينَ وَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا» مر معناه «وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ» أى و إنا نظنك كاذباً من جملة الكاذبين و إن هذه مخففه من الثقيله و لذلك لزمها اللام فى الخبر «فَأَسْرِقْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ» أى قطعاً من السماء جمع كسفه عن ابن عباس «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فى دعواك «قال» شعيب «رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ» و معناه أنه إن كان فى معلومه أنه إن بقاكم تبتم أو تاب بعضكم لم يقطعكم بالعذاب و إن كان فى معلومه أنه لا يفلح واحد منكم فسيأتيكم عذاب الاستئصال ثم قال «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ» أصابهم حر شديد سبعة أيام و حبس عنهم الريح ثم غشيتهم سحابه فلما خرجوا إليها طلبوا للبرد من شدة الحر الذى أصابهم أمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم فكان من أعظم الأيام فى الدنيا عذاباً و ذلك قوله «إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ» و معنى الظله هاهنا السحابه التى قد أظلتهم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» مفسر إلى آخره.

## إشاره

وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦)

أَو لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١)

فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَهُ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هِيَ لَمْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦)

مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ (٢٠٧) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنِهِ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩) وَمَا نَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَتَّبِعِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١)

إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ (٢١٢)

## القراءة

قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و حفص و زيد «نَزَلَ» بالتخفيف «الرُّوحُ الْأَمِينُ» بالرفع و الباقون نزل بالتشديد الروح الأمين بالنصب و قرأ ابن عامر أ و لم تكن بالتاء آيه بالرفع و الباقون «لَمْ يَكُنْ» بالياء «آيَةٌ» بالنصب و فى الشواذ قراءة الحسن الأعجميين و قراءته أيضا فتأتهم بغته بالتاء ما تنزلت به الشياطين.

## الحجّه

قال أبو على حجّه من قال نزل به بالتشديد قوله فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ وَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ فَإِنَّهُ مطاوع نزل و قوله نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ و من أسند الفعل إلى الروح فقال نزل به الروح الأمين فإنه ينزل بأمر الله تعالى فمعناه معنى المثقله و الوجه فى قراءة ابن عامر أ و لم تكن لهم آيه إن فى تكن ضمير القصة و الحديث لأن ما يقع تفسيراً للقصة و الحديث من الجملة إذا كان فيها اسم مؤنث جاز تأنيث المضمرة على شريطه التفسير كقوله فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا و قوله فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ و كذلك «أَنْ يَعْلَمَهُ»



حديث نبينا ص فقال «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ» أى نزل الله بالقرآن «الرُّوحُ الْأَمِينُ» يعنى جبرائيل (عليه السلام) و هو أمين الله لا يغيره و لا يبدله و سماه روحا لأنه يحيى به الدين و قيل لأنه يحيى به الأرواح بما ينزل من البركات و قيل لأنه جسم روحانى «عَلَى قَلْبِكَ» يا محمد و هذا على سبيل التوسع لأن الله تعالى يسمعه جبرائيل (عليه السلام) فيحفظه و ينزل به على الرسول و يقرأه عليه فيعيه و يحفظه بقلبه فكأنه نزل به على قلبه و قيل معناه لقنك الله حتى تلقنته و ثبته على قلبك و جعل قلبك وعاء له «لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ» أى لتخوف به الناس و تنذرهم بآيات الله «بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» أى بلغه العرب مبين للناس ما بهم إليه الحاجه فى دينهم و قيل أراد به لسان قريش ليفهموا ما فيه و لا يقولوا ما نفهم ما قال محمد عن مجاهد و قيل لسان جرهم و إنما جعله عربيا لأن المنزل عليه عربى و المخاطبون به عرب و لأنه تحدى بفصاحته فصحاء العرب و قد تضمنت هذه الآيه تشريف هذه اللغة لأنه سماها مبينا و لذلك اختارها لأهل الجنه «وَإِنَّهُ» أى و إن ذكر القرآن و خبره «لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ» أى فى كتب الأولين على وجه البشاره به و بمحمد ص لا بمعنى أن الله أنزله على غير محمد ص و واحد الزبر زبور و قيل معناه أنه أنزل على سائر الأنبياء من الدعاء إلى التوحيد و العدل و الاعتراف بالبعث و أفاصيص الأمم مثل الذى نزل فى القرآن «أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» معناه أ و لم يكن لهم علم علماء بنى إسرائيل بمجيئه على ما تقدمت البشاره دلالة لهم على صحه نبوته لأن العلماء الذين آمنوا من بنى إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره فى كتبهم و كانت اليهود تبشر به و تستفتح على العرب به و كان ذلك سبب إسلام الأوس و الخزرج على ما مر بيانه و علماء بنى إسرائيل عبد الله بن سلام و أصحابه عن ابن عباس و قيل هم خمسه عبد الله بن سلام و ابن يامين و ثعلبه و أسد و أسيد عن عطيه «وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ» أى و لو نزلنا القرآن على رجل ليس من العرب و على من لا يفصح «فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ» أى على العرب «ما كانوا به مؤمنين» أى لم يؤمنوا به و أنفوا من اتباعه لكننا أنزلناه بلسان العرب على أفصح رجل منهم من أشرف بيت ليتدبروا فيه و ليكون أدعى إلى اتباعه و تصديقه و قيل معناه لو نزلناه على أعجم من البهائم أو غيرها لما آمنوا به و إن كان فيه زياده أعجوبه عن عبد الله بن مطيع و روى عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هذه الآيه و هو على بعير فأشار إليه و قال هذا من الأعجمين «كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ» أى كما أنزلنا القرآن عربيا مبينا أمرناه و أدخلناه و أوقناه فى قلوب الكافرين بأن أمرنا النبى ص حتى قرأه عليهم و بينه لهم ثم بين أنهم مع ذلك «لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» فيلجئهم إلى الإيمان به و هذا خبر عن الكفار الذين علم الله أنهم لا يؤمنون أبدا «فَيَأْتِيهِمْ» أى العذاب



الذى يتوقعونه و يستعجلونه «بَعَثَهُ» أى فجأه «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بمجيئه «فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ» أى مؤخرون لنؤمن و لنصدق قال مقاتل لما أوعدهم النبى ص بالعذاب استعجلوا العذاب تكذيبا له فقال الله «أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ» توييخا لهم ثم قال «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَتِعُونَ» أى أ رأيت إن أنظرناهم و أخرناهم سنين و متعناهم بشىء من الدنيا ثم أتاهم العذاب لم يغن عنهم ما متعوا فى تلك السنين من النعيم لازديادهم فى الآثام و اكتسابهم من الأجرام و هو استفهام فى معنى التقرير «وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ» أى و ما أهلكنا قومه «إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ» أى إلا بعد إقامه الحجج عليهم بتقديم الإنذار و إرسال الرسل «ذِكْرَى» أى تذكيرا و موعظه لهم ليتعظوا و يصلحوا فإذا لم يصلحوا مع التخويف و التحذير و استحقوا عذاب الاستئصال بإصرارهم على الكفر و العناد أهلكتناهم «وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ» أى و ما ظلمناهم بالإهلاك لأننا لا نظلم أحدا، نفى سبحانه عن نفسه الظلم و فى هذا تكذيب لمن زعم أن كل ظلم و كفر فى الدنيا هو من خلقه و إرادته و غايه الظلم أن يعاقب عباده على ما خلقه فيهم و أرادهم منهم تعالى الله عن ذلك و تقدس «وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ» أى بالقرآن «الشَّيَاطِينُ» كما يزعمه بعض المشركين «وَمَا يَتَّبِعِي لَهُمْ» إنزال ذلك أى الشياطين «وَمَا يَسْتَطِيعُونَ» ذلك و لا- يقدرون عليه لأن الله تعالى يحرس المعجزه عن أن يمويه بها المبطل فإنه إذا أراد أن يدل بها على صدق الصادق أخلصها بمثل هذه الحراسه حتى تصح الدلاله بها و معنى قول العرب ينبغى لك أن تفعل كذا أنه يطلب منك فعله فى مقتضى العقل من البغيه التى هى الطلب «إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ» أى مصروفون عن استماع القرآن أى عن المكان الذى يستمعون ذلك فيه ممنوعون عنه بالشهب الثقابه و قيل معناه أن الشياطين عن سماع القرآن منحون عن قتاده فإن العزل تنحيه الشىء عن موضع إلى خلافه و إزالته عن أمر إلى نقيضه قال مقاتل قالت قريش إنما تجىء بالقرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمد ص فأكذبهم الله تعالى بأن قال إنهم لا يقدرون بأن يأتوا بالقرآن من السماء قد حيل بينهم و بين السمع بالملائكه و الشهب.

## إشاره

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمَعْذِبِينَ (٢١٣) وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَ اخْفِضْ جَنَاحَيْكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧)  
الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَ تَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)

## القرءاء

قرأ أهل المدينة و ابن عامر فتوكل بالفاء و الباقون بالواو.

## الحجه

هو في مصاحف أهل المدينة و الشام بالفاء و في مصاحف مكه و العراق بالواو و الوجهان حسان.

## اللغه

عشيره الرجل قرابته سموا بذلك لأنه يعاشرهم و هم يعاشرونه.

## المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص و المراد به سائر المكلفين فقال «فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمَعْذِبِينَ» بسبب ذلك و إنما أفرد بالخطاب ليعلم أن العظيم الشأن إذا أوعد فمن دونه كيف حاله و إذا حذر هو فغيره أولى بالتحذير «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» أى رهطك الأدين أى أنذرهم بالإفصاح من غير تليين بالقول كما تدعو إليه مقاربه العشيره و إنما خصهم بالذكر تنبيها على أنه ينذر غيرهم و أنه لا يدهنهم لأجل القرابه ليقطع طمع الأجنب عن مداهنته فى الدين و قيل إنه ص أمر بأن يبدأ بهم فى الإنذار و الدعاء إلى الله ثم بالذين يلونهم كما قال قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ لَأَن ذلِكَ هو الذى يقتضيه حسن الترتيب و قيل إنه إنما خصهم لأنه يمكنه أن يجمعهم ثم ينذرهم و قد فعل ذلك النبى ص و اشتهرت القصة بذلك عند الخاص و العام و

فى الخبر المأثور عن البراء بن عازب أنه قال لما نزلت هذه الآيه جمع رسول الله ص بنى عبد المطلب و هم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل المسنه و يشرب العس فأمر عليا (عليه السلام) برجل شاه فأدمها ثم قال ادنوا بسم الله فدنا القوم عشره عشره فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعه ثم قال لهم اشربوا بسم الله فشربوا حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال هذا ما سحركم به الرجل فسكت ص يومئذ و لم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام و الشراب ثم أنذرهم رسول الله ص فقال يا بنى عبد المطلب إنى أنا النذير إليكم من الله عز و جل و البشير فأسلموا و أطيعونى تهتدوا ثم

قال من يؤاخيني و يؤازرنى و يكون ولى و وصى بعدى و خليفتى فى أهلى و يقضى دينى فسكت القوم فأعادها ثلاثا كل ذلك يسكت القوم و يقول على (عليه السلام) أنا فقال فى المره الثالثه أنت فقام القوم و هم يقولون لأبى طالب أتع ابنك فقد أمر عليك أورده الثعلبى فى تفسيره

و

روى عن أبى رافع هذه القصه و أنه جمعهم فى الشعب فصنع لهم رجل شاه فأكلوا حتى تضلعوا و سقاهم عسا فشربوا كلهم حتى رووا ثم قال إن الله تعالى أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقرين و أنتم عشيرتى و رهطى و إن الله لم يبعث نبيا إلا جعل من أهله أخوا و وزيرا و وارثا و وصيا و خليفه فى أهله فأيكم يقوم فيبايعنى على أنه أختى و وارثى و وزيرى و وصى و يكون منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى فسكت القوم فقال ليقومن قائمكم أو ليكونن فى غيركم ثم لتندمن ثم أعاد الكلام ثلاث مرات فقام على (عليه السلام) فبايعه و أجابه ثم قال ادن منى فدنا منه ففتح فاه و مج فى فيه من ريقه و نفل بين كتفيه و ثديه فقال أبو لهب فبئس ما حوت به ابن عمك أن أجابك فملاأت فاه و وجهه بزاقا فقال ص ملاأته حكمه و علما

و

عن ابن عباس قال لما نزلت الآيه صعد رسول الله ص على الصفا فقال يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقالوا ما لك فقال أ رأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقوننى قالوا بلى قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد قال أبو لهب تبا لك أ لهذا دعوتنا جميعا فأنزل الله تعالى تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

و فى قراءه عبد الله بن مسعود و أنذر عشيرتك الأقرين و رهطك منهم المخلصين و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَ اخْفِضْ جَنَاحَيْكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى ألن جانبك و تواضع لهم و حسن أخلاقك معهم عن أبى زيد و غيره «فَإِنْ عَصَيْتُمْ أَوْ كَفَرْتُمْ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» أى من أعمالكم القبيحه و عبادتكم الأصنام «وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» أى فوض أمرك إلى العزيز المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه ليكفيك كيد أعدائك الذين عصوك فيما أمرتهم به «الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ» أى الذى يبصرك حين تقوم من مجلسك أو فراشك إلى الصلاه و حدك و فى الجماعه و قيل معناه يراك حين تقوم فى صلاتك عن ابن عباس و قيل حين تقوم بالليل لأنه لا يطلع عليه أحد غيره و قيل حين تقوم للإنذار و أداء الرساله «وَ تَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ» أى و يرى تصرفك فى المصلين بالكوع و السجود و القيام و القعود عن ابن عباس و قتاده و المعنى يراك حين تقم إلى الصلاه مفردا و تقلبك فى الساجدين إذا صليت فى جماعه و قيل معناه و تقلبك فى أصلاب الموحدين

من نبى إلى نبى حتى أخرجك نبياً عن ابن عباس فى روايه عطا و عكرمه و هو

المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله صلوات الله عليهما قالا- فى أصلاب النبیین نبى بعد نبى حتى أخرجته من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم (عليه السلام)

و

روى جابر عن أبى جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله ص لا ترفعوا قبلى و لا تضعوا قبلى فإنى أراكم من خلفى كما أراكم من أمامى ثم تلا هذه الآية «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»

يسمع ما تتلو فى صلاتك و يعلم ما تضرر فيها.

### [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٢١ الى ٢٢٧]

#### اشاره

هَيْلٌ أَنْبَأَكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥)

وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)

#### القراءه

قرأ نافع يتبعهم ساكنه التاء و الباقون «يَتَّبِعُهُمْ».

#### الحجه

الوجهان حسنان يقال تبعت القوم و اتبعتهم اتبعهم.

#### اللغه

الأفَّاك الكذاب و أصل الإفك القلب و الأفَّاك الكثير القلب للخبر عن جهه الصدق إلى جهه الكذب و الأثيم الفاعل للقيح يقال أثم يأثم إثما إذا ارتكب القبيح و تأثم إذا ترك الإثم و الهائم الذاهب على وجهه عن الكسائي و قيل هو المخالف للقصد عن أبى عبيده.

#### الإعراب

انتصب قوله أى «مُنْقَلَبٍ» لأنه صفة مصدر محذوف و تقديره سيعلم الذين ظلموا انقلاباً أى انقلاب ينقلبون و لا يجوز أن يكون

معمول سيعلم لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله و إنما يعمل فيه ما بعده و العله فى ذلك الاستخبار قبل الخبر و رتبه الاستخبار

ص: ٣٢٥

التقديم فلا يجوز أن يعمل فيه الخبر لأن الخبر بعده و ذلك أنه موضوع على أنه جواب مستخبر.

## المعنى

لما أخبر الله سبحانه أن القرآن ليس مما تنزل به الشياطين وأنه وحى من الله عقبه بذكر من تنزل عليه الشياطين فقال «هَلْ أُبْتِكُمْ» أى هل أخبركم «عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» أى إنما يتنزل الشياطين على كل كذاب فاجر عامل بالمعاصى و هم الكهنة و قيل طليحه و مسيلمه عن مقاتل و لست بكذاب و لا أئيم فلا يتنزل عليك الشياطين و إنما يتنزل عليك الملائكة «يُلْقُونَ السَّمْعَ» معناه أن الشياطين يلقون ما يسمعونه إلى الكهنة و الكذابين و يخلطون به كثيرا من الأكاذيب و يوحونه إليهم «وَ أَكْثَرُهُمْ» أى و أكثر الشياطين «كَاذِبُونَ» و قيل أكثر الكهنة كاذبون قال الحسن هم الذين يسترقون السمع من الملائكة فيلقون إلى الكهنة و هذا كان قبل أن أوحى إلى النبى ص و بعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا «وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ» قال ابن عباس يريد شعراء المشركين و ذكر مقاتل أسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى و أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب و هبيرة بن أبى وهب المخزومى و مسافع بن عبد مناف الجمحى و أبو عزة عمرو بن عبد الله كلهم من قريش و أمية بن أبى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب و الباطل و قالوا نحن نقول مثل ما قال محمد ص و قالوا الشعر و اجتمع إليهم غواه من قومهم يستمعون أشعارهم و يروون عنهم حين يهجون النبى ص و أصحابه فذلك قوله «يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ» و قيل الغاوون الشياطين عن قتاده و مجاهد و قيل أراد بالشعراء الذين غلبت عليهم الأشعار حتى اشتغلوا بها عن القرآن و السنه و قيل هم الشعراء الذين إذا غضبوا سبوا و إذا قالوا كذبوا و إنما صار الأغلب عليهم الغنى لأن الغالب عليهم الفسق فإن الشاعر يصدر كلامه بالتشبيب ثم يمدح للصله و يهجو على حميه الجاهليه فيدعوه ذلك إلى الكذب و وصف الإنسان بما ليس فيه من الفضائل و الرذائل و قيل إنهم القصاص الذين يكذبون فى قصصهم و يقولون ما يخطر ببالهم و فى تفسير على بن إبراهيم أنهم الذين يغيرون دين الله تعالى و يخالفون أمره قال و هل رأيتم شاعرا قط تبعه أحد إنما عنى بذلك الذين وضعوا دينا بآرائهم فتبعهم الناس على ذلك

و روى العياشى بالإسناد عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال هم قوم تعلموا و تفقهوا بغير علم فضلوا و أضلوا

«أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ» أى فى كل فن من الكذب يتكلمون و فى كل لغو يخوضون يمدحون و يذمون بالباطل عن ابن عباس و قتاده و المعنى أنهم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه فى كل واد يعنى فيخوضون فى كل فن من الكلام و المعانى التى تعن لهم و يريدونها فالوادى مثل لفنون الكلام و هيمانهم فيه

قولهم على الجهل بما يقولون من لغو و باطل و غلو في مدح و ذم «وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ» أى يحثون على أشياء لا يفعلونها و ينهون عن أشياء يرتكبونها ثم استثنى من جملتهم فقال «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» و هم شعراء المؤمنين مثل عبد الله بن رواحه و كعب بن مالك و حسان بن ثابت و سائر شعراء المؤمنين الذين مدحوا رسول الله ص و ردوا هجاء من هجاه و فى الحديث عن الزهرى قال حدثنى عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال يا رسول الله ما ذا تقول فى الشعر فقال إن المؤمن مجاهد بسيفه و لسانه و الذى نفسى بيده لكانما ينضحونهم بالنبل

و

قال النبى ص لحسان بن ثابت اهجهم أو هاجهم و روح القدس معك رواه البخارى و مسلم فى الصحيحين

و قال الشعبى كان أبو بكر يقول الشعر و كان عمر يقول الشعر و كان (عليه السلام) أشعر من الثلاثة «وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله و لم يجعلوا الشعر همهم «وَ انْتَصَرُوا» من المشركين للرسول و المؤمنين «مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا» قال الحسن انتصروا بما يحبون الانتصار به فى الشريعة و هو نظير قوله لا- يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أى ردوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين ثم هدد الظالمين فقال «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» أى سوف يعلم أى مرجع يرجعون و أى منصرف ينصرفون لأن منصرفهم إلى النار نعوذ بالله منها.

ص: ٣٢٧

## (٢٧) سورة النمل مكيه و آياتها ثلاث و تسعون (٩٣)

### اشاره

### عدد آياتها

خمس و تسعون آيه حجازى أربع بصرى شامى ثلاث كوفى

### اختلافها

آيتان و «أُولُوا بُؤْسًا شَدِيدًا» حجازى «مِنْ قَوَارِيرَ» غير الكوفى

### فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص و من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان و كذب به و هود و شعيب و صالح و إبراهيم و يخرج من قبره و هو ينادى لا إله إلا الله

### تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الشعراء بذكر القرآن افتتح هذه السوره بذكره أيضا فقال:

ص: ٣٢٨



## إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس تلمك آيات القرآن و كتاب مبین (١) هدى و بشرى للمؤمنين (٢) الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاه و هم بالآخره هم يوقنون (٣) إن الذين لا يؤمنون بالآخره زيننا لهم أعمالهم فهم يعمهون (٤)

أولئك الذين لهم سوء العذاب و هم فى الآخره هم الأخسرون (٥) و إنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم (٦) إذ قال موسى لأهله إنى آنست نارا سأتیکم منها بخبر أو آتیکم بشهاب قبس لعلکم تظطلون (٧) فلما جاءها نودى أن بورک من فى النار و من حولها و سبحان الله رب العالمين (٨) يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم (٩)

و ألق عصاك فلما رآها تهتت كأنها جان و لى مدبرا و لم يعقب يا موسى لا تخف إنى لا يخاف لى المرسلون (١٠)

## القراءه

قرأ أهل الكوفه و رويس عن يعقوب بشهاب قيس منونا غير مضاف و قرأ الباقر «بشهاب قيس» مضافا.

## الحجه و اللغه

قال أبو عبيده الشهاب النار و القبس ما اقتبست و أنشد:

فى كفه صعده مثقفه فيها سنان كشعله القبس

و قال غيره كل ذى نور فهو شهاب قال أبو على يجوز أن يكون قيس صفه و يجوز أن يكون اسما غير صفه فأما الصفه فإنهم يقولون قبيسته أقبسه قبسا و القبس الشىء المقبوس فإذا كان القبس صفه فالأحسن أن يجرى على شهاب كما جرى على الموصوف فى قوله

" كأنه ضرم بالكف مقبوس "

و إن كان مصدرا غير صفه حسنت فيه الإضافه و لا يحسن ذلك فى الصفه لأن الموصوف لا يضاف إلى صفته و قال أبو الحسن الإضافه أجود و أكثر فى القراءه كما تقول دار آجر و سوار ذهب و لو قلت سوار ذهب و دار آجر كان عربيا قال أبو على جعل أبو الحسن القبس فيه غير وصف ألا ترى أنه جعله بمنزله الآجر و الذهب و ليس واحد منهما صفه.

## الإعراب

«هدى و بشرى» فى محل نصب أو الرفع فالنصب على الحال أى هاديه



و مبشره و العامل فيهما معنى الإشاره و الرفع على ثلاثه أوجه على هى هدى و بشرى و على البديل من آيات و على أن يكون خيرا بعد خير «أَنْ بُورِكَ» أن هى المفسره لأن النداء فيه معنى القول يعنى قيل له بورك و لا يجوز أن يكون مخففه من الثقيله على تقدير أنه بورك لأنه كان يكون لا بد من قد و الهاء فى أنه ضمير الشأن و «أَنَا اللَّهُ» مبتدأ و خير «وَ أَلْقِ عَصَاكَ» عطف على بورك أى نودى أن بورك و إن ألق عصاك.

## المعنى

«طس» سبق تفسيره «تَلَمَّكَ» إشاره إلى ما وعدوا بمجيئه من القرآن «آيَاتُ الْقُرْآنِ وَ كِتَابٍ مُّبِينٍ» أضاف الآيات إلى القرآن و آيات القرآن هى القرآن فهو كقوله إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ و القرآن و الكتاب معناهما واحد وصفه بالصفتين ليفيد أنه مما يظهر بالقراءه و يظهر بالكتابه و هو بمنزله الناطق بما فيه من الأمرين جميعا و وصفه بأنه مبين تشبيهه له بالناطق بكذا و معناه أن الله بين فيه أمره و نهيه و حلاله و حرامه و وعده و وعيده و إذا وصفه بأنه بيان فإنه يجرى مجرى وصفه له بالناطق بهذه الأشياء فى ظهور المعنى به للنفس و البيان هو الدلاله التى تبين بها الأشياء و المبين المظهر «هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ» أى هدى من الضلاله إلى الحق بالبيان الذى فيه و البرهان و باللفظ فيه من جهة الإعجاز الدال على صحه أمر النبى ص و بشرى للمؤمنين بالجنه و الثواب و يجوز أن يكون فى موضع نصب على أن يكون تقديره هاديا و مبشرا و يجوز أن يكون فى موضع رفع و التقدير هو هدى و بشرى ثم وصف المؤمنين فقال «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» بحدودها و واجباتها و يداومون على أوقاتها «وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» أى و يخرجون ما يجب عليهم من الزكاه فى أموالهم إلى من يستحقها «وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ» أى بالنشأه الآخره و البعث و الجزاء «هُمْ يُوقِنُونَ» لا يشكون فيه ثم وصف من خالفهم فقال «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ» اختلف فى معناه فقيل إن المعنى زينا لهم أعمالهم التى أمرناهم بها بأحسن وجوه التزيين و الترغيب فهم يتحIRON بالذهاب عنها عن الحسن و الجبائى و أبى مسلم و قيل زينا لهم أعمالهم بأن خلقنا فيهم شهوه القبيح الداعيه لهم إلى فعل المعاصى ليجتنبوا المشتهى فهم يعمهون عن هذا المعنى و يترددون فى الحيره و قيل معناه حرمانهم التوفيق عقوبه لهم على كفرهم فترينت أعمالهم فى أعينهم و حليت فى صدورهم «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ» أى شده العذاب و صعوبته «وَ هُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ» أى لا أحد أخسر صفقه منهم لأنهم يخسرون الثواب و يحصل لهم بدلا منه العقاب «وَ إِنَّكَ» يا محمد «لَتَلَقَى الْقُرْآنَ» أى لتعطى «مِنْ لَمَدُنٍ حَكِيمٍ» فى أمره «عَلِيمٍ» بخلقه أى من عند الله لأن الملك يلقى من قبل الله سبحانه و قيل معناه لتلقن قال على بن عيسى عليم

بمعنى عالم إلا- أن فى عليم مبالغه فهو مثل سامع و سميع لأن فى قولنا عالم يفيد أن له معلوما كما أن قولنا سامع يفيد أن له مسموعا و إذا وصفناه بأنه عليم أفاد أنه متى يصح معلوم فهو عالم به كما أن سميعا يفيد أنه متى وجد مسموع فلا بد أن يكون سامعا له «إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ» قال الزجاج العامل فى إذ اذكر أى اذكر فى قصه موسى إذ قال لأهله أى امرأته و هى بنت شعيب «إِنِّي آنَسْتُ» أى أبصرت و رأيت «ناراً» و منه اشتقاق الإنس لأنهم مرثيون و قيل آنست أى أحسست بالشىء من جهه يؤنس بها و ما آنست به فقد أحسست به مع سكون نفسك إليه «سَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبِيرٍ» معناه فالزموا مكانكم لعلى آتيكم من هذه النار بخبر الطريق و أهدى بها إلى الطريق لأنه كان أضل الطريق «أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ» أى بشعله نار و الشهاب نور كالعمود من النار و كل نور يمتد مثل العمود يسمى شهابا و إنما قال لامرأته «آتِيكُمْ» على لفظ خطاب الجمع لأنه أقامه مقام الجماعه فى الأنس بها و السكون إليها فى الأمكنه الموحشه «لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» أى لكى تستدفئوا بها و ذلك لأنهم كانوا قد أصابهم البرد و كانوا شاتين عن الحسن و قتاده «فَلَمَّا جَاءَهَا» أى جاء موسى إلى النار يعنى التى ظن أنها نار و هى نور «نُودَىٰ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا» قال وهب لما رأى موسى النار وقف قريبا منها فرآها تخرج من فرع شجره خضراء شديده الخضره لا تزداد النار إلا اشتعالا و لا تزداد الشجره إلا خضره و حسنا فلم تكن النار بحرارتها تحرق الشجره و لا الشجره برطوبتها تطفى النار فعجب منها و أهوى إليها بصغث فى يده ليقتبس منها فمالت إليها فخافها فتأخر عنها ثم لم تزل تطمعه و يطمع فيها إلى أن نودى و المراد به نداء الوحي «أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا» أى بورك فيمن فى النار و هم الملائكه و فيمن حولها يعنى موسى و ذلك أن النور الذى رأى موسى كان فيه ملائكه لهم زجل بالتقديس و التسييح و من حولها هو موسى لأنه كان بالقرب منها و لم يكن فيها فكأنه قال بارك الله على من فى النار و عليك يا موسى و مخرجه الدعاء و المراد الخبر قال الكسائى تقول العرب باركه الله و بارك عليه و بارك فيه و قيل بورك من فى النار معناه من فى النار سلطانة و قدرته و برهانه فالبركه ترجع إلى اسم الله و تأويله تبارك من نور هذا النور و من حولها يعنى موسى و الملائكه و هذا معنى قول ابن عباس و الحسن و سعيد بن جبير و قيل معناه بورك من فى طلب النار و هو موسى (عليه السلام) فحذف المضاف و من حولها الملائكه أى دامت البركه لموسى و الملائكه و هذا تحيه من الله سبحانه لموسى (عليه السلام) بالبركه كما حيا إبراهيم (عليه السلام) بالبركه على ألسنه الملائكه حين دخلوا عليه فقالوا رَحِمْتُ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ثم نزه سبحانه نفسه فقال «سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى تنزيها له عما لا يليق بصفاته تعالى عن أن يكون جسما يحتاج إلى جهه أو

عرضا يحتاج إلى محل أو يكون ممن يتكلم بآله ثم أخبر سبحانه موسى عن نفسه و تعرف إليه بصفاته فقال «يا موسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أى إن الذى يكلمك هو الله العزيز أى القادر الذى لا يغالب و لا يمتنع عليه شىء الحكيم فى أفعاله المحكم لتدابيره ثم أراه سبحانه آيه يعلم بها صحه النداء فقال «وَ أَلْقِ عَصَاكَ» و فى الكلام حذف تقديره فألقاها فصارت حيه «فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَتَّتْ كَأَنَّهَا جَانٌّ» أى تتحرك كما يتحرك الجان و هو الحيه التى ليست بعظيمه و إنما شبهها بالجان فى خفه حركتها و اهترازها مع أنها ثعبان فى عظمها و لذلك هاله ذلك حتى ولى مديرا و قيل إن الحاليتين مختلفتان لأن الحال التى صارت ثعبانا هى الحال التى لقي فيها فرعون و الحال التى صارت جانا هى الحال التى خاطبه الله فى أول ما بعثه نيبا «وَأَلَىٰ مُدْبِرًا» أى رجع إلى ورائه «وَ لَمْ يُعَقِّبْ» أى لم يرجع و كل راجع معقب و المفسرون يقولون لم يلتفت و لم يقف فقال الله سبحانه «يا موسى لا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ» و هذا تسكين من الله سبحانه لموسى و نهى له عن الخوف يقول له إنك مرسل و المرسل لا يخاف لأنه لا يفعل قبيحا و لا يخل بواجب فيخاف عقابى على ذلك.

## [سوره النمل (٢٧): الآيات ١١ الى ١٤]

### إشاره

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسَيْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١) وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلوًّا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)

### القراءه

فى الشواذ قراءه زيد بن أسلم و أبى جعفر القارئ إلا من ظلم بفتح الهمزه خفيفه اللام و قرأ على بن الحسين (عليه السلام) و قتاده مبصره بفتح الميم و الصاد.

### الحجه

قال ابن جنى من عدل إلى هذه القراءه فكأنه خفى عليه انقطاع الاستثناء فى القراءه الفاشيه فإن من هذه القراءه فى موضع رفع بالابتداء أو يكون للشرط كقولك من

يقم أضرب و من هناك منصوبه على الاستثناء و هو استثناء منقطع بمعنى لكن و قوله «مبصره» كقولك هدى و نورا و قد كثرت المفعلة بمعنى الشيع و الكثره فى الجواهر و الأحداث جميعا كقولهم أرض مضيه كثيره الضباب و مفعاه كثيره الأفاعى و محياه و محواه كثيره الحيات هذا فى الجواهر و أما الأحداث فكقولك البطنه موسنه و أكل الرطب مورده و محمه و منه المسعاه و المعلاه و الحق مجدره بك و مخلقه و فى كله معنى الكثره من موضعين (أحدهما) المصدريه التى فيه و المصدر إلى الشيع و العموم (و الآخر) التاء و هى لمثل ذلك.

## الإعراب

«بَيْضَاءَ» منصوبه على الحال و «مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» يتعلق ببىضاء و «فِي تِسْعِ آيَاتٍ» يتعلق بألق و «أَدْخَلَ يَدَكَ» و معناه إلقاء العصا و إدخال اليد فى جيبيك من جمله الآيات التسع التى يظهرها له «إِلَى فِرْعَوْنَ» يتعلق بمحذوف و التقدير مرسلًا إلى فرعون فهو فى موضع الحال «ظُلْمًا وَ عُلُوًّا» مفعول له و كيف فى موضع نصب بأنه خبر كان.

## المعنى

ثم قال سبحانه «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ» المعنى لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير المرسلين لأن الأنبياء لا- يقع منهم ظلم لكونهم معصومين من الذنوب و القبائح فىكون هذا استثناء منقطعا و إنما حسن ذلك لاجتماع الأنبياء و غيرهم فى معنى شملهم و هو التكليف «ثُمَّ يَدُلُّ حُسَيْنًا بَعِيدَ سُوءٍ» أى بدل توبه و ندما على ما فعله من القبيح و عزا ما أن لا يعود إليه فى المستقبل «فَأِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى ساتر لذنبه قابل لتوبته «وَ أَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» أعطاه آيه أخرى و قد سبق بيانها «فِي تِسْعِ آيَاتٍ» أى مع تسع آيات أخر أنت مرسل بها «إِلَى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ» فحذف أو يكون تقديره مرسلًا بها إلى فرعون و مبعوثا إليه و مثله قول الشاعر:

رأتني بحبليها فصدت مخافه و فى الحبلى روعاء الفؤاد فروق

و التقدير رأتني مقبلا- بحبليها و قال الزجاج فى تسع آيات معناه من تسع آيات أى أظهر هاتين الآيتين من جمله تسع آيات كقولهم خذ لى عشرا من الإبل فيها فحلان و المعنى منها فحلان و الآيات التسع مفسره فى سوره بنى إسرائيل «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» أى خارجين عن طاعه الله إلى أقبح وجوه الكفر «فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا» أى حججنا و معجزاتنا

«مُبْصِرَةٌ» أى واضحه بينه على من أبصر أنها خارجه عن قدره البشر و هو مثل قوله وَ آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً وَ قد مر بيانه «قالوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ» أى ظاهر بين «وَ جَحَدُوا بِهَا» و أنكروها و لم يقرؤا بأنها من عند الله تعالى قال أبو عبيده الباء زائده و المعنى جحدوها كما قال العجاج

" نضرب بالسيف و نرجو بالفرج "

«وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ» أى عرفوها و علموها يقينا بقلوبهم و إنما جحدوها بألسنتهم «ظُلْمًا» على بنى إسرائيل و قيل ظلما على أنفسهم «وَ عُلُوءًا» أى طلبا للعلو و الرفعه و تكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (عليه السلام) «فَانظُرْ» يا محمد أو أيها السامع «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» فى الأرض بالمعاصى.

[سوره النمل (٢٧): الآيات ١٥ الى ١٩]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا وَ قَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أوتينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَ حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدِيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)

اللغه

الوزع أصله المنع و الكف يقال وزعه عن الظلم قال النابغه:

ص: ٣٣٤

على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما تصح والشيب وازع

و قال آخر:

ألم ترع الهوى إذ لم تواتى بلى و سلوت عن طلب الفتاه

و الحطم الكسر و منه الحطمه من أسماء جهنم و الحطام ما تحطم و الإيزاع الإلهام و فلان موزع بكذا أى مولع به قال الزجاج أوزعنى تأويله فى اللغه كفى عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك و كفى عما يباعد منك.

## الإعراب

لا- يحطمنكم فى موضع جزم لأنه جواب الأمر قال الزجاج ضاحكا حال مؤكده لأن تبسم فى معنى ضحكك و قال بعض المتأخرين يجوز أن يكون حالا بعد الفراغ من الفعل لأن التبسم دون الضحك فكأنه تبسم أولا ثم آل أمره إلى الضحك.

## المعنى

ثم عطف سبحانه على قصه موسى (عليه السلام) قصه داود و سليمان (عليه السلام) فقال سبحانه «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا» أى علما بالقضاء بين الخلق و بكلام الطير و الدواب عن ابن عباس «وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» أى اختارنا من بين الخلق بأن جعلنا أنبياء و بالمعجزه و الملك و العلم الذى آتانا و بإلانه الحديد و تسخير الشياطين و الجن و الإنس و إنما نكر قوله «عِلْمًا» ليدل على أنه أراد علما احتاجا إليه مما ينبى عن صدقهما فى دعوى الرساله «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» فى هذا دلالة على أن الأنبياء يورثون المال كتوريث غيرهم و هو قول الحسن و قيل معناه أنه ورثه علمه و نبوته و ملكه دون سائر أولاده و معنى الميراث هنا أنه قام مقامه فى ذلك فأطلق عليه اسم الإرث كما أطلق على الجنة اسم الإرث عن الجبائى و هذا خلاف للظاهر و الصحيح عند أهل البيت (عليه السلام) هو الأول «وَقَالَ» سليمان مظهرا لنعمه الله و شاكرا إياها «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ» أهل العربية يقولون أنه لا- يطلق النطق على غير بنى آدم و إنما يقال الصوت لأن النطق عباره عن الكلام و لا كلام للطير إلا أنه لما فهم سليمان معنى صوت الطير سماه منطقا مجازا و قيل أنه أراد حقيقه المنطق لأن من الطير ما له كلام مهجى كالطيوى قال المبرد العرب تسمى كل مبيى عن نفسه ناطقا و متكلما قال رؤبه:

ص: ٣٣٥



لو أننى أعطيت علم الحكل علم سليمان كلام النمل

و الحكل ما لا يسمع له صوت و قال على بن عيسى أن الطير كانت تكلم سليمان معجزه له كما أخبر عن الهدهد و منطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغه واحده بخلاف منطق الناس الذى يتفاهمون به المعانى على صيغ مختلفه و لذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبته و لم تفهم هى عنا لأن أفهامها مقصوره على تلك الأمور المخصوصه و لما جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها «وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» أى من كل شىء يؤتى الأنبياء و الملوك و قيل من كل ما يطلبه طالب لحاجته إليه و انتفاعه به و قيل من كل شىء علما و تسخيرا فى كل ما يصلح أن يكون معلوما لنا أو مسخرا لنا غير أن مخرجه مخرج العموم فيكون أبلغ و أحسن و

روى الواحدى بالإسناد عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه (عليه السلام) قال أعطى سليمان بن داود ملك مشارق الأرض و مغاربها فملك سبعمائه سنه و سته أشهر ملك أهل الدنيا كلهم من الجن و الإنس و الشياطين و الدواب و الطير و السباع و أعطى علم كل شىء و منطق كل شىء و فى زمانه صنعت الصنائع المعجبه التى سمع بها الناس و ذلك قوله «عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»

«إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْفَضْلِ الْمُبِينُ» أى هذا فضل الله الظاهر الذى لا يخفى على أحد و هذا قول سليمان على وجه الاعتراف بنعم الله عليه و يحتمل أن يكون من قول الله سبحانه على وجه الأخبار بأن ما ذكره هو الفضل المبين «وَ حَشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ» أى جمع له جموعه و كل صنّف من الخلق جند على حده بدلاله قوله «مِنَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ» قال المفسرون كان سليمان إذا أراد سفرا أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء و الأرض و المعنى و حشر لسليمان جنوده أى جمع له جموعه فى مسير له و قال محمد بن كعب بلغنا أن سليمان بن داود كان معسكره مائه فرسخ خمسه و عشرون منها للإينس و خمسه و عشرون للجن و خمسه و عشرون للوحش و خمسه و عشرون للطير و كان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائه صريحه و سبعمائه سريه فى أمر الريح العاصف فترفعه و يأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى إليه و هو يسير بين السماء و الأرض أنى قد زدت فى ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشىء إلا جاءت به الريح فأخبرتكم و قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهابا فى إبريسم و كان يوضع فيه منبر من الذهب فى وسط البساط فيقعد عليه و حوله ثلاثه آلاف كرسى من ذهب و فضه فيقعد الأنبياء على كراسى الذهب و العلماء على كراسى الفضه و حولهم الناس و حول الناس الجن و الشياطين و تظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس و ترفع الريح الصبا البساط مسيره شهر من الصباح إلى الرواح و من

الروح إلى الصباح «فَهُمْ يُوزَعُونَ» أى يمنع أولهم على آخرهم عن ابن عباس و معنى ذلك أن على كل صنف من جنوده وزعه ترد أولهم على آخرهم ليتلاحقوا و لا يتفرقوا كما تقوم الجيوش إذا كثرت بمثل ذلك و هو أن تدفع أخواهم و توقف أولاهم و قيل معناه يحبسون عن ابن زيد و هو مثل الأول فى أنه يحبس أولاهم على آخرهم «حَيْتَى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ» أى فسار سليمان و جنوده حتى إذا أشرفوا على واد و هو بالطائف عن كعب و قيل هو بالشام عن قتاده و مقاتل «قَالَتْ نَمْلَةٌ» أى صاحت بصوت خلق الله لها و لما كان الصوت مفهوما لسليمان عبر عنه بالقول و قيل كانت رئيسه النمل «يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ» أى لا يكسرنكم «سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بحطمكم و وطئكم فإنهم لو علموا بمكانكم لم يطئوكم و هذا يدل على أن سليمان و جنوده كانوا ركبانا و مشاه على الأرض و لم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء و الأرض لما خافت النمل أن يطئوها بأرجلهم و لعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان فإن قيل كيف عرفت النملة سليمان و جنوده حتى قالت هذه المقالة قلنا إذا كانت مأموره بطاعته فلا بد أن يخلق لها من الفهم ما تعرف به أمور طاعته و لا يمتنع أن يكون لها من الفهم ما يستدرك به ذلك و قد علمنا أنه تشق ما تجمع من الحبوب بنصفين مخافه أن يصيبها الندى فتنتب إلا الكزبره فإنها تكسرهما بأربع قطع لأنها تنبت إذا شقت بنصفين فمن هداها إلى هذا فإنه جل جلاله يهديها إلى تمييز ما يحطمها مما لا يحطمها و قيل إن ذلك كان منها على سبيل المعجز الخارق للعادة لسليمان (عليه السلام) قال ابن عباس فوقف سليمان بجنوده حتى دخل النمل مساكنه «فَتَبَسَّمَ» سليمان «ضاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا» و سبب ضحك سليمان التعجب و ذلك إن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب و ضحك و قيل أنه تبسم بظهور عدله حيث بلغ عدله فى الظهور مبلغا عرفه النمل و قيل إن الريح أطارت كلامها إليه من ثلاثه أميال حتى سمع ذلك فانتهى إليها و هى تأمر النمل بالمبادره فتبسم من حذرها «وَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي» أى ألهمنى «أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ» بأن علمتنى منطق النمل و أسمعتنى قولها من بعيد حتى أمكننى الكف و أكرمتنى بالنبوه و الملك «وَ عَلَى وَ الْوَالِدَى» أى أنعمت على والدى بأن أكرمته بالنبوه و فصل الخطاب و ألت له الحديد و على والدتى بأن زوجته نبيك و جعل النعمه عليها نعمه الله سبحانه عليه يلزمه شكرها «وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ» أى وفقنى لأن أعمل صالحا فى المستقبل ترضاه «وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ» قال ابن عباس يعنى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و من بعدهم من النبيين أى أدخلنى فى جملتهم و أثبت اسمى مع أسمائهم و احشرنى فى زمرتهم و قال ابن زيد فى عبادك معناه مع

عبادك قال الزجاج جاء لفظ ادخلوا كلفظ ما يعقل لأن النمل هاهنا أجرى مجرى الآدميين حتى نطق كما ينطق الآدميون وإنما يقال لما لا يعقل ادخلى و فى الخبر دخلت أو دخلن و روى أن نمل سليمان هذا كان كأمثال الذئب و الكلاب.

## [سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٠ الى ٢٦]

### اشاره

وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَ جِئْتُهَا وَ قَوْمُهَا يَسْتَسْجِدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)

أَلَّا- يَسْتَسْجِدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)

### القراءه

قرأ ابن كثير أو ليأتيني بنونين أو لاهما مشدده مفتوحه و الباقون بنون واحده مشدده و قرأ عاصم و يعقوب «فَمَكَثَ» بفتح الكاف و الباقون بضم الكاف و قرأ أبو عمرو و ابن كثير فى روايه السبى من سباء بفتح الهمزه و قرأ ابن كثير فى روايه القواس و ابن فليح من سبأ بغير همزه و قرأ الباقون «مِنْ سَبَإٍ» مجروره منونه و مثله سواء فى سوره سبأ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ و قرأ أبو جعفر و الكسائى و رويس عن يعقوب ألا- يسجدوا خفيفه اللام و قرأ الباقون «أَلَّا يَسْتَسْجِدُوا» مثل قوله أَنْ لَا يَقُولُوا و من خفف وقف على ألا يا و ابتداء اسجدوا و قرأ الكسائى و حفص عن عاصم «مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ» بالتاء و الباقون بالياء.

من قرأ «لِيَأْتِيَنِي» حذف النون الثالثة التي هي قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات و من قرأ ليأتيني فهو على الأصل و مكث و مكث لغتان و مما يقوى الفتح و قوله إِنَّكُمْ مَآكُثُونَ و قوله مَا كَثِينَ فِيهِ أَبَدًا و قال سيبويه ثمود و سبأ مره للقبيلتين و مره للحين قال أبو علي يريد أن هذه الأسماء منها ما جاء على أنه اسم الحى نحو معد و قريش و ثقيف و منها ما يستوى فيه الأمران كثمود و سبأ و قال أبو الحسن فى سبأ إن شئت صرفت فجعلته اسم أبيهم أو اسم الحى و إن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيله قال و الصرف أحب إلى لأنه قد عرف أنه اسم أبيهم و إن كان اسم الأب يصير كالقبيله إلا أنى أحمله على الأصل و قال غيره هو اسم رجل و اليمانيه كلها تنسب إليه يقولون سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال الزجاج من قال إن سبأ اسم رجل فغلط لأن سبأ هي مدينه تعرف بمأرب من اليمن بينها و بين صنعاء مسيره ثلاثه أيام قال الشاعر

من سبى الحامرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما

فمن لم يصرف فلأنه اسم مدينه و من صرفه فلأن يكون اسما للبلد قال جرير:

الواردون و تيم فى ذرى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

و من قرأ ألا يسجدوا فالتقدير فصددهم عن السبيل لأن لا يسجدوا على أنه مفعول له قال أبو علي و هذا هو الوجه لتجرى القصة على سننها و لا- يفصل بين بعضها و بعض ما ليس منها و إن كان الفصل بهذا النحو غير ممتنع لأنه يجرى مجرى الاعتراض و كأنه لما قيل «وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ» فدل هذا الكلام على أنهم لا يسجدون لله قال ألا يا قوم اسجدوا لله خلافا عليهم و وجه دخول حرف التنبيه على الأمر أنه موضع يحتاج فيه إلى استعطاف المأمور لتأكيد ما يؤمر به عليه كما أن النداء موضع يحتاج فيه إلى استعطاف المنادى لما ينادى له من إخبار أو أمر أو نهى و نحو ذلك مما يخاطب به و إذا كان كذلك فيجوز أن لا تريد منادى فى نحو قولك ألا يسجدوا كما لا تريد المنادى فى نحو قوله:

يا لعنه الله و الأقوام كلهم و الصالحين على سمعان من جار

و كذلك ما حكى عن أبى عمرو من قوله يا ويل له و يجوز أن يراد بعد يا مأمورون فحذفوا كما حذف فى قوله يا لعنه الله فكما أن يا هاهنا لا يجوز أن يكون إلا لغير اللعنه

كذلك يجوز أن يكون المأمورون مرادين و حذفوا من اللفظ و قد جاء هذا فى مواضع من الشعر فمن ذلك ما أنشده أبو زيد

فقالت ألا يا اسمع نعظك بخطه فقلت سميعا فانطقى و أصيبى

و أنشد الزجاج لذى الرمه

ألا يا أسلمى يا دار مى على البلى و لا زال منها لا بجرعائك القتر

و للأخطل

ألا يا أسلمى يا هند هند بنى بدر و لا زال حيانا عدى آخر الدهر

و مما يؤكد قراءه من قرأ «أَلَا يَسْجُدُوا» بالتشديد أنها لو كانت مخففة لما كانت فى يسجدوا ياء لأنها اسجدوا ففى ثبات الياء فى المصحف دلالة على التشديد و من قرأ يخفون و يعلنون بالياء فلأن الكلام على الغيبة و قراءه الكسائى فىهما بالتاء لأن الكلام قد دخله خطاب على قراءه اسجدوا لله و من قرأ ألا يا اسجدوا فيجوز أن يكون الخطاب للمؤمنين و الكافرين الذين جرى ذكرهم على لفظ الغيبة.

## الإعراب

كان أبو عمرو يسكن الياء فى قوله ما لى لا أرى الهدهد و يفتح فى قوله و ما لى لا أعبد الذى فطرنى لتلا يقف الواقف على ما لى و يبتدئ بلا أعبد و «لا أرى» فى موضع نصب على الحال. «أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ» أم منقطع التقدير بل أ هو من الغائبين و كان بمعنى يكون و اللام فى «لَأَعَذَّبَنَّهُ» جواب قسم مقدر أى و الله لأعذبه «غَيْرَ بَعِيدٍ» منصوب لأنه صفة ظرف أو صفة مصدر تقديره فمكث وقتا غير بعيد أو مكثا غير بعيد و «يَسْجُدُونَ» فى موضع نصب على الحال من وجدت.

## المعنى

ثم أخبر سبحانه عن سليمان فقال «وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ» أى طلبه عند غيبته «فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ» أى ما للهدهد لا أراه تقول العرب ما لى أراك كثيبا و معناه ما لك

و لكنه من القلب الذى يوضح المعنى و اختلف فى سبب تفقده الهدهد فقيل إنه احتاج إليه فى سفره ليدله على الماء لأنه يقال إنه يرى الماء فى بطن الأرض كما يراه فى القاروره عن ابن عباس و

روى العياشى بالإسناد قال قال أبو حنيفة لأبى عبد الله (عليه السلام) كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير قال لأن الهدهد يرى الماء فى بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن فى القاروره فنظر أبو حنيفة إلى أصحابه و ضحك قال أبو عبد الله (عليه السلام) ما يضحكك قال ظفرت بك جعلت فداك قال و كيف ذلك قال الذى يرى الماء فى بطن الأرض لا يرى الفخ فى التراب حتى يؤخذ بعنقه قال أبو عبد الله (عليه السلام) يا نعمان أ ما علمت أنه إذا نزل القدر أغشى البصر

و قيل إنما تفقده لإخلاله بنوبته عن وهب و قيل كانت الطيور تظله من الشمس فلما أخل الهدهد بمكانه بان بطلوع الشمس عليه «أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ» معناه أ تأخر عصيانا أم غاب لعذر و حاجه قال المبرد لما تفقد سليمان الطير و لم ير الهدهد قال ما لى لا أرى الهدهد على تقدير أنه مع جنوده و هو لا يراه ثم أدركه الشك فشك فى غيبته عن ذلك الجمع بحيث لم يره فقال أم كان من الغائبين أى بل أ كان من الغائبين كأنه ترك الكلام الأول و استفهم عن حاله و غيبته ثم أوعده على غيبته فقال «لَأَعِدَّنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا» معناه لأعذبه بنتف ريشه و إلقائه فى الشمس عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و قيل بأن أجعله بين أضداده و كما صح نطق الطير و تكليفه فى زمانه معجزه له جازت معاتبته على ما وقع منه من تقصير فإنه كان مأمورا بطاعته فاستحق العقاب على غيبته «أَوْ لَأَذِيبَنَّ» أى لأقطعن حلقه عقوبه على عصيانه «أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى بحجه واضحة تكون له عذرا فى الغيبه «فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ» أى فلم يلبث سليمان إلا زمانا يسيرا حتى جاء الهدهد و قيل معناه فلبث الهدهد فى غيبته قليلا ثم رجع و على هذا فيجوز أن يكون التقدير فمكث فى مكان غير بعيد قال ابن عباس فأتاه الهدهد بحجه «فَقَالَ أَحَطُّتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ» أى اطلعت على ما لم تطلع عليه و جئتك بأمر لم يخبرك به و لم يعلم به الإنس و بلغت ما لم تبلغه أنت و لا جنودك و هو قوله «وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ» أى بخبر صادق و علم الإحاطه و هو أن يعلم الشىء من جميع جهاته التى يمكن أن يعلم عليها تشبيها بالسور المحيط بما فيه و فى الكلام حذف تقديره ثم جاء الهدهد فسأله سليمان عن سبب غيبته فقال أحطت بما لم تحط به و فى هذا دلالة على أنه يجوز أن يكون فى زمن الأنبياء من يعرف ما لا يعرفونه و سبأ مدينه بأرض اليمن عن قتاده و قيل إن الله تعالى بعث إلى سبأ اثنى عشر نبيا عن السدى و

روى علقمه بن وعلة عن ابن عباس قال سئل النبى ص عن سبأ فقال هو رجل ولد له عشره من العرب تيامن منهم سته و تشأم أربعة فالذين تشأموا لحم و جذام و غسان و عامله و الذين تيامنوا كنده و الأشعرون و الأزد و مذحج و حمير

«إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ» أى تتصرف فيهم بحيث لا يعترض عليها أحد «وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» و هذا اختار عن سعه ملكها أى من كل شىء من الأموال و ما يحتاج إليه الملوك من زينه الدنيا و قال الحسن و هى بلقيس بنت شراحيل ملكه سبيا و قيل شرحبيل ولدها أربعون ملكا آخرهم أبوها [شرحبيل] قال قتاده و كان أولوا مشورتها ثلاثمائة و اثنى عشر قتيلا كل قيل منهم تحت رايته ألف مقاتل «وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ» أى سرير أعظم من سريرك و كان مقدمه من ذهب مرصع بالياقوت الأحمر و الزمرد الأخضر و مؤخره من فضه مكلل بألوان الجواهر و عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق و عن ابن عباس قال كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا فى ثلاثين ذراعا و طوله فى الهواء ثلاثون ذراعا و قال أبو مسلم المراد بالعرش الملك «وَجِدْتُهَا وَ قَوْمَهَا يَسْتَجِدُّونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ» أى عبادتهم للشمس من دون الله «فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» أى صرفهم عن سبيل الحق «فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ» قال الجبائى لم يكن الهدهد عارفا بالله تعالى و إنما أخبر بذلك كما يخبر مراهقو صبياننا لأنه لا تكليف إلا على الملائكة و الإنس و الجن فيرانا الصبى على عباده الله فيتصور أن ما خالفها باطل فكذلك الهدهد تصور له أن ما خالف فعل سليمان باطل و هذا الذى ذكره خلاف ظاهر القرآن لأنه لا يجوز أن يفرق بين الحق الذى هو السجود لله و بين الباطل الذى هو السجود للشمس و أن أحدها حسن و الآخر قبيح إلا العارف بالله سبحانه و بما يجوز عليه و ما لا يجوز أن يفرق بين الحق الذى هو السجود لله و بين الباطل الذى هو السجود للشمس و أن أحدها حسن و الآخر قبيح إلا العارف بالله سبحانه و بما يجوز عليه و ما لا يجوز هذا مع نسبة تزين أعمالهم و صداهم عن طريق الحق إلى الشيطان و هذا مقاله من يعرف العدل و أن القبيح غير جائز على الله سبحانه «أَلَّا يَسْتَجِدُّوا لِلَّهِ» قد بينا أن التخفيف إنما هو على معنى الأمر بالسجود و دخلت الياء للتنبيه أو على تقدير ألا- يا قوم اسجدوا لله و قيل إنه أمر من الله تعالى لجميع خلقه بالسجود له اعترض فى الكلام و قيل إنه من كلام الهدهد قاله لقوم بلقيس حين وجدهم يسجدون لغير الله و قاله لسليمان عند عوده إليه استنكارا لما وجدهم عليه و القراءه بالتشديد على معنى زين لهم الشيطان ضلالتهم لئلا يسجدوا لله و ذكر القراءه أن القراءه بالتشديد لا توجب سجده التلاوه و هذا غير صحيح لأن الكلام قد تضمن الذم على ترك السجود فيه دلالة على وجوب السجود و هو كقوله و إِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَ مَا الرَّحْمَنُ الْآيَهُ «الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ»

الخبء المخبوء وهو ما أحاط به غيره حتى منع من إدراكه وهو مصدر وصف به يقال خبأته أخبؤه خبأً وما يوجد الله تعالى فيخرجه من العدم إلى الوجود يكون بهذه المنزلة وقيل الخبء الغيب وهو كل ما غاب عن الإدراك فالمعنى يعلم غيب السماوات والأرض عن عكرمه ومجاهد وقيل إن خبء السماوات المطر وخبء الأرض النبات والأشجار عن ابن زيد «وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ» أى يعلم السر والعلانيه «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» إلى هاهنا تمام الحكايه لما قاله الهدهد و يحتمل أن يكون ابتداء إخبار من الله تعالى و العرش سرير الملك الذى عظمه الله و رفعه فوق السماوات السبع و جعل الملائكه تحف به و ترفع أعمال العباد إليه و تنشأ البركات من جهته فهو عظيم الشأن كما وصفه الله تعالى و هو أعظم خلق الله تعالى.

## [سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٧ الى ٣١]

### اشاره

قَالَ سَيَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سَيِّئِمَانٍ وَ إِنَّهُ بَشِيرٌ مِّنَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَ أَنُوْنِي مُسْلِمِينَ (٣١)

### القراءه

فى الشواذ ما رواه وهب عن ابن عباس ألا تغلوا بالعين المعجمه من الغلو.

### المعنى

ولما سمع سليمان ما اعتذر به الهدهد فى تأخره «قال» عند ذلك «سَيَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ» فى قولك الذى أخبرتنا به «أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» وهذا أطف و ألىن فى الخطاب من أن يقول أم كذبت لأنه قد يكون من الكاذبين بالميل إليهم و قد يكون منهم بالقرابه تكون بينه و بينهم و قد يكون منهم بأن يكذب كما كذبوا ثم كتب سليمان كتابا و ختمه بخاتمه و دفعه إليه فذلك قوله «اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ» يعنى إلى أهل سبأ «ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ» أى استتر منهم قريبا بعد إلقاء الكتاب إليهم فانظر ما ذا يرجعون عن وهب بن منبه و غيره و قيل إنه على التقديم و التأخير «فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ» أى ما ذا يردون من الجواب ثم تول عنهم لأن



التولى عنهم بعد الجواب عن مقاتل و ابن زيد و الجبائي و ابي مسلم و الأول أوجه لأن الكلام إذا صح من غير تقديم و تأخير كان أولى و فى الكلام حذف تقديره فمضى الهدهد بالكتاب و ألقاه إليهم فلما رأته بلقيس «قالت» لقومها «يا أيها المملأ» أى الأشراف «إني ألقى إني كتاب كريم» قال قتاده أتاها الهدهد و هى نائمه مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها فقرأت الكتاب و قيل كانت لها كوه مستقبلة للشمس تقع الشمس عند ما تطلع فيها فإذا نظرت إليها سجدت فجاء الهدهد إلى الكوه فسدها بجناحه فارتفعت الشمس و لم تعلم فقامت تنظر فرمى الكتاب إليها عن وهب و ابن زيد فلما أخذت الكتاب جمعت الأشراف و هم يومئذ ثلاثمائة و اثنا عشر قبلا- ثم قالت لهم إني ألقى إلى كتاب كريم سمته كريما لأنه كان مختوما عن ابن عباس و يؤيده

الحديث إكرام الكتاب ختمه

و قيل وصفته بالكريم لأنه صدره بسم الله الرحمن الرحيم و قيل لحسن خطه و جوده لفظه و بيانه و قيل لأنه كان ممن يملك الإنس و الجن و الطير و قد كانت سمعت بخبر سليمان فسمته كريما لأنه من كريم رفيع الملك عظيم الجاه «إنه من سليمان و إنّه بسم الله الرحمن الرحيم» معناه أن الكتاب من سليمان و أن المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم سليمان (عليه السلام) و لم تعرفه هى و لا- قومها و قيل إن هذا حكاية ما قالت على المعنى باللغة العربية و إن لم تقل هى بهذا اللفظ و الحكاية على ثلاثه أوجه حكاية على المعنى فقط و حكاية على اللفظ فقط ممن حكاة من غير أن يعلم معناه و حكاية على اللفظ و المعنى و هو الأصل فى الحكاية التى لا يجوز العدول عنها إلا بقريته و موضع «ألا تغلوا» يجوز أن يكون رفعا بالبدل من «كتاب» و يجوز أن يكون نصبا على معنى بأن لا- تعلوا و الصحيح أن فى مثل هذا الموضع بمعنى أى على ما قاله سيويوه فى نحو قوله و انطلق المملأ منهم أن امشوا أى امشوا و معناه لا ترفعوا و لا تتكبروا «على و أتونى مسلمين» أى منقادين طائعين لأمرى فيما أدعوكم و قيل مسلمين مؤمنين بالله تعالى و رسوله مخلصين فى التوحيد قال قتاده و كذا كانت الأنبياء تكتب كتبها موجزه مقصوره على الدعاء إلى الطاعة من غير بسط.

ص: ٣٤٤

## إشارة

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمَدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦)

ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)

## القراءه

قرأ حمزه و يعقوب أ تمدوني بنون واحده مشدده على الإدغام و الباقون بنونين مظهرين.

## الإعراب

«حَتَّى تَشْهَدُونِ» انتصب «تَشْهَدُونِ» بإضمار أن و النون فيه نون عماد «فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ» فاعل جاء الضمير المستكن فيه الراجع إلى مفعول مرسله المحذوف لأن تقديره إني مرسله رسولا- «أَذِلَّةً» نصب على الحال «وَهُمْ صَاغِرُونَ» جملة في موضع الحال معطوفة على أذله.

## المعنى

و لما وقفت بلقيس على كتاب سليمان «قَالَتْ» لأشرف قومها «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي» أى أشيروا على بالصواب و الفتيا و الفتوى الحكم بما فيه صواب بدلا من الخطأ و هو الحكم بما يعمل عليه فجعلت المشورة هنا فتيا «مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا» أى ما كنت ممضيه أمرا «حَتَّى تَشْهَدُونِ» أى تحضرونى تريد إلا بحضرتكم و مشورتكم و هذا ملاطفه منها لقومها فى الاستشارة منهم لما تعمل عليه «قَالُوا» لها فى الجواب عن ذلك «نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ» أى أصحاب قوه و قدره و أهل عدد «وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ» أى و أصحاب شجاعه شديده «وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ» أى أن الأمر مفوض إليك فى القتال و تركه «فَإَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ» أى ما الذى تأمرينا به لنمثله فإن أمرت بالصلح صالحنا و إن أمرت بالقتال قاتلنا «قَالَتْ» مجيبه لهم عن التعريض بالقتال «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا» أى إذا دخلوها عنوه عن قتال و غلبه أهلها و خربوها «وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً» أى أهانوا أشرفها و كبراءها كى يستقيم لهم الأمر و المعنى أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم و دخوله بلادهم و انتهى الخبر عنها و صدقها الله فيما قالت فقال «وَكَذَلِكَ» أى و كما قالت

هي «يَفْعَلُونَ» وقيل إن الكلام متصل بعبضه ببعض و كذلك يفعلون من قولها «وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ» أى إلى سليمان و قومه «بِهَيْدِيَّةٍ» أصانعه بذلك عن ملكي «فَنَاطِرَةٌ» أى فمنتظره «بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسِلُونَ» بقبول أم رد و إنما فعلت ذلك لأنها عرفت عادة الملوك فى حسن موقع الهدايا عندهم و كان غرضها أن يتبين لها بذلك أنه ملك أو نبى فإن قبل الهدية تبين أنه ملك و عندها ما يرضيه و إن ردها تبين أنه نبى و اختلف فى الهدية فقيل أهدت إليه و صفا و وصايف ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى عن ابن عباس و قيل أهدت مائتى غلام و مائتى جارية ألبست الغلمان لباس الجوارى و ألبست الجوارى ألبسه الغلمان عن مجاهد و قيل أهدت له صفائح الذهب فى أوعيه من الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقى فى الطريق فلما جاءوا رأوه ملقى فى الطريق فى كل مكان فلما رأوا ذلك صغر فى أعينهم ما جاءوا به عن ثابت اليمانى و قيل إنها عمدت إلى خمسمائه غلام و خمسمائه جارية فألبست الجوارى الأقييه و المناطق و ألبست الغلمان فى سواعدهم أساور من ذهب و فى أعناقهم أطواقا من ذهب و فى آذانهم أقراطا و شنوفا مرصعات بأنواع الجواهر و حملت الجوارى على خمسمائه رمكه و الغلمان على خمسمائه برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر و بعثت إليه خمسمائه لبنه من ذهب و خمسمائه لبنه من فضه و تاجا مكللا بالدر و الياقوت المرتفع و عمدت إلى حقه فجعلت فيها دره يتيمه غير مثقوبه و خرزه جزعيه مثقوبه معوجه الثقب و دعت رجلا من أشرف قومها اسمه المنذر بن عمرو و ضمت إليه رجلا من قومها أصحاب رأى و عقل و كتبت إليه كتابا بنسخه الهدية قالت فيها أن كنت نيبا فميز بين الوصفاء و الوصائف و أخبر بما فى الحقه قبل أن تفتحها و اثقب الدره ثقبا مستويا و أدخل الخرزه خيطا من غير علاج إنس و لاجن و قالت للرسول أنظر إليه إن دخلت عليه فإن نظر إليك نظره غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنك أمره فأنا أعز منه و إن نظر إليك نظر لطف فاعلم أنه نبى مرسل فانطلق الرسول بالهدايا و أقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان فأخبره الخبر فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنات الذهب و لبنات الفضه ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذى هو فيه إلى بضع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب و الفضه و أن يجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب و الفضه ففعلوا ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان و يساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره و وضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه و مثلها عن يساره و أمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ و أمر الإنس فاصطفوا فراسخ و أمر الوحش و السباع و الهوام و الطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه و يساره فلما دنا القوم من الميدان و نظروا إلى ملك سليمان

تقاصرت إليهم أنفسهم و رموا بما معهم من الهدايا فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر إليهم نظرا حسنا بوجه طلق و قال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا له و أعطاه كتاب الملكة فنظر فيه و قال أين الحقه فأتى بها و حركها و جاءه جبرائيل (عليه السلام) فأخبره بما فى الحقه فقال إن فيها دره يتيمه غير مثقوبه و خرزه مثقوبه معوجه الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدره و أدخل الخيط فى الخرزه فأرسل سليمان إلى الأرضه فجاءت فأخذت شعره فى فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزه يسلكها الخيط فقالت دوده بيضاء أنا لها يا رسول الله فأخذت الدوده الخيط فى فيها و دخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر ثم ميز بين الجوارى و الغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم و أيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنيه بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه و الغلام كان يأخذ من الآنيه يضرب به وجهه و كانت الجارية تصب على باطن ساعدها و الغلام على ظهر الساعد و كانت الجارية تصب الماء صبا و الغلام يحدر الماء على يده حدرا فميز بينهما بذلك هذا كله مروى عن وهب و غيره و قيل إنها أنفذت مع هداياها عصا كان يتوارثها ملوك حمير و قالت أريد أن تعرفنى رأسها من أسفلها و بقدر ماء و قالت تملؤها ماء رواء ليس من الأرض و لا من السماء فأرسل سليمان العصا إلى الهواء و قال أى الرأسين سبق إلى الأرض فهو أسفلها و أمر الخيل فأجريت حتى عرقت و ملأ القدر من عرقها و قال ليس هذا من ماء الأرض و لا من ماء السماء «فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ» أى فلما جاء الرسول سليمان «قَالَ أ تُمِدُّونَنِي بِمَالٍ» أى تزيدوننى مالا و هذا استفهام إنكار يعنى أنه لا يحتاج إلى مالهم «فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ» أى ما أعطانى الله من الملك و النبوه و الحكمة خير مما أعطاكم من الدنيا و أموالها «يَلِئَلْ أَنْتُمْ بِهَيْدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ» إذا هدى بعضكم إلى بعض و أما أنا فلا أفرح بها أشار إلى قلبه أكثراته بأموال الدنيا ثم قال (عليه السلام) للرسول «ارْجِعْ إِلَيْهِمْ» بما جئت من الهدايا «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا» أى لا طاقه لهم بها و لا قدره لهم على دفعها «وَلَنُخْرِجَنَّهِنَّ مِنْهَا أَدْلَى» أى من تلك القرية و من تلك المملكه و قيل من أرضها و ملكها «وَهُمْ صَاغِرُونَ» أى ذليلون صغير و القدر إن لم يأتونى مسلمين فلما رد سليمان الهديه و ميز بين الغلمان و الجوارى إلى غير ذلك علموا أنه نبي مرسل و أنه ليس كالمملوك الذين يغتروا بالمال.

## اشاره

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكَّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَ هَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)

وَ صَيَّدَهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)

## القراءه

في الشواذ قراءه أبي رجاء و عيسى الثقفي عفریه.

## الحجه

و المعنى معنى العفریت يقال رجل عفریه نفریه أى خبيث داه قال ذو الرمه

كأنه كوكب فى إثر عفریه مسوم فى سواد الليل منقضب

و أصل العفریت و العفریه من العفر و هو التراب لأنه يصرع قرنه فى العفر و منه قيل للأسد عفرنى و للناقه الشديده عفرناه قال الأعرشى:

بذات لوث عفرناه إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن يقال لعا

. اللغه

التنكير تغيير الشىء من حال إلى حال ينكرها صاحبها إذا رآه و الصرح القصر و كل بناء مشرف صرح و صرحه الدار و ساحتها و قارعتها و صحنها و أصله من الوضوح يقال صرح بالأمر أى كشفه و أوضحه و صرح بالتحديد لازم و متعد و اللجه معظم الماء و الجمع لجج و لج البحر خلاف الساحل و منه لج بالأمر إذا بالغ بالدخول فيه و الممرد المملس و منه الأمرد و شجره مرداء أى ملساء لا ورق عليها و المارد المتملس عن الحق الخارج منه.

### المعنى

فلما رجع إليها الرسول و عرفت أنه نبي و أنها لا تقاومه فتجهزت للمسير إليه و أخبر جبرائيل سليمان (عليه السلام) إنها خرجت من اليمن مقبله إليه ف «قال» سليمان لأماثل جنده و أشراف عسكره «يا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» و اختلف فى السبب الذى خص به العرش بالطلب على أقوال (أحدها) أنه أعجبهته صفته فأراد أن يراه و ظهر له آثار إسلامها فأحب أن يملك عرشها قبل أن تسلم فيحرم عليه أخذ مالها عن قتاده (و ثانيها) أنه أراد أن يختبر بذلك عقلها و فطنتها و يختبر هل تعرفه أو تنكره عن ابن زيد و قيل أراد أن يجعل ذلك دليلا و معجزه على صدقه و نبوته لأنها خلفته فى دارها و أوثقتة و وكتت به ثقات قومها يحرسونه عن وهب و قال ابن عباس كان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدئ بالكلام حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا فقالوا بلقيس يا رسول الله و قد نزلت منا بهذا المكان و كان ما بين الكوفه و الحيره على قدر فرسخ فقال «أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا». و قوله «مُسْلِمِينَ» فيه وجهان (أحدهما) أنه أراد مؤمنين موحدين (و الآخر) مستسلمين منقادين على ما مر بيانه «قالَ عَفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ» أى مارد قوى داهيه عن ابن عباس «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ» أى من مجلسك الذى تقضى فيه عن قتاده «وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ» أى و إنى على حمله لقوى و على الإتيان به فى هذه المده قادر و على ما فيه من الذهب و الجواهر أمين و فى هذا دلالة على أن القدره قبل الفعل لأنه أخبر بأنه قوى عليه قبل أن يجىء به و كان سليمان يجلس فى مجلسه للقضاء غدوه إلى نصف النهار فقال سليمان أريد أسرع من ذلك فعند ذلك «قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ

ص: ٣٤٩

مِنَ الْكِتَابِ» و هو آصف بن برخيا و كان وزير سليمان و ابن أخته و كان صديقا يعرف اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب عن ابن عباس و قيل إن ذلك الاسم الله و الذى يليه الرحمن و قيل هو يا حى يا قيوم و بالعبرانية أهيا شراهايا و قيل هو يا ذا الجلال و الإكرام عن مجاهد و قيل أنه قال يا إلهنا و إله كل شىء إلهها واحدا لا إله إلا أنت عن الزهرى و قيل إن الذى عنده علم من الكتاب كان رجلا من الإنس يعلم اسم الله الأعظم اسمه بلخيا عن مجاهد و قيل اسمه أسطوم عن قتاده و قيل الخضر (عليه السلام) عن أبى لهيعة و قيل إن الذى عنده علم من الكتاب هو جبرائيل (عليه السلام) أذن الله له فى طاعه سليمان (عليه السلام) بأن يأتيه بالعرش الذى طلبه و قال الجبائى هو سليمان قال ذلك للعفريت ليريه نعمه الله عليه و هذا قول بعيد لم يؤثر عن أهل التفسير و أما الكتاب المعروف فى الآيه بالألف و اللام فقليل إنه اللوح المحفوظ و قيل أراد به جنس كتب الله المنزلة على أنبيائه و ليس المراد به كتابا بعينه و الجنس قد يعرف بالألف و اللام و قيل إن المراد به كتاب سليمان إلى بلقيس «أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» اختلف فى معناه فقليل يريد قبل أن يصل إليك من كان منك على قدر مد البصر عن قتاده و قيل معناه قبل أن يبلغ طرفك مداه و غايته و يرجع إليك قال سعيد بن جبير قال لسليمان أنظر إلى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه و المعنى حتى يرتد إليك طرفك بعد مده إلى السماء و قيل ارتداد الطرف إدامه النظر حتى يرتد طرفه خاسئا عن مجاهد فعلى هذا معناه أن سليمان مد بصره إلى أقصاه و هو يديم النظر فقبل أن ينقلب بصره إليه حسيرا يكون قد أتى بالعرش قال الكلبي خر آصف ساجدا و دعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان و ذكر العلماء فى ذلك وجوها (أحدها) أن الملائكة حملته بأمر الله تعالى (و الثانى) أن الريح حملته (و الثالث) أن الله تعالى خلق فيه حركات متواليه (و الرابع) أنه انخرق مكانه حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان (و الخامس)

إن الأرض طويت له و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و السادس) أنه أعدمه الله فى موضعه و أعاده فى مجلس سليمان و هذا لا يصح على مذهب أبى هاشم و يصح على مذهب أبى على الجبائى فإنه يجوز فناء بعض الأجسام دون بعض و فى الكلام حذف كثير لأن التقدير قال سليمان له افعل فسأل الله تعالى فى ذلك فحضر العرش فرآه سليمان مستقرا عنده «فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ» أى فلما رأى سليمان العرش محمولا إليه موضوعا بين يديه فى مقدار رجوع البصر «قال هذا

مِنْ فَضْلِ رَبِّي» أى من نعمته على و إحسانه لدى لأن تيسير ذلك و تسخيره مع صعوبته و تعذره معجزه له و دلاله على علو قدره و جلالته و شرف منزلته عند الله تعالى «لِيُبْلُوَنِي أَمْ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ» أى ليختبرنى هل أقوم بشكر هذه النعمه أم أكفر بها «وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» لأن عائده شكره و منفعتة ترجعان إليه و تخصانه دون غيره و هذا مثل قوله «إِنْ أَحْسَنَ نَّتَمَّ أَحْسَنَ نَّتَمَّ لِنَفْسِكُمْ» «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ» عن شكر العباد غير محتاج إليه بل هم المحتاجون إليه لما لهم فيه من الثواب و الأجر «كَرِيمٌ» أى متفضل على عباده شاكرهم و كافرهم عاصيهم و مطيعهم لا يمنعه كفرهم و عصيانهم من الإفضال عليهم و الإحسان إليهم «قال» سليمان «نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا» أى غيروا سريرها إلى حال تنكرها إذا رأته و أراد بذلك اعتبار عقلها على ما قيل «نُنْظَرُ أَمْ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ» أى أ تهتدى إلى معرفه عرشها بفطنتها بعد التغيير أم لا تهتدى إلى ذلك عن سعيد بن جبير و قتاده و قيل أ تهتدى أى أ تستدل بعرشها على قدره الله و صحه نبوتى و تهتدى بذلك إلى طريق الإيمان و التوحيد أم لا عن الجبائي قال ابن عباس فنزع ما كان على العرش من الفصوص و الجواهر و قال مجاهد غير ما كان أحمر فجعله أخضر و ما كان أخضر فجعله أحمر و قال عكرمه زيد فيه شىء و نقص منه شىء «فَلَمَّا جَاءَتْ قَيْلٌ أَمْ هَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ» فلم تشبهه و لم تنكره و دل ذلك على كمال عقلها حيث لم تقل لا إذ كان يشبه سريرها لأنها وجدت فيه ما تعرفه و لم تقل نعم إذ وجدت فيه ما غير و بدل و لأنها خلفته فى بيتها و حملة فى تلك المده إلى ذلك الموضوع غير داخل فى قدره البشر قال مقاتل عرفته و لكن شبهوا عليها حين قالوا لها أ هكذا عرشك فشبته حين قالت كأنه هو و لو قيل لها هذا عرشك لقاتل نعم قال عكرمه كانت حكيمة قالت إن قلت هو هو خشيت أن أكذب و إن قلت لا خشيت أن أكذب فقالت كأنه هو شبهته به فقيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب و كانت قد خلفته وراء سبعة أبواب لما خرجت فقالت «وَأُوتِينَا الْعِلْمَ» بصحه نبوه سليمان «مِنْ قَبْلِهَا» أى من قبل الآيه فى العرش «وَكُنَّا مُسْلِمِينَ» طائعين لأمر سليمان و قيل إنه من كلام سليمان عن مجاهد و معناه و أوتينا العلم بالله و قدرته على ما يشاء من قبل هذه المره و كنا مخلصين لله بالتوحيد و قيل معناه و أوتينا العلم بإسلامها و مجيئها طائعه قبل مجيئها و قيل إنه من كلام قوم سليمان عن الجبائي «وَصَيَدَهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى منعها عباده الشمس عن الإيمان بالله تعالى بعد رؤيه تلك المعجزه عن مجاهد فعلى هذا تكون ما موصوله مرفوعه الموضوع بأنها فاعله صد و قيل معناه و صدها سليمان عما كانت تعبده من دون الله و حال بينها و بينه و منعها عنه فعلى هذا يكون ما فى موضع النصب و قيل معناه منعها الإيمان و التوحيد الذى كانت تعبده من دون



الله و هو الشمس ثم استأنف فقال «إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ» أى من قوم يعبدون الشمس قد نشأت فيما بينهم فلم تعرف إلا عباده الشمس «قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ» و الصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف و ذكر إن سليمان لما أقبلت صاحبه سبياً أمر الشياطين ببناء الصرح و هو كهيئة السطح المنبسط من قوارير أجرى تحته الماء و جمع فى الماء الحيتان و الضفادع و دواب البحر ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه و قيل إنه قصر من زجاج كأنه الماء بياضاً و قال أبو عبيده كل بناء من زجاج أو صخر أو غير ذلك موثق فهو صرح و إنما أمر سليمان (عليه السلام) بالصرح لأنه أراد أن يختبر عقلها و ينظر هل تستدل على معرفه الله تعالى بما ترى من هذه الآيه العظيمه و قيل إن الجن و الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فلا ينفكون من تسخير سليمان و ذريته بعده لو تزوجها و ذلك أن أمها كانت جنيه فأساءوا الثناء عليها ليزهدوه فيها و قالوا إن فى عقلها شيئاً و إن رجلها كحافر الحمار فلما امتحن ذلك وجدها على خلاف ما قيل و قيل أنه ذكر له أن على رجلها شعراً فلما كشفته بأن الشعر فسأه ذلك فاستشار الجن فى ذلك فعملوا الحمامات و طبخوا له النوره و الزرنيخ و كان أول ما صنعت النوره «فَلَمَّا رَأَتْهُ» أى رأت بلقيس الصرح «حَسَبَتْهُ لُجَّةً» و هى معظم الماء «وَ كَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا» لدخول الماء و قيل إنها لما رأت الصرح قالت ما وجد ابن داود عذاباً يقتلنى به إلا الغرق و أنفت أن تجبن فلا تدخل و لم يكن من عادتهم لبس الخفاف فلما كشفت عن ساقها «قَالَ» لها سليمان «إِنَّهُ صَيْرُحٌ مُّمَرَّدٌ» أى مملس «مِنْ قَوَارِيرٍ» و ليس بماء و لما رأت سرير سليمان و الصرح «قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى» بالكفر الذى كنت عليه «وَ أَسِئَلُكَ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» فحسن إسلامها و قيل إنها لما جلست دعاها سليمان إلى الإسلام و كانت قد رأت الآيات و المعجزات فأجابته و أسلمت و قيل إنها لما ظنت أن سليمان يغرقتها ثم عرفت حقيقه الأمر قالت ظلمت نفسى إذ توهمت على سليمان ما توهمت و اختلف فى أمرها بعد ذلك فقليل إنه تزوجها سليمان و أقرها على ملكها و قيل إنه تزوجها من ملكك يقال له تبع و ردها إلى أرضها و أمر زوبعه أمير الجن باليمن أن يعمل له و يطيع فصنع له المصانع باليمن قال عون بن عبد الله جاء رجل إلى عبد الله بن عتبة فسأله هل تزوجها سليمان قال عهدى بها إن قالت و أسلمت مع سليمان لله رب العالمين يعنى أنه لا يعلم ذلك و إن آخر ما سمع من حديثها هذا القول

و روى العياشى فى تفسيره بالإسناد قال التقي موسى بن محمد بن على بن موسى (عليه السلام) و يحيى بن أكثم فسأله عن مسائل قال فدخلت على أخى على بن محمد (عليه السلام) بعد أن دار بينى و بينه من المواعظ حتى انتهيت إلى طاعته فقلت له جعلت فداك أن ابن أكثم سألنى عن مسائل أفتيه فيها فضحك ثم قال فهل

أفتيته فيها قلت لا قال و لم قلت لم أعرفها قال و ما هي قلت أخبرني عن سليمان أ كان محتاجا إلى علم آصف بن برخيا ثم ذكر المسائل الأخر قال اكتب يا أخى بسم الله الرحمن الرحيم سألت عن قول الله تعالى فى كتابه «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» فهو آصف بن برخيا و لم يعجز سليمان عن معرفه ما عرفه آصف لكنه (عليه السلام) أحب أن تعرف أمته من الإنس و الجن أنه الحجة من بعده و ذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله تعالى ففهمه الله ذلك لثلا يختلف فى إمامته و دلالتة كما فهم سليمان فى حياه داود ليعرف إمامته و نبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق.

## [سوره النمل (٢٧): الآيات ٤٥ الى ٥٣]

### إشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) وَ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩)

وَ مَكَرُوا مَكْرًا وَ مَكَرْنَا مَكْرًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَا هُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)

### القراءة

قرأ أهل الكوفه غير عاصم لتبتيته بالتاء و ضم التاء الثانيه ثم لتقولن بالتاء

أيضا و ضم اللام و الباقون «لَتَبَيَّنَّتْهُ» بالنون و فتح التاء «ثُمَّ لَنَقُولَنَّ» أيضا بالنون و فتح اللام و قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و سهل و ابن عامر إنا دمرناهم بكسر الألف و الباقون بفتح الألف و روى عن روح و زيد عن يعقوب بكسر الألف أيضا.

## الحجج

قال أبو على قوله «تَقَاسَمُوا» لا يخلو من أن يراد به مثال الماضي أو مثال الآتى الذى يراد به الأمر فمن أراد به الأمر جعل «لَتَبَيَّنَّتْهُ» جوابا لتقاسموا فكأنه قال حلفوا لتبينته لأن هذه الألفاظ التى تكون من ألفاظ القسم تتلقى بما يتلقى به الإيمان كقوله تعالى «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ» «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ» فكذلك «تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَتَبَيَّنَّتْهُ» ملقاه باللام و النون الثقيله و أدخل المتكلمون أنفسهم مع المقسمين كما دخلوا فى قوله «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» و من قال تقاسموا لتبينته أراد ليقسم بعض لتبينته فتقاسموا على هذا أمر كما كان فيمن قال لتبينته أمرا و من قال تقاسموا لتبينته بالتاء فتقاسموا على هذا مثال ماض و لا يجوز مع هذا إلا بالتاء لأن مثال الماضى للغيبه و لتبينته للخطاب و من كسر أنا دمرناهم جاز أن يكون كان فى قوله «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ» تامه و أن تكون ناقصه فإن جعلتها تامه بمعنى وقع كان قوله «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ» فى موضع حال تقديره على أى حال وقع عاقبه مكرهم أى أحسنا وقع عاقبه مكرهم أو سيئا أو يكون فى كيف ضمير من ذى الحال كما إنك إذا قلت فى الدار حدث الأمر فجعلته فى موضع الحال كان كذلك و حكم كيف على ذا أن يكون متعلقا بمحذوف كما أنك إذا قلت فى الدار وقع زيد فتقديره وقع زيد مستقرا فى هذه الحال فإن جعلته ظرفا للفعل تعلق بكان الذى بمعنى الحدث و قوله أنا دمرناهم فيمن كسر استئناف و هو تفسير للعاقبه كما أن قوله لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ تفسير للموعود و من قرأ «أَنَا دَمَّرْنَاَهُمْ» جاز أن يكون كان على ضربيها و إذا حملته على وقع كان كيف فى موضع حال و جاز فى قوله «أَنَا دَمَّرْنَاَهُمْ» أمران (أحدهما) أن يكون بدلا من قوله «عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ» و جاز أن يكون محمولا على مبتدأ مضمرة كأنه قال هو أنا دمرناهم أو ذاك أنا دمرناهم فإذا حملتها على المقتضيه للخبر جاز فى قوله أنا دمرناهم قولان (أحدهما) أن يكون بدلا من اسم كان الذى هو العاقبه فإذا حملته على ذلك كان كيف فى موضع خبر كان (و الآخر) أن يكون خبر كان و يكون موضعه نصبا بأنه خبر كان كأنه كان عاقبه أمرهم تدميرهم و يكون كيف فى موضع حال و يجوز أن يكون العامل فى كيف أحد شيئين إما أن يكون كان لأنه فعل كما كان العامل فى الظرف فى قوله «أَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا» ألا ترى أنه لا يجوز أن يتصل قوله للناس بواحد من المصدرين إلا أن تجعله صفة لعجب فتقدمه فيصير فى موضع حال فالعامل فيه

على هذا أيضا كان و يجوز أن يكون العامل فيه ما فى الكلام من الدلالة على الفعل لأن قوله «أَنَا دَمَرْنَا هُمْ» بما دله تدميرنا و تدميرنا يدل على دمرنا فيصير العامل فيه هذا المعنى الذى دل عليه ما فى الكلام من معنى الفعل و زعموا أن فى حرف أبى أن دمرناهم فهذا يقوى الفتح فى أنا.

## المعنى

ثم عطف سبحانه على قصه سليمان قصه صالح فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ» فى النسب «صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ» أى أرسلناه بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له «فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ» أى مؤمنون و كافرون يقول كل فريق الحق معى «قَالَ» صالح للفريق المكذب «يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ» أى بالعذاب قبل الرحمة أى لم قلتم إن كان ما أتينا به حقا فأتنا بالعذاب و سسمى العذاب سيئه لما فيه من الآلام و لأنه جزاء على السيئه لأن السيئه هى الخصلة التى تسوء صاحبها «لَوْ لَا» أى هلا «تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ» أى تطلبون مغفرته من الشرك بأن تؤمنوا «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» فلا تعذبون فى الدنيا «قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ» أى تشأنا بك و بمن على دينك و ذلك أنهم قحط المطر عنهم و جاعوا فقالوا أصابنا هذا الشر من شؤمك و شؤم أصحابك «قَالَ» لهم صالح «طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ» أى الشؤم أتاكم من عند الله بكفركم و هذا كقوله يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ» أى تختبرون بالخير و الشر عن ابن عباس و قيل تعذبون بسوء أعمالكم عن محمد بن كعب و قيل تبتلون و تمتحنون بطاعه الله و معصيته «وَ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ» يعنى التى بها صالح و هى الحجر «تِسْعَةَ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» كانت هذه التسعة نفر من أشرافهم و هم غواه قوم صالح و هم الذين سعوا فى عقر الناقة «وَ لَا يُضِلُّحُونَ» أى لا يطيعون الله تعالى و ذكر ابن عباس أسماءهم و قال هم قدار بن سالف و مصدع و دهمى و دهيم و دععى و دعيم و أسلم و قتال و صدادف «قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ» أى قالوا فيما بينهم احلفوا بالله «لَنَبِيَّتِهِ» أى لنقتلن صالحا «وَ أَهْلَهُ» بياتا و من قرأ بالنون فكأنهم قالوا أقسموا لنفعلن و الأمر بالقسم فى القراءتين داخل فى الفعل منهم «ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْ يَئِيهِ» أى لذى رحم صالح أن سألنا عنه «مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ» أى ما قتلناه و ما ندرى من قتله و أهلكه و قد ذكرنا اختلاف القراء فيه فى سورة الكهف «وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ» فى هذا القول قال الزجاج كان هؤلاء نفر تحالفوا أن يبيتوا صالحا و أهله ثم ينكروا عند أوليائه أن يكونوا فعلوا ذلك أو رأوه و كان هذا مكرًا عزموا عليه قال الله تعالى «وَ مَكْرُوهًا مَكْرًا وَ مَكْرُنًا مَكْرًا» أى جازيناهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم «وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بمكر الله بهم فإنهم دخلوا على صالح ليقتلوه فأنزل الله سبحانه الملائكة فرموا كل واحد منهم بحجر

حتى قتلوهم و سلم صالح من مكرهم عن ابن عباس و قيل إن الله أمر صالحا بالخروج من بينهم ثم استأصلهم بالعذاب و قيل نزلوا فى سفح جبل ينظر بعضهم بعضا ليأتوا صالحا فخر عليهم الجبل عن مقاتل «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَا هُمْ» أى أهلكناهم بما ذكرناه من العذاب «وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ» بصيحه جبرائيل «فَتَلَمَّكَ يَبُوتُهُمْ» أشار إلى بيوتهم و المعنى فانظر إليها «خَاوِيَةً» نصب على الحال أى فارغه خاليه «بِمَا ظَلَمُوا» أى بظلمهم و شركهم بالله تعالى «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى إهلاكهم «لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» أى لعبره لمن نظر إليها و اعتبر بها و فى هذه الآية دلالة على أن الظلم يعقب خراب الدور و روى عن ابن عباس أنه قال أجد فى كتاب الله أن الظلم يخرب البيوت و تلا- هذه الآية و قيل إن هذه البيوت بوادى القرى بين المدينة و الشام «وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا» به «وَكَانُوا يَتَّقُونَ» قالوا أنهم أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت و سمى حضرموت لأن صالحا لما دخلها مات.

## [سورة النمل (٢٧): الآيات ٥٤ الى ٥٩]

### إشارة

و لوطاً إذ قال لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا- أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا مِنْ الْغَابِرِينَ (٥٧) وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ (٥٨)

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)

### القراءة

قرأ أهل البصرة و عاصم «يُشْرِكُونَ» بالياء و الباقون بالتاء على الخطاب و فى الشواذ قراءة الحسن فما كان جواب قومه بالرفع.

### الحجج

الأولى أن يكون «جواب قومه» خبر كان و الاسم قوله «أَنْ قَالُوا» لشبه إن

بالمضمر من حيث كانت لا توصف و المضمر أعرف من المظهر و قد تقدم القول فى هذا.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه لوط عاطفا بها على ما تقدم فقال «و لوطاً» أى و أرسلنا لوطا «إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ» منكرنا عليهم أفعالهم «أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ» يعنى الخصلة القبيحة الشنيعه الظاهره القبح و هى إتيان الذكران فى أدبارهم «وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» أى تعلمون أنها فاحشه و قيل معناه و أنتم يرى بعضكم ذلك من بعض ثم بين سبحانه الفاحشه التى يأتونها فقال «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ» اللاتى خلقهن الله لكم «يَلِئَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» أى تفعلون أفعال الجهال قال ابن عباس تجهلون القيامه و عاقبه العصيان «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْتَهَرُونَ» عن إتيان الرجال فى أدبارهم «فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاَهَا» أى جعلناها «مِنَ الْغَابِرِينَ» أى الباقين فى العذاب «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا» و هو الحجاره «فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ» الذين أبلغهم لوط النذاره و أعلمهم بموضع المخافه ليتقوها فخالفوا ذلك ثم قال سبحانه لنبيه ص «قُلْ» يا محمد «الْحَمْدُ لِلَّهِ» شكرا على نعمه بأن وفقنا للإيمان و قيل الحمد لله على هلاك الأمم الكافره «وَسَيَلَامٌ عَلَى الَّذِينَ اصْطَفَى» أى اصطفاهم الله و اجتباهم و اختارهم على بريته و هم الأنبياء عن مقاتل و قيل هم أصحاب محمد ص عن ابن عباس و الحسن و قيل هم أمه محمد ص و معنى السلام عليهم أنهم سلموا مما عذب الله به الكفار عن الكلبي و قيل هم آل محمد ص عن على بن إبراهيم ثم قال سبحانه مخاطبا للمشركين «أَلَلَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ» يا أهل مكه يعنى الله خير لمن عبده أم الأصنام لعابديها و هذا إلزام للحجه على المشركين بعد ذكر هلاك الكفار و المعنى أن الله تعالى نجى من عبده من الهلاك و الأصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب و إنما قال ذلك لأنهم توهموا فى عباده الأصنام خيرا.

## إشارة

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٤)

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)

## القرءاءة

قرأ أبو عمرو و هشام ما يذكرون بالياء و الباقون بالتاء و الوجه فيهما ظاهر.

## اللغة

الحديقة البستان الذي عليه حائط و كل ما أحاط به البناء فهو حديقة و قيل الحديقة البستان الذي فيه النخل و القرار المكان المظمن الذي يستقر فيه الماء و يقال للروضه المنخفضه قراره و منه حديث ابن عباس قال علمى فى علم على (عليه السلام) كالقراره فى المثنى أى كالغدير فى البحر و البرهان البيان بحجه.

## الإعراب

«أَمَّنْ» استفهام فى محل الرفع على الابتداء و خبره «خَلَقَ» و «قَرَارًا» نصب على الحال لأن جعل بمعنى خلق و إن كان بمعنى صير فهو مفعول ثان له «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ» مبتدأ و خبر تقديره أله ثبت مع الله و إنما جاز أن تكون النكرة مبتدأ لأنه استفهام و يجوز أن يكون خبر المبتدأ محذوف أو يكون تقديره أله فى الوجود مع الله «قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ» صفة مصدر محذوف تقديره تذكرون تذكرا قليلا و ما مزيده و «بُشْرًا» نصب على الحال و «بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» ظرف منه

أيان فى محل نصب لأنه ظرف زمان و العامل فيه «يُبْعَثُونَ».

## المعنى

ثم عدد سبحانه الدلائل على توحيده و نعمه الشامله لعبيده فقال «أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» و تقديره أ ما تشركون خير أم من خلق السموات و الأرض أى أنشأهما و اخترعهما «وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا لكم أى لمنافعكم و لأجل معاشكم عرفهم سبحانه أن غيره لا- يقدر على ذلك «فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ» أى رياضا و بساتين و ما لم يكن عليه حائط لا يقال له حديقته «ذَاتَ بَهْجَةٍ» أى ذات منظر حسن يتهيج به من رآه و لم يقل ذوات بهجه لأنه أراد تأنيث الجماعه و لو أراد تأنيث الأعيان لقال ذوات و قال الشاعر:

و سوف يعقبنيه إن ظفرت به رب كريم و بيض ذات أطهار

«ما كان لكم أن تُنبِتُوا شَجَرَهَا» ما هنا للنفي أى لم يكونوا يقدرون على إنبات شجرها «أ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ» و هذا استفهام إنكار معناه هل معه معبود سواه أعانه على صنعه «بَلْ» ليس معه إله «هُم قَوْمٌ يَعِدُونَ» يشركون بالله غيره يعنى كفار مكة «أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا» أى مستقره لا تميل و لا تميد بأهلها «وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا» أى و جعل وسط الأرض و فى مسالكها و نواحيها أنهارا جاريه ينبت بها الزرع و يحيا بها الخلق «وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ» أى جبالا ثوابت أثبت بها الأرض «وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا» أى مانعا من قدرته بين العذاب و الملح فلا يختلط أحدهما بالآخر «أ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» توحيد ربهم و كمال قدرته و سلطانه «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا» أى يجيب المكروب المجهود فيكشف ضره و كربه و إجابته دعاء المضطر هي فعل ما يدعو به و هذا لا يكون إلا من قادر على الإجابة مختار لها و رأس المضطرين المذنب الذى يدعو و يسأله المغفره و منهم الخائف الذى يسأله الأيمن و المريض الذى يطلب العافيه و المحبوس الذى يطلب الخلاص فإن الكل إذا ضاق بهم الأمر فزعوا إلى رب العالمين و أكرم الأكرمين و إنما خص المضطر و إن كان قد يجيب غير المضطر لأن رغبته أقوى و سؤاله أخضع «وَ يَكْسِفُ السُّوءَ» أى يدفع الشده و كل ما يسوء «وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ» يخلف كل قرن منكم القرن الذى قبله فيهلك قرنا و ينشى قرنا و قيل يجعلكم خلفاء من الكفار بنزول بلادهم و طاعه الله تعالى بعد شركهم



و عنادهم «أ إِلَه مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ» أى قليلا- ما تتعظون عن ابن عباس و من قرأ بالياء فالمعنى قليلا- ما يتذكر هؤلاء المشركون «أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ» أى أ ما تشركون خير أم من يرشدكم إلى القصد و السمى فى البر و البحر بما نصب لكم من الدلالات من الكواكب و القمر و إذا ظللتهم و هو كقوله وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ «وَ مَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» قد مضى تفسيره و وجوه القراءات فيه «أ إِلَه مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى جل و تنزه عن الشريك كما يزعمه المشركون «أَمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ» بأن يخترعه و يوجد و ينشئه على غير مثال و احتذاء ثم يميتة و يفنيه «ثُمَّ يُعِيدُهُ» بعد الإفناء و إنما قال ذلك لأنهم أقروا بأنه الخالق فيلزمهم الإقرار بالبعث من حيث إن من قدر على الإنشاء قدر على الإعاده «وَ مَنْ يَزُفُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» بإنزال المطر و بإخراج الثمار و النبات «أ إِلَه مَعَ اللَّهِ» يقدر على ذلك «قُلْ» لهم يا محمد «هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» أى حجتكم «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» إن لى شريكا صنع شيئا من هذه الأشياء فإذا لم يقدروا على إقامة البرهان على ذلك فاعلموا أنه لا- إله معى و لا- يستحق العبادة سوى «قُلْ» يا محمد «لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» من الملائكة و الإنس و الجن «الْغَيْبِ» و هو ما غاب علمه عن الخلق مما يكون فى المستقبل «إِلَّا اللَّهُ» وحده أو من أعلمه الله تعالى «وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» أى متى يحشرون يوم القيامة دل سبحانه بهذه الآية كما دل بما تقدمها على قدرته.

اشاره

بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلٌ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٤٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٤٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٤٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَدُونٌ فَضَلَّ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥)

القراءه

قرأ أهل البصره و أبو جعفر و ابن كثير بل أدرك بقطع الألف و سكون اللام و الدال و قرأ الشموني عن أبي بكر بل أدرك موصوله الألف مشدده الدال بلا ألف بعدها و الباقون «بَلِ ادَّارَكَ» و في الشواذ قراءه سليمان بن يسار و عطاء بن يسار بل درك بفتح اللام و لا همزه و لا ألف و قراءه الحسن و أبي رجاء و ابن محيصن و قتاده بل أدرك و قراءه ابن عباس بلى بياء أدرك و قراءه أبي بل تدارك و قرأ أهل المدينه إذا كنا ترابا بكسر الألف آنا لمخرجون بالاستفهام بهمزه واحده ممدوده عن أبي جعفر و قالون و غيره ممدوده عن ورش و إسماعيل و قرأ ابن عامر و الكسائي «أ إذا» بهمزتين إننا بنونين و قرأ ابن كثير و يعقوب إذا أنا بالاستفهام فيهما جميعا بهمزه واحده غير ممدوده و قرأ أبو عمرو إذا أنا بالاستفهام فيهما جميعا بهمزه واحده ممدوده و قرأ عاصم و حمزه و خلف «أ إذا ... أ إننا» بالاستفهام فيهما جميعا بهمزتين همزتين و قرأ ابن كثير في ضَيْقٍ بكسر الضاد و الباقون بفتحها.

الحجه

قال أبو علي إن علم قد يصل بالجار كقوله تعالى أ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى و قولهم علمى بزيد يوم الجمعة و معنى أدرك بلغ و لحق يقال فلان أدرك الحسن أى لحق أيامه و هذا ما أدركه علمى أى بلغه فالمعنى أنهم لم يدركوا علم الآخرة أى لم يعلموا حدودها و كونها و دل على ذلك قوله «بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلٌ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ» أى بل هم من علمها عمون و إذا كان كذلك كان معنى قوله «فِي الْآخِرَةِ» معنى الباء أى لم يدركوا علمها و لم ينظروا فى حقيقتها فيدركوا و لهذا قرأ من قرأ أدرك كأنه أراد لم يدركوه كما تقول أ جئتني أمس أى لم تجئني و المعنى لم يدرك علمهم بحدوث الآخرة بل هم فى شك منها بل هم من علمها عمون و العمى عن علم الشئ أبعد منه من الشاك فيه لأن الشك قد يعرض عن ضرب من النظر و العمى عن الشئ الذى لم يدرك منه شيئا و أما من قال «ادَّارَكَ» فإنه أراد تدارك فأدغم التاء فى الدال لمقاربتها لها

و كونها من حيزها فلما سكتت التاء للإدغام اجتلبت لها همزة الوصل كما اجتلبتها في نحو فَادَارَاتُمْ و في التنزِيلِ حَتَّى إِذَا  
أَدَارَكُوا فِيهَا كَانَ مَعْنَاهَا تَلَاخَقُوا قَالَ

(تداركنم الأحلاف قد ثل عرشها)

و ما روى عن أبي بكر بل أدرك معناه افتعل من أدركت و افتعل و تفاعل يجيئان بمعنى و من ثم صح قولهم ازدوجوا و إن  
كان الحرف على صورته يجب فيها الانقلاب و لكنه صح لما كان بمعنى تفاعلوا و تفاعلوا يلزم فيه تصحيح حروف العله لسكون  
الحرف الذى قبل حرف العله فصار تصحيح هذا كتصحيح عور و حول لما كان بمعنى أعور و أحول و من قرأ بل درك فإنه  
خفف الهمزة بحذفها و إلقاء حركتها على اللام الساكنة قبلها نحو قد فَلَاحَ و أما قوله بل أدرك فإن بل استئناف و ما  
بعدها استفهام كما تقول أ زيد عندك بل أ عمرو عندك تركا للأول إلى غيره و أما بلى فكأنه جواب و ذلك لأنه لما قال قُلْ لَا  
يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ فكان قائلا قال ما الأمر كذلك فقيل له بلى ثم استؤنف فقيل أدرك علمهم فى  
الآخرة و قد سبق ذكر الاستفهامين فيما تقدم و كذلك ذكر الضيق و الضيق و الأولى أن يحمل على أنهما لغتان.

## اللغة

قال ابن الأعرابي ردت و أردفت و لحقت و ألحقت بمعنى و ترادفوا تلاخقوا قال المبرد اللام فى «رَدِفَ لَكُمْ» و قيل إنه إنما  
أتى باللام لأن معنى ردف دنا فكأنه قال دنا لكم كما قال الشاعر:

فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى و هم تعنانى معنى ركائبه

قال يطرحن بالفتى لما كان معنى يطرحن يرمى و كنت الشىء فى نفسى و أكننته إذا سترته فى نفسك فهو مكن و مكنون قال  
الرماني الأكنان جعل الشىء بحيث الشىء لا يلحقه أذى بمانع يصدده عنه.

## الإعراب

العامل فى إذا معنى قوله «لَمْخْرَجُونَ» لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبل أن فالتقدير أ إذا كنا ترابا أخرجنا و هذا فى محل نصب  
لأنه مفعول ثان لوعد «عَسَى أَنْ يَكُونَ»

رَدِفَ لَكُمْ"» يكون اسمه ضمير الأمر والشأن و ما بعده خبره و أن يكون و ما يتعلق به في محل رفع بأنه فاعل عسى.

## المعنى

لما أخبر سبحانه عن الكفار أنهم لا- يشعرون متى يبعثون و أنهم شاكون عقبه بأنهم يعلمون حقيقته ذلك يوم القيامة فقال «بَلْ أَدَارِكُ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ» أى تتابع منهم العلم و تلاحق حتى كمل علمهم فى الآخرة بما أخبروا به فى الدنيا فهو على لفظ الماضى و المراد به الاستقبال أى يتدارك و من قرأ أدرك فمعناه سيدرك علمهم هذه الأشياء فى الآخرة حين لا ينفعهم اليقين «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا» فى الدنيا عن ابن عباس و المعنى أن ما جهلوه فى الدنيا و سقط علمه عنهم علموه فى الآخرة و قيل معناه اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكوا و لم يختلفوا عن السدى و قال مقاتل يقول بل علموا فى الآخرة حين عاينوها ما شكوا و عموا عنه فى الدنيا و قيل أن هذا على وجه الاستفهام فحذف الألف و المراد به النفى بمعنى أنه لم يدرك علمهم بالآخرة و لم يبلغها علمهم و قيل معناه أدرك هذا العلم جميع العقلاء لو تفكروا و نظروا لأن العقل يقتضى أن الإهمال قبيح فلا بد من تكليف و التكليف يقتضى الجزاء و إذا لم يكن ذلك فى الدنيا فلا- بد من دار للجزاء و قيل إن الآيه إخبار عن ثلاث طوائف طائفه أقرت بالبعث و طائفه شككت فيه و طائفه نفتته كما قال بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ و قوله «بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ» أى عن معرفتها و هو جمع عمى و هو الأعمى القلب لتركه التدبر و النظر «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بإنكارهم البعث «أِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّ أَبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ» من القبور مبعوثون يقولون ذلك على طريق الاستبعاد و الاستنكار «لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا» البعث «نَحْنُ» فيما مضى «وَأَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ» أى و وعد آباؤنا ذلك من قبلنا فلم يكن مما قالوه شىء «إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أحاديثهم و أكاذيبهم التى كتبوها «قُلْ» يا محمد «سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» الذين كفروا بالله و عصوه أى كيف أهلكتهم الله و خرب ديارهم «وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» أى على تكذيبهم و تركهم الإيمان «وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ» و هو ما يضيق به الصدر «مِمَّا يَمْكُرُونَ» أى يدبرون فى أمرك فإن الله تعالى يحفظك و ينصررك عليهم «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» الذى تعدنا يا محمد من العذاب «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» بأنه يكون «قُلْ» يا محمد «عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ» أى قرب لكم عن ابن عباس و قيل أقرب لكم عن السدى و قيل أردف لكم عن قتاده «بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» من العذاب و عسى من الله واجب فمعناه أنه قرب منكم و سيأتيكم و هذا البعض

الذى دنا لهم القتل و الأسر يوم بدر و سائر العذاب لهم فيما بعد الموت و قيل هو الإنذار عند الموت و شدته و عذاب القبر عن الجبائى «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» بضروب النعم الدينيه و الدنيويه و قيل يأمهالهم ليتوبوا و الفضل هو الزيادة من الله تعالى للعبد على ما يستحقه بشكره و العدل حق للعبد و الفضل فيه واقع من الله تعالى إلا أنه على ما يصح و تقتضيه الحكمة «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ» نعمه «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ» أى تخفيه و تستره «وَ مَا يُعْلِنُونَ» أى و يعلم ما يظهرونه أيضا «وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ» أى من خصله غائبه «فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» يعنى جميع ما أخفاه عن خلقه و غيبه عنهم «إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» أى إلا- و هو مبين فى اللوح المحفوظ و قيل أراد أن جميع أفعالهم محفوظه عنده غير منسيه كما يقول القائل أفعالك عندى مكتوبه أى محفوظه عن أبى مسلم و الجبائى.

## إشارة

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضُّمَمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠)

وَ مَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١) وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُا قَالَ أَ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آ مَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (٨٥)

## القراءة

قرأ و لا يسمع بالياء الصم بالرفع هاهنا و فى الروم ابن كثير و ابن عباس و الباقون «لا تُسْمِعُ» بضم التاء الضم «بالنصب» و قرأ و ما أنت تهدى العمى حمزه هاهنا و فى الروم و قرأ الباقون «وَ مَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ» و فى الشواذ قراه ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و الجحدري و ابن ذرعه تكلمهم بفتح التاء و التخفيف و قرأ أهل العراق غير أبى عمرو و سهل «أَنَّ النَّاسَ» بفتح الهمزة و الباقون بكسرها.

## الحجة

حجه من قال «تُسْمِعُ» إنه أشبه بما قبل من قوله «إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ» و يؤكد ذلك قوله وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ و من قرأ و لا يسمع الصم الدعاء فالمعنى لا ينقادون للحق لعنادهم كما لا يسمع الأصم ما يقال له و من قرأ تهدى العمى فالتقدير إنك لا تهديهم لشده عنادهم و إعراضهم و أنت مرفوع بما على قول أهل الحجاز و «تهدى» فى موضع نصب بأنه خبر و على قول تميم يرتفع بفعل مضمر يفسره الظاهر الذى هو تهدى تقديره إذا أظهرت ذلك المضمر ما تهدى تهدى لأنك إذا أظهرت أفعال المضمر اتصل به الضمير و لم ينفصل كما ينفصل إذا لم تظهر و من قرأ «بِهَادِي الْعُمَىٰ» مضافا فى السورتين فاسم الفاعل للحال أو للآتى فإذا كان كذلك كانت الإضافة فى نيه الانفصال و قوله «أَنَّ النَّاسَ» بالفتح فالوجه فيه تكلمهم بأن الناس و زعموا أنه فى قراه أبى تئبهم و عن قتاده أنه فى بعض الحروف تحدثهم و هذا يدل على أن تكلمهم من الكلام الذى هو النطق و ليس هو من الكلم الذى هو الجراحه. و من كسر فقال إن الناس فالمعنى تكلمهم فتقول لهم أن الناس و إضمار القول فى الكلام كثير و حسن ذلك لأن الكلام قول فكان القول أظهر و من قرأ تكلمهم فمعناه تجرحهم بأكلها إياهم.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه من الحجج ما يقوى قلب نبيه ص فقال «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى يخبرهم بالصدق «أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» من حديث مريم و عيسى و النبى المبشر به فى التوراه حيث قال بعضهم هو يوشع و قال بعضهم لا بل هو و منتظر لم يأت بعد و غير ذلك من الأحكام و كان ذلك معجزه لنبينا ص إذا كان لا يدرس كتبهم و لا يقرؤها ثم أخبرهم بما

فيها «وَإِنَّهُ» يعنى القرآن «لَهْدَى» أى دلالة على الحق «وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» أى نعمه لهم «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ» يريد بين  
المختلفين فى

ص: ٣٦٥

الدين يوم القيامة و أشار بذلك إلى شيئين (أحدهما) أن الحكم له فلا ينفذ حكم غيره فيوصل إلى كل ذى حق حقه (و الآخر) أنه وعد المظلوم بالانتصاف من الظالم «وَهُوَ الْعَزِيزُ» القادر على ما يشاء لا يمتنع عليه شىء «الْعَلِيمُ» بالمحق و المبطل فيجازى كلا بحسب عمله و فى هذه الآيه تسليه للمحققين من الذين خولفوا فى أمور الدين و أن أمرهم يؤول إلى أن يحكم بينهم رب العالمين ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» يا محمد «إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ» أى الواضح البين الظاهر و المحق أولى بالتوكل من المبطل المدغل و المراد بهذا الخطاب سائر المؤمنين و إن كان فى الظاهر لسيد المرسلين ثم شبه الكفار بالموتى فقال «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى» يقول كما لا تسمع الميت الذى ليس له آله السمع النداء كذلك لا تسمع الكافر النداء لأنه لا يسمع و لا يقبل الموعظه و لا يتدبر فيها «وَلَا تَسْمَعُ الصَّوْتِ الدُّعَاءِ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» إنما قال ذلك لأن الأصم إذا كان قريبا فالإنسان يطمع فى إسماعه فإذا أعرض و أدبر و تباعد انقطع الطمع فى إسماعه فجعل سبحانه المصمم على الجهل كالميت فى أنه لا يقبل الهدى و كالأصم فى أنه لا يسمع الدعاء «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ» فى الدين بالآيات الداله على الهدى إذا أعرضوا عنها كما لا يمكنك أن تهدي الأعمى إلى قصد الطريق جعل سبحانه الجهل بمنزله العمى لأنه يمنع عن إدراك الحق كما يمنع العمى من إدراك المبصرات «إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» أى ما يسمع إلا من يطلب الحق بالنظر فى آياتنا «فَهُمْ مُشْرِكُونَ» أى مستسلمون منقادون جعل سبحانه استماعهم و قبولهم الحق سماعا و تركهم للقبول تركا للسمع و قيل مسلمون أى موحدون مخلصون «وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ» أى وجب العذاب و الوعيد عليهم و قيل معناه إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم و لا أحد بسببهم عن مجاهد و قيل معناه إذا غضب الله عليهم من قتاده و قيل معناه إذا أنزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة فسمى المقول قولاً- كما يقال جاء الخبر الذى قلت و يراد به المخبر قال أبو سعيد الخدرى و ابن عمر إذا لم يأمرؤا بالمعروف و لم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم و أخذوا بمبادئ العقاب منها قوله «أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ» تخرج بين الصفا و المروه فتخبر المؤمن بأنه مؤمن و الكافر بأنه كافر و عند ذلك يرتفع التكليف و لا تقبل التوبه و هو علم من أعلام الساعة و قيل لا يبقى مؤمن إلا مسحته و لا يبقى منافق إلا خطمته تخرج ليله جمع و الناس يسيرون إلى منى عن ابن عمر و

روى محمد بن كعب القرظى قال سئل على صلوات الرحمن عليه من الدابة فقال أما و الله ما لها ذنب و إن لها للحيه

و فى هذا إشاره إلى أنها من الإنس و روى عن ابن عباس أنها دابه من دواب الأرض لها زغب و ريش و لها ربع قوائم و

عن حذيفه عن النبى ص قال دابه الأرض طولها ستون ذراعا



لا- يدر كها طالب و لا- يفوتها هارب فتسم المؤمن بين عينيه و تكتب بين عينيه مؤمن و تسم الكافر بين عينيه و تكتب بين عينيه كافر و معها عصا موسى و خاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا و تختم أنف الكافر بالخاتم حتى يقال يا مؤمن و يا كافر

و روى عن النبي ص أنه يكون للدابه ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصى المدينة فيفشو ذكرها في البادية و لا يدخل ذكرها القرية يعنى مكه ثم تمكث زمانا طويلا- ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكه فيفشو ذكرها في البادية و يدخل ذكرها القرية يعنى مكه ثم سار الناس يوما فى أعظم المساجد على الله عز و جل حرمه و أكرمها على الله يعنى المسجد الحرام لم ترعهم إلا و هى فى ناحيه المسجد تدنو و تدنو كذا ما بين الركن الأسود إلى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط من ذلك فيرفض الناس عنها و يثبت لها عصابه عرفوا أنهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدريره ثم ولت فى الأرض لا يدر كها طالب و لا يعجزها هارب حتى أن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاه فتأتية من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلى فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه فيتجاور الناس فى ديارهم و يصطحبون فى أسفارهم و يشتركون فى الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن و للكافر يا كافر

و روى عن وهب أنه قال و وجهها وجه رجل و سائر خلقها خلق الطير و مثل هذا لا يعرف إلا من النبوات الإلهيه

و قد روى عن على (عليه السلام) أنه قال إنه صاحب العصا و الميسم

و روى على بن إبراهيم بن هاشم فى تفسيره عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قال رجل لعمار بن ياسر يا أبا اليقظان آيه فى كتاب الله أفسدت قلبى قال عمار و آيه آيه هى فقال هذه الآيه فآيه دابه الأرض هذه قال عمار و الله ما أجلس و لا آكل و لا أشرب حتى أريكها فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) و هو يأكل تمرا و زبدا فقال يا أبا اليقظان هلم فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحانه الله حلفت أنك لا تأكل و لا تشرب حتى ترينها قال عمار أريتكها إن كنت تعقل

و روى العياشى هذه القصة بعينها عن أبى ذر رحمه الله أيضا و قوله «تُكَلِّمُهُمْ» أى تكلمهم بما يسوءهم و هو أنهم يصيرون إلى النار بلسان يفهمونه و قيل تحدثهم بأن هذا مؤمن و هذا كافر و قيل تكلمهم بأن تقول لهم «أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ» و هو الظاهر و قيل بآياتنا معناه بكلامها و خروجها «وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ» أى يدفعون عن ابن عباس و قيل يحبس أولهم على آخرهم و استدلل بهذه الآيه على صحه الرجعه من ذهب إلى ذلك من الإماميه بأن قال إن دخول من فى الكلام يوجب التبويض فدل ذلك على أن اليوم المشار إليه فى الآيه يحشر فيه قوم دون قوم و ليس ذلك صفه يوم القيامة الذى يقول فيه سبحانه

وَ حَسْرَتَانَهُمْ فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَ قَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ أئِمَّةِ الْهَدَى مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ص فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَعِيدُ عِنْدَ قِيَامِ الْمَهْدِيِّ قَوْمًا مِمَّنْ تَقَدَّمَ مَوْتُهُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَ شِيعَتِهِ لِيَفُوزُوا بِثَوَابِ نَصْرَتِهِ وَ مَعُونَتِهِ وَ يَبْتَهِجُوا بِظُهُورِ دَوْلَتِهِ وَ يَعِيدُ أَيْضًا قَوْمًا مِنْ أَعْدَائِهِ لِيَنْتَقِمَ مِنْهُمْ وَ يَنَالُوا بَعْضَ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْقَتْلِ عَلَى أَيْدِي شِيعَتِهِ وَ الذَّلِّ وَ الْخِزْيِ بِمَا يَشَاهِدُونَ مِنْ عُلُوِّ كَلِمَتِهِ وَ لَا يَشْكُ عَاقِلٌ أَنَّ هَذَا مَقْدُورٌ لِلَّهِ تَعَالَى غَيْرَ مُسْتَحِيلٌ فِي نَفْسِهِ وَ قَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي الْأُمَّمِ الْخَالِيَةِ وَ نَطَقَ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ فِي عَدَّةِ مَوَاضِعٍ مِثْلَ قِصَّةِ عَزِيرٍ وَ غَيْرِهِ عَلَى مَا فَسَّرْنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ وَ صَحَّ

عَنِ النَّبِيِّ ص قَوْلُهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كُلِّ مَا كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذُو النُّعْلِ بِالنُّعْلِ وَ الْقَذَى بِالْقَذَى حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ جَحْرًا ضَبَّ لَدَخَلْتُمُوهُ

عَلَىٰ أَنَّ جَمَاعَةَ مِنَ الْإِمَامِيَّةِ تَأَوَّلُوا مَا وَرَدَ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي الرَّجْعِ عَلَىٰ رَجُوعِ الدَّوْلَةِ وَ الْأَمْرِ وَ النَّهْيِ دُونَ رَجُوعِ الْأَشْخَاصِ وَ إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ وَ أَوْلُوا الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ لِمَا ظَنُّوا أَنَّ الرَّجْعَ تَنَافَىٰ التَّكْلِيفِ وَ لَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا مَا يَلْجَأُ إِلَىٰ فِعْلِ الْوَاجِبِ وَ الْإِمْتِنَاعِ مِنَ الْقَبِيحِ وَ التَّكْلِيفِ يَصِحُّ مَعَهَا كَمَا يَصِحُّ مَعَ ظُهُورِ الْمَعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَ الْآيَاتِ الْقَاهِرَةِ كَفَلْقِ الْبَحْرِ وَ قَلْبِ الْعَصَا ثَعْبَانًا وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَ لِأَنَّ الرَّجْعَ لَمْ تَثْبِتْ بِظَوَاهِرِ الْأَخْبَارِ الْمُنْقُولَةِ فَيَتَطَرَّقُ التَّأْوِيلُ عَلَيْهَا وَ إِنَّمَا الْمَعْمُولُ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ إِجْمَاعِ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَ إِنْ كَانَتِ الْأَخْبَارُ تَعْضُدُهُ وَ تُوَيِّدُهُ وَ مِنْ قَالَ إِنَّ قَوْلَهُ «وَ يَوْمَ يُحْشَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فُوجًا» الْمُرَادُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ الْمُرَادُ بِالْفُوجِ الْجَمَاعَةُ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَ الْمَتَّبِعِينَ فِي الْكُفْرِ حَشَرُوا وَ جَمَعُوا لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ «حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُا» إِلَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ «قَالَ» اللَّهُ تَعَالَىٰ لَهُمْ «أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي» أَيْ كَذَّبْتُمْ بِأَنْبِيَائِي وَ دَلَالَتِي الدَّالَّةِ عَلَىٰ دِينِي «وَ لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا» أَيْ لَمْ تَطْلُبُوا مَعْرِفَتَهَا وَ لَمْ تَبَيَّنُوا مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِيهَا «أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» حِينَ لَمْ تَبْحَثُوا عَنْهَا وَ لَمْ تَتَفَكَّرُوا فِي صِحَّتِهَا يَقُولُ ذَلِكَ تَبْكِيتًا لَهُمْ وَ تَجْهِيلًا- أَيْ هَذَا كَانَ الْوَاجِبَ عَلَيْكُمْ فَتَرَكْتُمُوهَا وَ لَمْ تَعْرِفُوهَا حَقَّ مَعْرِفَتِهَا فَبِمَا ذَا اشْتَغَلْتُمْ وَ مِنْ قَالَ بِالْأَوَّلِ قَالَ الْمُرَادُ بِالْآيَاتِ الْأئِمَّةِ الطَّاهِرُونَ (عَلَيْهِ السَّلَام) «وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ» أَيْ وَجِبَ الْعَذَابُ عَلَيْهِمْ «بِمَا ظَلَمُوا» أَيْ بظلمهم إذ صاروا بحيث لا يفلح جحد منهم بسببهم «فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ» إِذْ ذَاكَ بِكَلَامٍ يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ أَصْلًا لِعَظَمِ مَا يَشَاهِدُونَهُ وَ هَوْلِ مَا يَرُونَهُ.

إشاره

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَةً لِّكُنُوفِهِمْ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦) وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَ كُلُّ أَتَّوَهُ دَاخِرِينَ (٨٧) وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُ بِهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ حَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ هُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)

إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ ءِ وَ أَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَ أَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢) وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)

القراءه

قرأ حمزه و حفص و خلف «أَتَّوَهُ» مقصوره الألف غير ممدوده بفتح التاء و قرأ الباقون آتوه بمد الألف و ضم التاء و قرأ أهل البصره غير سهل و ابن كثير و حماد و الأعشى و البرجمي عن أبي بكر بما يفعلون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ أهل الكوفه «مِنْ فِرْعَ» منونا «يَوْمَئِذٍ» بفتح الميم و قرأ أهل المدينة غير إسماعيل من فِرْعَ بغير تنوين «يَوْمَئِذٍ» بفتح الميم و قرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو عمرو و نافع بروايه إسماعيل و يعقوب من فِرْعَ بغير تنوين يومئذ بكسر الميم و قرأ أهل المدينة و ابن عامر و حفص و يعقوب «عَمَّا تَعْمَلُونَ» بالتاء و الباقون بالياء.

الحجه

قال أبو علي من قرأ «أَتَّوَهُ» كان فعلوا من الإتيان و من قرأ آتوه فهو فاعلوه

و كلاهما محمول على معنى كل و لو حمله على اللفظ جاز كما فى قوله وَ كَلَّهْمُ آتِيهِ وَ إِن كَلَّ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَيْدًا وَ حجه من قال يفعلون بالياء أن ذكر الغيبه قد تقدم فى قوله «وَ كَلَّ أَتَوْهُ» وَ حجه التاء أنه خطاب للكافه و قد تدخل الغيبه فى الخطاب و لا يدخل الخطاب فى الغيبه و قوله «مِنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ» من نون كان فى انتصاب يوم ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون منتصبا بالمصدر كأنه قال و هم من أن يفزعوا يومئذ آمنون (و الآخر) أن يكون اليوم صفه لفزع لأن أسماء الأحداث توصف بأسماء الزمان كما يخبر عنها بها و فيه ذكر الموصوف و تقديره فى هذا الوجه أن يتعلق بمحذوف كأنه من فزع بحدث يومئذ (و الثالث) أن يتعلق باسم الفاعل كأنه آمنون من فزع يومئذ و يجوز إذا نون الفزع أن يعنى به فزعا واحدا و يجوز أن يعنى به كثره لأنه مصدر و المصادر تدل على الكثره و إن كانت مفرده الألفاظ كقوله تعالى «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» و كذلك إذا أضاف فقال «مِنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ» أو يومئذ و يجوز أن يعنى به مفردا و يجوز أن يعنى به كثره فأما القول فى إعراب يوم و بنائه إذا أضيف إلى إذ فقد ذكر فيما تقدم و حجه من قرأ يعملون بالياء أنه وعيد للمشركين و حجه التاء أنه على معنى.

قل لهم ذلك.

## الإعراب

وصف النهار بأنه مبصر فيه وجهان (أحدهما) أن معناه ذو إِبصار كقوله عَيْشِهِ رَاضِيَهُ أَى ذات رضى و كقول النابغه

" كلينى لهم يا أميمه ناصب "

أى ذى نصب (و الثانى) أنه يريك الأشياء كما يراها من يبصرها بالنور الذى تجلى عندها و فيه قول ثالث إنه مثل قول جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى و نمت و ما ليل المطى بنائم

أى بالذى ينام فيه فيكون مبصرا بمعنى ما يبصر فيه.

## المعنى

ثم بين سبحانه قدرته على الإعادته و البعث بما احتج به على الكفار فقال «أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسًا كُنُوزًا فِيهِ» عن التعب و الحركات «وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا» أى يبصر فيه و يمكن التصرف فيه لضيائه و يدرك بنوره جميع الأشخاص كما يدرك بنور البصر «إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى دلالات «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» لأن جعل الشىء لما يصلح له من الانتفاع إنما

يكون بالاختيار ولا يكون بالطباع «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» منصوب بتقدير و اذكر يوم ينفخ إسرافيل بأمر الله تعالى في الصور و ذلك اليوم الذى يقع عليهم القول بما ظلموا و يجوز أن يكون على حذف فى الكلام و التقدير و يوم ينفخ فى الصور و تكون النشأه الثانیه و اختلف فى معنى الصور فقل هو صور الخلق جمع صوره عن الحسن و قتاده و يكون معناه يوم ينفخ الروح فى الصور فيبعثون و قيل هو قرن ينفخ فيه شبه البوق عن مجاهد و قد ورد ذلك فى الحديث «فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» أى ماتوا لشده الخوف و الفزع يدل عليه قوله فى موضع آخر فَصَيَّحَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ الْآيَهُ و قيل هى ثلاث نفخات الأولى نفخه الفزع و الثانیه نفخه الصعق و الثالثه نفخه القيام لرب العالمين «إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» من الملائكه الذين يثبت الله قلوبهم و هم جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل و

قيل يعنى الشهداء فإنهم لا يفزعون فى ذلك اليوم و روى ذلك فى خبر مرفوع

«وَكُلٌّ» من الأحياء الذين ماتوا ثم أحيوا «أَتَوْهُ» أى يأتونه فى المحشر «دَاخِرِينَ» أى أدلاء صاغرين عن ابن عباس و قتاده «وَوَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا» أى واقفه مكانها لا تسير و لا تتحرك فى مرأى العين «وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» أى تسير سيرا حثيثا مثل سير السحاب عن ابن عباس و فى مثل هذا المعنى قول النابغه الجعدى يصف جيشا

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج و الركاب تهملح

أى تحسب أنهم وقوف من أجل كثرتهم و التفافهم فكذلك المعنى فى الجبال إنك لا ترى سيرها لبعدها أطرافها كما لا ترى سير السحاب إذا انبسط لبعدها أطرافه و ذلك إذا أزيلت الجبال عن أماكنها للتلاشى كما فى قوله وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ «صَيَّحَ اللَّهُ» أى صنع الله ذلك صنعا و انتصب بما دل عليه ما تقدمه من قوله «وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» و ذكر اسم الله لأنه لم يأت ذكره فيما قبل و إنما دل عليه «الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» أى خلق كل شىء على وجه الإتيان و الإحكام و الاتساق قال قتاده أى أحسن كل شىء خلقه و قيل الإتيان حسن فى إيثاق «إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» أى عليم بما يفعل أعداؤه من المعصيه و بما يفعل أولياؤه من الطاعه ثم بين سبحانه كيفيه الجزاء على أفعال الفريقين فقال «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ» أى بكلمه التوحيد و الإخلاص عن قتاده و قيل بالإيمان عن النخعى و كان يحلف و لا يستثنى أن الحسنه لا إله إلا الله و المعنى من وافى يوم القيامة بالإيمان «فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» قال ابن عباس أى فمنها

يصل الخير إليه و المعنى قوله فله من تلك الحسنه خير يوم القيامة و هو الثواب و الأمان من العقاب فخير هاهنا اسم و ليس بالذى هو بمعنى الأفضل و هو المروى عن الحسن و عكرمه و ابن جريج قال عكرمه فأما أن تكون خيرا من الإيمان فلا فليس شىء خيرا من لا إله إلا الله و قيل معناه فله أفضل منها فى معظم النفع لأنه يعطى بالحسنه عشرا عن زيد بن أسلم و محمد بن كعب و ابن زيد و قيل لأن الثواب فعل الله تعالى و الطاعة فعل العبد و قيل هو رضوان الله وَ رِضْوَانُ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ «وَهُمْ مِنْ فَرْعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ» قال الكلبي إذا أطبقت النار على أهلها فرعوا فرعه لم يفرعوا مثلها و أهل الجنة آمنون من ذلك الفرع «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ» أى بالمعصيه الكثيره التى هى الكفر و الشرك عن ابن عباس و أكثر المفسرين «فَكُتِبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ» أى ألقوا فى النار منكوسين «هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» يعنى أن هذا الجزاء فعلكم و ليس بظلم

حدثنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال حدثنا الحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد قال أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن أحمد قال حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن الفضل قال حدثنى جعفر بن الحسين قال حدثنى محمد بن زيد بن علي (عليه السلام) عن أبيه قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول دخل أبو عبد الله الجدلى على أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له يا أبا عبد الله ألا أخبرك بقول الله تعالى «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ» إلى قوله «تَعْمَلُونَ» قال بلى جعلت فداك قال الحسنه جنبنا أهل البيت و السيئه بغضنا

و

حدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم قال أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الحميرى قال حدثنا جدى أحمد بن إسحاق الحميرى قال حدثنا جعفر بن سهل قال حدثنا أبو زرعه عثمان بن عبد الله القرشى قال حدثنا ابن لهيعة عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله ص يا على لو أن أمتى صاموا حتى صاروا كالأوتاد و صلوا حتى صاروا كالحنايا ثم أبغضوك لأكبههم الله على مناخرهم فى النار

ثم قال سبحانه لنبى ص قل لهم «إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ» يعنى مكه عن ابن عباس و قال أبو العالیه هى منى «الَّذِي حَرَّمَهَا» أى جعلها حرما آمنا يحرم فيها ما يحل فى غيرها لا ينفرد صيدها و لا يختلى خلاها و لا يقتص فيها «وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ» أى و هو مالك كل شىء مما أحله و حرمه فيحرم ما شاء و يحل ما شاء «وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» أى من المخلصين لله بالتوحيد «وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ» عليكم يا أهل مكه و أدعوكم إلى ما فيه «فَمَنْ اهْتَدَى» إلى الحق و العمل بما فيه «فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» لأن ثواب ذلك و جزاءه يصل إليه دون غيره «وَمَنْ ضَلَّ» عنه و حاد و لم يعمل بما فيه و لم يهتد إلى الحق «فَقُلْ» له يا محمد «إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ» الذين يخوفون بعقاب الله من

معاصيه و يدعون إلى طاعته و لا أقدر على إكراههم على الإيمان و الدين «وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» اعترافاً بنعمته إذا اختارونى لرسالته «سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ» يوم القيامة «فَتَعْرِفُونَهَا» و تعرفون أنها على ما أخبرتم بها فى الدنيا عن الحسن و قيل معنى آياته هى العذاب فى الدنيا و القتل بيدر فتعرفونها أى تشاهدونها و رأوا ذلك ثم عجلهم الله إلى النار عن مقاتل «وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» بل هو عالم بجميع ذلك فيجازيكم عليها و إنما يؤخر عقابكم إلى وقت تقتضيه الحكمة.

النظم

وجه اتصال قوله «إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ» بما قبله أنه سبحانه لما بين أن الأمن من أهوال القيامة للمؤمن المحسن فكان قائلاً قال و ما الحسنه و كيف العباده فقال إنما أمرت.

ص: ٣٧٣

## (٢٨) سورة القصص مكيه و آياتها ثمان و ثمانون (٨٨)

### اشاره

### عدد آياتها

و هي ثمان و ثمانون آيه

### اختلافها

آيتان طسم كوفي «يَسْقُونَ» غير الكوفي

### فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ طسم القصص أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بموسى و كذب به و لم يبق ملك في السموات و الأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا إن كل شىء هالك إلا وجهه

### تفسيرها

لما أمر سبحانه في خاتمه تلك السوره بتلاوه القرآن بين في هذه السوره أن القرآن من طسم و أنه يتلو عليهم من نبأ موسى و فرعون فقال

ص: ٣٧٤



## اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَهُ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)

وَ نُزِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَ نُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)

## القراءة

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و يرى فرعون بالياء و ما بعده بالرفع و قرأ الباقون «و نُرِيَ» بالنون و ضمه و كسر الراء و نصب الياء و ما بعده بالنصب.

## الحجه

قال أبو علي حجه من قرأ بالنون أن ما قبله للمتكلم فينبغي أن يكون ما بعده أيضا كذلك ليكون الكلام من وجه واحد و حجه من قرأ بالياء أن فرعون و جنوده أروه ذلك و المعلوم أنهم يرونه إذا رأوه و هو قراءه الأعمش.

## اللغه

النبأ الخبر عما هو عظيم الشأن و الشيع الفرق و كل فرقه شيعه و سموا بذلك لأن بعضهم يتابع بعضا و العرب تقول شاعكم السلام أى تبعكم و شيعه اتبعه و التمكين تكميل ما يتم به الفعل.

## الإعراب

قوله «بِالْحَقِّ» فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون صفة مصدر محذوف تقديره تلاوه كائنه بالحق و يجوز أن يكون الحق صفة محذوف تقديره بالأمر الحق و الجار و المجرور يتعلق بتلوه و «يَسْتَضِعُّ» فى موضع نصب على الحال و «يُذَبِّحُ» حال بعد حال و يجوز أن يكون حالا عن الحال.

## المعنى

«طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» أى المبين الرشد من الغي عن قتاده و قيل هو البين الظاهر و الآيه مفسره فيما مضى «تَتْلُوا عَلَيْكَ» يا محمد «مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ» أى طرفا من أخبارهما «بِالْحَقِّ» أى بالصدق و الحقيقه لا ريب فيه «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» أى يصدقون بالله و بما أنزله إليك «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ» أى بغى و تجبر و تعظم و استكبر فى أرض مصر يقال علا علو إذا

تجبر و منه قوله لا- يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ «وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا» أى فرقا قال قتاده فرق بين بنى إسرائيل و القبط و المعنى يكرم قوما و يذل آخريين بالاستعباد و الاستعمال فى الأعمال الشاقة و قيل معناه جعل بنى إسرائيل أصنافا فى الخدمه و التسخير «يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ» يعنى من بنى إسرائيل ثم فسر ذلك فقال

ص: ٣٧٥

«يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ» يقتل الأبناء و يستبقى البنات فلا يقتلن و ذلك أن بعض الكهنة قال له إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك و قال السدى رأى فرعون في منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط و تركت بني إسرائيل فسأل علماء قومه فقالوا له يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده «إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» بالقتل و العمل بالمعاصي «و نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ» المعنى أن فرعون كان يريد إهلاك بني إسرائيل و إفناءهم و نحن نريد أن نمن عليهم «و نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً» أى قاده و رؤساء في الخير يقتدى بهم عن ابن عباس و قيل نجعلهم ولاة و ملوكا عن قتاده و هذا القول مثل الأول لأن الذين جعلهم الله ملوكا فهم أئمة و لا يضاف إلى الله سبحانه ملك من يملك الناس عدوانا و ظلما و قد قال سبحانه «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» و الملك من الله تعالى هو الذى يجب أن يطاع فالأئمة على هذا ملوك مقدمون في الدين و الدنيا يطأ الناس أعقابهم «و نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» لديار فرعون و قومه و أموالهم و

قد صحت الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال و الذى فلق الحبة و برأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها و تلا عقيب ذلك «و نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ» الآية

و

روى العياشى بالإسناد عن أبى الصباح الكناني قال نظر أبو جعفر (عليه السلام) إلى عبد الله (عليه السلام) فقال هذا و الله من الذين قال الله تعالى «و نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ» الآية

و

قال سيد العابدين على بن الحسين (عليه السلام) و الذى بعث محمدا بالحق بشيرا و نذيرا إن الأبرار منا أهل البيت و شيعتهم بمنزلة موسى و شيعته و إن عدونا و أشياعهم بمنزلة فرعون و أشياعه

«و نُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ» أى و نريد أن نمكن لبني إسرائيل فى أرض مصر و التمكين هو فعل جميع ما لا يصح الفعل إلا معه مع القدره و الآله و اللطف و غير ذلك و قال على بن عيسى اللطف لا يدخل فى التمكين لأنه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لم يكن ممكنا و لكنه من باب إزاحه العله «و نُرِي فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ» أى من بني إسرائيل «ما كانوا يحذرون» من ذهاب الملك على يد رجل منهم قال الضحاک عاش فرعون أربعمائه سنه و كان قصيرا دميما و هو أول من خضب بالسواد و عاش موسى (عليه السلام) مائه و عشرين سنه.

[سوره القصص (٢٨): الآيات ٧ الى ١٠]

اشاره

وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لَا تَخَافِي وَ لَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ

عَيْنِ لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ  
لَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠)

ص: ٣٧٦

## القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و حزنا بضم الحاء و سكون الزاى و الباقون «حَزَنًا» بفتحها و فى الشواذ قراءه الحسن و فضاله بن عبد الله فواد أم موسى فرعا و قراءه ابن عباس قراعا بالقاف و الراء و حكى قطرب عن بعضهم فرغا.

## الحجه

الحزن و الحزن لغتان مثل البخل و البخل و العرب و العرب و العجم و العجم و أما قوله فرعا بالفاء و الزاى فمعناه قلعا يكاد يخرج من غلافه و أما قرعا فمعناه يرجع إلى معنى فارغ لأن رأس الأقرع يكون خاليا من الشعر و أما فرغا فمعناه هدرًا و باطلا قال

فإن تك أذواد أصبن و نسوه فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال

و قوله «فارغًا» معناه خاليا من الحزن لعلمها أنه لا يغرق.

## الإعراب

مفعول خفت محذوف تقديره خفت عليه أحدا «قُرْتُ عَيْنِي لِي وَ لَكَ» خبر مبتدأ محذوف أى هو قره عين قال الزجاج و يجوز على بعد أن يكون «قُرْتُ عَيْنِي» مبتدأ و يكون

خبره «لَا تَقْتُلُوهُ» «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» فى موضع نصب على الحال و العامل فيه ما يدل على هذه القصة و تقديره قالوا ما قالوه غير شاعرين.

## المعنى

ثم بين سبحانه كيف دبر فى إهلاك فرعون و قومه منبها بذلك على كمال قدرته و حكمته فقال «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ» أى ألهمناها و قذفنا فى قلبها و ليس بوحي نبوه عن قتاده و غيره و قيل أتاها جبرائيل (عليه السلام) بذلك عن مقاتل و قيل كان هذا الوحي رؤيا منام عبر عنها من يثق به من علماء بنى إسرائيل عن الجبائى «أَنَّ أَرْضَ مِصْرَ» ما لم تخافى عليه الطلب «فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ» فى القتل الذى أمر به فرعون فى أبناء بنى إسرائيل «فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ» أى فى البحر و هو النيل «وَلَا تَخَافِي» عليه الضيعة «وَلَا تَحْزَنِي» من فراقه «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ» سالما عن قريب «وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» و الأنبياء و فى هذه الآيه أمران و نهيان و خبران و بشارتان و حكى أن بعضهم سمع بدويه تنشد أبياتا فقال لها ما أفصحك فقالت الفصاحة لله تعالى و ذكرت هذه الآيه و ما فيها قال وهب بن منبه لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله و ذلك شىء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بنى إسرائيل فلما كانت السنه التى يولد فيها موسى بعث فرعون القوابل و تقدم إليهن أن يفتشن النساء تفتيشا لم يفتشنه قبل ذلك رحلت أم موسى بموسى فلم ينتأ بطنها و لم يتغير لونها و لم يظهر لبنها فكانت القوابل لا يعرضن لها فلما كانت الليله التى ولد فيها موسى ولدته أمه و لا رقيب عليها و لا قابله و لم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم فأوحى الله تعالى إليها «أَنَّ أَرْضَ مِصْرَ» الآيه قال فكتمته أمه ثلاثه أشهر ترضعه فى حجرها لا يبكى و لا يتحرك فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا و مهدت له فيه ثم ألقته فى البحر ليلا كما أمرها الله تعالى قال ابن عباس لما قربت ولاده أم موسى و كانت قابله من النساء اللاتي و كلهن فرعون بحبالى بنى إسرائيل مصافيه لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فجاءت فعالجتها فلما ولد موسى رأت نورا بين عينيه فارتعش كل مفصل منها و دخل حب موسى فى قلبها ثم قالت يا هذه ما جئت إليك إلا و من ورائى قتل مولودك و لكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شىء مثل حبه فاحفظى ابنك فإنى أراه هو عدونا فلما خرجت من عندها القابله بصرتها العيون فجاءوا ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى فى خرقة فوضعتة فى تنور مسجور فدخلوا فإذا التنور مسجور و رأوا أم موسى لم يتغير لها لون و لم يظهر لها لبن فخرجوا من عندها و انطلقت إلى الصبى و قد جعل الله النار عليه بردا

و سلاما قال ثم لما رأت إلحاح فرعون في الطلب خافت على ابنها فانطلقت إلى نجار من قوم فرعون فاشتريت منه تابوتا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت إن لي ابنا أخبئه في التابوت و كرهت الكذب فلما اشترت التابوت و حملته انطلق النجار إلى الذباحتين ليخبرهم بأمر أم موسى فلم يطق الكلام فرجع و أخذ في النجر فانطلق لسانه فرجع ثانيا فلما انتهى إليهم اعتقل لسانه هكذا ثلاث مرات فعلم أن ذلك أمر إلهي «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ» أي أصابوه و أخذوه من غير طلب «لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا» أي ليكون لهم في عاقبه أمره كذلك لا أنهم أخذوه لهذا كما يقال لمن كسب مالا فأداه ذلك إلى الحتف و الهلاك إنما كسب فلان لحتفه و هو لم يطلب المال للحتف «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ» أي عاصين ربهم في أفعالهم و كانت القصة في ذلك أن النيل جاء بالتابوت إلى موضع فيه فرعون و امرأته على شط النيل فأمر فرعون فأتى به و فتحت آسيه بنت مزاحم بابها فلما نظرت إليه ألقى الله في قلبها محبة موسى و كانت آسيه بنت مزاحم امرأة من بنى إسرائيل استنكحها فرعون و هي من خيار النساء و من بنات الأنبياء و كانت أما للمؤمنين ترحمهم و تتصدق عليهم و يدخلون عليها فلما نظر فرعون إلى موسى غاظه ذلك و قال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح قالت آسيه و هي قاعده إلى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنه و إنك أمرت أن يذبح الولدان لهذه السنه فدعه يكن قره عين لي و لك و ذلك قوله تعالى «وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا» و إنما قالت ذلك لأنه لم يكن له ولد فأطمعته في ولد قال ابن عباس إن أصحاب فرعون لما علموا بموسى جاءوا ليقتلوه فمنعتهم و قالت لفرعون قره عين لي و لك لا تقتلوه قال فرعون قره عين لك و أما لي فلا

قال رسول الله ص و الذي يحلف به لو أقر فرعون بأن يكون له قره عين كما أقرت امرأته لهدها الله به كما هداها و لكنه أبي للشقاء الذي كتبه الله عليه

«وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أي لا يشعرون أن هلاكهم على يديه و قيل لا يشعرون أن هذا هو المطلوب الذي يطلبونه «وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا» أي خاليا من كل شيء إلا من ذكر موسى أي صار فارغا له عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و قيل فارغا من الحزن لعلمها أن ابنها ناج سكونا إلى ما وعدها الله تعالى به و قيل فارغا من الوحي الذي أوحى إليها بنسيانها فإنها نسيت ما وعدها الله تعالى به عن الحسن و ابن زيد «إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ» معناه أنها كادت تبدي بذكر موسى فتقول يا ابنا من شدة الغم و الوجد عن ابن عباس و قتاده و السدي و قيل معناه كادت تصيح على ابنها شفقة عليه من الغرق عن مقاتل و قيل معناه همت بأن تقول أنها أمه لما رآته عند دعاء فرعون إياها للإرضاع لشدة سرورها به عن جعفر بن حرب و قيل معناه أنها كادت تبدي بالوحي «لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا» بالصبر و اليقين

و الربط على القلب إلهام و الصبر و تقويته عن الزجاج و قيل معناه لو لا أن قوينا قلبها بالعصمه و الوحي و جواب لو لا محذوف و التقدير لو لا- أن ربطنا على قلبها لأظهرته «لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى فعلنا ذلك لتكون من جمله المصدقين بوعدنا الواثقين بوحينا و قولنا «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ».

## [سوره القصص (٢٨): الآيات ١١ الى ١٥]

### اشاره

و قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥)

### اللغه

القص اتباع الأثر و منه القصص فى الحديث لأنه يتبع فيه الثانى الأول و القصاص اتباع الجانى فى الأخذ بمثل جنايته فى النفس فبصر به رآه فبصر لا يتعدى إلا بحرف الجر و رأى يتعدى بنفسه و معنى بصرت به عن جنب أبصرته عن جنبه أى عن بعد قال الأعشى

أتيت حريثا زائرا عن جنبه و كان حريث عن عطائي جامدا



وقيل جنب صفة وقعت موقع الموصوف أى عن مكان جنب و المراضع جمع مرضعه و النصح إخلاص العمل من جانب الفساد و هو نقيض الغش و الوكز الدفع و قيل هو بجمع الكف و مثله اللكر و اللهز.

## الإعراب

«عَنْ جُنُبٍ» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال و تقديره فبصرت به بعيدة و إن جعلت جنبا صفة على تقدير من مكان جنب فهو فى موضع نصب بأنه ظرف مكان «هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ» جملتان فى محل النصب لأنهما صفة رجلين صفة بعد صفة.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه لطف صنعه فى تسخيره لفرعون حتى تولى تربيته موسى فقال «وَقَالَتْ» يعنى أم موسى «لِأُخْتِهِ» يعنى أخت موسى و اسمها كلثمة عن الضحاك «فُصِّيهِ» أى اتبعى أثره و تعرفى خبره «فَبَصَّيْرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ» فى الكلام حذف و اقتصار تقديره فذهبت أخت موسى فوجدت آل فرعون قد أخرجوا التابوت و أخرجوا موسى فبصرت به و هذا من الإيجاز الدال على الإعجاز باللفظ القليل المعنى على المعنى الكثير أى فرأت أخاها موسى عن جنب أى عن بعد عن مجاهد و قيل عن جانب تنظر إليه كأنها لا تريده عن قتاده و تقديره عن مكان جنب «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أى و آل فرعون لا يشعرون أنها أخته عن قتاده و قيل معناه و هم لا يشعرون أنها جاءت متعرفه عن خبره و يمكن أن يكون سبحانه كرر هذا القول تنبيها على أن فرعون لو كان إلها لكان يشعر بهذه الأمور «وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ» المعنى أنه لا يؤتى بمرضع فيقبلها و تأويله منعناهن منه و بغضناهن إليه عن ابن عباس و قيل هو جمع مرضع بمعنى الرضاع أى منعناهن من الرضاع فهذا تحريم منع لا أن هناك نهيا عن الفعل و مثله قول امرئ القيس

جالت لتصرعنى فقلت لها اقصرى إنى امرؤ صرعى عليك حرام

أى صرعى ممتنع عليك فإنى فارس أمتعك من ذلك و يقال فلان حرم على نفسه كذا أى امتنع منه كما يمتنع بالنهى «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل مجىء أخته و قيل من قبل رده على أمه «فَقَالَتْ هَيْلٌ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ» و هذا يدل على أن الله تعالى ألقى محبته فى قلب فرعون فلشده محبته و غايه شفقتة عليه طلب له المراضع و كان موسى لا يقبل ثدى واحده منهن بعد أن أتته مرضع بعد مرضع فلما رأت أخته وجدهم به و حبهم له و رقتهم

عليه قالت لهم هل أدلكم على أهل بيت يقبلون هذا الولد و يبذلون النصح في أمره و يحسنون تربيته و يضمنون لكم القيام بأمره «وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» يشفقون عليه و ينصحونه و قيل أنه لما قالت أخته ذلك قال هامان إن هذه المرأة تعرف أن هذا الولد من أى أهل بيت هو فقالت هى إنما عنيت أنهم ناصحون للملك فأمسكوا عنها «فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ» يعنى عين أمه و انطلقت أخت موسى إلى أمها فجاءت بها إليهم فلما وجد موسى ريح أمه قبل ثديها و سكن بكاؤه و قيل إن فرعون قال لأمه كيف ارتضع منك و لم يرتضع من غيرك فقالت لأنى امرأه طيبه الريح طيبه اللبن لا- أكاد أوتى بصبى إلا- ارتضع منى فسر فرعون بذلك «وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» أراد به ما وعدها الله به فى الآيه المتقدمه لقوله إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» تحقيق ذلك الوعد كما علمت «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ» أى ثلاثا و ثلاثين سنه «وَ اسْتَوَىٰ» أى بلغ أربعين سنه عن مجاهد و قتاده و ابن عباس «آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا» أى فقها و علما و عقلا بدينه و دين آبائه فعلم موسى و حكم قبل أن يبعث نبيا و قيل نبوه و علما عن السدى «وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» و هذه الآيه مفسره فى سوره يوسف «وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ» يريد مصر و قيل مدينه منف من أرض مصر و قيل على فرسخين من أرض مصر «عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَهُ مِنْ أَهْلِهَا» أراد به نصف النهار و الناس قائلون عن سعيد بن جبير و قيل ما بين المغرب و العشاء الآخره عن ابن عباس و قيل كان يوم عيد لهم و قد اشتغلوا بلعبهم عن الحسن و قيل اختلفوا فى سبب دخوله المدينه فى هذا الوقت على أقوال (أحدها) أنه كان موسى حين كبر يركب فى مواكب فرعون فلما جاء ذات يوم قيل له إن فرعون قد ركب فركب فى أثره فلما كان وقت القائله دخل المدينه ليقبل عن السدى (و الثانى) أن بنى إسرائيل كانوا يجتمعون إلى موسى و يسمعون كلامه و لما بلغ أشده خالف قوم فرعون فاشتهر ذلك منه و أخافوه فكان لا يدخل مصر إلا خائفا فدخلها على حين غفله عن ابن إسحاق (و الثالث) أن فرعون أمر بإخراجه من البلد فلم يدخل إلا الآن عن ابن زيد «فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ» أى يختصمان فى الدين عن الجبائى و قيل فى أمر الدنيا «هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ» أى أحدهما إسرائيلى و الآخر قبطى يسخر الإسرائيلى ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون و قيل كان أحدهما مسلما و الآخر كافرا عن محمد بن إسحاق «فَاسْتِغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ» أى استنصره لينصره عليه

و روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال ليهنكم الاسم قال قلت و ما الاسم قال الشيعة قال أ ما سمعت الله سبحانه يقول فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه

«فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ» أى دفع فى صدره بجمع كفه عن مجاهد و قيل ضربه بعصاه عن قتاده «فَقَضَىٰ عَلَيْهِ» أى فقتله و فرغ من أمره «قَالَ هَذَا

مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» أى بسببه حتى هيج غضبى فضربته فهو من إغرائه قال الحسن لم يكن يحل قتل الكافر يومئذ لأن الحال كانت حال الكف عن القتال و قيل معناه أن الأمر الذى وقع القتل بسببه من عمل الشيطان أى حصل بوسوسه الشيطان و ذكر المرتضى قدس الله روحه فيه وجهين آخرين (أحدهما) أنه أراد أن تزيين قتلى له و تركى لما نددت إليه من تأخيره و تفويتى ما استحقه عليه من الثواب من عمل الشيطان (و الآخر) أنه يريد أن عمل المقتول من عمل الشيطان يبين بذلك أنه مخالف لله تعالى مستحق للقتل ثم وصف الشيطان فقال «إِنَّهُ عِدُوٌّ» لبنى آدم «مُضِلٌّ مُبِينٌ» ظاهر العداوه و الإضلال (سؤال) قالوا إن هذا القتل لا يخلو من أن يكون مستحقا أو غير مستحق فإن كان غير مستحق فالأنبياء (عليه السلام) لا يجوز عليهم ذلك عندكم لا قبل النبوه و لا بعدها و إن كان مستحقا فلا معنى لندمه عليه و استغفاره منه (و الجواب) أن القتل إنما وقع على سبيل تخليص المؤمن من يد من أراد ظلمه و البغى عليه و دفع مكروهه عنه و لم يكن مقصودا فى نفسه و كل ألم وقع على هذا الوجه فهو حسن غير قبيح سواء كان القاتل مدافعا عن نفسه أو عن غيره و سنذكر الوجه فى استغفاره منه و ندمه عليه.

### [سوره القصص (٢٨): الآيات ١٦ الى ٢٠]

#### إشاره

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَمَازَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عِدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصَلِّحِينَ (١٩) وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠)

الترقب الانتظار والاستصراخ طلب الصراخ على العدو بما يردعه عن الإيقاع به و الائتمار التشاور و الارتياح يقال ائتمروا القوم و ارتأوا بمعنى قال امرؤ القيس:

أحار ابن عمرو كأنى خمر و يعدو على المرء ما يأتهم

و قال النمر بن تولب

أرى الناس قد أحدثوا شيمه و فى كل حادثه يؤتمر

. الإعراب

«بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ» الباء للقسم و يجوز أن يكون ما حرفا موصولا و المعنى بإنعامك على و يجوز أن يكون اسما موصولا و الضمير العائد محذوف و التقدير بالذى أنعمته على و جواب القسم لن أكون و الفاء لجواب القسم مقدر فى الموصول بالجملة الفعلية. «أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ» أن الأولى زائده و أن الثانية مع صلتها منصوبه الموضع بأنها مفعوله أراد «إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» لا- يجوز أن تتعلق اللام فى لك بالناصحين لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول و إنما تتعلق بمحذوف يفسره هذا الظاهره تقديره إني من الناصحين لك.

### المعنى

ثم حكى سبحانه أن موسى (عليه السلام) حين قتل القبطى ندم على ذلك و «قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» فى هذا القتل فإنهم لو علموا بذلك لقتلوني و قال المرتضى قدس الله روحه العزيز إنما قاله على سبيل الانقطاع و الرجوع إلى الله تعالى و الاعتراف بالتقصير عن أداء حقوق نعمه أو من حيث حرم نفسه الثواب المستحق بفعل الذنب «فَاغْفِرْ لِي» معناه قول آدم (عليه السلام) رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ و قبول الاستغفار و التوبه قد يسمى غفرانا «فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ» لعباده «الرَّحِيمِ» بهم المنعم عليهم «قَالَ» موسى «رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ» أى بنعمتك على من المغفرة و صرف بلاء الأعداء عنى «فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ» المعنى فلنك على ألا- أكون مظاهرا و معينا للمشركين عن ابن عباس و فى هذا دلالة على أن مظاهره المجرمين جرم و معصيه و مظاهره المؤمنين طاعه و إنما ظاهر موسى (عليه السلام) من كان ظاهره الإيمان و خالف من كان ظاهره الكفر و

جاء فى الأثر أن رجلا قال لعطاء بن أبى رباح إن فلانا يكتب لفلان و لا يزيد على كتبه دخله و خرجة فإن أخذ منه أجرا كان له غنى و إن لم يأخذ اشتد فقره و فقر عياله فقال عطاء أ ما سمعت قول الرجل الصالح «رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ»

«فَأَصْبَحَ»



موسى فى اليوم الثانى «فى المدينه خائفاً» من قبل القبطى «يترقب» أى ينتظر الأخبار فى قتل القبطى عن ابن عباس يعنى أنه خاف من فرعون و قومه أن يكونوا عرفوا أنه هو الذى قتل القبطى فكان يتجسس و ينتظر الأخبار فى شأنه «فإذا الذى استنصره بالأمس يستنصره» معناه أن الإسرائيلى الذى كان قد خلصه بالأمس و وكر القبطى من أجله يستصرخ موسى و يستعين به على رجل آخر من القبط خصمه قال ابن عباس لما فشا أمر قتل القبطى قيل لفرعون إن بنى إسرائيل قتلت منا رجلا قال أ تعرفون قاتله و من يشهد عليه قالوا لا فأمرهم بطلبه فينا هم يطوفون إذ مر موسى من الغد و أتى ذلك الإسرائيلى يطلب نصرته و يستغيث به «قال له موسى إنك لغوى مبين» أى ظاهر الغوايه حيث قاتلت بالأمس رجلا و تقاتل اليوم الآخر و لم يرد الغوايه فى الدين و المراد أن من خصم آل فرعون مع كثيرهم فإنه غوى أى خائب فيما يطلبه عادل عن الصواب فيما يقصده «فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى أ تريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس» معناه فلما أخذته الرقه على الإسرائيلى و أراد أن يدفع القبطى الذى هو عدو لموسى و الإسرائيلى عنه و يبطش به أى يأخذه بشده ظن الإسرائيلى أن موسى قصده لما قال له «إنك لغوى مبين» فقال أ تريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس عن ابن عباس و أكثر المفسرين و قال الحسن هو من قول القبطى لأنه قد اشتهر أمر القتل بالأمس و أنه قتله بعض بنى إسرائيل «إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض» أى ما تريد إلا أن تكون عالياً فى الأرض بالقتل و الظلم قال عكرمه و الشعبى لا- يكون الإنسان جباراً حتى يقتل نفسين بغير حق «و ما تريد أن تكون من المصليحين» و لما قال الإسرائيلى ذلك علم القبطى أن القاتل موسى فانطلق إلى فرعون و أخبر به فأمر فرعون بقتل موسى و بعث فى طلبه «و جاء رجل من أقصى المدينه» أى آخرها فاختر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى «يسعى» أى يسرع فى المشى فأخبره بذلك و أنذره و كان الرجل حزقيل مؤمن آل فرعون و قيل اسمه شمعون و قيل سمعان «قال يا موسى إن الملاء أى الأشراف من آل فرعون «يأتيمرون بك» أى يتشاورون فيك عن أبى عبيده و قيل يأمر بعضهم «ليقتلوك فأخرج» من أرض مصر «إننى لك من الناصحين» فى هذا يقال نصحته و نصحت له.

## إشاره

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسِيْقِي حَتَّى يُصَيِّرَ دَرَّ الرَّعَاءِ وَ أَبُوْنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسِيْقِي لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَيَقِيْتَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ صَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)

## القراءة

قرأ أبو جعفر و أبو عمرو و ابن عامر حتى يصدر بفتح الياء و ضم الدال و قرأ الباقون «يُصَدِرَ» بضم الياء و كسر الدال.

## الحجّه

من قرأ حتى يصدر الرعاء فمعناه حتى يرجعوا من سقيهم و فى التنزيل يُصَدِّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا و من قرأ «حَتَّى يُصَدِرَ» أراد حتى يصدروا مواشيهم من و ردهم فحذف المفعول كما قال الشاعر

لا يعدلن أتاويون تضربهم نكباء صر بأصحاب المحلات

أى أحدا.

## اللغة

تلقاء الشىء حذاؤه و يقال فعل ذلك من تلقاء نفسه أى من حذاء داعى نفسه و سواء السبيل وسط الطريق قال الشاعر

" حتى أغيب فى سواء الملحد "

و ذاد شاته أو إبله

ص: ٣٨٦

عن الشىء ىذودها ذودا أى حبسها عنه بمنعه منه قال سويد بن كراع

أبيت على باب القوافى كأنما أذود بها سربا من الوحش نرعا

قال الفراء و لا يقال ذدت فى الناس و إنما يقال فى الإبل و الغنم و هذا ليس بشىء ىدل عليه قول الكميت ىصف بنى هاشم

ساده ذاده عن الخرد البىض إذا الوم كان كالأيام

و الخطب الأمر الذى فىه تفخيم و منه الخطبه و الخطبه و الخطاب كل ذلك فىه معنى العظم و ما خطبكما أى ما شأنكما قال  
الراجز

" يا عجا ما خطبه و خطبى "

و الرعاء جمع راع و ىجمع على الرعيان و الرعاء.

## الإعراب

«تَلْقَاءَ» ظرف مكان «لَا نَسْقَى» أى لا نسقى الغنم الماء فحذف مفعولاه لدلاله الكلام عليه و كذلك قوله «فَسَقَى لَهُمَا» و اللام فى قوله «لِما أَنْزَلَتْ» ىتعلق بفقير «تَمْشِى» فى موضع نصب على الحال من جاءت و قوله «عَلَى اسْتِخْيَاءٍ» فى موضع الحال أيضا من «تَمْشِى» أى تمشى مستحييه و ىجوز أن ىكون حالا- بعد حال. قالت «إِنَّ أبى يَدْعُوكَ» الجملة ىجوز أن ىكون بدلا من قوله «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا» و ىجوز أن تكون فى موضع الحال بإضمار قد و العامل فىه جاءت أو تمشى.

## المعنى

ثم بين سبحانه خروج موسى من مصر إلى مدين فقال «فَخَرَجَ مِنْهَا» أى من مدينه فرعون «خَائِفًا» من أن ىطلب فىقتل «يَتَرَقَّبُ» الطلب «قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» قال ابن عباس خرج موسى متوجها نحو مدين و ليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه قال رب نجنى من فرعون و قومه و قيل أنه خرج بغير زاد و لا- ماء و لا- حذاء و لا- ظهر و كان لا- يأكل إلا من حشيش الصحراء حتى بلغ ماء مدين «وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينِ» التوجه صرف الوجه إلى جهه من الجهات و قوله هذا المعنى ىتوجه إلى كذا أى هو كالتطالب له ىصرف وجهه إليه قال الزجاج معناه و لما سلك فى الطريق الذى ىلقى مدين فيها و هى على مسيره ثمانيه أيام من مصر نحو ما بين البصره إلى الكوفه و لم يكن له علم بالطريق و لذلك



«قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ» أى يرشدنى قصد السبيل إلى مدين وقيل سواء السبيل وسطه المؤدى إلى النجاه لأن الأخذ يمينا و شمالا لا- يباعد عن طريق الصواب وقيل أنه لم يقصد موضعا بعينه ولكنه أخذ فى طريق مدين وقال عكرمه عرضت لموسى أربعة طرق فلم يدر أيتها يسلك و لذلك قال عند استواء الطرق له «عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ» فلما دعا ربه استجاب له و دله على الطريق المستقيم إلى مدين وقيل جاء ملك على فرس بيده عنزه فانطلق به إلى مدين وقيل أنه خرج حافيا و لم يصر إلى مدين حتى وقع خف قدميه عن سعيد بن جبير «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ» و هو بئر كانت لهم «وَوَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّهُ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ» أى جماعه من الرعاه يسقون مواشيهم الماء من البئر «وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ» أى تحبسان و تمنعان غنمهما من الورود إلى الماء عن السدى و قيل تذودان الناس عن مواشيهما عن قتاده و قيل تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس عن الحسن فترك ذكر الغنم اختصارا «قَالَ» موسى لهما «مَا خَطْبُكُمَا» أى ما شأنكما و ما لكما لا تسقيان مع الناس عن ابن إسحاق «قَالَتَا لَا نَسْقِي» عند المزاحمه مع الناس «حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ» مر معناه أى حتى ينصرف الناس فإننا لا نطبق السقى فننتظر فضول الماء فإذا انصرف الناس سقينا مواشينا من فضول الحوض عن ابن عباس و قتاده «وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ» لا يقدر على أن يتولى السقى بنفسه من الكبر و لذلك احتجنا و نحن نساء أن نسقى الغنم و إنما قالتا ذلك تعريضا للطلب من موسى أن يعينهما على السقى و قيل إنما قالتا ذلك اعتذارا إلى موسى فى الخروج بغير محرم «فَسَقَى لَهُمَا» معناه فسقى موسى غنمها الماء لأجلهما و هو أنه زحم القوم عن الماء حتى أخرجهم عنه ثم سقى لهما عن ابن إسحاق و قيل رفع لأجلهما حجرا عن بئر كان لا يقدر على رفع ذلك الحجر عنها إلا- عشره رجال و سألهم أن يعطوه دلوفا فناولوه دلوفا و قالوا له انزح إن أمكنك و كان لا ينزحها إلا عشره فترجها وحده و سقى أغنامهما و لم يستق إلا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم «ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ» أى ثم انصرف إلى ظل سمره فجلس تحتها من شدة الحر و هو جائع «فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» قال ابن عباس سأل نبي الله فلق خبز يقيم به صلبه و

قال أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوات و الله ما سأله إلا خبزا يأكله

لأنه كان يأكل بقله الأرض لقد كانت خضره البقله ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله و تشذب لحمه قال الأخفش يقال فقير إليه و فقير له قال ابن إسحاق فرجعتا إلى أبيهما فى ساعه كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شأنهما و سألهما فأخبرتا الخبير فقال

لإحداهما على به فرجعت الكبرى إلى موسى لتدعوه فذلك قوله «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ» أى مستحييه معرضه عن عادة النساء الخفريات وقيل أراد باستحيائها أنها غطت وجهها بكم درعها عن عمر بن الخطاب وقيل هو بعدها من النداء عن الحسن قال فو الله ما كانت ولاجه ولا خراجه ولكنها كانت من الخفريات اللاتي لا يحسن المشى بين أيدي الرجال والكلام معهم وقيل أراد أنها كانت تمشى عادله عن الطريق «قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَيَمَيْتَ لَنَا» أى ليكافئك على سقيك لغنمنا وأكثر المفسرين على أن أباه شعيب (عليه السلام) وقال وهب وسعيد بن جبير هو يثرون ابن أخى شعيب وكان شعيب مات قبل ذلك بعد ما كف بصره ودفن بين المقام وزمزم وقيل يثروب وقيل هو اسم شعيب لأن شعيبا اسم عربى قال أبو حازم لما قالت «لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَيَمَيْتَ لَنَا» كره ذلك موسى وأراد أن لا يتبعها ولم يجد بدا من أن يتبعها لأنه كان فى أرض مسبعة وخوف فخرج معها وكانت الريح تضرب ثوبها فتصف لموسى عجزها فجعل موسى يعرض عنها مره ويغض مره فنادها يا أمه الله كوني خلفى وأرنى السمى بقولك فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيبا فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى أعوذ بالله قال شعيب و لم ذاك أ لست بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وأنا من أهل بيت لا- نبيع شيئا من عمل الآخرة بملك الأرض ذهابا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعاده آبائي نقرى الضيف ونطعم الطعام قال فجعل موسى يأكل وذلك قوله «فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصِيصَ» أى فلما جاء موسى شعيبا و قص عليه أمره أجمع من قتل القبطى وأنهم يطلبونه ليقتلوه «قال» له شعيب «لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» يعنى فرعون و قومه فلا سلطان له بأرضنا ولسنا فى مملكته.

## إشارة

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠)

## القراءة

قرأ عاصم أو جَذْوَةٍ بفتح الجيم وقرأ حمزه و خلف جَذْوَةٍ بضم الجيم و الباقون جَذْوَةٍ بالكسر و فى الشواذ قراءة الحسن أيما الأجلين بتخفيف الياء و سكونها.

## الحج

فى الجذوة ثلاث لغات على حسب القراءات الثلاث و أما أيما فهى لغة قال الفرزدق:

تنظرت نسرا و السماكين أيهما على من الغيث استهلت مواطره.

## اللغة

الجدوة القطعه الغليظه من الحطب فيها النار و جمعها جذى قال:

باتت حواطب ليلي يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار و لا ذعر

و شاطئ الوادى جانبه و هو الشط و الجمع الشواطئ.

## الإعراب

هاتين صفة لابنتى. «ثَمَانِي حِجَجٍ» ظرف زمان. «ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ» ذلك مبتدأ و خبره بينى و بينك و معناه ما شرطت على فلک و ما شرطت لى فلى كذلك الأمر بيننا عن الزجاج و أى فى معنى الجزاء و هى منصوبه بقضيت و ما مزيده مؤكده و جوابه «فَلَا عُدْوَانَ»

عَلَى». «أَنْ يَا مُوسَى» أَنْ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ وَ هِيَ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ تَقْدِيرُهُ نُوْدَى بِأَنَّهُ يَا مُوسَى وَ بِأَنَّهُ أَلْقَى عَصَاكَ.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه أمر موسى في مدين و انصرافه عنه فقال «قَالَتْ إِحْدَاهُمَا» أى إحدى ابنتيه و اسمها صفوره و هى التى تزوج بها و اسم الأخرى ليا و قيل إن اسم الكبرى صفراء و اسم الصغرى صفيراء «يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ» أى اتخذه أجيرا «إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» أى خير من استعملت من قوى على العمل و أداء الأمانة قال عمر بن الخطاب لما قالت المرأة هذا قال شعيب و ما علمك بأمانته و قوته قالت أما قوته فلا لأنه رفع الحجر الذى لا يرفعه كذا و كذا و أما أمانته فإنه قال لى امشى خلفى فأنا أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لى عجزك و قيل القوى فى نزع الحجر من البئر و كان لا يستطيعه إلا نفر. الأمين فى غض طرفه عنهما حين سقى لهما فصدرتا و قد عرفتا قوته و أمانته فلما ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبه فيه «قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ» أى أزوجك «إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرْنِي ثَمَانِي حَجَجٍ» أى على أن تكون أجيرا لى ثمانى سنين «فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ» أى ذلك تفضل منك و ليس بواجب عليك و قيل معناه على أن تجعل جزائى و ثوابى إياك على أن أنكحك إحدى ابنتى أن تعمل لى ثمانى سنين فزوجه ابنته بمهر و استأجره للرعى و لم يجعل ذلك مهرا و إنما شرط ذلك عليه و هذا على وفق مذهب أبى حنيفة و الأول أصح و أوفق لظاهر الآيه «وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ» فى هذه الثمانيه حجج و إن أكلفك خدمه سوى رعى الغنم و قيل و ما أشق عليك بأن آخذك بإتمام عشر سنين «سَيَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» فى حسن الصحبه و الوفاء بالعهد و إنما علق الصلاح بمشيئه الله لأن مراده إن شاء الله تبقيتى فمن الجائز أن يخرمه الله و لا يفعل الصلاح الدينى الذى يريد و حكى يحيى بن سلام أنه جعل لموسى كل سخله توضع على خلاف شيه أمها فأوحى الله إلى موسى فى المنام أن ألق عصاك فى الماء ففعل فولدن كلهن على خلاف شيتهن و قيل أنه وعده أن يعطيه تلك السنه من نتاج غنمه كل أدرع و أنها نتجت كلها درعا و

روى الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال سئل أيتها التى قالت إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ قال التى تزوج بها قيل فأى الأجلين قضى قال أوفاهما و بعدهما عشر سنين قيل فدخل بها قبل أن يمضى الشرط أو بعد انقضائه قال قبل أن ينقضى قيل له فالرجل يتزوج المرأة و يشترط لأبيها إجاره شهرين أ يجوز ذلك قال إن موسى علم أنه

سيتم له شرطه قيل كيف قال علم أنه سيقى حتى يفى

«قال» موسى «ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ» أى ذلك الذى وصفت و شرطت على فلك و ما شرطت لى من تزويج إحداهما فلى و تم الكلام ثم قال «أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ» من الثمانى و العشر «قَضَيْتُ» أى أتممت و فرغت منه «فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ» أى لا ظلم على بأن أكلف أكثر منها و أطالب بالزيادة عليهما «وَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ» أى شهيد فيما بينى و بينك عن ابن عباس «فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ» أى أوفاهما

روى الواحدى بالإسناد عن ابن عباس قال سئل رسول الله ص أى الأجلين قضى موسى قال أوفاهما و أبطأهما

و

بالإسناد عن أبى ذر قال قال رسول الله ص إذا سألت أى الأجلين قضى موسى فقل خيرهما و أبرهما و إن سألت أى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما و هى التى جاءت فقالت يا أبت استأجره

و قال وهب تزوج الكبرى منهما و فى الكلام حذف و إيجاز و هو فلما قضى موسى الأجل و تسلم زوجته ثم توجه نحو الشام «وَ سَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا» و قيل إنه لما زوجها منه أمر الشيخ أن يعطى موسى عصا يدفع السباع عن غنمه بها فأعطى العصا و قد ذكرنا حديث العصا فى سورة الأعراف و قيل خرج آدم بالعصا من الجنة فأخذها جبرائيل بعد موت آدم (عليه السلام) و كانت معه حتى لقى بها موسى ليلا فدفعها إليه عن عكرمه و قيل لم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب فأعطاه موسى و كانت عصا الأنبياء عنده و

روى عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول كانت عصا موسى قضيب آس من الجنة أتاه به جبرائيل ع لما توجه تلقاء مدين

و قال السدى كانت تلك العصا استودعها شعيبا ملك فى صوره رجل فأمر ابنته أن تأتية بعصا فدخلت و أخذت العصا فأتته بها فلما رآها الشيخ قال لا أأتية بغيرها فألقته و أرادت أن تأخذ غيرها فكانت لا تقع فى يدها إلا هى فعلت ذلك مرارا فأعطاه موسى و قوله «وَ سَارَ بِأَهْلِهِ» قيل إنه مكث بعد انقضاء الأجل عند صهره عشرا أخرى فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه فى العود إلى مصر ليزور والديه و أخاه فأذن له فسار بأهله عن مجاهد و قيل إنه لما قضى العشر سار بأهله أى بامراته و بأولاد الغنم التى كانت له و كانت قطيعا فأخذ على غير الطريق مخافه ملوك الشام و امرأته فى شهرها فسار فى البريه غير عارف بالطريق فألجأه المسير إلى جانب الطور الأيمن فى ليله مظلمه شديده البرد و أخذ امرأته الطلق و ضل الطريق و تفرقت ماشيته فأصابه المطر فبقى لا يدرى أين يتوجه فبينما هو كذلك آنس من جانب الطور نارا و

روى أبو بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال لما قضى موسى الأجل و سار بأهله نحو بيت المقدس أخطأ الطريق ليلا فرأى نارا «قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا»

و قد مر تفسيره «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ» أى بخبر من الطريق الذى أريد



قصده و هل أنا على صوبه أو منحرف عنه و قيل بخير من النار هل هي لخبر أنس به أو لشر نحذره «أَوْ جَذْوَهُ مِنَ النَّارِ» أى قطعه من النار و قيل بأصل شجره فيها نار «لَعَلَّكُمْ تَصِطَلُونَ» أى تستدفئون بها «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ» أى نودى موسى من الجانب الأيمن للوادي «فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ» و هي البقعه التي قال الله تعالى فيها لموسى فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى و إنما كانت مباركه لأنها معدن الوحي و الرساله و كلام الله تعالى و قيل مباركه لكثره الأشجار و الأثمار و الخير و النعم بها و الأول أصح «مِنَ الشَّجَرَةِ» إنما سمع موسى النداء و الكلام من الشجره لأن الله تعالى فعل الكلام فيها و جعل الشجره محل الكلام لأن الكلام عرض يحتاج إلى محل و علم موسى بالمعجز أن ذلك كلامه تعالى و هذه أعلى منازل الأنبياء أعنى أن يسمعوا كلام الله من غير واسطه و مبلغ و كان كلامه سبحانه «أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» أى أن المكلم لك هو الله مالك العالمين و خالق الخلائق أجمعين تعالى و تقدس عن أن يحل فى محل أو يكون فى مكان لأنه ليس بعرض و لا جسم.

## اشاره

وَ أَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَ أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَنْشُدُ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِحُّ لَكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَ مَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٥)

## القراءه

قرأ أهل الحجاز و البصره من الرهب بفتح الراء و الهاء و قرأ حفص «مِنَ الرَّهْبِ» بفتح الراء و سكون الهاء و الباقون بضم الراء و سكون الهاء و قرأ أهل البصره و ابن كثير فذانك بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ أبو جعفر و نافع ردا بغير همزه و الباقون بالهمزه و قرأ عاصم و حمزه «يُصَدِّقُنِي» بالرفع و الباقون يصدقني بالجزم و في الشواذ قراءه الحسن عضدك.

## الحجه

الرهب و الرهب لغتان مثل الرشد و الرشد و الرهب و الرهب مثل الشمع و الشمع و النهر و النهر و قوله «فَذَانِكَ» قد مضى القول فيه فيما تقدم و قال الزجاج التشديد تشبيه ذلك و التخفيف تشبيه ذاك و جعل بدل اللام في ذلك تشديد النون و من قرأ ردا فإنه خفف الهمزه و ذلك حكم الهمزه إذا خففتها و كان قبلها ساكن أن تحذف و تلقى حركتها على الساكن قبلها و من قرأ «يُصَدِّقُنِي» بالرفع جعله صفة للنكره و تقديره رداء مصدقا و من قرأ بالجزم كان على معنى الجزاء أى إن أرسلته يصدقني و فى عضد خمس لغات عضد و عضد و عضد و عضد و عضد و أفسحها عضد مثل رجل.

## الإعراب

قوله «إِلَى فِرْعَوْنَ» يتعلق بما يتعلق به من من قوله «بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ» و يجوز أن يتعلق بمحذوف كما تقدم ذكره فى قوله فى تِسْعِ آيَاتٍ. إلى فرعون و هارون عطف بيان. «رِدْءًا» نصب على الحال و الباء فى قوله «بِآيَاتِنَا» يحتمل ثلاثة أوجه (أحدها) أن يتعلق بوصول (و الثانى) أن يتعلق بنجعل (و الثالث) أن يتعلق بقوله «الْغَالِبُونَ».

## المعنى

ثم بين سبحانه تمام قصه موسى (عليه السلام) فقال «وَ أَنْ أَلْقِي عَصَاكَ» إنما أعاد سبحانه هذه القصة و كررها فى السور تقريراً للحجه على أهل الكتاب و استماله بهم إلى الحق و من أحب شيئاً أحب ذكره و القوم كانوا يدعون محبه موسى و كل من ادعى اتباع سيده مال إلى من ذكره بالفضل على أن كل موضع من مواضع التكرار لا تخلو من زياده فائده و هاهنا حذف تقديره فألقاها من يده فانقلبت بإذن الله تعالى ثعبانا عظيما تهتز كأنها جان فى سرعه حركتها و شده اهترازها «فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ» أى



تتحرك «كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا» موسى «وَلَمْ يُعَقِّبْ» أى لم يرجع إلى ذلك الموضع فنودى «يا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ» من ضررها و فى انقلاب العصا حيه دلالة على أن الجواهر متماثلة و أنها من جنس واحد لأنه لا حال أبعد إلى حال  
الحيوان من حال الخشب و ما جرى مجرى ذلك من الجماد فإذا صح قلب الخشب إلى حال الحيوان صح أيضا قلب الأبيض  
إلى حال الأسود

ص: ٣٩٤

«اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ» أى أدخلها فيه «تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» أى من غير برص «وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ» أى ضم يدك إلى صدرك من الخوف فلا خوف عليك عن ابن عباس و مجاهد و المعنى أن الله تعالى أمره أن يضم يده إلى صدره فيذهب ما أصابه من الخوف عند معاينه الحيه و قيل أمره سبحانه بالعزم على ما أراده منه و حثه على الجد فيه لئلا يمنعه الخوف الذى يغشاه فى بعض الأحوال مما أمره بالمضى فيه و ليس يريد بقوله اضْمُمْ يَدَكَ الضم المزيل للفرجه بين الشئيين عن أبى على الفارسي قال و هذا كما أن اشدد فى قوله

" اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا تيكا "

ليس يراد به الشد الذى هو الربط و المراد به تأهب للموت و استعداد للقاءه حتى لا تهاب لقاؤه و لا تجزع من وقوعه و قد جاء ذكر اليدين فى مواضع يراد بهما جملة ذى اليد فمن ذلك قولهم لييك و الخير بين يديك و منه قوله تعالى بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ و فى المثل يداك أوكتا و فوك نفخ و إنما يقال هذا عند تفرغ الجملة و قال أبو عبيده جناحا الرجل يداه و قال غيره الجناح هنا العضد و يدل على قوله إن العضد قد تقام مقام الجملة فى مثل قوله «سَيَنْشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ» و قد جاء المفرد و يراد به التشبيه قال:

يداك يد إحداهما الجود كله و راحتك الأخرى طعان تغامره

المعنى يداك يدان بدلاله قوله إحداهما فعلى هذا يجوز أن يراد بالأفراد فى قوله «وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ» التشبيه و قيل أنه لما ألقى العصا و صارت حيه بسط يديه كالمتقى و هما جناحاه فليل له اضمم إليك جناحك أى ما بسطته من يديك و المعنى لا تبسط يديك خوف الحيه فإنك آمن من ضررها و يجوز أن يكون معناه أسكن و لا تخف فإن من هاله أمر أزعجه حتى كأنه يطيره و آله الطيران الجناح فكأنه (عليه السلام) قد بلغ نهاية الخوف فليل له ضم منشور جناحك من الخوف و أسكن و قيل معناه إذا هالك أمر يدك لما تبصر من شعاعها فاضممها إليك لتسكن «فَدَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ» معناه فاليد و العصا حجتان من ربك على نبوتك «إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْتِهِ» أى أرسلناك إلى فرعون و ملئه بهاتين الآيتين الباهرتين «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» أى خارجين من طاعة الله إلى أعظم المعاصى و هو الكفر «قَالَ» موسى «رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» بتلك النفس «وَ أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا» و إنما قال ذلك لعقده كانت فى لسانه و قد مر فيما مضى ذكر

سببها وقد كان الله تعالى أزال أكثرها أو جميعها بدعائه «فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا» أى معينا لى على تبليغ رسالتك يقال فلان ردى لفلان إذا كان ينصره و يشد ظهره «يُصَيِّدُ قُنْيِي إِنْنى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» أى مصدقا لى على ما أوديه من الرسالة و إن جزمته فالمعنى إنك أن ترسله معى يصدقنى و إنما كان سؤاله ذلك بعد أن أذن له فيه لأن الإنسان لا يعلم إن المصلحة فى إرسال نبى واحد أو اثنين إلا بالوحى و قال مقاتل معناه لكى يصدقنى فرعون «قَالَ سَيَنْشُدُ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ» هذه استعاره رابعه و المعنى سنجعله رسولا- معكك و تؤيدك بأن نقرنه إليك فى النبوه و نصرتك به «وَ نَجْعِلُ لَكُمْ سُلْطَانًا» أى حجه و قوه و برهانا «فَلَا يَصِيحُونَ إِلَيْكُمْ بِآيَاتِنَا» أى لا يصل فرعون و قومه لأجلها و قيل إن قوله «بِآيَاتِنَا» موضعه التقديم أى و نجعل لكما سلطانا بآياتنا فلا يصلون إليكما ثم أخبر أن الغلبه لهما عليهم فقال «أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمْ مِنَ الْغَالِبِينَ» على فرعون و قومه القاهرون لهم و هذه الغلبه غير السلطان فإن السلطان بالحجه و الغلبه بالقهر حين هلك فرعون و قومه و ملك موسى و قومه ديارهم و

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) فى حديث طويل قال فلما رجع موسى (عليه السلام) إلى امرأته قالت من أين جئت قال من عند رب تلك النار قال فغدا إلى فرعون فوالله لكأنى أنظر إليه طويل الباع ذو شعر آدم عليه جبه من صوف عصاه فى كفه مربوط حقوه بشريط نعله من جلد حمار شراكها من ليف فقيل لفرعون أن على الباب فتى يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون لصاحب الأسد خل سلاسلها و كان إذا غضب على رجل خلاها فقطعته فخلاها فقرع موسى الباب الأول و كانت تسعه أبواب فلما قرع الباب الأول انفتحت له الأبواب التسعه فلما دخل جعلن تبصبصن تحت رجله كأنهن جراء فقال فرعون لجلسائه رأيتم مثل هذا قط فلما أقبل إليه فقال أَلَمْ تَرُبُّكَ فِينَا وَلَيْدًا إِلَى قَوْلِهِ وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فقال فرعون لرجل من أصحابه قم فخذ بيده و قال للآخر اضرب عنقه فضرب جبرائيل بالسيف حتى قتل سته من أصحابه فقال خلوا عنه قال فأخرج يده فإذا هى بيضاء قد حال شعاعها بينه و بين وجهه فألقى العصا فإذا هى حيه فالتقمت الأيوان بلحيها فدعاه إن يا موسى أقلنى إلى غد ثم كان من أمره ما كان.

## إشارة

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْذِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠)

وَاجْعَلْنَا لَهُمْ أُتُمًّا يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصِّرُونَ (٤١) وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَهُ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)

## القراءة

قرأ ابن كثير قال موسى بغير واو و كذلك هو في مصاحف مكة و الباقون «وَقَالَ» بالواو و قرأ نافع و أهل الكوفة غير عاصم من يكون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ أهل الكوفة غير عاصم و يعقوب لا يرجعون بفتح الياء و الباقون بضم الياء و فتح الجيم.

## الحج

قال أبو علي قد مضى القول في نحو هذا فيما قبل و كذلك في نحو الياء و التاء من يكون و كلاهما حسن و كذلك قد مضى فيما تقدم القول في يرجعون و يرجعون.

## اللغة

الصرح البناء العالی كالقصر و أصله من الظهور فالتصريح شدة ظهور المعنى قال الشاعر:

بهن نعام بناها الرجال تحسب أعلامهن الصروحا

و النبذ الإلقاء و الطرح و الشىء منبوذ قال أبو الأسود:

نظرت إلى عنوانه فنبدته كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

و القبح الإبعاد قبحه الله أى أبعده يقبحه قبحا و يقال قبحه إذا جعله قبيحا و قيل قبحه فهو مقبوح أهلكه.

## الإعراب

بينات نصب على الحال. «ما سَمِعْنَا بِهَذَا» يحتمل أن تكون الباء زائده و يحتمل أن تكون على أصلها و قوله «بِغَيْرِ الْحَقِّ» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال و التقدير و استكبر هو و جنوده مبطلين. و يدعون صفه الأئمه. «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ» ظرف لفعل يدل عليه قوله «مِنَ الْمُقْتَبِحِينَ» على تقدير قبحوا يوم القيامة لأن الصلته لا- تعمل فيما قبل الموصول و الألف و اللام فى المقبوحين موصول و تقديره الذين قبحوا.

## المعنى

ثم قال سبحانه «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ» التقدير فمضى موسى إلى فرعون و قومه فلما جاءهم بآياتنا أى بحججنا البينات و معجزاتنا الظاهرات «قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٌّ» أى مختلق مفتعل لم بين على أصل صحيح لأنه حيله توهم خلاف الحقيقة فوصفوا الآيات بالسحر و الاختلاف على هذا المعنى جهلا منهم و ذهابا عن الصواب «وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ» أى لم نسمع ما يدعيه و يدعو إليه فى آبائنا الذين كانوا قبلنا و إنما قالوا ذلك مع اشتهاار قصه نوح و هود و صالح و غيرهم من النبيين الذين دعوا إلى توحيد الله و إخلاص عبادته لأحد أمرين أما للفترة التى دخلت بين الوقتين و الزمان الطويل و أما لأن آباءهم ما صدقوا بشىء من ذلك و لا دانوا به فيكون المعنى ما سمعنا بآبائنا أنهم صدقوا الرسل فيما جاءوا به و وجه شبهتهم فى ذلك أنهم قالوا إنهم الكبراء فلو كان حقا لأدركوه فإنه لا يجوز أن يدرك الحق الأنقص فى الرأى و العقل و لا يدركه الأفضل فيهما و هذا غلط لأن ما طريقه الاستدلال لا يمتنع أن يصيبه الأدون فى الرأى إذا سلك طريقه و لا يصيبه الأكملى فى الرأى إذا لم يسلك طريقه «وَقَالَ مُوسَى» مجيبا لهم «رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» و معناه ربي يعلم إنى جئت بهذه الآيات الداله على الهدى من عنده فهو شاهد لى على ذلك إن كذبتمنى و يعلم أن العاقبه الحميده لنا

و لأهل الحق و الإنصاف و هذا كما يقال على سبيل المظاهره الله أعلم بالحق منا و المبطل و حجتى ظاهره فأكثرها إن قدرت على ذلك «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» أى لا- يفوز بالخير من ظلم نفسه و عصى ربه و كفر نعمه «وَقَالَ فِرْعَوْنُ» منكر لما أتى به موسى من آيات الله لما أعياه الجواب و عجز عن محاجته «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ» يريد أشرف قومه «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ» أى فأجج النار على الطين و اتخذ الآجر و قيل أنه أول من اتخذ الآجر و بنى به عن قتاده «فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا» أى قصرًا و بناءً عاليًا «لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى» أى أصعد إليه و أشرف عليه و أقف على حاله و هذا تلييس من فرعون و إيهاً على العوام أن الذى يدعو إليه موسى يجرى مجراه فى الحاجه إلى المكان و الجبهه «وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ» فى ادعائه إليها غيرى و أنه رسوله «وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» أى رفع فرعون و جنوده أنفسهم فى الأرض فوق مقدارها بالباطل و الظلم و أنفوا و تعظموا عن قبول الحق فى اتباع موسى «وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنلْنَا لَا يُزْجِعُونُ» أى أنكروا البعث و شكوا فيه «فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ» أى فعاقبناهم و طرحناهم فى البحر و أهلكتناهم بالغرق و عنى باليم نيل مصر و قيل بحر من وراء مصر يقال له إساف غرقهم الله فيه «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ» أى تفكر و تدبر و أنظر بعين قلبك كيف أخرجناهم من ديارهم و أغرقناهم «وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» و هذا يحتاج إلى تأويل لأنه ظاهره يوجب أنه تعالى جعلهم أئمه يدعوون إلى النار كما جعل الأنبياء أئمه يدعوون إلى الجنة و هذا ما لا يقول به أحد فالمعنى أنه أخبر عن حالهم بذلك و حكم بأنهم كذلك و قد تحصل الإضافه على هذا الوجه بالتعارف و يجوز أن يكون أراد بذلك أنه لما أظهر حالهم على لسان أنبيائه حتى عرفوا فكأنه جعلهم كذلك و معنى دعائهم إلى النار أنهم يدعوون إلى الأفعال التى يستحق بها دخول النار من الكفر و المعاصى «وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ» أى لا ينصر بعضهم لبعض و لا ينصرهم غيرهم يوم القيامة كما كانوا يتناصرون فى الدنيا «وَ أَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً» أى أردفناهم لعنه بعد لعنه و هى البعد عن الرحمه و الخيرات و قيل معناه ألزمتناهم اللعنه فى هذه الدنيا بأن أمرنا المؤمنين بلعنهم فلعنوهم عن أبى عبيده «وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ» أى من المهلكين عن الأخش و قيل من المشوهين فى الخلقه بسواد الوجوه و زرقه الأعين عن الكلبي عن ابن عباس و قيل من الممقوتين المفصوحين.

## إشارة

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ  
الْعُرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ  
مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ  
نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَلَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ  
آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَ  
قَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ  
أَنَّهَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)

## الفراءه

قرأ أهل الكوفه «سِحْرَانِ» بغير ألف و الباقون ساحران بالألف.

## الحجه

قال أبو على حجه من قرأ ساحران أنه قال تظاهرا و المظاهره المعاونه و فى التنزيل و إن تظاهرا عَلَيْهِ و المعاونه فى الحقيقه إنما  
تكون للساحرين لا للسحرين و الوجه فى

قوله «سِحْرَانِ» أنه نسب المعاونه إلى السحرين على وجه الاتساع كان كل سحر منهما يقوى الآخر.

## الإعراب

قال الزجاج قوله «بصائر» حال أى آتيناها الكتاب مبينا و أقول فيه أنه بدل من الكتاب فإن المعرفة يجوز أن تبدل منها النكرة و البصائر فى معنى الحجج فلا يصح معنى الحال فيها إذا كان اسما محضا لا شائبه فيه للفعل و قوله «إِذْ قَضَيْنَا» ظرف للمحذوف الذى يتعلق به الباء فى قوله «بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ» و تتلو جملة منصوبه الموضع على الحال «وَلَكِنْ رَحْمَةً» رحمه منصوبه مفعول لها تقديره و لكننا أوحينا إليك رحمه أى للرحمه كما تقول فعلت ذلك ابتغاء الخير. «لَوْ لَا أَنْ تُصَيِّبَهُمْ مُصِيبَةً» لو لا هذه هى التى معناها امتناع الشىء لوجود غيره و أن تصيبهم مبتدأ و جواب لو لا محذوف و تقديره لم يحتج إلى إرسال الرسل و لو لا الثانيه فى قوله «رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا» هى التى معناها التخصيص بمعنى هلا. «بَغَيْرِ هُدًى» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال.

## المعنى

ثم ذكر سبحانه من أخبار موسى (عليه السلام) ما فيه دلالة على معجزه نبينا ص فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» يعنى التوراه «مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى» أى الجموع التى كانت قبله من الكفار مثل قوم نوح و عاد و ثمود و يجوز أن يريد بالقرون قوم فرعون لأنه سبحانه أعطاه التوراه بعد إهلاكهم بمدى «بصائر للناس» أى حججا و براهين للناس و عبرا يبصرون بها أمر دينهم و أدله يستدلون بها فى أحكام شريعتهم «وَهُدًى» أى دلالة لمن اتبعه يهتدى بها «وَرَحْمَةً» لمن آمن به «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى يتعظون و يعتبرون و

جاءت الروايه بالإسناد عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ص قال ما أهلك الله قوما و لا قرنا و لا أمه و لا أهل قريه بعذاب من السماء منذ أنزل التوراه على وجه الأرض غير أهل القريه التى مسخوا قرده أ لم تر أن الله تعالى قال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى» الآية

«وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ» أى و ما كنت يا محمد حاضرا بجانب الجبل الغربى أى فى الجانب الغربى من الجبل الذى كلم الله فيه موسى عن قتاده و السدى و قيل بجانب الوادى الغربى عن ابن عباس و الكلبي «إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ» أى عهدنا إليه و أحكمنا الأمر معه بالرساله إلى فرعون و قومه و قيل معناه أخبرناه بأمرنا و نهينا و قيل أراد كلامه معه فى وصف نبينا ص و نبوته «وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» أى الحاضرين لذلك الأمر و بذلك المكان فتخبر قومك عن مشاهده و عيان و لكننا أخبرناك به ليكون معجزه لك «وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا



فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ» أى خلقنا قرنا بعد قرن فطال عهدهم بالمهلكين قبلهم و فتره النبوه فحملهم ذلك على الاغترار و أنكروا بعثه الله رسله لجهلهم بأمر الرسل فأرسلناك للناس رسولا و جعلناك رحمه للناس كما جعلنا موسى رحمه لا يتم الكلام إلا بهذا التقدير و قيل إن المعنى خلقنا خلقا كثيرا عهدنا إليهم فى نعتك و صفتك و أمرنا الأول بالإبلاغ للناس إلى الثانى فامتد بهم الزمان فنسوا عهدنا إليهم فيك «و ما كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» معناه و ما كنت مقيما فى قوم شعيب تتلو عليهم آياتنا قال مقاتل معناه و لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكه خبرهم «و لَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ» أى أرسلناك إلى أهل مكه و أنزلنا عليك هذه الأخبار و لو لا ذلك لما علمتها قال الزجاج المعنى إنك لم تشاهد قصص الأنبياء و لا تليت عليك و لكننا أوحيناها إليك و قصصناها عليك حتى تخبر قومك بهذا فيدل ذلك على صحه نبوتك و قيل معناه إنك لم تشهد إحساننا إلى عبادنا فى إرسال الرسل و نصب الآيات و إنزال الكتب بالبينات و الهدى و هذا كما يقال لم تدر أى شىء كان هناك تفخيما للأمر و لو لا الوحي لما علمت من ذلك ما علمت و لم تهتد له «و ما كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا» أى و لم تك حاضرا بناحية الجبل الذى كلمنا عليه موسى و نادينا يا موسى خذ الكتاب بقوة و قيل أراد بذلك المره الثانيه التى كلم الله فيها موسى (عليه السلام) حين اختار من قومه سبعين رجلا لسمعوا كلام الله تعالى «و لَكِن رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ» أى و لكن الله تعالى أعلمك ذلك و عرفك إياه نعمه من ربك أنعم بها عليك و هو أن بعثك نبيا و اختارك لإيتاء العلم بذلك معجزه لك «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» أى لتنذر العرب الذين لم يأتهم رسول قبلك «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى لكى يتفكروا و يعتبروا و ينزعوا عن المعاصى و فى هذا دلالة على وجوب فعل اللطف فإن الإنذار و الدعوه لطف من الله تعالى مؤثر فى القبول و مقرب منه «و لَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» معناه لو لا أن لهم أن يحتجوا لو أصابتهم عقوبه بأن يقولوا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى ما يجب الإيمان به فنتبع الرسول و نأخذ بشريعته و نصدق به لما أرسلنا الرسل و لكننا أرسلنا رسلا لقطع حجتهم و هو فى معنى قوله لئنأ يكون للناس على الله حجة بعد الرسل و قيل إن جواب لو لا هاهنا لعجلنا لهم العقوبه و قيل المراد بالمصيبه هاهنا عذاب الاستئصال و قيل عذاب الدنيا و الآخره عن أبى مسلم «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا» أى محمد ص و القرآن و الإسلام «قَالُوا لَوْ لَا أُوتِيَ» أى هلا أعطى محمد ص «مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى» من فلق البحر و اليد البيضاء و العصا و قيل معناه هلا أوتى كتابا جملة واحده و إنما قاله اليهود أو قريش بتعليم اليهود

فاحتج

الله عليهم بقوله «أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ» أى وقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد ص «وَقَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا» يعنون التوراه و القرآن عن عكرمه الكلبى و مقاتل و من قرأ ساحران تظاهرا فمعناه أنهم قالوا تظاهر موسى و محمد ص عن ابن عباس «وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ» من التوراه و القرآن قال الكلبى و كانت مقالاتهم هذه حين بعثوا الرهط منهم إلى رءوس اليهود بالمدينه فى عيد لهم فسألوهم عن محمد ص فأخبروهم بنعته و صفته فى كتابهم التوراه فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك سحران تظاهرا «قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» معناه قل يا محمد لكفار قومك فأتوا بكتاب هو أهدى من التوراه و القرآن حتى أتبعه إن صدقتم إن التوراه و القرآن سحران و قيل معناه فأتوا بكتاب من عند الله يؤمن معه التكذيب أى لم يكذب به طائفه من الناس ثم قال لنيبه ص «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ» أى فإن لم يأتوا بمثل التوراه و القرآن و قيل فإن لم يستجيبوا لك إلى الإيمان مع ظهور الحق «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ» أى ما تميل إليه طباعهم لأن الهوى ميل الطبع إلى المشتهى قال الزجاج أى فاعلم إنما ركبه من الكفر لا حجه لهم فيه و إنما آثروا فيه الهوى ثم ذمهم فقال «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ» أى لا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير رشاد و لا بيان جاءه من الله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» إلى طريق الجنه و قيل معناه لا يحكم الله بهدايتهم و قيل إنهم إذا لم يهتدوا بهدى الله فكأنه لم يهدهم.

## إشارة

وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَ يَذَرُونَ بِالْحَسْبِ نَهَ السَّيِّئَةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤) وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)

## اللغة

أصل التوصيل من وصل الحبال بعضها ببعض قال امرؤ القيس:

درير كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل

أى موصول بعضه ببعض و هو فى الكلام أن يصير بعضه يلى بعضا و الدرء الدفع.

## النزول

نزل قوله «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» و ما بعده فى عبد الله بن سلام و تميم الدارى و الجارود العبدى و سليمان الفارسى فإنهم لما أسلموا نزلت فيهم الآيات عن قتاده و قيل نزلت فى أربعين رجلا- من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبي ص قبل مبعثه اثنان و ثلاثون من الحبشه أقبلوا مع جعفر بن أبى طالب (عليه السلام) وقت قدومه و ثمانيه قدموا من الشام منهم بحيراء و أبرهه و الأشرف و عامر و أيمن و إدريس و نافع و تميم.

## المعنى

ثم بين سبحانه صفه القرآن فقال «وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ» أى فصلنا لهم القول و بينا عن ابن عباس و معناه أتينا بآيه بعد آيه و بيان بعد بيان و أخبرناهم بأخبار الأنبياء و المهلكين من أممهم «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى ليتذكروا و يتفكروا فيعلموا الحق يتعظوا «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ» أى من قبل محمد ص «هُمْ بِهِ» أى بمحمد ص «يُؤْمِنُونَ» لأنهم وجدوا نعته فى التوراه و قيل معناه من قبل القرآن و هم بالقرآن يصدقون و المراد بالكتاب التوراه و الإنجيل يعنى الذين أتوا الكتاب «وَ إِذَا يُتْلَى» القرآن «عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ» أى من قبل نزوله «مُسْلِمِينَ» به و ذلك أن ذكر النبي ص و القرآن كان مكتوبا عندهم فى التوراه و الإنجيل فهؤلاء لم يعاندوا ثم أثنى الله سبحانه عليهم فقال «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا» مره بتمسكهم بدينهم حتى أدرکوا محمدا ص فآمنوا به و مره بإيمانهم به و قيل بما صبروا على الكتاب الأول و على الكتاب الثانى و إيمانهم بما فيهما عن قتاده و قيل بما صبروا على دينهم و على أذى الكفار و تحمل المشاق «وَ يَذَرُونَ بِالْحَسْبِ نَهَ السَّيِّئَةَ» أى يدفعون بالحسن من الكلام الكلام

القيح الذى يسمونه من الكفار و قيل يدفعون بالمعروف المنكر عن سعيد بن جبير و قيل يدفعون بالحلم جهل الجاهل عن يحيى بن سلام و

معناه يدفعون بالمداراه مع الناس أذاهم عن أنفسهم و روى مثل ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» مر معناه «وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ» أى السفه من الناس و القبيح من القول و الهزاء الذى لا فائده فيه «أَعْرَضُوا عَنْهُ» و لم يقابلوه بمثله «وَ قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» أى لا- نسأل نحن عن أعمالكم و لا تسألون عن أعمالنا بل كل منا يجازى على عمله و قيل معناه لنا ديننا و لكم دينكم و قيل لنا حلمنا و لكم سفهكم «سَيَلَامٌ عَلَيْكُمْ» أى أمان منا لكم أن نقابل لغوكم بمثله و قيل هى كلمه حلم و احتمال بين المؤمنين و الكافرين و قيل هى كلمه تحيه بين المؤمنين عن الحسن «لا- نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ» أى لا- نطلب مجالستهم و معاونتهم و إنما نبتغى الحكماء و العلماء و قيل معناه لا نريد أن نكون من أهل الجهل و السفه عن مقاتل و قيل لا نبتغى دين الجاهلين و لا نحبه عن الكلبي.

## [سوره القصص (٢٨): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

### اشاره

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) وَ قَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فِتْلَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَ كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨) وَ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رَسُولًا- يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ مَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ زِينَتُهَا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠)

ص: ٤٠٥

## القراءه

قرأ أهل المدينة و يعقوب و سهل تجبى بالتاء و الباقون بالياء و قرأ أبو عمرو «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» بالياء و التاء كيف شئت و الباقون بالتاء.

## الحجه

قال أبو علي تأنيث ثمرات جمع و ليس بتأنيث حقيقى فيكون بمنزله الوعظ و الموعظه و الصوت و الصيحه إذا ذكرت جاز و إذا أنثت جاز و حجه من قرأ «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» بالتاء قوله «وَمَا أُوتِيتُمْ» و الياء على أ فلا يعقلون يا محمد.

## اللغه

التخطف أخذ الشىء على وجه الاستلاب من كل وجه يقال تخطفه تخطفًا و اختطفه اختطافًا و خطفه يخطفه خطفًا قال امرؤ القيس:

تخطف خزان الأنيعم بالضحي و قد حجرت منها ثعالب أورا

يجبى من جبيت الماء فى الحوض أى جمعته و الجاييه الحوض و البطر الطغيان عند النعمه قال ابن الأعرابى البطر سوء احتمال الغنى و قيل إن أصله من قولهم ذهب دمه بطرا أى باطلا عن الكسائى و قيل هو أن يتكبر عند الحق فلا يقبله.

## الإعراب

«رِزْقًا» مصدر وضع موضع الحال تقديره يجبى إليه ثمرات كل شىء من رزقه و يجوز أن يكون مصدر فعل محذوف تقديره نرزق و يجوز أن يكون مصدرًا من معنى قوله «يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتٌ» لأنه فى معنى رزق فيكون مثل قولهم حمدته شكرًا و يجوز أن يكون مفعولاً له و قوله «مِنْ لَمَدْنَا» فى موضع نصب على الصفه لقوله «رِزْقًا» «وَكَمْ أَهْلَكْنَا» أى كثيرا من القرى أهلكتنا فكم فى موضع نصب بأهلكنا و «مِنْ قَرْيَةٍ» فى موضع نصب على التمييز لأن كم الخبرية إذا فصل بينها و بين مميزها بكلام نصب كما ينصب كم الاستفهاميه معيشتها انتصب بقوله «بَطَرْتُ» و تقديره فى معيشتها فحذف الجار فأفضى الفعل. «فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ» مبتدأ و خبر.

لم تسكن فى موضع نصب على الحال و العامل فيه معنى الإشارة فى تلك قليلا صفه مصدر محذوف تقديره إلا سكونا قليلا أو صفه ظرف تقديره وقتنا أو زمانا قليلا.

## النزول

قيل نزل قوله «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» فى أبى طالب فإن النبى ص كان يحب إسلامه فنزلت هذه الآية و كان يكره إسلام وحشى قاتل حمزه فنزل فيه يا عبادى الَّذِينَ



أَشِيرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الْآيَةَ فَلَمْ يَسْلَمْ أَبُو طَالِبٍ وَ أَسْلَمَ وَحَشَى وَ رَوَا ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ غَيْرِهِ وَ فِي هَذَا نَظَرٌ كَمَا تَرَى فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَخَالَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي إِرَادَتِهِ كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَخَالَفَهُ فِي أَوْامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ وَ إِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا زَعَمَ الْقَوْمُ لَمْ يَرِدْ إِيمَانُ أَبِي طَالِبٍ وَ أَرَادَ كُفْرَهُ وَ أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيمَانَهُ فَقَدْ حَصَلَ غَايَةُ الْخِلَافِ بَيْنَ إِرَادَتِي الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ الْمُرْسَلِ فَكَأَنَّهُ سَبِحَانَهُ يَقُولُ عَلَى مَقْتَضَى اعْتِقَادِهِمْ إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ تَرِيدُ إِيمَانَهُ وَ لَا أُرِيدُ إِيمَانَهُ وَ لَا أَخْلُقُ فِيهِ الْإِيمَانَ مَعَ تَكْفُلِهِ بِنَصْرَتِكَ وَ بِذَلِكَ مَجْهُودُهُ فِي إِعَانَتِكَ وَ الذَّبِّ عَنْكَ وَ مَحَبَّتِهِ لَكَ وَ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَ تَكْرَهُ أَنْتَ إِيمَانَ وَحَشَى لِقَتْلِهِ عَمَّكَ حَمْزُهُ وَ أَنَا أُرِيدُ إِيمَانَهُ وَ أَخْلُقُ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ وَ فِي هَذَا مَا فِيهِ وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ أَبَا طَالِبٍ مَاتَ مُسْلِمًا وَ تَظَاهَرَتِ الرَّوَايَاتُ بِذَلِكَ عَنْهُمْ وَ أوردنا هناك طرفا من أشعاره الداله على تصديقه للنبي ص و توحيدده فإن استيفاء ذلك جميعه لا- تتسع له الطوامير و ما روى من ذلك في كتب المغازي و غيرها أكثر من أن يحصى يكشف فيها من كاشف النبي ص و يناضل عنه و يصحح نبوته و قال بعض الثقات إن قصائده في هذا المعنى التي تنفت في عقد السحر و تغبر في وجه شعراء الدهر يبلغ قدر مجلد و أكثر من هذا و لا- شك في أنه لم يختر تمام مجاهره الأعداء استصلاحا لهم و حسن تدبيره في دفع كيادهم لئلا يلجئوا الرسول إلى ما أَلجئوه إليه بعد موته.

## المعنى

لما تقدم ذكر الرسول و القرآن و أنه أنزل هدى للخلق بين سبحانه أنه ليس عليه الاهتداء و إنما عليه البلاغ و الأداء فقال «إِنَّكَ» يا محمد «لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» هدايته و قيل من أحببته لقرابته و المراد بالهدايه هنا اللطف الذي يختار عنده الإيمان فإنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأنه إما أن يكون من فعله خاصه أو بإعلامه و لا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلا الله تعالى فإن الهدايه التي هي الدعوه و البيان قد أضافها سبحانه إليه في قوله «وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَ قِيلَ إِنَّ الْمُرَادَ بِالْهَدَايَةِ فِي الْآيَةِ الْإِجْبَارَ عَلَى الْإِهْتِدَاءِ أَيْ أَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِهْتِدَاؤُهُمْ وَ قَبُولُهُمُ الْحَقَّ «وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» بِلُطْفِهِ وَ قِيلَ عَلَى وَجْهِ الْإِجْبَارِ «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» أَيْ الْقَابِلِينَ لِلْهُدَى فَيُدْبِرُ الْأُمُورَ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ مِنْ صِلَاحِ الْعِبَادِ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ حَاكِيًا عَنِ الْكُفَّارِ «وَ قَالُوا إِنَّ نَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَيْكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا» أَيْ نَسْتَلْبُ مِنْ أَرْضِنَا يَعْنِي أَرْضَ مَكَّةَ وَ الْحَرَمَ وَ قِيلَ إِنَّمَا قَالَهُ الْحَرِثُ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ فَإِنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَ إِذَا لَعْنَمُ أَنْ قَوْلِكَ حَقٌّ وَ لَكِنْ يَمْنَعُنَا أَنْ نَتَّبِعَ الْهُدَى مَعَكَ وَ نَوْمِنْ بِكَ مَخَافَهُ أَنْ يَتَخَطَّفَنَا الْعَرَبُ مِنْ أَرْضِنَا وَ لَا طَاقَةَ لَنَا بِالْعَرَبِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ رَادًا

عليه هذا القول «أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا» أى أو لم نجعل لهم مكة فى أمن و أمان قبل هذا و دفعنا ضرر الناس عنهم حتى كانوا يأمنون فيه فكيف يخافون زواله الآن أفلا نقدر على دفع ضرر الناس عنهم لو آمنوا بل حاله الإيمان و الطاعة أولى بالأمن و السلامه من حاله الكفر «يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ» أى تجمع إليه ثمرات كل أرض و بلد «رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا» أى إعطاء من عندنا جاريا عليهم «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ما أنعمنا به عليهم و قيل لا يعلمون الله و لا يعبدونه فيعلموا ما يفوتهم من الثواب «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ» أى من أهل قريه «بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا» أى فى معيشتها بأن عرضت عن الشكر و تكبرت و المعنى أعطيناهم المعيشه الواسعه فلم يعرفوا حق النعمه و كفروا فأهلكناهم «فَتَلَمَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُشِيكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا» تلك إشاره إلى ما يعرفونه هم من ديار عاد و ثمود و قوم لوط أى صارت مساكنهم خاويه خاليه عن أهلها و هى قريه منكم فإن ديار عاد إنما كانت بالأحقاف و هو موضع بين اليمن و الشام و ديار ثمود بوادى القرى و ديار قوم لوط بسدوم و كانوا هم يمرون بهذه المواضع فى تجارتهم «وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» أى المالكين لديارهم لم يخلفهم أحد فيها ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «وَمَا كَانَ رَبُّكَ» يا محمد «مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا» قيل إن معنى أمها أم القرى و هى مكة و قيل يريد معظم القرى من سائر الدنيا «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» أى يقرأ عليهم حججنا و بيناتنا «وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ» لنفوسهم بالكفر و الطغيان و العتو و العصيان ثم خاطب سبحانه خلقه فقال «وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ» أى و ما أعطيتموه من شىء «فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ زِينَتُهَا» أى هو شىء ء تتمتعون به فى الحياه و تزينون به «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ» من الثواب و نعيم الآخره «خَيْرٌ» من هذه النعم «وَ أَبْقَى» لأنها فانيه و نعم الآخره باقيه «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» ذلك و تتفكرون فيه حتى تميزوا بين الباقي و الفانى.



## إشارة

أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٤١) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٤٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٤٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٤٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٤٥)

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (٤٤)

## اللغة

المتعاه المنفعة و قد فرق بينهما بأن المتعاه منفعه توجب الالتذاذ فى الحال و المنفعه قد تكون بالم تودى عاقبه إلى نفع فكل متعاه منفعه و ليس كل منفعه متعاه و الإحضار إيجاد ما به يكون الشىء بحيث يشاهد و الزعم القول فى الأمر على ظن أو علم و لذلك دخل فى باب علمت و أخواته قال.

فإن تزعمينى كنت أجهل فيكم فإنى شريت الحلم عندك بالجهل

. النزول

نزل قوله «أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ» الآية فى رسول الله ص و أبى جهل و قيل نزل فى حمزه بن عبد المطلب و على بن أبى طالب (عليه السلام) و فى أبى جهل عن محمد بن كعب و السدى و قيل نزل فى عمار و فى الوليد بن المغيرة و الأولى أن يكون عاما فيمن يكون بهذه الصفة.

## المعنى

لما تقدم ذكر ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا عقبه سبحانه بالفرق بين من أوتى نعيم الدنيا و بين من أوتى نعيم الآخرة فقال «أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا» من ثواب الجنة و نعيمها جزاء على طاعته «فَهُوَ لَاقِيهِ» أى فهو واصل إليه و مدركه لا محاله «كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» من الأموال و غيرها «ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» للجزاء و العقاب و قيل من المحضرين فى النار و المعنى أ يكون حال هذا كحال ذاك أى لا يكون حالهما سواء لأن نعم الدنيا مشوبه بالغموم و تعرض الزوال و الفناء و نعم الآخرة خالصة صافية دائمه لا تتكدر بالشوب و لا تنتقص بالانقضاء «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ» أى و اذكر يوم ينادى الله الكفار و هو يوم القيامة و هذا نداء تقريع و تبيكيت «فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» أى كنتم تزعمون فى الدنيا أنهم شركاء فى الإلهيه و تعبدونهم و تدعون أنهم ينفعونكم «قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» أى حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن و الشياطين و الذين أغوا الخلق من الإنس «رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا» يعنون أتباعهم «أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا» أى أظللناهم عن

الدين بدعائنا إياهم إلى الضلال كما ضللنا نحن بأنفسنا «تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ» منهم و من أفعالهم قال الزجاج برى ء بعضهم من بعض و صاروا أعداء كما قال سبحانه الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ «ما كانوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ» أى لم يكونوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زينوا لهم عبادتنا و قيل معناه لم يعبدونا باستحقاق و حجه «وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ» أى و يقال للاتباع ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله و زعمتم أنهم شركائى لينصروكم و يدفعوا عنكم عذاب الله و إنما أضاف الشركاء إليهم لأنه لا يجوز أن يكون لله شريك و لكنهم كانوا يزعمون أنها شركاء لله بعبادتهم إياهم «فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ» أى فیدعونهم فلا يجيبونهم إلى ملتسمهم «وَرَأَوْا الْعَذَابَ» أى و يرون العذاب «لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ» جواب لو محذوف تقديره لو أنهم كانوا يهتدون لرأوا العذاب أى لا اعتقدوا أن العذاب حق و هذا القول أولى لدلاله الكلام على المحذوف «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ» أى ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين و هذا سؤال تقرير بالذنب و هو نداء يجمع العلم و العمل معا فإن الرسل يدعون إلى العلم و العمل جميعا فكأنه قيل لهم ما ذا علمتم و ما ذا عملتم «فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ» أى فخفيت و اشتبهت عليهم طرق الجواب يومئذ فصاروا كالعمى لانسداد طرق الأخبار عليهم كما تنسد طرق الأرض على العمى و قيل معناه فالتبست عليهم الحجج عن مجاهد و سميت حججهم أنباء لأنها أخبار يخبر بها فهم لا يحتجون و لا ينطقون بحجه لأن الله تعالى أدحض حججهم و أكل ألسنتهم فسكتوا فذلك قوله «فَهُمْ لَا- يَتَسَاءَلُونَ» أى لا يسأل بعضهم بعضا عن الحجج و قيل لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر الذى يعتذر به فى الجواب فلا يجيبون و قيل معناه لا يتساءلون بالأنساب القرابه كما فى الدنيا و قيل لا يسأل بعضهم بعضا عن حاله لشغله بنفسه عن الجبائى و قيل لا يسأل بعضهم بعضا أن حمل ذنوبه عنه عن الحسن.

إشارة

فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧) وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)

المعنى

ثم ذكر سبحانه التائبين و رغب فى التوبه بعد التخويف فقال «فَأَمَّا مَنْ تَابَ» أى رجع عن المعاصى و الكفر «وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا» أى و أضاف إلى إيمانه الأعمال الصالحه «فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ» و إنما أتى بلفظه عسى مع أنه مقطوع بفلاحه لأنه على رجاء أن يدوم على ذلك فيفلح و قد يجوز أن يزل فيما بعد فيهلك على أنه قد قيل إن عسى من الله سبحانه لفظه و جوب فى جميع القرآن و لما كان المفلح مختار الله تعالى ذكر عقيبه أن الاختيار إلى الله تعالى و الخلق و الحكم له لكونه قادرا عالما على الكمال فقال «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» الخيره اسم من الاختيار أقيم مقام المصدر و الخيره اسم للمختار أيضا يقال محمد ص خيره الله من خلقه و يجوز التخفيف فيهما و اختلف فى الآيه و تقديرها على قولين (أحدهما) أن معناه و ربك يخلق ما يشاء من الخلق و يختار تدبير عباده على ما هو الأصلح لهم و يختار للرساله ما هو الأصلح لعباده ثم قال «ما كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» أى ليس لهم الاختيار على الله بل لله الخيره عليهم و على هذا تكون ما نفيا و يكون الوقف على قوله «وَ يَخْتَارُ» و فيه رد على المشركين الذين قالوا لو لا نزلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ فَاخْتَارُوا الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ مِنْ مَكَّةَ و عروه بن مسعود الثقفى من الطائف (و الآخر) أن يكون ما فى الآيه بمعنى الذى أى و يختار الذى كان لهم الخيره فيه فيكون الوقف على هذا عند قوله «ما كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» و هذا أيضا فى معنى الأول لأن حقيقه المعنى فيهما أنه سبحانه يختار و إليه الاختيار ليس لمن دونه الاختيار لأن الاختيار يجب أن يكون على العلم بأحوال المختار و لا يعلم غيره سبحانه جميع أحوال المختار و لأن الاختيار هو أخذ الخير و كيف يأخذ الخير من الأشياء من لا يعلم الخير فيها «سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى تقدس و تنزه عن أن يكون له شريك فى خلقه و اختياره ثم أقام سبحانه البرهان على صحه اختياره بقوله «وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ» أى و ربك يعلم ما يخفونه و ما يظهره فإليه الاختيار و فى هذا دلالة على أن من لا يعلم السر و الجهر فلا اختيار إليه ثم أكد سبحانه ذلك بقوله «وَ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» لا يستحق العباده سواه «لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَ الْآخِرَةِ» أى له الثناء المدح و التعظيم على ما أنعم به على خلقه فى الدنيا و العقبى «وَ لَهُ الْحُكْمُ» بينهم بما يميز به الحق من الباطل قال ابن عباس يحكم لأهل طاعته بالمغفره و الفضل و لأهل معصيته بالشقاء و الويل «وَ إِلَيْهِ» أى و إلى جزائه و حكمه «تُرْجَعُونَ».

إشاره

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَمْ فَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَمْ فَلَا تَبْصُرُونَ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)

المعنى

ثم بين سبحانه ما يدل على توحيده فقال لنبية ص «قُلْ» يا محمد لأهل مكة الذين عبدوا معي آلهه تنبها لهم على خطاهم «أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا» أى دائما «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» لا يكون معه نهار «مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ» كضياء النهار تبصرون فيه فإنهم لا يقدرون على الجواب عن ذلك إلا بأنه لا يقدر على ذلك سوى الله فحينئذ تلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العباده غيره «أَمْ فَلَا تَسْمَعُونَ» أى أ فلا تقبلون ما وعظمت به وقيل أ فلا تسمعون ما بينه الله لكم من أدلته و تفكرون فيه «قُلْ» يا محمد لهم «أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا» أى دائما «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» لا يكون معه ليل «مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ» أى تستريحون فيه من الحركه والنصب «أَمْ فَلَا تَبْصُرُونَ» أى أ فلا تعلمون من البصيره وقيل أ فلا تشاهدون الليل والنهار و تدبرون فيهما فتعلموا أنهما من صنع مدبر حكيم ثم قال «وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» أى و من نعمته عليكم وإحسانه إليكم أن جعل لكم الليل والنهار «لِتَسْكُنُوا فِيهِ» أى فى الليل «وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى فى النهار «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» نعم الله فى تصريف الليل والنهار

و فى سائر أنواع النعم «و يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» مضى تفسيره فإنما كرر ذكر النداء للمشركين بأين شركائى تقريرا لهم بعد تقرير و قيل لأن النداء الأول لتقرير إقرارهم على أنفسهم بالغى الذى كانوا عليه و دعوا إليه و الثانى للتعجيز عن إقامة البرهان على ما طولبوا به بحضرة الأشهاد «و نَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا» أى و أخرجنا من كل أمة من الأمم رسولها الذى يشهد عليهم بالتبليغ و بما كان منهم عن مجاهد و قتاده و قيل هم عدول الآخرة و لا يخلو كل زمان منهم يشهدون على الناس بما علموا «فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» أى حججكم على صحنه ما ذهبتم إليه «فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ» أى فبهتوا و تحيروا لما لم يكن لهم حجه يقيمونها و علموا يقينا أن الحق ما أنتم عليه و ما أنزله الله و أن الحجه لله و لرسوله فلزمتهم الحجه لأن المشهود عليه إذا لم يأت بمخلص عن بينه الخصم توجهت القضية عليه و لزمه الحكم «و ضَلَّ عَنْهُمْ» أى ذهب عنهم «ما كانوا يفترون» من الكذب و بطل ما عبدوه من دون الله تعالى.

### النظم

إنما اتصلت هذه الآيات بما قبلها بأنه جرى ذكر معبودى الكفار و أنهم لم يغنوا من الله شيئا فعقبه سبحانه بأن وصف نفسه بأنه المنعم المالك للنعمة و الضر و قيل لما تقدم أن الحمد لله سبحانه فى الدارين ذكر عقيب ما يوجب الحمد من النعم السابقه و قيل يتصل بقوله يَخْلُقُ ما يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ أى و يختار لعباده ما هو الأصلى لهم و الأنفع.

إشاره

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبِ بِهِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِذِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَمَذُوقٌ عَظِيمٌ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلُكُم ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً وَ لَا يُلَاقَهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)

فَحَسِبْنَا بِهِ وَ بَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يُضْعِفُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم و يعقوب و سهل «لَخَسَفَ» بفتح الخاء و السين و هو قراءة الحسن و الأعرج و شيبه و مجاهد و الباقون لخسف بضم الخاء و كسر السين و قرأ يعقوب و يكف عليها ثم يبتدى فيقول أنه.

الحجة

قال أبو علي من قرأ «لَخَسَفَ بِنَا» بفتح الخاء فلتقدم ذكر الله تعالى و من قرأ بضم الخاء فبنى الفعل للمفعول به فإنه يؤول إلى الأول في المعنى و قال ابن جنى فى ويكأنه ثلاثة أقوال منهم من جعلها كلمه واحده فلم يقف على وى و منهم من وقف على وى و منهم من قال ويك و هو مذهب أبى الحسن و الوجه فيه عندنا هو قول الخليل و سيبويه و هو أن وى اسم سمي به الفعل فى الخبر فكأنه اسم أعجب ثم ابتداء فقال كأنه لا- يفلح الكافرون و كان الله يبسط الرزق فوى منفصله من كان و عليه بيت الكتاب.

سألتنى الطلاق إن رأتنى قل مالى قد جئتنى بنكر

وى كان من يكن له نشب يحبب و من يفتقر يعيش عيش ضر

و مما جاءت فيه كان عاريه من معنى التشبيه ما أنشده أبو علي:

كأننى حين أمسى لا تكلمنى متيم يشتهى ما ليس موجود

أى أنا حين أمسى متيم من حالى كذا و من قال إنها ويك فكأنه قال أعجب لأنه لا يفلح الكافرون و أعجب لأن الله ييسط الرزق و هو قول أبى الحسن و ينبغى أن يكون الكاف هنا حرف خطاب بمنزله الكاف فى ذلك و أولئك و يشهد لهذا قول عنتره:

لقد شفا نفسى و أذهب سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

و قول من قال ويكأنه كلمه واحده إنما يريد به أنه لا يفصل بعضه من بعض.

## اللغة

البعى طلب العتو بغير حق و منه قيل لولاه الجور بغاه، و الكنز جمع المال بعضه على بعض و صار بالعرف عباره عما يخبأ تحت الأرض و لا يطلق فى الشرع اسم الكنز إلا على مال لا تخرج زكاته للوعيد الذى جاء فيه. و المفاتح جمع مفتاح و المفاتيح جمع مفتاح و معناهما واحد و هو عباره عما يفتح به الأغلاق. و ناء بحمله ينوء نوءا إذا نهض به مع ثقله عليه و منه أخذت الأنواء لأنها تنهض من المشرق على ثقل نهوضها و قال أبو زيد ناءنى الحمل إذا أثقلنى و العصبه الجماعه الملتف بعضها ببعض يقال ناءت المفاتيح بالعصبه و أناءت العصبه بمعنى كما يقال ذهبت به و أذهبتة فالباء و الهمز يتعاقبان فى تعدى الفعل قال سبحانه فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ أى جاء بها و قال أبو عبيده هذا من المقلوب و معنى قوله «لَتُنُوُّ بِالْعُصْبَةِ» تنوء العصبه بها كما قال الشاعر:

إن سراجا لكريم مفخره تجلى به العين إذا ما تجهره

و معناه يجلى بالعين فقلب و قال آخر:

كانت عقوبه ما جنيت كما كان الزناء عقوبه الرجم

قال امرؤ القيس:

ص: ٤١٥

يضىء الظلام وجهها لضجيعها كمصباح زيت فى قناديل ذبال

أى فى ذبال قناديل و هذا غير صحيح و لا- يجوز أن يحمل القرآن عليه لأنه يجرى مجرى الغلط من العرب و مثل ذلك فى شعرهم كثير قال:

غداه أحلت لابن صرمه طعنه حصين غبيطات السدايف و الخمر  
و الغبيطات مفعوله و الطعنه فاعله فقلب و من أغلاطهم قول الراجز:

جاريه لم تعلم المرققا و لم تذق من البقول الفستقا

فظن الفستق من البقول فأما قول خدّاش بن زهير:

و تركت خيلا لا هواده بينها و تشقى الرماح بالضيا طره الحمر

فذهب كثير من العلماء إلى أن المعنى و تشقى الضيا طره الحمر بالرماح فقلب و ليس الأمر كذلك و إنما أراد أن رماحهم  
تشرف عن هؤلاء الضيا طره فإذا طعنوا بها فقد شقيت الرماح لأن منزلتها أرفع من أن يطعنوا بها و قالوا أيضا فى قول زهير:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم تنتج فتنتم

أنه غلط فنسبه إلى عاد و إنما هو أحمر ثمود و هذا أيضا ليس بغلط فإن ثمود يسمى عادا الآخرة لقوله تعالى وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً  
الأولى و قيل إنما سموا ثمود لأن الله تعالى أهلك عادا و بقيت منهم بقيه تناسلوا فهم ثمود و اشتق لهم هذا الاسم من الشمد و هو  
الماء القليل لأنهم قلوا عن عدد عاد الأولى و إذا جاء فى الشعر ما يجرى مجرى الغلط فلا يجوز أن يحمل كلام الله تعالى عليه.

## المعنى

«إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى» أى كان من بنى إسرائيل ثم

من سبط موسى و هو ابن خالته عن عطا عن ابن عباس و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل كان

ص: ٤١٦



ابن عم موسى لِحا لأنه كان قارون بن يصهر بن فاهث و موسى بن عمران بن فاهث عن ابن جريج و قيل كان موسى ابن أخيه و قارون عمه عن محمد بن إسحاق «فَبَغَى عَلَيْهِمْ» أى استطال عليهم بكثره كنوزه عن قتاده قال و كان يسمى المنور لحسن صورته و لم يكن فى بنى إسرائيل أقرأ منه للتوراه و لكن عدو الله نافق كما نافق السامرى فبغى عليهم و قيل كان عاملا لفرعون على بنى إسرائيل فكان يبغى عليهم و يطالبهم لما كانوا بمصر عن سعيد بن المسيب و ابن عباس و قيل إنه زاد عليهم فى الثياب شبرا عن عطاء الخراسانى و شهر بن حوشب «وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ» قال عطا أصاب كنزا من كنوز يوسف «مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتُنُوءُ بِالْعَصْبَةِ أَوْلَى الْقُوَّةِ» ما هذه موصوله بمعنى و الذى و صلتها أن مع اسمها و خبرها أى أعطيناها من الأموال المدخره قدر الذى ينى ء مفاتحه العصبه و المفاتح هنا الخزائن فى قول أكثر المفسرين و هو اختيار الزجاج كما فى قوله سبحانه وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِمَفَاتِحِهِ خَزَائِنُ مَالِهِ وَ هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنِ وَ قِيلَ هِيَ الْمَفَاتِحُ الَّتِي تَفْتَحُ بِهَا الْأَبْوَابَ عَنِ قَتَادَةَ وَ مُجَاهِدٍ وَ رَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ كَانَتْ مَفَاتِحَ قَارُونَ مِنْ جُلُودِ كُلِّ مِفْتَاحٍ مِثْلُ الْإِصْبَعِ وَ اخْتَلَفَ فِي مَعْنَى الْعَصْبَةِ فَقِيلَ مَا بَيْنَ عَشْرِهِ إِلَى خَمْسَةِ عَشْرِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ وَ قِيلَ مَا بَيْنَ عَشْرِهِ إِلَى أَرْبَعِينَ عَنْ قَتَادَةَ وَ قِيلَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا عَنْ أَبِي صَالِحٍ وَ قِيلَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قِيلَ إِنَّهُمْ الْجَمَاعَةُ يَتَعَصَّبُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ «إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ» من بنى إسرائيل «لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» أى لا تأشر و لا تفرح و لا تتكبر بسبب كنوزك إن الله لا يحب من كان بهذه الصفة و يدل على أن الفرح بمعنى البطر قول الشاعر.

و لست بمفراح إذا الدهر سرنى و لا جازع من صرفه المتقلب

و قول الآخر

(و لا أرخى من الفرح الإزارا)

«وَ ابْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ» و هذا أيضا من مقاله المؤمنين من قوم قارون له و قيل إن المخاطب له بذلك موسى و إن ذكر بلفظ الجمع و معناه اطلب فيما أعطاك الله من الأموال الدار الآخرة بأن تنفقها فى سبيل الخير و وجوه الخير و البر «وَ لَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» و هو أن تعمل فى الدنيا للآخرة عن أكثر المفسرين و معناه لا- تنس أن تعمل لآخرتك لأن حقيقه نصيب الإنسان من الدنيا الذى يعمل به لآخرته و

روى فى معناه عن على (عليه السلام) لا تنس صحتك و قوتك و فراغك و شبابك و نشاطك و غناك أن تطلب بها الآخرة

و قيل أمر أن يقدم الفضل و أن يمسك ما يغنيه عن الحسن و قيل معناه أنه كان قنورا شحيحا فقيل له كل و اشرب و استمتع بما آتاك الله من الوجه الذى أباحه الله لك فإن ذلك غير محظور عليك «وَ أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ» أى أفضل على الناس

كما أفضل الله عليك و قيل أحسن فيما افترض الله عليك كما أحسن في إنعامه عليك عن يحيى بن سلام و قيل معناه و أحسن شكر الله تعالى على قدر إنعامه عليك و واس عباد الله بمالك «و لا تَبْغِ الْفَسَادَ» أى لا تطلب العمل «فِي الْأَرْضِ» بالمعاصى «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» ظاهر المعنى «قال» قارون «إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي» اختلف فى معناه فقيل أراد إنما أعطيت هذا المال بفضل و علم عندى ليس ذلك عندكم عن قتاده يعنى أنه قدر أن هذا ثواب من الله له لفضيلته كما أخبر سبحانه عن ذلك الكافر بقوله «و لَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا» و قيل معناه لرضا الله عنى و معرفته باستحقاقى عن ابن زيد و هذا قريب من الأول و قيل معناه إن المال حصل له على علم عندى بوجوه المكاسب و بما لا يتهبأ لأحد أن يكتسبه من التجارات و الزراعات و غيرها و قيل على علم عندى بصنعه الذهب و هو علم الكيمياء عن الكلبي و حكى أن موسى (عليه السلام) علم قارون الثلث من صنعه الكيمياء و علم يوشع الثلث منها و علم ابن هارون الثلث منها فخدعهما قارون حتى علم ما عندهما و عمل بالكيمياء فكثرت أمواله «أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ» الكافر بنعمته «مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعًا» كقوم عاد و ثمود و قوم لوط و غيرهم ثم بين سبحانه أن اغتراره بماله و عدده من الخطأ العظيم لأنه لا ينتفع بذلك عند نزول العذاب به كما أن من كانوا أقوى و أغنى منه لم تغن أموالهم إشغالهم عنهم شيئاً عند ذلك «و لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» قال قتاده يعنى أنهم يدخلون النار بغير حساب و قال قتاده إن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا يسألون عنهم لعلامتهم و يأخذونهم بالنواصي و الأقدام فيصرونهم إلى النار و هذا كقوله «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ وَ أما قوله فَو رَبُّكَ لَسَأَلَهُمْ أَجْمَعِينَ» فإنما ذلك سؤال تفرغ و توييح لا يعلم ذلك من قبلهم عن الحسن «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ» أى خرج قارون على بنى إسرائيل «فِي زِينَتِهِ» التى كان يترزين بها و حشمه و تبعه و قيل إنه خرج فى أربعة آلاف دابة عليها أربعة آلاف فارس عليهم و على دوابهم الأرجوان عن قتاده و الأرجوان فى اللغه صبغ أحمر و قيل خرج فى جوار بيض على سرج من ذهب على قطف أرجوان على بغال بيض عليهن ثياب حمر و حلى من ذهب عن السدى و قيل خرج فى سبعين ألفاً عليهم المعصفرات «قال الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» من الكفار و المنافقين و ضعيفى الإيمان بما للمؤمنين عند الله من ثواب الجنة لما رأوه فى تلك الزينه و الجمال «يا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَمَذُوقٌ عَظِيمٌ» أى ذو نصيب وافر من الدنيا و المعنى أنهم تمنوا مثل منزلته و مثل ماله «و قال الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» و هم المصدقون بوعد الله المؤمنون لهم «وَيَلْكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا» مما أوتى قارون و حذف لدلاله الكلام عليه «و لا يَلْقَاهَا إِلَّا

الصَّابِرُونَ» أى ولا يلقي مثل هذه الكلمه ولا يوفق لها إلا الصابرون على أمر الله وقيل معناه ولا يعطاها يعنى الجنه فى الآخره و دل عليها قوله «ثَوَابُ اللَّهِ». «إِلَّا الصَّابِرُونَ» على طاعه الله و عن زينه الدنيا عن الكلبي «فَحَسِبْنَا بِهِ وَ بِدَارِهِ الْأَرْضَ» قال السدى دعا قارون امرأه من بنى إسرائيل بغيا فقال لها إني أعطيك ألفين على أن تجيىء غدا إذا اجتمعت بنو إسرائيل عندي فتقولى يا معشر بنى إسرائيل ما لى و لموسى قد آذانى قالت نعم فأعطاها خريطتين عليهما خاتمه فلما جاءت بيتها ندمت و قالت يا ويلتى قد عملت كل فاحشه فما بقى إلا أن أفتري على نبي الله فلما أصبحت أقبلت و معها الخريطتان حتى قامت بين بنى إسرائيل فقالت إن قارون قد أعطانى هاتين الخريطتين على أن آتى جماعتكم فأزعم أن موسى يراودنى عن نفسى و معاذ الله أن أفتري على نبي الله و هذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنو إسرائيل خاتم قارون فغضب موسى فدعا الله عليه فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك و سلطتها عليه فمرها فقال موسى يا أرض خذيه و هو على سريره و فرشه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشده الرحم فقال خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ثم أخذته حتى غيبت ركبتيه ثم أخذته حتى غيبت حقويه و هو يناشده الرحم فأخذته حتى غيبتة فأوحى الله إليه يا موسى ناشدك الرحم و استغاثك فأبيت أن تغيبته لو إباى دعا و استغاثنى لأغثته قال مقاتل و لما أمر موسى الأرض فابتلعتة قال بنو إسرائيل إنما فعل ذلك موسى ليرث ماله لأنه كان ابن عمه فحسب بداره و بجميع أمواله بعده بثلاثة أيام فلم يقدر على ماله بعده أبدا «فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصِيرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى فما كان له من جماعه منقطعه إليه يدفعون عنه عذاب الله تعالى الذى نزل به و إنما قال سبحانه ذلك لأنه كان يقدر مع نفسه الامتناع بحاشيته و جنوده «وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ» بنفسه لنفسه «وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ» حين خرج عليهم فى زينته «يَقُولُونَ وَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ يَسْبِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ» و هذه كلمه ندم و اعتراف و قد بينا أن عند الخليل و سيبويه لفظه وى مفصوله من كان و إن وقعت فى المصحف موصوله يقول القائل إذا تبين له الخطأ وى كنت على خطأ و قال الفراء أصله ويلك فحذفت اللام و جعلت أن مفتوحه فى موضع نصب بفعل مضممر كأنه قال اعلم أن الله تعالى قال و حدثنى شيخ من أهل البصره قال سمعت أعرابيه تقول لزوجها أين ابنك ويلك فقال لها ويك أنه وراء البيت قال معناه أ ما ترينه وراء البيت و قيل معناه أ لا كان و أ ما كان و قال الكسائى ويكأن فى التأويل ذلك أن الله و هو قول ابن عباس أى قالوا ذلك أن الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامته كما بسط لقارون و يقدر أن يضيق على من يشاء لا لهوان لكن بحسب المصلحه و قال مجاهد و قتاده ويكأن معناه أ لم تعلم «لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ

عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا» أى لو لا أنه أنعم علينا بنعمه فلم يعطنا ما أعطى قارون لخسف بنا كما خسف به و قيل معناه لو أن الله تعالى من علينا بالتجاوز عما تمنينا لخسف بنا لما تمنينا منزله قارون «وَيُكَانَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» أى لا يفوز بثواب الله و ينجو من عقابه الجاحدون لنعمه العابدون معه سواه.

## النظم

إنما اتصلت قصه قارون بما قبلها من قوله «نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى» فكأنه قال و من نبأ موسى الذى وعدنا تلاوته فى أول السوره قصه قارون معه و قيل اتصل بقوله فما أوتيتم من شئٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أُبْقَى فَأُكَدِّسُ سَبْحَانَهُ ذَلِكَ بِحَدِيثِ قَارُونَ وَ حَالِهِ وَ قِيلَ إِنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ خِزْيَ الْكُفَارِ وَ افْتِضَاحَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَكَرَ عَقِيبَهُ أَنَّ قَارُونَ مِنْ جَمَلَتِهِمْ وَ أَنَّهُ يَفْتَضِحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا افْتَضِحَ فِي الدُّنْيَا.

## [سوره القصص (٢٨): الآيات ٨٣ الى ٨٨]

### اشاره

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا- يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨٥) وَ مَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦) وَ لَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَ ادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَ لَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)

قيل لما نزل النبي ص بالجحفة في مسيره إلى المدينة لما هاجر إليها اشتاق إلى مكة فأتاه جبرائيل (عليه السلام) فقال أ تشتاق إلى بلدك و مولدك فقال نعم قال جبرائيل فإن الله يقول «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» يعني مكة ظاهرا عليها فنزلت الآية بالجحفة و ليست بمكيه و لا مدنيه و سميت مكة معادا لعوده إليها عن ابن عباس.

### المعنى

«تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ» يعنى الجنة «نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ» أى تجبرا و تكبرا على عباد الله و استكبارا عن عباده الله «وَلَا فَسَادًا» أى عملا بالمعاصى عن ابن جريج و مقاتل و

روى زاذان عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه كان يمشى فى الأسواق وحده و هو دال يرشد الضال و يعين الضعيف و يمر بالبباع و البقال فيفتح عليه القرآن و يقرأ «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لَا فَسَادًا» و يقول نزلت هذه الآية فى أهل العدل و المواضع من الولاة و أهل القدره من سائر الناس

و

روى أبو سلام الأعرج عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضا قال إن الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل فى هذه الآية «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ» الآية

يعنى أن من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علوا فى الأرض قال الكلبي يعنى بقوله «فَسَادًا» الدعاء إلى عباده غير الله و قال عكرمه هو أخذ المال بغير حق «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» أى و العاقبه الجميله المحموده من الفوز بالثواب للذين اتقوا الشرك و المعاصى و قيل معناه الجنة لمن اتقى عقاب الله بأداء فرائضه و اجتناب معاصيه «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» مضى تفسيره «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى لا يزداد فى عقابهم على قدر استحقاقهم بخلاف الزيادة فى الفضل على الثواب المستحق فإنه يكون تفضلا فهو مثل قوله «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا» «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» خطاب للنبي ص و المعنى أن الذى أوجب عليك الامتثال بما تضمنه القرآن و أنزله عليك «لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» أى يردك إلى مكة عن ابن عباس و مجاهد و الجبائى و على هذا فيكون فى الآية دلالة على صحه النبوه لأنه أخبر به من غير شرط و لا-استثناء و جاء المخبر مطابقا للخبر قال القتيبي معاد الرجل بلده لأنه يتصرف فى البلاد ثم يعود إليه و قيل «إلى مَعَادٍ» إلى الموت عن ابن عباس فى روايه أخرى و عن أبى سعيد الخدرى قيل إلى المرجع يوم القيامة أى يعيدك بعد الموت كما بدأك عن الحسن و الزهرى و عكرمه و أبى مسلم و قيل إلى الجنة عن مجاهد و أبى صالح فالمعنى أنه مميتك و باعثك و مدخلك الجنة و الظاهر يقتضى أنه العود إلى مكة لأن ظاهر العود يقتضى ابتداء ثم عودا إليه على أنه يجوز أن يقال الجنة معاد و إن لم يتقدم له فيها كون كما قال سبحانه فى الكفار ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى

الْجَحِيمِ ثم ابتداءً سبحانه كلاماً آخر فقال «قُلْ» يا محمد «رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى» الذي يستحق به الثواب «وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» أى ومن لم يجىء بالهدى و ضل عنه أى لا يخفى عليه المؤمن و الكافر و من هو على الهدى و من هو ضال عنه و تأويله قل ربي يعلم أنى جئت بالهدى من عنده و إنكم فى ضلال سينصرنى عليكم ثم ذكر نعمه فقال «وَمَا كُنْتُمْ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكُمُ الْكِتَابُ» أى و ما كنت يا محمد ترجو فيما مضى أن يوحى الله إليك و يشرفك بإنزال القرآن عليك «إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» قال الفراء هذا من الاستثناء المنقطع و معناه إلا أن ربك رحمك و أنعم به عليك و أراد بك الخير كذلك ينعم عليك بردك إلى مكة فاعرف هذه النعم و قيل معناه و ما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين و قصصهم تتلوها على أهل مكة و لم تشهدوها و لم تحضرها بدلاله قوله «وَمَا كُنْتُمْ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» أى أنك تتلو على أهل مكة قصص مدين و موسى و لم تكن هناك تاويا مقيما و كذلك قوله «وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الْغُرْبِيِّ» و أنت تتلو قصصهم و أمرهم فهذه رحمه من ربك «فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ» أى معينا لهم و فى هذا دلالة على وجوب معاداة أهل الباطل و فى هذه الآية و ما بعدها و إن كان الخطاب للنبي ص فالمراد غيره و قد روى عن ابن عباس أنه كان يقول القرآن كله إياك أعنى و اسمعى يا جاره «وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعِيدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ» أى و لا يمنعك هؤلاء الكفار عن اتباع آيات الله التى هى القرآن و الدين بعد إذ نزلت إليك تعظيما لذكرك و تفخيما لشأنك «وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ» أى إلى طاعه ربك الذى خلقك و أنعم عليك و إلى توحيده «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أى لا تمل إليهم و لا ترض بطريقتهم و لا توال أحدا منهم «وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» أى لا تعبد معه غيره و لا تستدع حوائجك من جهة ما سواه «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا معبود إلا هو وحده لا شريك له «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» أى كل شىء فإن بائد إلا ذاته و هذا كما يقال هذا وجه الرأى و وجه الطريق و هذا معنى قول مجاهد «إِلَّا هُوَ» و فى هذا دلالة على أن الأجسام تفنى ثم تعاد على ما قاله الشيوخ فى الفناء و الإعادة و قيل معناه كل شىء هالك إلا ما أريد به وجهه فإن ذلك يبقى ثوابه عن عطا و ابن عباس و عن أبى العالى و الكلبي و هو اختيار الفراء و أنشد:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه و العمل

أى إليه أوجه العمل و على هذا يكون وجه الله ما وجه إليه من الأعمال «لَهُ الْحُكْمُ» أى له القضاء النافذ فى خلقه و قيل له الفصل بين الخلائق فى الآخرة دون غيره «وَأِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أى تردون فى الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

اتصل قوله تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ الْآيَةَ بما قبله على معنى أنه سبحانه كما حرم نعم الدنيا عليهم بالهلاك كذلك يحرم عليهم نعم الآخرة و أما وجه اتصال قوله إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ الْآيَةَ بما قبله فقد ذكر فيه من حمل المعاد على البعث أنه اتصل بقوله تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ و من حملة على العود إلى مكة قال إنه لما بين سبحانه وعده لأم موسى رد موسى عليها مع شرف النبوه كذلك وعده ربه العوده إلى مكة مع الشرف العظيم و قد أنجز وعده كما أنجز وعده هناك و يكون معنى الكلام أن الذى أنزل القرآن بذلك الوعد سينجز هذا الوعد و اتصل قوله قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى عَلَى معنى أنه أمره بأن يقول لهم ربي أعلم بالصادق و الكاذب لا يلتبس عليه شىء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات



الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

